المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

عقيدة أهل السنّة والجماعة في صفات الله تعالى الواردة على سبيل المقابلة والردُّ على المخالفين

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

مرير عزالدين

إشراف

فضيلة: أ. د. محمد بن عبد الرحمن أبوسيف الجهني

العام الجامعي: ١٤٣٣-١٤٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

وفيها :

الافتتاحية

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

الدراسات السابقة

خطة البحث

منهج البحث

شكر وتقدير

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقدّمة

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فقد توفي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وما طائرٌ يقلِّبُ جناحَيْه في السماء إلا وقد خلَّف لأمته منه علما، فما من خيرٍ إلا وحثَّ الأمة عليه، وما من شرٍ إلا وحذرها منه عليه الصلاة والسلام، فقد تركهم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

إلاَّ أنَّ سنَّةَ الله تعالى مضت في اختلاف الناس، فمنهم من بقي على المحجة البيضاء ومنهم من خرج عنها، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾[هود: ١١٨-١١٩].

فبدأ الإحداث والابتداع في مسائل الدين مبكرا في القرون الأولى، ومن ذلكم الإحداث: تعطيلُ صفات الباري جَلَّ وصرُفها عن حقائقها المرادة منها، إلا أن الله جل

وعلا حافظٌ دينَه، قيّضَ له أسودا يذبُّون عنه، ويُبيِّنون للناس ما شُبِّه عليهم فيه، فصنفوا التصانيف في تقرير عقيدة السلف الصالح، وتشييد بُنيانِها، كما نصبوا المنجنيقَ لنقضِ شبَهِ المعطلة وتطويحها، ليميز الخبيث من الطيب.

ولما كان توحيدُ الأسماء والصفات أحدَ أنواع التوحيد الثلاثةِ التي يجب على المكلف اعتقادُها والعملُ بمقتضاها، كان من الجدير بالمسلم أن يتعلمَه، ويبحثَ مسائلَه، سالكا في ذلك مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، من إثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل.

ومما أخبر الله تعالى به عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، أوصافٌ جاءت مضافةً لله تعالى مقابِلةً لأفعال المخلوقين، متضمنةً إما معنى الثواب، كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «احفظ الله يحفظك»[1]، أو متضمنة معنى العقاب كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

فكان الجزاءُ مماثلا للعمل من جنسه في الخير والشر، فمن ستر مسلما ستره الله، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ضار مسلما ضار الله به، ومن شاق شاق الله عليه، فهذا شرع الله وقدره، ووحيه وثوابه وعقابه كله قائم بهذا الأصل، وهو إلحاق النظير بالنظير، واعتبارُ المثل بالمثل[2]، ولهذا من عامل الناس بصفةٍ، عاملَه الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه[3].

ومن هنا عنَّ لي أن أكتب- مستعينا بالله ﷻ- في هذا الموضوع وذلك بجمع الآيات

---

(١) سيأتي تخريجه ص(١٣٥).

(٢) ينظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٣٣٠، ٣٣٣).

(٣) الوابل الصيب لابن القيم ص(٨٠).

والأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب، والتنسيق بينها، وترتيب الأبواب والفصول والمباحث ترتيبا علميا.

وأما **الضابط** الذي سرت عليه في تحديد هذه الصفات فهو: «**كلُّ نصٍ ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مما تضمن فعلا من الربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في مقابل فعل العبد، مما اتفقا في اللفظ والمعنى العام**».

ثم عنونت البحث بـ:

(عقيدة أهل السّنة والجماعة في صفات الله تعالى

الواردة على سبيل المقابلة.

والردِّ على المخالفين).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا الموضوع و أسباب اختياره في الأمور التالية:

١- أن هذا الموضوع يتعلق بأعظم ركن من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله ﷻ.

٢- صلته المباشرة بمعتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات من الإيمان بما وردت به النصوص الشرعية من صفات الله تعالى نفيا وإثباتا.

٣- إخراج هذا الموضوع للناس فيه الإسهام في بيان وتوضيح عقيدة أهل السنة والجماعة في باب توحيد الأسماء والصفات.

٤- دراسة هذا الموضوع فيها حراسة وحماية لعقيدة أهل السنة والجماعة من شبهات وتأويلات أهل البدع في مثل هذه الأخبار.

٥- من خلال دراسة هذا الموضوع يتبين منهج أهل السنة والجماعة من الاستدلال بنصوص الوحيين وعدم مجاوزتهما برأي أو هوىً.

٦- الرغبة في الوقوف على تفاصيل وجزئيات باب الأسماء والصفات لما فيه من مزيد تعلق العبد بربه جلَّ وعلا.

٧- دراسة هذا الموضوع فيه المساهمة في تجلية كثير من الإشكالات الواقعة لدى الناس في مثل هذه الصفات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والسؤال لم أتوصل إلى كتابة في نفس الموضوع، سواء كانت كتاباتٍ فرديةً، أو رسائلَ علميةً؛ إلا بحثا في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في العدد (٣٢) للدكتور يوسف السعيد، تحت عنوان« **دراسة عقدية لبعض الصفات التي يدعى أنها من باب المشاكلة**»، حيث تضمن البحث أربعةَ فصول: فصلٌ في تعريف المشاكلة وأنواعِها، وفصل في قواعدَ متعلقةٍ بباب الصفات التي ادعي أنها من باب المشاكلة، وفصل في الصفات الذاتية التي ادعي أنها من باب المشاكلة، وفصل في الصفات الفعلية التي ادعي أنها من باب المشاكلة، وهذا الفصل الأخير هو الذي له تعلقٌ بموضوعنا هذا، حيث إنه ذكر تسع عشرة صفة فعلية مما ادعي فيها المشاكلة، وليست كلها على سبيل المقابلة، منها قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ« أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني»[(١)] فهذا ليس فيه فعل من الرب مقابل فعل العبد، ثم إنه – حفظه الله- سلك منهج الاختصار، وذلك بإثبات الصفة التي ادعي فيها المشاكلة، وبعض الأدلة عليها، ثم قول من يدعي المشاكلة، ثم الرد بإيجاز، كما نبه عليه في مقدمة البحث.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٨٤٦). كتاب الحدود. باب: من رأى مع امرأته رجلا فقتله، ومسلم برقم (١٤٩٩). كتاب اللعان.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس تفصيلية.

المقدمة: اشتملت على الافتتاحية، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

التمهيد: اشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات إجمالا.

المبحث الثاني: بيان ما يجوز إطلاقه في حق الله تعالى من باب:

الأسماء، والصفات، والإخبار. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تسمية الله تعالى بالأسماء الحسنى.

المطلب الثاني: وصفه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بالصفات العليا.

المطلب الثالث: الإخبار عنه جلَّ وعلا بالإخبار العام.

المبحث الثالث: أنواع ما يطلق على الله باعتبار وروده على سبيل الانفراد، والاقتران، والإضافة، والمقابلة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ما يطلق اسما لله على سبيل الانفراد، وقد يقرن بغيره.

المطلب الثاني: ما لا يطلق عل الله تعالى إلا مقترنا.

المطلب الثالث: ما يطلق على الله تعالى على سبيل الإضافة.

المطلب الرابع: ما أطلق على الله على سبيل المقابلة.

المبحث الرابع: معنى المقابلة، وشروط اعتبارها، وأنواعها. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى المقابلة.

المطلب الثاني: شروط اعتبارها.

المطلب الثالث: أنواعها.

(الباب الأول)

صفات الله تعالى الواردة على سبيل المقابلة المتضمنة معنى الثواب.

وقد اشتمل على سبعة فصول:

الفصل الأول: ما جاء في باب: التوبة، والتجاوز، والتنفيس (التفريج)، والإقالة، والتيسير.

وتحته خمسة مباحث.

المبحث الأول: من تاب تاب الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

المبحث الثاني: من تجاوز عن أخيه تجاوز الله عنه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثالث: من نفس(فرَّج) عن أخيه كربة نفَّس(فرَّج) الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الرابع:. من أقال عثرةً أقاله الله يوم القيامة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الخامس: من يسر على معسر، يسَّر الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

الفصل الثاني: ما جاء في باب: التقرب(الدنو)، والإتيان، والإيواء، واللقاءِ (التلقي)، والصلة.

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: من تقرب إلى الله شبرا تقرب الله إليه ذراعا. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثاني: من أتى الله يمشي أتاه هرولة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثالث: إيواء الله من آوى إليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الرابع: من لقي(تلقى) الله بقراب الأرض خطايا وهو لا يشرك به شيئا، لقيه (تلقاه) الله بقرابها مغفرة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء في ذلك من النصوص، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الخامس: من وصل الرحم وصله الله، ومن وصل صفا وصله الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

الفصل الثالث: ما جاء في باب: الستر، والحفظ، والإعفاف، والإغناء، والتّصبير.

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: من ستر مسلما ستره الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثاني: من حفظ الله حفظه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثالث: من يستعفف يعفه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الرابع: من يستغن يغنه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الخامس: من يتصبَّر يصبِّره الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

الفصل الرابع: ما جاء في باب: الاستحياء، والصدق، والتغيير، والنصرة، والرد.

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: من استحيا من الله استحيا الله منه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الأول: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثاني: اصدق الله يصدقك. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثالث: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآيتين.

المبحث الرابع: إن تنصروا الله ينصركم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآيتين.

المبحث الخامس: من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

الفصل الخامس: **ما جاء في باب: الإعانة، والإعتاق، الإنفاق، والإفساح، والبناء.**

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: من أعان أخاه أعانه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثاني: من أعتق رقبة مؤمنة أعتقه الله من النار. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثالث: من أنفق أنفق الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الرابع: من تفسح في المجلس فسح الله له. وفي مطلبان.

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الدليلين.

المبحث الخامس: من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

الفصل السادس: ما جاء في باب: الرفق، والذكر، والتسليم، والصلاة. وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: من رفق رفق الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثاني: من ذكرَ اللهَ ذكره الله تعالى. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

المبحث الثالث: من سلَّم على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سلَّم الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

المبحث الرابع: من صلى على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ واحدة صلى الله عليه عشرا. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

الفصل السابع: ما جاء في باب: الرحمة، والمحبة، والرضا، والإكرام، والوفاء. وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: الراحمون يرحمهم الرحمن. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني ما يستفاد من الأحاديث.

المبحث الثاني: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. ومن أحب الأنصار أحبه الله.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

المبحث الثالث: من رضي فله الرضا. وفيه مطلبان:

المطلب لأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الرابع: من أكرم سلطان الله أكرمه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الخامس: من وفَّى لله وفَّى الله له. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآية.

(الباب الثاني)

صفات الله تعالى الواردة على سبيل المقابلة المتضمنة معنى العقاب.

وقد اشتمل على سبعة فصول:

الفصل الأول: ما جاء في باب: الملل(السأم)، والإعراض(الاستغناء)، والنسيان، والإغلاق. وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: إن الله لا يمل(يسأم) حتى تملوا(تسأموا). فيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

المبحث الثاني: من أعرض عن الله أعرض الله عنه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثالث: من نسي الله تعالى نسيه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

المبحث الرابع: من أغلق بابه دون رعيته أغلق الله أبواب السماء دونه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

الفصل الثاني: ما جاء في باب: الفتح، الإحصاء، والإيعاء، والإيكاء، والمنع.

وتحته خمسة مباحث.

المبحث الأول: من فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه باب فقر. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثاني: من يحصي يحصي الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثالث: من يوعي يوعي الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الرابع: من يوكي يوكي عليه. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الخامس: من منع ما عنده، منع الله عنه فضله. فيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

الفصل الثالث: ما جاء في باب: تتبع العورات(الطلب، والكشف)، والتسميع، الرياء، والتفريق، والقطع (السبّ). وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: من تتبع(طلب، كشف) عورة أخيه تتبع(طلب، كشف) الله عورته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

المبحث الثاني: من يسمّع يسمّع الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثالث: من يرائي يرائي الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث

المبحث الرابع: من فرق بين والدة وولدها، فرق الله بينه وبين أحبته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء في النصوص من ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الخامس: من قطع الرحم قطعه الله. ومن قطع صفا قطعه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

الفصل الرابع: ما جاء في باب: التخويف، العَوْد، والإهانة (التسفيه، والتنقيص،

والتحقير)، والفضح. وتحته أربعة مباحث.

المبحث الأول: من أخاف أهل المدينة أخافه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثاني: من عاد عاد الله له. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

المبحث الثالث: من أهان غيره أهانه الله ﷻ. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

المبحث الرابع: من انتفى من ولده ليفضحه فضحه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

الفصل الخامس: ما جاء في باب: المشقة، والإضرار، والصرف، والإزاغة، والتعذيب. وتحته خمسة مباحث.

المبحث الأول: من شاقّ شاقّ الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

المبحث الثاني: من ضارّ ضارّ الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الثالث: من انصرف عن الهدىٰ صرف الله قلبه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآية.

المبحث الرابع: من زاغ عن الهدىٰ أزاغ الله قلبه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآية.

المبحث الخامس: إن الله يعذب الذين يعذبون الناس. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

الفصل السادس: ما جاء في باب: الاستهزاء، والمكر، والخداع، والسخرية، والكيد.

وتحته خمسة مباحث.

المبحث الأول: من استهزأ بالمؤمنين استهزأ الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآية.

المبحث الثاني: من مكر بالمؤمنين مكر الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء في ذلك من النصوص، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

المبحث الثالث: من خدع الله خدعه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

المبحث الخامس: من احتجب عن رعيته دون حاجتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وفقره. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

(الباب الثالث)

الرد على المخالفين.

وقد اشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مذهب أهل السنة والجماعة في الأفعال الاختيارية، ومذهب المخالفين فيها، والأصول التي اعتمدوا عليها في دعوى المجاز والمشاكلة، والرد عليهم.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: مذهب أهل السنة في الصفات الاختيارية.

المبحث الثاني: أقوال المخالفين في الأفعال الاختيارية. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: قول المعتزلة والجهمية.

المطلب الثاني: قول الكلابية.

المطلب الثالث: قول الأشعرية.

المطلب الرابع: قول الماتريدية.

المطلب الخامس: قول الكرامية.

المبحث الثالث: الأصول التي اعتمدوا عليها في التأويل. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في بيان الأصل الأول من الأصول التي اعتمدوا عليها في التأويل،

وهو امتناع حلول الحوادث بذات الربِّ تعالى، والرد عليه. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تقريرهم لهذا الأصل.

المسألة الثانية: الرد عليه.

المطلب الثاني: في بيان الأصل الثاني وهو أن الفعل عندهم هو المفعول، والخلق هو المخلوق، والرد عليه. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تقريرهم لهذا الأصل.

المسألة الثانية: الرد عليه.

المطلب الثالث: دعواهم المجاز، والرد عليهم. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تعريف المجاز وضابطه.

المسألة الثانية: الرد على دعوى المجاز.

المطلب الرابع: دعوى المشاكلة، وبيان أنواعها. وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف المشاكلة.

المسألة الثانية: أنواعها.

المسألة الثالثة: هل المشاكلة من قبيل الحقيقة أو المجاز؟.

الفصل الثاني: موقف المخالفين من بعض الصفات التي سبقت دراستها في الباب الأول، والرد عليهم. وفيه ثلاثة عشر مبحثا:

المبحث الأول: قولهم في الإقالة. والرد عليهم

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الثاني: قولهم في التقرب و الدنو، والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الثالث: قولهم في صفة الإتيان، والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الرابع: قولهم في الإيواء. والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الخامس: موقفهم من صفة اللقاء. والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث السادس: موقفهم من صفة الوصل. في قوله تعالى للرحم« ألا ترضين أن أصل من وصلك»، والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم:

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث السابع: موقفهم من صفة الاستحياء. والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الثامن: قولهم في الإنفاق والإعتاق. والرد عليهم:

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث التاسع: قولهم في صفة البناء، والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث العاشر: موقفهم من قوله تعالى« ذكرته في نفسي». والذكر عموما. الرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الحادي عشر: قولهم في التغيير. في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١]. والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الثاني عشر: قولهم في الصلاة من الله. والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الثالث عشر: موقفهم من الرحمة والمحبة والرضا. والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

الفصل الثالث: موقف المخالفين من بعض الصفات التي سبقت دراستها في الباب الثاني، والرد عليهم. وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: موقف المخالفين من صفة الملل، والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الثاني: موقف المخالفين من صفة الإعراض. والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الثالث: موقفهم من صفات الإحصاء، والإيعاء، والإيكاء. والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الرابع: موقف المخالفين من الرياء. والإضرار والتتبع. والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الخامس: موقف المخالفين من صفة القطع، والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث السادس: موقف المخالفين من صفتي الصرف، والإزاغة، والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث السابع: موقفهم من: الاستهزاء، والمكر، والخداع، والسخرية، والنسيان، والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

المبحث الثامن: موقف المخالفين من صفات: كراهية الله تعالى وبغضه وسخطه. والرد عليهم.

المطلب الأول: بيان قولهم.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

الخاتمة وفيها أهم النتائج.

الفهارس:

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الغريب.

٥- فهرس الأعلام.

٦- فهرس الفرق.

٧- فهرس المصادر والمراجع.

٨- فهرس الموضوعات.

منهج البحث

أما المنهج الذي اتبعته في كتابة هذا الموضوع هو: منهج التقرير و الاستدلال لعقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب، ومنهج النقد لمذهب المخالفين فيه، مع مراعاة الآتي:

١) عزو الآيات القرآنية بكتابة اسم السورة ورقم الآية بعدها، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٢) عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها: فإن كان في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وأما إذا كان في غيرهما عزوته إلى مصادره من كتب السنة، وذلك إذا كان في السنن قدمت الكتاب الأصح فالأصح كما رتبهم أهل العلم، وإن لم يكن في السنن فإني أعزوه إلى مصادره مراعيا في ذلك وفيات المصنفين. مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجته إن وُجد.

٣) أدرجت بعض الصفات تحت غيرها واضعا لها بين قوسين، وسبب ذلك أمران:

الأول: أن بعضها متقاربٌ في المعنى جدا. كمثل التقرب والدنو، واللقاء والتلقي، وذلك أن الكلام فيها واحد، وتجنبا للتكرار.

الثاني: أن بعض هذه الصفات لم أجد للعلماء فيها كلاما في شرحها أو التعليق عليها، في حدود ما وقفت عليه، فأدرجتها تحت الصفة التي هي من جنسها. كما في نحو صفة الإهانة فقد أدرجت تحتها صفة التحقير، والتسفيه، والتنقيص، بجامع الإهانة في جميعها.

٤) في باب الرد على المخالفين قد أجمع في المبحث الواحد أحيانا أكثر من صفتين أو ثلاث، وذلك لأن كلامهم فيها واحد، والرد عليهم كذلك يكون متحدا. وهذا الجمع رأيت الإمام المفسر ابن جرير الطبري $ سلكه في تفسيره لصفة

الاستهزاء و المكر والخداع والسخرية والكيد، حيث إنه تكلم عليها كلِّها مرة واحدة في تفسير أول سورة البقرة عند صفة الاستهزاء، ثم لما ردَّ علىٰ التفاسير التي رآها غير صحيحة جمعها مرة واحدة. وبعد ذلك إذا جاء إلىٰ تفسير صفة أخرىٰ كالمكر والخداع والسخرية يقول: قد سبق الكلام عليها، فاستحسنت فعله هذا وقفوت خَطْوَه.

٥) أما المنهج الذي سرت عليه في ترتيب أغلب الصفات داخل الفصول، فهو أني أجعل الصفات التي هي من جنس واحد في الغالب في فصل واحد، كاللقاء والتقرب والإتيان وهكذا، وأما ترتيب الفصول في الباب الأول: فإني استحضرت في ذهني السائر إلىٰ الله تعالىٰ والمبتغي لمرضاته، أنه يبدأ بالتوبة فيتوب الله عليه ويتجاوز عن سيئاته وهكذا يترقىٰ في مقامات العبودية حتىٰ يصل إلىٰ أن يَرضى الله تعالىٰ عنه ويحبه، فيوفِّيَه ما وعده به من إدخاله جنة الخلد. وأما ترتيب الفصول داخل الباب الثاني: فإني استحضرت فيه سبيل من تَرَكَ الهداية وانجرَّ وراء لذاته بحيث يملُّ من العبادة، ويبدأ بالإعراض والترك حتىٰ يصل إلىٰ بغض الله له ولعنه وغلق أبواب الجنة دونه وهكذا.

٦) بعض التأويلات لبعض الصفات لم أجد للعلماء فيها كلاما، فأجتهد في الردِّ عليها مراعيا في ذلك القواعد العامة في باب الصفات، مع الإحالة إلىٰ الردود التي هي من جنسها.

٧) الالتزام بذكر الأحاديث الصحيحة والحسنة فقط، أما ما فيه كلام لأهل العلم في ضعفه فإني لا أذكره، لأنه لا يجوز أن يعتقد في ذات الله ﷻ ولا في صفاته إلا

ما يوجد في الروايات الصحيحة(١).

٨) عزو الآثار المنقولة عن السلف إلى مصادرها.

٩) نسبة النقول إلى قائليها مبينا مصادرها بذكر الكتاب والجزء -إن وجد- ورقم الصفحة.

١٠) الترجمة الموجزة للأعلام الوارد ذكرهم في أثناء البحث، عدا المشهورين. كالخلفاء الراشدين، والمكثرين من رواية حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأئمة الإسلام المعروفين في كل زمان، كابن خزيمة، وابن منده، ومن بعدهم كابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم.

١١) التعريف الموجز بالطوائف والفرق والأديان والأماكن و البلدان وكل ما يحتاج إلى تعريف.

١٢) شرح الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية.

١٣) الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١٤) تذييل البحث بالفهارس العلمية على النحو المبيَّن في الخطة.

---

(١) ينظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص(١٨٠).

شكر وتقدير

الحمـــدُ لله حمـــدا لا يحـــيطُ بِـــهِ ... نثـرُ الكـلامِ ولا مـا يَكتُـبُ الشُّـعَرا
حمـدًا يليـقُ بـذي الإجـلالِ والكـرمِ ... سبحانَ مَـنْ حَمْـدُهُ عَـمَّ ومـا انحَصَـرَا
وأُتبِـعُ الحمـدَ شـكرا لا حـدودَ لـهُ ... ولـنْ يُكـافِئَ مِـنْ نَعْمائـه العُشُـرَا
شـكرا رّجـوتُ بِـهِ مزيـدَ إنْعامِـهِ ... فقـدْ تفضَّـل بالمزيـد مـنْ شَـكَرَا
والشـكرُ مِـنْ بعـدِه للوالـدَيْنِ فلـوْ ... أحْصَيتُ فَضْلَهُما مـا كـان مُنْحَصِـرا
فيـا إلـه الـورىٰ بـارك في عمرِهِمـا ... واغفـر لِـذَنْبِهما طُـرًّا ولـو كَثُـرا
وارحـم وُقـوفَهما يـومَ الحسـاب كـما ... كانـا لتَربيتِـي قـد كافحـا عُمُـرُا
واجعـلْ ثـوابَهما في جنـةٍ مُلِئـتْ ... مِـنْ النَّعـيمِ ولا في القلـبِ قـدْ خَطَـرا
وارفـعْ مَقـامَهما في الصـالحين كـما ... بَـينَ النجـوم رفعـتَ الشـمسَ والقمـرا
والشـكرُ يـا صـاح موصـولٌ لجامعـةٍ ... صـارتْ لكـلِّ الـبلادِ الغيـثَ والمـطرا
أنوارُهـا في نـواحي الأرضِ بازغـةٌ ... فـالعلمُ صـارَ كضـوءِ البـدرِ مُنْتَشِـرا
والحمـد لله ذي الامنـانِ يسـرَّ لي ... فيهـا مُقامـا بـهِ قـد مـنَّ وابتـدَرا
وخُـصَّ بالـذكر قِسـما للعقيـدةِ إذْ ... درسـتُ فيـه وكـان الـوِرْدَ والصَّـدَرَا
والشـكرُ للمـشرفِ المِفْضَـالِ أبذلُـه ... قـد اسـتقيتُ هُنَـا مـنْ علْمِـهِ دُررا
أنعـمْ وأكـرمْ بـهِ مـنْ مشـرفٍ وأبٍ ... موجِّـهٍ مُرشـدٍ للحـقِّ مُنتصـرا
جـزىٰ الإلـهُ أبـا عبـدِ الإلـهِ عـلىٰ ... توجيهِـهِ غُرَفًـا مـن تَحتِهـا نَهَـرَا
والشـكرُ أيضـا لمـن أعطـىٰ موافقـةً ... عـلىٰ مناقشـتي بالمسـك قـدْ عَطِـرا
فشـيخنا صـالح إلىٰ العقيـل انتسـب ... وشـيخنا ابـن عطـا مـن شـامنا انحـدرا
جزاهُمـا خـالقي عـن حسـن ظَـنِّهما ... بـما يُجـازِ بـه عبـادَه الخِيَـرَا
ختـامُ شـكرِيَّ لمـنْ أبـدىٰ نصـيحتَه ... لا يشـكرُ اللهَ مـن للنـاس مـا شـكرا
والحمد لله رب العرش ما طلعتْ ... شـمسٌ ومـا لاح نجـمٌ في السَّـما وسرىٰ

التمهيد

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول : بيان منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات إجمالا

المبحث الثاني: بيان ما يجوز إطلاقه في حق الله تعالى من باب: الأسماء. والصفات، والإخبار

المبحث الثالث : أنواع ما يطلق على الله باعتبار وروده على سبيل: الانفراد، والاقتران، والإضافة، والمقابلة

المبحث الرابع : معنى المقابلة، وشروط اعتبارها، وأنواعها

المبحث الأول

بيان منهج أهل السنة والجماعة في باب:
الأسماء والصفات إجمالا

المبحث الأول: مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات إجمالا.

إن منهج أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته، أنهم لا يسمون الله تعالى إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو سماه به رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته. ولا يصفونه إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته. لا يتجاوزون الكتاب والسنة، إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل، وينفون عنه صفات النقص ومشابهة المخلوقين.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

ففي قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ نفي للتمثيل، وفي قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ إثبات أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سميع بصير.

ومن هنا ذكر أهل العلم أُسسا[1] في هذا الباب تحفظ المسلم من الانحراف عن هذا المنهج، متمثلة في ما يلي:

الأول: إثبات ما وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، وقد دلَّ على هذا الأساس نصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، الآية بكاملها، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾[الروم: ٥٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[الحديد: ٣]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ

---

(١) ينظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للعلامة محمد الأمين الشنقيطي ص(٢٦)، وينظر: آداب البحث والمناظرة له ص (٣٦٥، وما بعدها).

ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[الحشر: ٢٢، ٢٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ﴾[المائدة: ١١٩]، وقوله ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على هذا الأساس.

الثاني: تنزيه الله تعالى عن مماثلة خلقه في شيء من ذواتهم أو أوصافهم أو أفعالهم. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾[الشورى: ١١].

وقال جلّ شأنه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[الإخلاص: ٤].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

الثالث: قطع الطمع عن العلم بكيفية صفات الله تعالى. قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[طه: ١١٠].

فالآية صريحة في نفي إحاطة علم البشر بالله ﷻ نفيا تاما.

فهذه الأسس الثلاثة كلها طُرُق سلامة محققة لا شك فيها؛ لأنها كلَّها تمسُّك بالقرآن العظيم، ومن تمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى.

فإذا تقرر هذا فإليك نقولاً عن أئمة الإسلام تؤكد ما تمَّ تسطيره.

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا أن نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقرُّ بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا»(١).

وقال: «لأنا لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه، إما في كتاب الله أو على لسان نبيه

---

(١) كتاب التوحيد (١/ ٢٦).

صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَبنقل العدل عن العدل موصولاً إليه»[١].

وقال ابن مندهرَحِمَهُٱللَّهُ: «إن الأخبار في صفات الله ﷻ جاءت متواترة عن نبي الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ موافقة لكتاب الله ﷻ، نقلها الخلفُ عن السلف قرنا بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل إثبات الصفات لله ﷻ، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله ﷻ في تنزيله، وبيَّنه الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف، وأنه ﷻ أزلي بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، غير زائلة عنه، ولا كائنة دونه، فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحدا»[٢].

وقال التيمي[٣]رَحِمَهُٱللَّهُ: «الكلام في صفات الله ﷻ ما جاء منها في كتاب الله، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فمذهب السلف رحمة الله عليهم أجمعين: إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وذهب قوم من المثبتين إلى البحث عن التكييف.

والطريقة المحمودة هي الطريقة المتوسطة بين الأمرين، وهذا لأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود، لا إثبات كيفية، فكذلك

---

(١) نفس المصدر (١/ ١٣٧).

(٢) كتاب التوحيد ص(٤٣٩-٤٤٠).

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطلحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة: من أعلام الحفاظ. كان إماما في التفسير والحديث واللغة. ولد سنة (٤٥٧هـ) بأصبهان. ومن مؤلفاته: (الحجة في بيان المحجة، ودلائل النبوة) توفي سنة(٥٣٥هـ). ينظر: السير للذهبي (٢٠/ ٨٠ وما بعدها).

إثبات الصفات، وإنما أثبتناها لأن التوقيف ورد بها وعلى هذا مضى السلف»[١].

وقد نقل **الأشعري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجماع أهل السنة على هذا فقال في الإجماع العاشر: «وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه، ووصفه به نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير اعتراض فيه، ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب، وترك التكييف له لازم»[٢].

وممن نقل كذلك إجماع أهل السنة على ذلك إمام أهل المغرب وحافظها في زمانه **ابن عبد البر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة»[٣].

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد سبك كلام الأئمة قبله في عبارة جامعة تجمع شتات ما تفرق من كلامهم، لخص فيها مذهبهم فقال: «ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها: أنهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات. إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]»[٤].

فهذه بعض النقول عن الأئمة تحكي مذهب السلف في ذلك.

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٨٨، ١٩٠). وينظر: (١/ ١٨٣-١٨٤)، و(٢/ ٤١٠)، و(٢/ ٥١٢).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر ص(٢٤٥)، و(٢٢٤). وينظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص(١٦٠ وما بعدها)، وشرح السنة للبغوي (١/ ١٧٠).

(٣) التمهيد (٧/ ١٤٥).

(٤) الصفدية ص(١٣٣). وينظر: منهاج السنة (٢/ ١٥٤)، وشرح الأصبهانية ص(٣٤-٣٥)، و(٤٣٣).

المبحث الثاني

بيان ما يجوز إطلاقه في حق الله تعالى

من باب: الأسماء والصفات والإخبار

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تسمية الله ﷻ بالأسماء الحسنى

المطلب الثاني: وصفه ﷻ بالصفات العليا

المطلب الثالث: الإخبار عنه جلا وعلا بالإخبار العام

المطلب الأول: تسمية الله تعالى بالأسماء الحسنى.

فأول الأنواع التي يُخبَر بها عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أسماؤه الحسنى التي دل عليها الكتاب والسنة، وهذا النوع توقيفي لفظه ومعناه، فلا مجال للعقل فيه. إذ يتوقف إيراده على ثبوت لفظه ومعناه في النصوص الشرعية، وهو أضيق الأنواع من جهة الإخبار مقارنة بالبقية.

وقد عرَّفها **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «ولكن الأسماء الحسنى: هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»[١].

وبناء على هذا التعريف يمكن أن نذكر بعض الضوابط[٢] المستقاة منه في باب الإخبار بها عن الله تعالى:

الأول: ورودها في الكتاب والسنة بألفاظها، وقد دلَّ على هذا الضابط لفظة: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾، في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠].

فـ«الأسماء الحسنى بالألف واللام لا تكون إلا معهودة، ولا معروف في ذلك إلا ما نص الله تعالى عليه»[٣]، أو نصَّ عليه رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو سماه به رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأجمعت عليه الأمة، أو أجمعت الأمة على تسميته به»[٤].

الثاني: اقتضاؤها للمدح والثناء على الله تعالى، وهذا مستفاد من قوله ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فهي

---

(١) شرح الأصبهانية ص(٩).

(٢) ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لـ. د/ محمد بن خليفة ص(٣٨).

(٣) المحلى لابن حزم (١/ ٢٩).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/ ٤١٠).

لا تكون حسنى إلا إذا كانت دالة على صفات الكمال، وإلاَّ فلا توصف بحسن فضلا عن كونها أحسن من غيرها.

الثالث: أنها الأسماء التي أمر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عباده أن يدعوه بها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾.

ومن هنا كانت أسماء الله تعالى على ثلاثة أضرب:

الأول: ما يرجع إلى ذاته كقولك الله، والرب.

الثاني: ما يرجع إلى صفات ذاته كعالِم، وقدير، وحي، وسميع، وبصير.

الثالث: ما يرجع إلى صفات فعله كخالق، ورازق، وهذه صفات لله وأسماء يستحقها في الأزل، وهو موصوف في الأزل بأنه سيخلق، ويرزق، قبل أن يخلق ويرزق(١).

(١) ينظر: الانتصار للعمراني (٢/ ٦٠٥).

المطلب الثاني: وصفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالصفات العليا.

أما الطريق الثاني: فهو الإخبار عنه بصفات الكمال. فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته. وهذا الطريق كسابقه توقيفي لفظه ومعناه، إلا أنه أوسع من باب الأسماء لأن من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما يرجع إلى أفعاله، وأفعاله لا نهاية لها.

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: « نحن نثبت لخالقنا جل وعلا صفاته التي وصف الله عَزَّ وَجَلَّ بها نفسه، في محكم تنزيله، على لسان نبيه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه»[(١)].

وقال التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو أجمع عليه المسلمون. فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال. فنقول. . . أن له قدرة، وعلماً، وحياة، وسمعاً، وبصراً، وكلاماً، وإرادة وغير ذلك من صفاته، وكان موصوفاً بجميع ذلك فيما لم يزل، لم يستفد صفة لم تكن له من قبل»[(٢)].

وقد تنوعت هذه الصفات لتدل على كمال المتصف بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: وهي نوعان[(٣)]: صفات ثبوتية، وصفات منفية.

فالصفات الثبوتية: هي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله[(٤)] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي ثلاثة أقسام: ذاتية، وفعلية، ومعنوية:

---

(١) كتاب التوحيد (١/ ٥٧).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤١٠).

(٣) ينظر: شرح الأصبهانية لابن تيمية ص(٤٣٢).

(٤) ينظر: القواعد المثلى لابن عثيمين ص(٢٦).

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها[١]: مثل اليدين، والوجه، والساق.

وأما الفعلية: «وهي الأمور التي يتصف بها الرب ﷻ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته؛ مثل: كلامه وسمعه وبصره وإرادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه؛ ومثل: خلقه وإحسانه وعدله؛ ومثل: استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة»[٢].

والمعنوية: هي المعاني القائمة بالذات لا تنفك عنها، كالعلم والقدرة والحياة[٣].

هذا ما يتعلق بالصفات الثبوتية.

أما **الصفات السلبية(المنفية):** فهي ما نفاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وكلها صفات نقص في حقه تعالى كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب[٤].

«وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ إلا إذا تضمن إثباتا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض؛ والعدم المحض ليس بشيء وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء؛ فضلا عن أن يكون مدحا أو كمالا»[٥].

---

(١) ينظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٧٨).

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٣)، ومجموع الفتاوى له (٦/ ٢١٧).

(٣) ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم ص(٢٠٩)، وأدلة صفات الله ووجوه دلالاتها وأحكامها لـ أ. د/ محمد أبوسيف ص (٩٨).

(٤) القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين ص(٢٦).

(٥) التدمرية لابن تيمية ص(٥٧).

المطلب الثالث: الإخبار عنه جلّ وعلا بالإخبار العام.

أما الطريق الثالث: فهو الإخبار عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالإخبار العام، وهذا الطريق توقيفي معناه دون لفظه، فإنه يجوز الإخبار عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالألفاظ الوارد معناها في الكتاب والسنة؛ و إن لم يرد لفظها فيهما، ولهذا الطريق شرطان:

الأول: أن يكون معناه واردا في الكتاب والسنة.

الثاني: أن يكون لفظه حسنا، أو ليس بسيء.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الإخبار عنه: فلا يكون باسم سيئ؛ لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيء وإن لم يحكم بحسنه. مثل: اسم شيء وذات وموجود»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويجب أن تعلم هنا أمورا:

أحدها: أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء والموجود والقائم بنفسه؛ فإنه يخبر به عنه، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا. . .

(إلى أن قال): أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفا كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه »[(٢)].

وهذا كما مرَّ بيانه أن التوقيف يلزم معناه دون لفظه.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٢).

(٢) بدائع الفوائد ص(٢١٢-٢١٣).

المبحث الثالث

أنواع ما يطلق على الله ﷻ باعتبار وروده

على سبيل:

الانفراد

الاقتران

الإضافة

المقابلة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ما يطلق اسما لله تعالى على سبيل الانفراد، وقد يقرن بغيره.

إن الله تعالى سمَّى نفسه بأسماء بالغة في الحسن غايته، متضمنة للكمال المطلق، إذ المسمى بها له الكمال المطلق من كل وجه، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كامل في أسمائه، كامل في صفاته، كامل في أفعاله، ومن هذه الأسماء التي سمّى بها نفسه؛ أسماء جاءت مفردة: كاسم الله، والقدير، والسميع، والعزيز، والعليم. . .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ٢٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤].

وقال جل شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص: ١-٢].

فهذه بعض الأسماء التي جاءت في النصوص مفردة، ولذلك فإنه يسوغ دعاء الله تعالى بها مفردة كقولك: يا سميع الدعاء استجب لنا. وذلك لتضمنها الكمال المطلق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أسماؤه تعالى منها ما يطلق عليه مفردا ومقترنا بغيره، وهو غالب الأسماء، كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم، وهذا يسوغ أن يُدعى به مفردا ومقترنا بغيره، فتقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم، وأن يفردَ كل اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد والجمع»(١).

وقد تجمع هذه الأسماء مع غيرها لزيادة كمال آخر إضافة إلى كمال كل اسم بمفرده، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٧٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[المائدة:

(١) بدائع الفوائد ص(٢١٩-٢٢٠)، وينظر: أعلام السنة المنشورة لحافظ حكمي ص(٦٣).

٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾[فاطر: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴾[البقرة:٢٦٣]. إلىٰ غير ذلك من الآيات، وهي كثيرة في القرآن الكريم.

وقد يجمع أكثر من اسمين في موضع واحد لبيان الكمال المطلق. قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[الحشر: ٢٣-٢٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد علىٰ مفرديهما، نحو: الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن؛ فإن الغنىٰ صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنىٰ مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك العفو القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنه من أشرف المعارف»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الجمع بين(الرحمن الرحيم) ففيه معنىٰ هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما، وهو أن الرحمن دال علىٰ الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال علىٰ تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال علىٰ أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾[الأحزاب: ٤٣]، وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[التوبة: ١١٧]، ولم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته وهذه نكتة لا تكاد

(١) بدائع الفوائد ص(٢١١).

تجدها في كتاب وإن تَنَفَّستْ عندها مرآة قلبكَ لم تنجل لك صورتُها»[(١)].

قال السعدي: «ومن أسمائه الحسنى ما يؤتي به مفرداً، ويؤتى به مقروناً مع غيره، وهو أكثر الأسماء الحسنى، فيدل ذلك على أن لله كمالاً من إفراد كلٍّ من الاسمين فأكثر، وكمال من اجتماعهما أو اجتماعها»[(٢)].

---

(١) نفس المصدر ص(٣٦).

(٢) توضيح الكافية الشافية (٣/ ٣٨٩). ضمن مجموع مؤلفات السعدي.

المطلب الثاني: ما لا يطلق على الله تعالى إلا مقترنا.

أما النوع الثاني من الأسماء التي يسمى الله تعالى بها، هي الأسماء المقترنة مع بعضها، وقد يسميها بعض أهل العلم « المزدوجة»، أو «المتقابلة»، أي أنها لا تأتي مفردة بل لابد من اقترانها مع مقابلها، وذلك لأنها لا تدل على المدح والكمال المطلق إلا باجتماعها، مثل القابض الباسط، والخافض الرافع، والمعز المذل، والمعطي المانع، والنافع الضار.

وقد صح في ذلك حديثٌ عن أنس ﷺ قال: قال الناس يا رسول الله: غلا السعر فسعِّر لنا. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال»[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقرونا بمقابله كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله؛ فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاء ومنعا، ونفعا وضرا، وعفوا وانتقاما، وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٤٥١). كتاب البيوع. باب: في التسعير، والترمذي رقم (١٣١٤) كتاب البيوع. باب: ما جاء في التسعير، وابن ماجة برقم (٢٢٠٠). كتاب التجارات. باب: من كره أن يسعِّر. وأحمد في المسند برقم (١٢٥٩١)، وأبو يعلى في المسند (٥/ ٢٤٥)، والدارمي في السنن برقم (٢٤٨٧)، وابن حبان في الصحيح برقم (٤٩٣٥). قال الترمذي: « هذا حديث حسن صحيح».

وقال ابن الملقن في البدر المنير (٦/ ٥٠٨): « هذا الحديث صحيح وله طرق».

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (١/ ٧١٨): « إسناده على شرط مسلم».

وصححه الألباني. ينظر: غاية المرام ص(١٩٤)، والمشكاة (٢٨٩٤)، وصحيح الجامع (١٨٤٦).

وقال شعيب الأرنؤوط على إسناد ابن حبان: « إسناده صحيح على شرط مسلم».

فلا يسوغ.

فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجيء مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه.

فلو قلت: يا مذل يا ضار يا مانع... وأخبرت بذلك لم تكن مثنيا عليه ولا حامدا له حتى تذكر مقابلها»[١].

وقد نظمها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أبيات في نونيته[٢] حيث قال:

هـذا ومـن أسـمائه مـا لـيس يفـ ... ـرد بـل يقـال إذا أتـى بقـران
وهـي التـي تُـدعى بمُزدَوَجَـاتِهـا ... إفـرادُها خَطَـرٌ عـلى الإنسـان
إذ ذاك مـوهمُ نـوعِ نقـصٍ جـلَّ ربُّ ... العـرشِ عـن عيـبٍ وعـن نقصـان
كـ(المانع المعطـي) وكـ(الضـار) الـذي ... هـو (نـافع) وكمَـالُه الأمـران
ونظـيرُ هـذا (القـابضُ) المقـرونُ بـا ... سـمِ (الباسـطِ) اللفظـانِ مُقترنـان
وكذا (المعـزُّ) مـعَ (المـذلِّ) و(خـافضٌ) ... مـع (رافـعٍ) لفظـان مُزدَوَجَـان

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى احتمال جواز إفراد أحد الاسمين إذا كان يدل على الكمال المطلق دون مقارنه، فلك أن تدعو الله تعالى بقولك: يا نافع، يا معز، يا رافع، يا باسط، ولا يجوز إفراد مقابله بالدعاء، كقولك: يا ضار، يا مذل، يا خافض، يا قابض، لاحتمال ألفاظها النقص.

قال الحليمي[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في(النافع والضار): «وقد يجوز أن يدعى الله جل ثناؤه باسم

---

(١) بدائع الفوائد ص(٢٢٠).

(٢) ص(٢٥١-٢٥٢).

(٣) هو أبو عبد الله، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي. المعروف بالحليمي. ولد في =

النافع وحده، ولا يجوز أن يدعى بالضار وحده حتى يجمع بين الاسمين»[١].

وقال الخطابي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا ينبغي أن يدعى ربنا جل جلاله باسم القابض حتى يقال معه الباسط»[٣].

والذي يظهر من كلام بعض أهل العلم، أنه لا يثنى على الله تعالى بأحد الاسمين إلا مقترنا مع مقابله، وإن كان يدل على الكمال لورد النصوص باجتماعهما معا.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد قال من قال من العلماء: إن مثل أسمائه (الخافض)(الرافع)، و(المعز) (المذل)، و(المعطي)(المانع)، و(الضار)(النافع) لا يذكر ولا يدعى بأحد الاسمين الذي هو (الضار) و(النافع) و(الخافض) لأن الاسمين إذا ذكرا معا دلَّ ذلك على عموم قدرته وتدبيره؛ لأنه لا رب غيره، وعموم خلقه وأمره في مدح له وتنبيه على أن ما فعله من ضرر خاص، ومنع خاص، فيه حكمة ورحمة بالعموم، وإذا ذكر أحدهما لم يكن فيه هذا المدح؛ والله له الأسماء الحسنى ليس له مثل السوء قط»[٤].

=

سنة (٣٣٨هـ) قيل: إنه ولد بجرجان، وحمل، فنشأ ببخارى، وقيل: بل ولد ببخارى. وله مصنفات نفيسة. منها: «المنهاج في شعب الإيمان، وأحوال القيامة، وآيات الساعة». توفي سنة (٤٠٣هـ). ينظر: السير للذهبي (١٧/ ٢٣٢-٢٣٣). وتذكرة الحفاظ له (٣/ ١٠٣٠).

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٨٨). و(١/ ١٩٢)، و(١/ ٢١١).

(٢) هو الإمام المحدث أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، ولد سنة (٣١٩هـ). صاحب التصانيف منها: « معالم السنن، إصلاح غلط المحدثين، غريب الحديث، شأن الدعاء، وغيرها. توفي سنة (٣٨٨هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١٠١٨-١٠١٩). والسير له (١٧/ ٢٣ وما بعدها).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٨)، وينظر: شرح السنة للبغوي (٣/ ٣٧).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٣٠٠)، و(٧/ ٤٦٥-٤٦٦)، وينظر: شرح الأصبهانية له ص(٤٢٨)،
=

فقد جمع شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ اسم الله تعالى (النافع) الذي يتضمن الكمال المطلق مع (الضار والخافض) وأنه لا يدعى به مفردا مما يؤكد أنه لابد من اجتماعهما معا في الثناء والدعاء – والله أعلم –.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أسمائه مالا يؤتى به إلا مع مقابلة الاسم الآخر؛ لأن الكمال الحقيقي تمامه وكماله من اجتماعهما، وذلك مثل هذه الأسماء، وهي متعلقة بأفعاله الصادرة عن إرادته النافذة، وقدرته الكاملة، وحكمته الشاملة، فهو تعالى النافع لمن شاء من عباده بالمنافع الدينية والدنيوية، الضار لمن فعل الأسباب التي توجب ذلك، وكل هذا تبع لحكمته وسننه الكونية»(١).

ومما سبق تقريره أن باب الأسماء توقيفي لفظه ومعناه، فلذلك لا يجوز اشتقاق أسماء لله تعالى مقترنة أو متقابلة قياسا على المنصوص عليه.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما وصفه بأنه القريب البعيد فلا أصل له؛ بل هو وصف باسم حسن وبضده، كما لو قيل: العلي السافل، أو الجواد البخيل، أو الرحيم القاسي، ونحو ذلك، والله تعالى له الأسماء الحسنى، وإنما يؤتى مثل هؤلاء من القياس الفاسد لمّا سمعوه يخبر عن نفسه بأنه الأول الآخر، الظاهر الباطن، قاسوا على ذلك القريب والبعيد وهذا خطأ؛ لأن تلك الأسماء كلها حسنة دالة على كمال إحاطته مكانا وزمانا، وأما هذا فهو جمع بين الاسم الحسن وضده»(٢).

=

وجامع المسائل (٧/ ٥٤).

(١) توضيح الكافية الشافية (٣/ ٣٨٩). وينظر: توضيح الحق المبين له (٣/ ٢٥٨-٢٥٩). ضمن مجموع مؤلفات السعدي، وشرح النونية للهراس (٢/ ٤٩٢).

(٢) الاستقامة ص(١٢١).

(تنبيه): وهنا مسألة يجدر التنبيه عليها، وهي أن أغلب هذه الأسماء لم ترد في النصوص الشرعية بألفاظها، سوى القابض الباسط، وإنما اشتقها العلماء من أفعالٍ أضيفت إلى الله تعالى، ومثال ذلك:

دليل اشتقاق «المعز المذل» قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ودليل «النافع الضار» قوله ﷻ: ﴿ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ ﴾ [الفتح: ١١].

ودليل «الخافض الرافع» قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، **يرفع القسط ويخفضه**، ويرفع إليه عمل النهار بالليل، وعمل الليل بالنهار»(١). إلى غير ذلك.

---

(١) رواه مسلم برقم (١٧٩). كتاب الإيمان. باب: قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

المطلب الثالث: ما يطلق اسما لله تعالى على سبيل الإضافة.

هذا النوع مما يطلق علىٰ الله تعالىٰ هو من قبيل الأسماء؛ إلا أنها وردت مضافة، أي أنها مركبة تركيبا إضافيا، كقولك: رب العالمين، وأرحم الراحمين، وخير الفاتحين، أحكم الحاكمين، فهي بمثابة الاسم المفرد في تعيين مسماها وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهذه لا تطلق إلا علىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وليست مما يشترك في لفظها الخالق والمخلوق.

يقول **التيمي** رَحِمَهُٱللَّهُ: «ومن الأسماء المضافة: ذو الجلال والإكرام، خير الفاصلين، ذو المعارج، خير الناصرين، خير الفاتحين، وخير الراحمين، وخير الغافرين، وأرحم الراحمين. . . كل هذه الأسماء ممنوعة لا تكون إلا لله ﷻ يفتح للمسلمين أبواب أرزاقهم، ويفتح لهم أبواب النصر علىٰ أعدائهم، ويفتح لهم مسامع قلوبهم حتىٰ يعقلوا عن الله أمره ونهيه»[(١)].

وقال شيخ **الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُٱللَّهُ: «وكذلك أسماؤه المضافة، مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين»[(٢)].

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٦٣، ١٦٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٤٨٥).

المطلب الرابع: ما أطلق على الله على سبيل المقابلة.

إن اتصاف الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصفات الكمال وتنوعها دلالة على كماله جَلَّ جَلَالُهُ، ومن الأنواع التي يتصف بها سبحانه الصفات الفعلية، وهي الاختيارية القائمة به، المتعلقة بمشيئته وإرادته، كالاستواء، النزول، الإحسان، والرضا، والمحبة، والتكليم...، إلى غير ذلك من الصفات، فهي غير متناهية، ومن هذه الصفات، صفات وردت على سبيل المقابلة لأفعال المخلوقين، فهي أفعال من الله تعالى في مقابل أفعال العباد، جزاء عليها، مما اتفقتا في اللفظ والمعنى العام. كقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: ٥٤]. وقوله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة: ٦٧]، وقوله سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢]

إلى غير ذلك من الصفات، فإن هذه الصفات تتفق مع بعضها من حيث اللفظ والمعنى العام؛ إلا إنها عند الإضافة والتخصيص تتميز عن بعضها، فما يثبت لله تعالى منها يليق بجلاله وعظمته، وما يثبت للعبد منها يليق بعجزه وحاله. ثم هي على أنواع:

منها: ما ثبتت مطلقة من غير مقابلة ولا تقيد، كالرحمة، في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ١٥٦]. والمحبة، في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤].

والرضا، في قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨]

وثبتت كذلك مقابلة كقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(١)، وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وقوله: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[المائدة: ١١٩]، وقوله

---

(١) سيأتي تخريجه ص(٢٢٩).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من رضي فله الرضا»[١].

ومنها: أفعال ليست مدحا مطلقا؛ بل مدح في موضع وذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى مطلقا، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾[الطارق: ١٥-١٦]، وقوله: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال: ٣٠]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾[النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[البقرة: ١٤-١٥].

إلى غير ذلك من الأفعال فلا يقال: إنه تعالى يكيد و يمكر ويخادع ويستهزئ؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم. بل لابد من أن تثبت لله تعالى مقيدة كما وردت في النصوص الشرعية، فتقول: يكيد بمن يكيد للمؤمنين، ويمكر بالماكرين، ويخدع المخادعين، ويستهزئ بالمستهزئين، إذ الجزاء في هذه الحالة كمال لأنه على وجه حق فيثبت لله تعالى.

و سيأتي مزيد تفصيل فيها في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى.

---

(١) سيأتي تخريجه ص(٢٤٥).

المبحث الرابع

معنى المقابلة، وشروط اعتبارها، وأنواعها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى المقابلة

المطلب الثاني: شروط اعتبارها

المطلب الثالث: أنواعها

المطلب الأول: معنى المقابلة.

المسألة الأولى: معنى المقابلة في اللغة.

المقابلة: هي المواجهة[١]، وهي مشتقة من كلمة (قَبَل).

يقول ابن فارس[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدل كلمُه كلُّها على مواجهة الشيء للشيء»[٣].

والمقابلة: عند البلاغيين: إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ[٤].

المسألة الثانية: المراد بالمقابلة في باب صفات الله تعالى: هي كل فعل صدر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مما يتعلق بإرادته ومشيئته في مقابل فعل العبد على سبيل الجزاء، وهذا من جهة العموم في المقابلة. وأمثلة ذلك كثيرة لا تحصى كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الزخرف: ٥٥]. وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء: ١١٥]. فانتقام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فعل صدر منه عقوبة لهم ومقابلة لفعلهم. وهكذا

---

(١) ينظر: مختار الصحاح ص(٣٠٦) مادة (قبل).

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الإمام، العلامة، اللغوي، المحدث، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، نزيل همذان، وصاحب كتاب(المجمل، ومقاييس اللغة، والصاحبي). وكان رأسا في الأدب، بصيرا بفقه مالك، مناظرا متكلما، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، مات بالري في صفر سنة خمس وتسعين وثلاث مائة. ينظر: السير للذهبي (١٧/ ١٠٣، ١٠٦).

(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٥١).

(٤) ينظر: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري ص (٣٧١).

وأما ما يتعلق بموضوعنا فهو أخص إذ هو« **كل فعل صدر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مقابل فعل العبد على سبيل الجزاء مما اتفق لفظهما واشتركا في المعنى العام**». كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من تاب تاب الله عليه»[(١)]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من يسر على معسر يسر الله عليه»[(٢)]، وهكذا مما سيأتي بيانه.

---

(١) سيأتي تخريجه ص(٦٩).

(٢) سيأتي تخريجه ص(٩٣).

المطلب الثاني: شروط اعتبار المقابلة في صفات الله تعالى.

الأول: الصفات المضافة إلى الله تعالى الواردة على سبيل مقابلتها بصفات المخلوقين كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ولا يشكل على هذا بعض الصفات المنقسمة التي تكون كمالا في حال، ونقصا في حال أخرى، لأنه لا يثبت لله تعالى منها إلا ما كان كمالا، فمعطي الكمال أولى به. كما أنها لا تثبت إلا مقابلة مقيدة بما ورد النص فيه.

قال الشيخ **ابن عثيمين**رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كانت الصفة كمالا في حال ونقصا في حال، لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تثبت له إثباتا مطلقا، ولا تنفى عنه نفيا مطلقا، بل لا بد من التفصيل: فتجوز في الحال التي تكون كمالا، وتمتنع في الحال التي تكون نقصا، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالا إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها؛ لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد، وتكون نقصا في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق»(١).

الثاني: إن الصفات الواردة على سبيل المقابلة توقيفية، ويتأكد التوقيف في الصفات التي تكون كمالا في حال، ونقصا في حال أخرى.

قال **أبو نصر السجزي**رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفا، وكذلك شروحها لا يجوز إلا بتوقيف»(٢).

الثالث: يجوز الإخبار عن الله ﷻ على سبيل المقابلة بشرط أن يكون اللفظ قد ورد معناه في الشرع، وأن لا يكون لفظه سيئا. كقولك من أحسن إلى الناس أحسن الله إليه، لأن

---

(١) القواعد المثلى ص (٢٤).

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت ص(١٧٨).

الجزاء من جنس العمل قاعدة متقررة في مجازاة الله تعالى لعبيده.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فمن عفا عفا عنه، ومن غفر غفر له، ومن سامح سامحه، ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاق شاق الله تعالى به، ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه»[1].

فقد استعمل العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألفاظا على سبيل المقابلة لم ترد في النصوص مقابلة، مما يدل على جواز الإخبار بها عن الله تعالى بشرطي الإخبار اللذَّين مرَّ بيانهما في مطلب الإخبار.

ولهذا من المنكر الفاحش ما يستعمله بعض العوام من بعض الألفاظ السيئة في حق الله تعالى كقولهم: «خان الله من يخون» فهذا لا يجوز في حقه؛ لأن الخيانة صفة ذم مطلقا، وكذلك كقولهم« ظلم الله من ظلمك» فإن هذا كذلك منكر من القول؛ لأن الله تعالى نفى الظلم عن نفسه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[يونس: ٤٤]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[آل عمران: ١٨٢].

الرابع: الصفات الواردة على سبيل المقابلة منها ما هي صفات فعلية فقط كالمكر، والاستهزاء، والخداع، والتنفيس، والتيسير. ومنها ما هي صفات فعلية ذاتية: كالرحمة، فهو سبحانه متصف بالرحمة ويرحم من يرحم عباده، والاستحياء كما جاء في الحديث: «إن الله

(١) الوابل الصيب لابن القيم ص(٨٠).

حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا»[١]، فقد جمع في الحديث بين النوعين، فالحياء صفته الذاتية، والاستحياء فعله سبحانه وتعالى.

الخامس: الصفات الواردة على سبيل المقابلة منها ما لا يمكن اشتقاق أسماء لله تعالى منها كالكيد، والمكر، والإقالة، والعتق والصلاة، فلا يقال: الكائد، والماكر، والمقيل، والمعتق، والمصلي.

يقول ابن الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن ظن من الجهال المصنفين في شرح أسماء الله الحسنى أن من أسمائه الماكر، والمخادع، المستهزئ، والكايد، فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغرَّ هذا الجاهل أنه سبحانه أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماؤه كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى، وأدخلها وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم.

وهذا جهلٌ عظيمٌ، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقا بل تمدح في موضع وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقا، فلا يقال: إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يُسمّى بها»[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالا لم يتسم منها بأسماء الفاعل، كأراد وشاء وأحدث، ولم يسم بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسما، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف،

---

(١) سيأتي تخريجه ص(١٥٥).

(٢) مختصر الصواعق (٢/ ٧٤٥-٧٤٦). وينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ١٧٦).

فسماه الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد ونحو ذلك، وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به فإنه يخبر عنه بأنه شيء وموجود ومذكور ومعلوم ومراد ولا يسمى بذلك»[(١)].

السادس: الصفات الواردة على سبيل المقابلة حقيقة في الرب ﷻ، وحقيقة في العبد. حيث إنه من المتقرر أن الفعل يضاف إلى فاعله حقيقة، وهذه الصفات هي أفعال صادرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقيقة، و صادرة من العبد حقيقة، وهي «صفات قائمة بمن فعلها، ومتصف بها من قالها، أو عملها، ولا يتصور في العقل مفعول من غير فعل، ولا مخلوق من غير خلق»[(٢)]، لكن إثبات الحقيقتين لا يعني تماثلهما، بل هما حقيقتان مختلفتان، يضاف للرب سبحانه وتعالى منها ما يليق بجلاله وعظمته، ويضاف للعبد منها ما يليق بضعفه وعجزه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما، وللرب تعالى منها ما يليق بجلاله، وللعبد منها ما يليق به»[(٣)].

«فإذا قيل: وجودٌ وماهيةٌ وذاتٌ كان هذا الاسم متناولا للخالق والمخلوق؛ وإن كان الخالق أحق به من المخلوق وهو حقيقة فيهما.

فإذا قيل: وجود الله وماهيته وذاته اختص هذا بالله؛ ولم يبق للمخلوق دخول في هذا المسمى وكان حقيقة لله وحده.

وكذلك إذا قيل وجود المخلوق وذاته اختص ذلك بالمخلوق وكان حقيقة للمخلوق.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٣٠٧).

(٢) توضيح الحق المبين للسعدي (٣/ ٢٦٤)، ضمن مجموع مؤلفات السعدي.

(٣) بدائع الفوائد ص(٢١٦).

فإذا قيل: وجود العبد وماهيته وحقيقته لم يدخل الخالق في هذا المسمى وكان حقيقة للمخلوق وحده»[١].

السابع: ألفاظ هذه الصفات من الألفاظ المتواطئة لكن بالإضافة تتقيد وتتخصص، فليس في الخارج مما هو من قبيل المتواطئ اشتراك بين الموصوفين.

فالصفات المتواطئة المقولة على الله وعلى العبد حقيقة في هذا وهذا. فإذا كانت عامة لهما تناولتهما، وإن كانت مطلقة لم يمنع تصورهما من اشتراكهما فيها وإن كانت مقيدة اختصت بمحلها[٢]. فإن رحمة الله ومحبة الله ومكر الله بالماكرين، واستهزاء الله بالمستهزئين، كلها حقيقة لله تعالى من غير أن يدخل فيها شيء من المخلوقات، ومن غير أن يماثله فيها شيء من المخلوقات.

وكذلك رحمة العبد ومحبته، ومكره، واستهزاؤه، حقيقة له مختصة به من غير أن تماثل صفات الله ﷻ.

ولهذا فـ« كما أن بين اللفظين اشتراكا واشتباها فكذلك بين المعنيين اشتراكا واشتباها، لكن هذا القدر المشترك المشتبه ليس داخلا في حقيقة أحدهما الخارجة الموجودة أصلا مشتركا، إذ الذي فيها لا يكون مطلقا بشرط الإطلاق، وإنما هو مطلق لا بشرط الإطلاق، بل هو مقيد بالتعيين، ولا مشتركا بشرط الاشتراك، وإنما هو مشترك للمشابهة، بل هو مختص متميز»[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٢٠٣).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٥/ ٢٠٧).

(٣) جواب الاعتراضات المصرية لابن تيمية ص (١٣٢).

الثامن: ألفاظ هذه الصفات من الأسماء المشككة لكون المعنى في أحد المحلين أكمل منه في الآخر، والله تعالى يوصف بها على وجه لا يماثله أحدٌ من المخلوقين؛ وإن كان بين كل قسمين قدرا مشتركا، وذلك القدر المشترك هو مسمى اللفظ عند الإطلاق، فإن قُيِّد بأحد المحلين تَقيَّد به، مع العلم بأن الاتفاق في الاسم لا يوجب مماثلة الخالق بالمخلوق، وإنما يوجب الدلالة على أن بين المسميين قدرا مشتركا فقط؛ مع أن المميز الفارق أعظم من المشترك الجامع[1].

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٢٠١-٢٠٢). و (٥/ ٣٣٣).

المطلب الثالث: أنواع المقابلة.

بالنظر والتأمل في هذه الصفات يمكن تقسيمها بحسب الاعتبار إلىٰ قسمين، وكل قسم تحته أنواع:

القسم الأول: باعتبار عموم الجزاء. وتحته نوعان:

النوع الأول: الصفات الواردة علىٰ سبيل المقابلة المتضمنة معنىٰ الثواب. كقول النّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: « فإنّه من صلَّىٰ عليَّ صلاةً صلَّىٰ الله عليه بها عشرًا»[1].

النوع الثاني: الصفات الواردة علىٰ سبيل المقابلة المتضمنة معنىٰ العقاب. كقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «من ولَّاه الله عَزَّوَجَلَّ شيئًا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلَّتهم وفقرهم، احتجب الله عنه دون حاجته وخلَّته وفقره»[2].

القسم الثاني: باعتبار ورود ألفاظها. وتحته ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الصفات التي لا تطلق علىٰ الله تعالىٰ إلا مقابلة: كـ (الاستهزاء، والخداع، الرياء، السّمعة)، فلا يمكن أن تقول إن الله تعالىٰ يستهزئ ويخادع ويرائي ويسمِّع هكذا مطلقا من دون تقييد.

النوع الثاني: الصفات التي تطلق علىٰ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ مقابلة، ومن غير مقابلة.

فمثال ورودها مقابلة: كقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «الراحمون يرحمهم الله تبارك وتعالىٰ»[3]،

---

(١) سيأتي تخريجه ص(٢٢٠).

(٢) سيأتي تخريجه ص(٤٢٥).

(٣) سيأتي تخريجه ص(٢٢٩).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « من رضي فله الرضا»[١]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه»[٢].

وتطلق ابتداء من غير مقابلة. كقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[الأنعام: ١٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[الفتح: ١٨]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله حيي كريم، يستحي من عبده...»[٣].

النوع الثالث: الصفات الواردة علىٰ سبيل المقابلة للجزاء بقبول العمل بفعلٍ هو من جنس الفعل الذي صدر عن العبد. كـ(إيواء من آوىٰ إليه، وتوبة من تاب إليه، وتصبير من يتصبر، وإعفاف من يتعفف، وإغناء من يستغني،...).

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جازىٰ هذا العبد لما آوىٰ إليه بأن آواه ولم يرده، وكذلك من تاب تاب عليه أي قبل توبته، من يتصبر فقد أعانه الله علىٰ تصبره...، والله أعلم.

---

(١) سيأتي تخريجه ص(٢٤٥).

(٢) سيأتي تخريجه ص(١٥٢).

(٣) سيأتي تخريجه ص(١٥٥).

الباب الأول

صفات الله تعالى الواردة على سبيل المقابلة المتضمنة معنى الثواب

وتحته سبعة فصول:

الفصل الأول

ما جاء في باب:

التوبة

التجاوز

التنفيس(التفريج)

الإقالة

التيسير

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: من تاب تاب الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[المائدة: ٣٩].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[النساء: ١٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:... فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجلس ولم يجلس عندي من يوم قِيل فيَّ ما قيل قبلها، وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد، ثم قال: « يا عائشة؛ فإنّه بلغني عنك كذا وكذا؛ فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، **ثم تاب، تاب الله عليه**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه**»(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا، فإن **تاب تاب الله عليه**، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا، **فإن تاب تاب الله عليه**، فإن عاد لم يقبل له صلاة أربعين صباحا، **فإن تاب تاب الله عليه**، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا، فإن تاب لم يتب الله

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٦١). كتاب الشهادات. باب: تعديل النساء بعضهن بعضا. ومسلم برقم (٢٧٧٠). كتاب التوبة. باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٧٠٣). كتاب الذكر والدعاء. باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه.

عليه وسقاه من نهر الخبال» قيل: يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار[(١)].

وجه مطابقة الأدلة للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل توبة العبد إليه بأن يتوب عليه ويتقبَّل توبته.

وأصل التوبة الرجوع، يقال: تاب وثاب وأناب بمعنى رجع[(٢)].

أما معنى **التوبة** من العبد إلى ربّه: فهي رجوعه إلى الله تعالى بالاستغفار من الذنب.

و«توبة الله على عباده رجوعه بهم إليها»[(٣)].

فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ ﴾ أي: «من رجع منهم عمَّا يكرهه الله من معصيته إيَّاه، إلى ما يرضاه من طاعته»[(٤)].

وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾: أي «فإن الله جل وعز يُرّجعه إلى ما يحبّ

---

(١) رواه الترمذي برقم (١٨٦٢). كتاب الأشربة. باب: ما جاء في شارب الخمر. وقال هذا حديث حسن. والإمام أحمد برقم (٤٩١٧). وأبو يعلى في المسند (١٠/ ٥١). والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩٠). وصححه الألباني: ينظر: الجامع الصحيح برقم (٦٣١٢).

ورواه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه النسائي برقم (٥٦٧٠). كتاب الأشربة. باب: توبة شارب الخمر. وابن ماجه برقم (٣٣٧٧). كتاب الأشربة. باب: من شرب الخمر لم تقبل له صلاة. من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. وابن حبان في الصحيح برقم (٥٣٥٧). والحاكم في المستدرك وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني: ينظر الجامع الصحيح برقم (٦٣١٣). وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٠٦).

(٢) ينظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض (١/ ١٢٥).

(٣) نفس المصدر (١/ ١٢٥). وينظر: جامع البيان للطبري (١/ ٥٤٧-٥٤٨).

(٤) جامع البيان للطبري (١٠/ ٢٩٨).

ويرضى، عما يكرَه ويسخط من معصيته»[(١)].

وقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ أي: «ويتوبون منه إلى ما أمرهم الله به»[(٢)]، «في الحال التي يفهمون فيها أمر الله تبارك وتعالى ونهيَه، وقبل أن يُغلبوا على أنفسهم وعقولهم، وقبل حال اشتغالهم بكرب الحَشْرجة وغمّ الغرغرة، فلا يعرفوا أمر الله ونهيه، ولا يعقلوا التوبة، لأن التوبة لا تكون توبة إلا من ندمٍ على ما سلف منه، وعزمٍ منه على ترك المعاودة، وهو يعقل الندم، ويختار ترك المعاودة. فأما إذا كان بكرب الموت مشغولا وبغمّ الحشرجة مغمورًا، فلا إخالُه إلا عن الندم على ذنوبه مغلوبًا... ، فإن كان المرء في تلك الحال يعقل عقلَ الصحيح، ويفهم فهم العاقل الأريب، فأحدث إنابة من ذنوبه، ورجعةً من شروده عن رَبه إلى طاعته، كان إن شاء الله ممن دخل في وعد الله الذي وعد التائبين إليه من إجرامهم من قريب بقوله﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾»[(٣)].

وقوله ﷻ: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ ﴾ أي: «يرزقهم إنابة إلى طاعته، ويتقبل منهم أوبتهم إليه، وتوبتهم التي أحدثوها من ذنوبهم»[(٤)].

وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **(من تاب)**. أي: رجع عن ذنبه[(٥)]، وتاب توبة صحيحة جامعة للشروط[(٦)]، وهي «أن يقلع عن المعصية، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم عزما جازما أن لا

(١) المصدرالسابق (١٠/ ٣٠٠).

(٢) جامع البيان للطبري (٨/ ٨٨-٨٩).

(٣) نفس المصدر (٨/ ٩٦-٩٧).

(٤) نفس المصدر (٨/ ٩٨).

(٥) ينظر: فيض القدير للمناوي (٦/ ٩٨)، وعون المعبود للعظيم أبادي (١٠/ ١٢٠).

(٦) ينظر: دليل الفالحين للصديقي (١/ ١٠٠).

لا يعود إلى مثلها أبدا، فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع: وهو ردُّ الظلامة إلى صاحبها، أو تحصيل البراءة منه»[(١)].

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**تاب الله عليه**). أي أنه يوقع في قلب عبده التوبة والإنابة إليه، ثم يقبلها منه ويمحو ذنوبه بها[(٢)].

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٧/ ٢٥).

(٢) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٢٣٦).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

وبعد تحرير ما سلف نخلص إلى إثبات أن الله ﷻ يقابل توبة العبد من ذنوبه ومعاصيه، بأن يتوب عليه، ويقبل توبته، وهذه المقابلة تدخل تحت النوع الثالث، وهي قبول فعل العبد بفعل هو من جنسه.

وتوبة الله على عبده نوعان(١).

الأولى: أنه يوقع في قلب عبده التوبة إليه والإنابة إليه، فيقوم بالتوبة وشروطها من الإقلاع عن المعاصي، والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها، واستبدال عملٍ صالح بها.

ومن أدلة هذا النوع: قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ١١٧].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول: ثم رزقهم جلّ ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه، وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم»(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[التوبة: ١١٨].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٢٣٦)، والحق الواضح المبين للسعدي (٣/ ٢٥٠)، وشرح النونية للهراس (٢/ ٤٨٢).

(٢) جامع البيان للطبري (١٤/ ٥٣٩).

يقول **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين فكانت سببا ومقتضيا لتوبتهم، فدلَّ على أنهم ما تابوا حتى تاب الله تعالى عليهم، والحكم ينتف لانتفاء علته»(١).

ومن السنة قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثم يتوب الله على الآخر فيسلم»(٢).

قال **السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه دليل على أن توبة الله على من أسلم أو تاب من ذنوبه متقدمة على توبة العبد، فإنه تعالى أَذِنَ بتوبته، وقدَّرها ولطف به، إذ قيض له الأسباب الموجبة لتوبته »(٣).

الثانية: توبته على عبده بقبولها وإجابتها، ومحو الذنوب بها. ومن أدلة هذا النوع: أدلة الباب، وزد عليها قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة: ٥٤]. أي: «رَجَعَ لكم ربكم إلى ما أحببتم: من العفو عن ذنوبكم وعظيم ما ركبتم، والصفح عن جرمكم»(٤).

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٣٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٨٢٦). كتاب الجهاد والسير. باب: الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل. ومسلم برقم (١٨٩٠). كتاب الإمارة. باب: بيان الرجلين، يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة. واللفظ له.

(٣) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص(١٤٤).

(٤) جامع البيان للطبري (٢/ ٧٩).

﴿أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾[البقرة: ١٨٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[طه: ١٢٢]. إلى غير ذلك من النصوص الدالة على هذا النوع.

وقد جمع ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بين النوعين في نونيته [(١)] بقوله:

وكذلك التواب من أوصافه ... والتَّوبُ في أوصافِه نوعان

إذْنٌ بتوبةِ عبده، وقبولِها ... بعد المتابِ بمنَّةِ المنان

وتوبة الله تعالى على عباده هي أثر اسمه التواب قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[التوبة: ١١٨].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الله هو الوهّاب لعباده الإنابة إلى طاعته، الموفقُ من أحبَّ توفيقه منهم لما يرضيه عنه، ﴿الرَّحِيمُ﴾، بهم أن يعاقبهم بعد التوبة، أو يخذل من أراد منهم التوبة والإنابةَ ولا يتوب عليه»[(٢)].

وقد أضاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التوبة لنفسه من غير مقابلة في مواضع كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[المائدة: ٧١].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٢٧].

وقال جلّ شأنه: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ٢٧].

---

(١) ص (٢٤٦).

(٢) جامع البيان للطبري (١٤/ ٥٤٤).

وقال ﷻ: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[التوبة: ١٠٦].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[الأحزاب: ٢٤].

المبحث الثاني: من تجاوز عن أخيه تجاوز الله عنه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كان تاجرٌ يُدَايِنُ الناسَ فَإِذا رَأَىٰ مُعْسِرًا قال لفتيانه: **تجاوزوا عنه**، لعلَّ الله أن يتجاوزَ عنَّا، **فتجاوزَ الله عنهُ**»[(١)].

وجه مطابقة الحديث للترجمة واضح في الدلالة على أن الله ﷻ يقابل تجاوز العبد عن أخيه في دَيْنٍ له بأن يتجاوز الله عنه ثوابا له.

والتَّجاوُز والتَّجوُّز: معناهما المسامحة في الاقتضاء والاستيفاء[(٢)]، وقبول ما فيه نقص يسير[(٣)].

وقوله: (**تجاوزوا عنه**) فقد فُسِّر هذا التجاوز في رواية النسائي بقوله: «فيقول لرسوله: خذ ما يَسُر واترك ما عَسُر وتجاوز»[(٤)]. «ويدخل فيه الإنظار، والوضيعة، وحسن التقاضي»[(٥)]. وقيل: «أي لا تتعرض له»[(٦)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٠٧٨). كتاب البيوع. باب: من ينظر معسرا. ومسلم برقم (١٥٦٢). كتاب المساقاة. باب: فضل إنظار المعسر.

(٢) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٥/ ٢٢٩)، وشرح مسلم للنووي (١٠/ ٢٢٤)، وشرح الكرماني على البخاري (٧/ ٢٠٠).

(٣) شرح مسلم للنووي (١٠/ ٢٢٤).

(٤) رواها النسائي برقم (٤٦٩٤). كتاب البيوع. باب: حسن المعاملة والرفق في المطالبة.

(٥) التوضيح لابن الملقن (١٤/ ١٣٧).

(٦) حاشية السندي على النسائي (٧/ ٣٦٥).

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**فتجاوز الله عنه**): أي تجاوز الله عن عقوبة ذنوبه وصفح له عنه[١].

وفيه «دليل أن المؤمن يلحقه أجر ما يأمر به من أبواب البرِّ والخير، وإن لم يتولَّ ذلك بنفسه»[٢].

وفيه: «فضل إنظار المعسر والوضع عنه، إما كلّ الدين وإما بعضه، من كثير أو قليل، وفضل المسامحة في الاقتضاء وفي الاستيفاء سواء استوفى من موسر أو معسر، وفضل الوضع من الدين وأنه لا يحتقر شيئا من أفعال الخير، فلعله سبب السعادة والرحمة»[٣].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري(٧/ ٣٢٧).

(٢) شرح البخاري لابن بطال (٦/ ٢١٢).

(٣) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٥/ ٢٢٩)، وشرح مسلم للنووي (١٠/ ٢٢٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد بيان شرح الحديث نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل تجاوز العبد عن أخيه بإنظاره والوضع عنه من دين وغيره بأن يتجاوز عنه يوم القيامة بالصفح عن ذنوبه ومغفرتها، وعدم المعاقبة عليها.

وتجاوز الله تعالى عن عبده هو محض جوده وإحسانه وكرمه، فهو الذي يتولى جزاء عباده يوم القيامة، فيغفر ويتجاوز ويعفو جَلَّ جَلَالُهُ عمَّن شاء فضلًا وجودًا.

والتجاوز في هذا الحديث هو نوعُ تجاوزٍ خاصٍ لا يكون إلا لمن حصل منه التجاوز في الدنيا، عمن احتاج إليه، فهو جزاء من جنسه.

وقد وصف الله تعالى نفسه بالتجاوز عن عبيده من غير ما مقابلة في اللفظ. فقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾[الأحقاف: ١٦].

قال ابن جرير: «يقول: ويصفح لهم عن سيئات أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فلا يعاقبهم عليها»(١).

وأخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أمته أن الله تعالى موصوف بهذا الوصف الكريم. فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «إن الله **تجاوز** لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم»(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله **تجاوز** عن أمتي الخطأ

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ١١٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٥٢٨). كتاب العتق. باب: الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه ولا عتاقة إلا لوجه الله. ومسلم برقم (١٢٧). كتاب الإيمان. باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر في القلب إذا لم تستقر.

والنسيان وما استكرهوا عليه»[١].

وعن سمرة بن جندب[٢] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا: «أتاني الليلة آتيان فابتعثاني، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلَبِنِ ذهبٍ ولَبِنِ فضةٍ، فتلقانا رجال شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ، وشطرٌ كأقبح ما أنت راءٍ، قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة. قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك. قالا: أما القوم الذين كانوا شطرٌ منهم حسَنٌ وشطرٌ منهم قبيحٌ فإنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، **تجاوز الله عنهم**»[٣].

(١) رواه ابن حبان في الصحيح برقم(٧٢١٩)، والطبراني في الصغير برقم (٧٦٥). والكبير (١١/ ١٣٤). والحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٨). وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

ورواه من حديث أبي ذر رضي الله عنه ابن ماجه برقم (٢٠٤٣). كتاب الطلاق. باب: طلاق المكره والناسي. وصحح الألباني ينظر الإرواء برقم (٨٢). والمشكاة برقم (٦٢٩٣).

(٢) هو بن هلال بن حريج بن مرة بن حزن بن عمرو بن جابر بن خشين بن لأي بن عصيم بن فزارة، الفزاري، يكنى أبا سليمان، وكان من حلفاء الأنصار، قيل: مات سنة ثمان، وقيل: سنة تسع وخمسين، وقيل: في أول سنة ستين. ينظر: الإصابة لابن حجر (١/ ٧٦٧-٧٦٨).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٦٧٤). كتاب التفسير. باب: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

المبحث الثالث: من نفس(فرّج) عن أخيه كربة نفس(فرّج) الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ **نَفَّس** عَنْ مؤمن كُربة مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا **نَفَّس الله عَنْهُ** كُربة مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...»[١]. الحديث.

وجه مطابقة الحديث للترجمة واضح في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقابل تنفيس عباده بعضهم على بعض بأن ينفِّس عنهم جزاء وفاقا.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(نَفَّس عن مؤمن)** يقال: نفَّس يُنَفِّسُ تنْفِيسا ونَفَسًا[٢] أي: فرَّج[٣] عنه. ويقال: (نفّس عنه): إذا أمّهله. على ترك المفعول[٤].

وقيل: (نفّس عنه): إذا وسَّع عليه[٥]، ورفَّه عنه[٦].

ويقال: (نفّس عنه): إذا أزال وكشف ما به[٧].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(كُربة):** بضم الكاف. هي اسم مأخوذ من الكَرْب: فالكاف

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩). في كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر.

(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ٢٧٣). وينظر: لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٢٣٥).

(٣) ينظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٧٧٦). وغيره.

(٤) المغرب في ترتيب المعرب لابن المطرِّز (٢/ ٣١٨).

(٥) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٥٦٤)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٨/ ٥٢٦).

(٦) ينظر: الصحاح للجوهري (٣/ ١٦٧)، ومختار الصحاح للرازي ص(٣٨٧)، ولسان العرب لابن منظور(١٤/ ٢٣٦).

(٧) ينظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/ ٢٢)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٤/ ٥٨٠).

والراء والباء أصل صحيح يدل على شدةٍ وقوةٍ[(١)].

وقيل: هو الحُزْنُ الذي يأخذ بالنفس أو الغم[(٢)]. وجمعه كُرُوب. يقال: كَرَبني الأمر يكْرُبني كَرْباً: حزَنني.

و كَرَبَهُ الأمر كَرْباً أي: شقّ عليه[(٣)]، واشتدَّ عليه[(٤)]. والكُرْبة تجمع على كُرَبٍ.

وقيل: «الكربة هي أشدُّ من الحُزن والغم، ويقال هو الحزن الذي يذيب القلب: أي يُحيِّره ويخرجه عن أعمال الأعضاء وربما أهلك النفس»[(٥)].

وقيل: الكربة: «شدة عظيمة، وهي ما أهمَّ النفس، وغمَّ القلب»[(٦)].

وقيل: الكُربة: هي الشِّدَّةُ العظيمة التي تُوقعُ صاحبَها في الكَرب[(٧)].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(نفَّس الله كُربتك)** أي فرَّجها، وأزالها وكشفها.

و«التنفيس هو الترويح. يقال: نَفَّس الله عنك الكرب: أي أراحك منه»[(٨)].

فـ«كأنه فتح مداخل الأنفاس، فهو مأخوذ من قولهم: أنت في نفس؛ أي سعة، كان في

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٧٤).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٧/ ٨). وينظر: لسان العرب لابن منظور(١٢/ ٥٧).

(٣) ينظر: المصباح المنير للفيومي(٢/ ٧٢٦).

(٤) تاج العروس للزبيدي (٤/ ١٣١). وينظر: الصحاح للجوهري (١/ ٣١٨)، ومختار الصحاح للرازي ص(٣٣٠).

(٥) الكليات لأبي البقاء (٧٧٢).

(٦) التحفة الربانية لإسماعيل الأنصاري ص(١٤١).

(٧) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (٦٩١).

(٨) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٣٩).

كربة سدت عنه مداخل الأنفاس فإذا فرّج عنه فتحت»[١]، أو هو «مأخوذٌ مِنْ تنفيس الخناق، كأنه يُرخى له الخناق حتَّى يأخذ نفساً»[٢].

ولهذا فإنه «يدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله، أو جاهه، أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته»[٣].

والكربة في الحديث جاءت نكرة لتعم جميع أنواع الكرب المالية والنفسية و البدنية. «وبالجملة فتفريج الكرب باب واسع؛ فإنه يشمل إزالة كل ما ينزل بالعبد أو تخفيفه»[٤].

فكان الجزاء من جنس العمل، تنفيس وتنفيس، لكن من حيث نوعُ الكرب تختلف اختلافاً عظيماً، فكرب الدنيا لا تساوي شيئاً بالنسبة لكرب الآخرة، فإذا نفَّس الله عن الإنسان كربة من كرب الآخرة كان ثوابه أعظم من عمله. فدل على« أن المجازاة قد تكون في الآخرة من جنس الطاعة في الدنيا»[٥].

وقريب من لفظ التنفيس في المعنى لفظ التفريج، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عَنْهُمَا: أنّ رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «... وَمَنْ **فَرَّجَ** عَنْ مُسْلِمٍ كُربة فَرَّجَ الله عَنْهُ كُربة مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...»[٦]. الحديث.

---

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري (٨/ ٢٢٦).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (٦٩١).

(٣) شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٢٥).

(٤) سبل السلام للصنعاني (٤/ ٤٩٨).

(٥) عمدة القاري للعيني (١٢/ ٤٠٦).

(٦) رواه البخاري برقم(٢٤٤٢)، في كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلمُه، ومسلم برقم(٢٥٨٠)، في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم

فقد دلَّ الحديث علىٰ إثبات صفة التفريج لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مقابلة تفريج العبد عن أخيه المسلم.

فقولك: فَرَّجَ الله الغَمَّ يَفْرِجُه: كشَفَه(١)، والفَرَجُ انْكِشافُ الكَرْب وذهابُ الغَمِّ(٢).

ومن ثمَّ فتفريج الكروب أعظم من تنفيسها؛ إذ التفريج إزالتها بالكلية، وأما التنفيس فهو تخفيفها، والجزاء من جنس العمل، فمن فرَّج كربه أخيه فرَّج الله كربته، ومن نفَّس كربة أخيه نفَّس الله كربته، جزاء وفاقا.

وعليه يمكن القول: إن بين التنفيس والتفريج عموما وخصوصا، فكل تفريجٍ تنفيسٌ، وليس كلُّ تنفيسٍ تفريجاً(٣).

ومن هنا فقد استعمل السلف رضوان الله عليهم هذا المعنىٰ الوارد في الحديث في كلامهم بألفاظه لقوة إيمانهم بمعناه، وحسن الظن بربِّهم تبارك وتعالىٰ.

فعن مسلم بن يسار(٤) رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سأل سعيد بن جبير(٥) رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: يا أبا عبد الله آية آية قد بلغت مني كل مبلغ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ ﴾[يوسف: ١١٠]، في

(١) ينظر: القاموس المحيط للفيروزابادي ص (٢٠١).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور(١٠/ ٢٠٩).

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (٦٩١)، ودليل الفالحين للصديقي (٣/ ١٩).

(٤) هو أبو عبد الله البصري القدوة، الفقيه، الزاهد، مولىٰ بني أمية. وقيل: مولىٰ بني تيم، من موالي طلحة رضي الله عنه قيل: لأبيه صحبة. مات سنة مائة. وقيل: سنة إحدىٰ ومائة. ينظر: السير للذهبي (٤/ ٥١٠، ٥١٤)

(٥) هو سعيد بن جبير بن هشام الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، أبو محمد - ويقال: أبو عبد الله - الأسدي، الوالبي مولاهم، الكوفي، أحد الأعلام. قتله الحجاج سنة خمس وتسعين، وعمره سبع وخمسين. ينظر: السير للذهبي (٤/ ٣٢١، ٣٤٣).

هذا ألوت أن نظن الرسل أنهم قد كُذِّبوا، أو نظن أنهم قد كَذِبوا –مخففة–، فقال سعيد بن جبير رضي الله عنه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾، من قومهم أن يستجيبوا لهم، وظن قومهم أن الرسل كذبتهم ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾، فقام مسلم إلى سعيد فاعتنقه وقال: «**فرَّج الله عنك كما فرجت عني**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معاوية رضي الله عنه قال له يوما: إني قد ضربتني أمواج القرآن البارحة في آيتين لم أعرف تأويلهما ففزعت إليك، قال: وما هما، قال: قول الله: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾[الأنبياء: ٨٧]. وأنه يفوته إن أراده، وقول الله:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ ﴾ كيف هذا يظنون أنه قد كذبهم ما وعدهم، فقال ابن عباس رضي الله عنه: أما يونس فظن أن لن تبلغ خطيئته أن يقدِّر الله عليه فيها العقاب، ولم يشك أن الله إن أراده قدر عليه، وأما الآية الأخرى فإن الرسل استيأسوا من إيمان قومهم وظنوا أن من عصاهم لرضا في العلانية قد كذبهم في السر، وذلك لطول البلاء، ولم تستيئس الرسل من نصر الله، ولم يظنوا أنهم كذبهم ما وعدهم، فقال معاوية رضي الله عنه: «**فرَّجت عني يا ابن عباس فرَّج الله عنك**»(٢).

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٣٠١)، والجصاص في أحكام القرآن (٤/ ٣٩٦). وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٥٥).

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٢/ ٣١٤ –٣١٥). وينظر: الدر المنثور للسيوطي (١٠/ ٣٦١).

و قال رجلٌ لزيد بن أسلم[١] ﷺ: يا أبا أسامة، أرأيت قول الله جل ثناؤه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٤، ٢٢٦]. فقال له: إنما هذا لشعراء المشركين، وليس شعراء المؤمنين، ألا ترى أنه يقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[الشعراء: ٢٢٧]،. . . إلخ. فقال: «**فرَّجت عني يا أبا أسامة، فرَّج الله عنك**»[٢].

---

(١) هو زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام البلوي حليف بني العجلان، شهد بدرا، وقيل إنه من بني عمرو بن عوف بن الأوس. ينظر: الإصابة لابن حجر (١/ ٦٤١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩/ ٤١٨). وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

بناءً على ما سبق من ذكر معنى الحديثين نستنتج دلالتهما على إثبات أن الله ﷻ يقابل تنفيس وتفريج العباد بعضهم على بعض بأن يُنفِّس ويُفرِّج عنهم في الآخرة، وهما من صفات الله الفعلية المتعلقة بمشيئته وإرادته، وقد خصَّ سبحانه وتعالى هذا التنفيس والتفريج عن المنفِّس والمفرِّج بيوم القيامة، إذ كربُه لا تقارن بكرب الدنيا، فهو مالك يوم الدين، و كُرَب الدنيا بالنسبة إلى كرب الآخرة كلا شيءٍ، فادَّخر الله جزاء تنفيس الكُرب عنده، لينفِّس به كرب الآخرة.

وفيه إثبات التنفيس والتفريج لبني آدم فيما هو من مقدورهم في الدنيا فقط، أما يوم القيامة فلا تملك نفس لنفس شيئا.

وقد اتفقت الصفات من حيث المعنى العام الذي هو الكشف والإزالة والتخفيف والتوسيع، واختلفت من حيث حقيقة كل صفة.

وقد جاءت هذه الصفة مضافة لله تعالى من غير مقابلة في اللفظ، فقد رأى عمر ﷺ طلحة حزينا فقال: مالك يا أبا فلان؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا **نفَّس الله عنه** كربته، وأشرق لونه، ورأى ما يسره، وما منعني أن أسأله عنها إلا القدرة عليه حتى مات»، فقال عمر ﷺ: إني لأعلمها قال: فما هي؟ قال: لا نعلم كلمة هي أعظم من كلمة أمر بها عمَّه: لا إله إلا الله، قال: «فهي والله هي»[1]. وفي رواية «إلا **فرَّج الله** عنه».

---

(١) رواه الإمام أحمد برقم (١٣٨٤)، وأبو يعلى في المسند رقم (٦٥٥)، والحاكم برقم (١/ ٣٥٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات برقم (١٧٢)، و(١/ ٢٣٨). وفي لفظ «إلا فرَّج الله عنه كربته» برقم (١٧٣). (١/ ٢٤٢).

=

وعن أبي الدرداء[١] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩]. قال: « من شأنه أن يغفر ذنبا، **ويفرِّج كربا،** ويرفع قوما، ويخفض آخرين»[٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد رضي الله عنه: «هذا الرّجُل الصالح الذي فُتِحَتْ له أبواب السماء شُدِّد عليه ثم **فُرِّج عنهُ**»[٣].

=

قال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي».

وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٢٥): «رواه أبو يعلى ورجال رجال الصحيح».

(١) هو عويمر مشهور بكنيته وباسمه جميعا، واختلف في اسمه فقيل: هو عامر. وعويمر لقبه، واختلف في اسم أبيه فقيل: عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله أو زيد الأنصاري الخزرجي، أسلم يوم بدر وشهد أحدا، مات في خلافة عثمان رضي الله عنهما. ينظر: الإصابة لابن حجر (٢/١٣٩٣-١٣٩٤).

(٢) رواه ابن ماجه برقم (٢٠٢) في المقدمة. باب فيما أنكرت الجهمية، وابن حبان برقم (٦٨٩)، الطبراني في الأوسط برقم (٣١٤٠)، وقال الألباني: حديث صحيح. ينظر: ظلال الجنة ص (١٢٠-١٢١)، وعلَّقه البخاري موقوفا على أبي الدرداء بلفظ «ويكشف كربا» في كتاب التفسير، سورة الرحمن.

(٣) رواه أحمد برقم (١٤٥٠٥)، وبرقم (١٤٨٧٣)، وابن حبان برقم (٧٠٣٣)، وقال الألباني: «وهو حسن» ينظر: الصحيحة (٣٣٤٨).

المبحث الرابع: من أقال عثرةً أقاله الله يوم القيامة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ **أَقَالَ** مُسْلِمًا **أَقَالَهُ الله** عَثْرَتَهُ يوم القيامة»(١).

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة علىٰ أن الله جل جلاله يقابل إقالة العبد لأخيه المسلم في الدنيا بأن يقيل عثرته يوم القيامة، إقالةٌ بإقالة، إلا أن الجزاء أعظم من العمل، إذ الجزاء يوم القيامة في وقت العثرة الكبرىٰ، في وقتٍ لا يمكن لأحدٍ أن يقيل أحدا، إلا مالك الملك،. فهو يُقيل من يشاء من عباده رحمة منه وتفضلا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم إن الإقالة تكون في باب المعاملات: من عقود وعهود، وهي رجوع أحد المتعاقدين أو كلاهما عن العقد بعد ندمه بأن يتم فسخه بإرجاع الثمن للمشتري والمثمن للبائع(٢).

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٤٦٠)، في كتاب الإجارة: باب: في فضل الإقالة، دون لفظ (يوم القيامة). وابن ماجه برقم(٢١٩٩)، في كتاب التجارات، باب الإقالة، وأحمد برقم(٧٤٣١)، ابن حبان في الصحيح برقم(٥٠٣٠)، والحاكم برقم (٢/ ٤٥)، وصححه ابن حزم في المحلىٰ (٩/ ٣).

قال الحاكم: «حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه »، ووافقه الذهبي.

وقال البوصيري في المصباح (٣/ ٣٦): «هذا إسناد صحيح علىٰ شرط مسلم».

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (١/ ٦٢٦): «وبالجملة فالحديث صحيح»، ومثله العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٢٩).

وقال الألباني «صحيح» وينظر: المشكاة برقم(٢٨٨١)، والإرواء برقم(١٣٣٤)، الصحيحة برقم (٢٦١٤).

(٢) ينظر: شرح السنة للبغوي (٨/ ١٦٢). النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٥١٠). وجامع الأصول له (١/ ٤٤١).

فقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(من أقال مسلما)**: أي وافقه على نقض البيع أو البيعة وأجابه إليه[١].

أو رفع العقد[٢]. ويكون ذلك بفسخه، فتقول أقلته إقالةً: أي فسخته، وتَقايَلَ البَيِّعان: تَفاسَخا صَفْقَتَهُما[٣].

ومنها قول ابن الزبير رضي الله عنه: لما قُتل عثمان قال: (**لا أَستقِيلها أبداً**)، أَي: «لا أُقِيل هذه العَثْرة ولا أَنساها» [٤].

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أقاله الله عثرته**) إذا «صَفح عنه، وتَرك عقوبته»[٥].

وقيل: إذا رفعه من سقوطه[٦].

والعَثْرَةُ: المَرَّةُ من العِثَارِ في المَشْيِ[٧]. «فقد عَثَرَ في ثوبه يَعْثُرُ عِثاراً. وقيل هي: الزَلَّة»[٨].

الزَلَّة»[٨].

وقد جاء في بعض الروايات كما هو عند أبي داود من غير زيادة «يوم القيامة» ليدلَّ

---

(١) ينظر: فيض القدير للمناوي (٦/ ١٠٣). وحاشية السندي على ابن ماجه(٣/ ٣٦-٣٧).

(٢) المصباح المنير للفيومي(١/ ٢٦٩).

(٣) ينظر: جامع الأصول لابن الأثير (١/ ٤٤١)، والنهاية له (٢/ ٥١٠)، وتاج العروس للزبيدي (٣٠/ ٣٠٦).

(٤) ذكره الزمخشري في الفائق في غريب الحديث (٣/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ٧/ ٢٨١). وينظر: جامع الأصول لابن الأثير (١/ ٤٤١). ولسان العرب(٥/ ٣٧٩٨).

(٦) المصباح المنير للفيومي(١/ ٢٦٩).

(٧) تاج العروس للزبيدي(١٢/ ٥٣٠). وينظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ١٦٠).

(٨) الصحاح للجوهري (٢/ ٤٣٥). مادة (عثر). وينظر: مختار الصحاح للرازي ص (٢٤٨).

على أن إقالة الله تعالى لعبده المقيل قد تعمّ الدنيا كذلك، وهذا فيه عظيم فضل الله تعالى على عباده، إلا أنه لا مقارنة بين عثرة الدنيا وعثرة الآخرة، فالإقالة في يوم نشر الصحف ووضع الموازين أعظم نفعا للعبد من إقالة الدنيا الزائلة الفانية.

وتعتبر الإقالة من مكارم الأخلاق في البيوع لما فيها من إدخال السرور على المُقال وتفريج لكربته، لا سيما إذا كان الشيء كثيراً وكبيراً.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

لقد دلَّ الحديث على إثبات صفة الإقالة لله تعالى، وأنه يقابل إقالة العبد لأخيه المسلم بأن يقيله في الدنيا والآخرة، وهي من الصفات الاختيارية الفعلية، إلا أن إقالة الله تعالى لعباده ليست من جنس إقالة العباد لبعضهم؛ وإن اتفقتا في المعنى العام وهو رفع الساقط بعد عثرته. إلا أنه عند الإضافة لله تعالى لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين.

أما تفسير إقالة الله لعباده بغفران الذنوب والتجاوز عن الخطايا والصفح عنه فهذا ليس تفسيرا لمعناها وإنما هو تفسير لها بلازمها وأثرها وما يترتب عليها، وإلا فمعناها الحقيقي هو رفع من سقط في الذنب والمعصية إثر عثرة زلت به. وأثرها أن يعفو عنه ويغفر له زلته، وإقالة الله عبده محض تفضل منه ورحمة، نفعها خالص للعبد، ودال على عظيم فضل الربّ وكرمه ورحمته.

المبحث الخامس: من يسر على معسر، يسّر الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «... وَمن **يسر** على معسر فِي الدُّنْيَا **يَسَّرَ الله** عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...»[(١)]. الحديث.

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل تيسير العبد على أخيه المسلم بأن ييسر عليه في الدنيا والآخرة، تيسيرٌ بتيسيرٍ، جزاء وفاقا.

فقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(وَمن يسر على معسر)**. أي سهَّل[(٢)] عليه، بإنظاره إلى الميسرة، أو بإعطائه ما يزول به إعساره، أو بالوضع عنه إن كان غريما[(٣)].

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يسر الله عليه في الدنيا والآخرة)** أموره ومطالبه[(٤)]، ويشمل هذا هذا التيسير تيسير المال، وتيسير الأعمال، وتيسير التعليم وغير ذلك، أي نوع من أنواع التيسير.

وهنا ذكر الجزاء في موضعين: الأول: في الدنيا، والثاني: في الآخرة[(٥)].

و«هذا أيضاً يدلُّ على أنَّ الإعسار قد يحصُل في الآخرة، وقد وصف الله يومَ القيامة

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩). في كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر.

(٢) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين ص(٣٨٥).

(٣) التحفة الربانية شرح الأربعين النووية لإسماعيل الأنصاري ص (١٤١).

(٤) نفس المصدر.

(٥) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين ص(٣٨٥).

بأنّه يومٌ عسير وأنّه على الكافرين غيرُ يسير[(١)]، فدلَّ على أنَّه يسير على غيرهم»[(٢)].

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

يستفاد من الحديث إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل تيسير العباد على بعضهم بأن ييسر عليهم في الدنيا والآخرة. وتيسير الله تعالى على عباده من صفاته الفعلية على ما يليق بجلاله وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من غير مشابهة لتيسير المخلوقين، حيث إن هذا الأخير قاصر على الدنيا، وبما هو في مقدورهم من التسهيل. أما تيسير الله تعالى فهو في الدنيا بتسهيل مطالبها وحاجياتها. وفي الآخرة بتسهيل الحساب وما يتبعه من مشاقِّ يوم القيامة.

ولقد ثبتت صفة التيسير لله تعالى على عباده مطلقا من غير مقابلة في اللفظ في نصوص منها: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر: ١٧]. أي: «ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظا، وأصدقه معنى، وأبينه تفسيرا، فكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه»[(٣)].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: « لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من **يسره الله عليه**، تعبد الله ولا تشرك به شيئا،

---

(١) لقوله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [المدثر: ٩ – ١٠].

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٦٩٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٧/ ٢٣٢). وينظر: جامع البيان للطبري(٢٢/ ٥٨٤)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٧٨).

وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت،...»[١] الحديث.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يؤتى برجل يوم القيامة فيقول الله: انظروا في عمله، فيقول ربِّ ما كنت أعمل خيرا غير أنه كان لي مال، وكنت أخالط الناس فمن كان موسرا يسرت عليه، ومن كان معسرا أنظرته إلى ميسرة، قال الله ﷻ: **أنا أحق من يَسَّر**. فغفر له»[٢].

(١) رواه الترمذي برقم (٢٦١٦). كتاب الإيمان. باب: ما جاء في حرمة الصلاة. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجة برقم (٣٩٧٣). كتاب الفتن. باب: كف اللسان في الفتنة. وأحمد برقم (٢٢٠١٦). وصححه الألباني في الإرواء (٤١٣). وفي تخريج أحاديث كتاب الإيمان لابن أبي شيبة ص (٢٣).

(٢) رواه أحمد برقم (٢٣٤٦٣)، والبزار (٧/ ٢٦٨)، والطبراني في الكبير برقم (١٧/ ٢٣٢)، كلهم بهذا اللفظ. ورواه البخاري برقم(٢٠٧٧)، كتاب البيوع. باب: من ينظر موسرا. بلفظ «فتجاوزوا عنه». ومسلم برقم (١٥٦٠)، كتاب المساقاة. باب: فضل إنظار المعسر. بلفظ «أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي».

الفصل الثاني

ما جاء في باب:

التقرب (الدنو)

الإتيان

الإيواء

اللقاء (التلقي)

الصلة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: من تقرب (دنا) إلى الله شبرا تقرب (دنا) الله منه ذراعا. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال النّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: يقول اللهّ تعالى: «... وَإِنْ **تَقَرَّبَ** إِلَيَّ بِشِبْرٍ **تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ** ذِرَاعًا، وَإِنْ **تَقَرَّبَ** إِلَيَّ ذِرَاعًا **تَقَرَّبْتُ** إِلَيْهِ بَاعًا»(١).

وجه مطابقة الحديث للترجمة أن الله جلَّ وعلا يجازي عبده المتقرب إليه بأن يتقرب إليه تقربا حقيقيا، لا يعلم كيفيته إلا هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، مع إيماننا بأن ما أخبرنا الله به عن نفسه لا يمكن أن يماثل ما اتصف العباد به، وأن ما أضافه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إلى نفسه مما هو من صفاته لا يكون إلا حقيقة.

قال **ابن أبي زمنين** رَحِمَهُٱللَّهُ: «واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يُخْبِر به تبارك وتعالى عن نفسه علما، والعجز عمَّا لم يَدْعُ إيمانا، وأنهم ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه»(٢).

قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: **(تقربت إليه باعا)**، فالباع، والبَوْع، والبُوع واحد: وهو قَدرُ مَدِّ اليَدَيْنِ ومَا بَيْنَهُمَا من البَدَنِ، وجمعه أبواع(٣).

ثم اعلم أن العلماء قالوا في تفسير الحديث: إنه خرج مخرج المثَل، ومعناه حسن القبول،

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٠٥)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران: ٢٨]. ومسلم برقم (٢٦٧٥). كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) أصول السنة ص (٦٠).

(٣) ينظر: النهاية لابن الأثير (١/ ١٦٥)، وتاج العروس للزبيدي (٢٠/ ٣٦١).

ومضاعفة الثواب على قدر العمل الذي يتقرب به العبد إلى ربه، حتى يكون ذلك ممثلا بفعل من أقبل نحو صاحبه قدر شبر فاستقبله صاحبه ذراعا.

فقد ثبت عن **قتادة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال في تفسير الحديث: « والله أسرع بالمغفرة»(١).

وقال **الأعمش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يعني بالمغفرة والرحمة»(٢).

وقال **أبو عيسى الترمذي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامعه: «وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث قالوا إنما معناه يقول: إذا تقرب إلي العبد بطاعتي وما أمرت أُسْرِع إليه بمغفرتي ورحمتي»(٣).

وقال أبو حاتم ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله أجل وأعلى من أن ينسب إليه شيء من صفات المخلوق، إذ ليس كمثله شيء، وهذه ألفاظ خرجت من ألفاظ التعارف على حسب ما يتعارفه الناس مما بينهم... ، ومن تقرب إلى الباري جل وعلا بقدر شبر من الطاعات، كان وجود الرأفة والرحمة من الرب منه له أقرب بذراع، ومن تقرب إلى مولاه جل وعلا بقدر ذراع من الطاعات كانت المغفرة منه له أقرب بباع»(٤).

وقال أبو يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ تقربَ العبدِ إليه بالأعمال الصالحة، وأما تقربُه إلى عبده

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٩٣)، أحمد برقم (١٢٤٠٥)، وعبد بن حميد في المنتخب ص(٣٥٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٥١)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٤). وقال: صحيح.

(٢) ذكره الترمذي بعد حديث رقم (٣٦٠٣) في كتاب الدعوات. باب في حسن الظن بالله ﷻ. وينظر: شرح السنة للبغوي (٥/ ٢٦).

(٣) ذكره بعد حديث رقم (٣٦٠٣). كتاب الدعوات. باب في حسن الظن بالله ﷻ. وينظر: شرح السنة للبغوي (٥/ ٢٦).

(٤) في صحيحه (٣/ ٩٣) تحت حديث رقم (٨١١)، وينظر: (٤/ ٤٨٦).

فبالثواب والرحمة والكرامة»[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا ريب أن الله تعالى جعل تقربه من عبده جزاء لتقرب عبده إليه؛ لأن الثواب أبدًا من جنس العمل،... وإذا كان كذلك، فظاهر الخطاب أن أحد التقديرين من جنس الآخر، وكلاهما مذكور بلفظ المساحة، فيقال: لا يخلو إما أن يكون ظاهر اللفظ في تقرب العبد إلى ربه وهو تقرب بالمساحة المذكورة أو لا يكون؛ فإن كان ذلك هو ظاهر ذلك اللفظ، فإما أن يكون ممكنًا أو لا يكون، فإن كان ممكنًا فالآخر أيضًا ممكن، ولا يكون في ذلك مخالفة للظاهر، وإن لم يكن ممكنًا فمن أظهر الأشياء للإنسان علمه بنفسه وسعيه، فيكون قد ظهر للمخاطب معنى قربه بنفسه، وقد علم أن قرب ربه إليه من جنس ذلك فيكون الآخر أيضًا ظاهرًا في الخطاب، فلا يكون ظاهر الخطاب هو المعنى الممتنع، بل ظاهره هو المعنى الحق.

ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله بحركة بدنه شبرًا وذراعًا ومشيًا وهرولة، لكن قد يقال عدم ظهور هذا هو للقرينة الحسية العقلية، وهو أن العبد يعلم أن تقربه ليس على هذا الوجه، وذلك لا يمنع أن يكون ظاهر اللفظ متروكًا»[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيجد هذا المحب في باطنه ذوق معنى هذا الحديث ذوقا حقيقيا. فذكر من مراتب القرب ثلاثة. ونبه بها على ما دونها وما فوقها، فذكر تقرب العبد إليه بالبر، وتقربه سبحانه إلى العبد ذراعا، فإذا ذاق العبد حقيقة هذا التقرب انتقل منه إلى تقرب الذراع، فيجد ذوق تقرب الرب إليه باعا.

فإذا ذاق حلاوة هذا القرب الثاني أسرع المشي حينئذ إلى ربه. فيذوق حلاوة إتيانه إليه

---

(١) إبطال التأويلات (٢/ ٢٨٩).

(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٦/ ١٠١، ١٠٣). وينظر: جامع المسائل (٧/ ٣٥٧).

هرولة. وهاهنا منتهى الحديث،... فعلى قدر ما تبذل منك متقربا إلى ربك: يتقرب إليك بأكثر منه. وعلى هذا فلازم هذا التقرب المذكور في مراتبه. أي من تقرب إلى حبيبه بروحه وجميع قواه وإرادته وأقواله وأعماله: تقرب الربُّ منه سبحانه بنفسه **في مقابلة** تقرب عبده إليه. وليس القرب في هذه المراتب كلها قرب مسافة حسية، ولا مماسة؛ بل هو قرب **حقيقي**. والرب تعالى فوق سماواته على عرشه، والعبد في الأرض»[(١)].

«فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله، وأن من صدق في الإقبال على ربه، وإن كان بطيئا جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل. وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه.

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية، لم يكن تفسيره به خروجا به عن ظاهره ولا تأويلا كتأويل أهل التعطيل، فلا يكون حجة لهم على أهل السنة »[(٢)].

قال أبو يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ويفارق هَذَا مَا تقدم من أخبار النزول إِلَى السماء الدنيا، ومجيئه فِي ظُلل من الغمام، وأنها محمولة عَلَىٰ ظاهرها فِي نزول الذات ومجيء الذات لا عَلَىٰ وجه الانتقال[(٣)]، ولم يجز تأويله عَلَىٰ نزول ثوابه وكراماته، لأَنَّهُ لَمْ يرد فِي ألفاظه مَا دل عَلَيْهِ، وها

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٠٢)

(٢) القواعد المثلى لابن عثيمين ص (٦٩). وينظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٦/ ١٠٣-١٠٤).

(٣) الأولى السكوت عن مثل هذه الألفاظ التي لم ترد في النصوص بنفي ولا إثبات. يقول ابن الموصلي بعد أن ساق الخلاف في المسألة: « وأما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا لا نقول يتحرك وينتقل، ولا ننفي ذلك عنه فهم أسعد الناس بالصواب والاتباع، فإنهم نطقوا بما نطق به النص، وسكتوا عما سكت عنه» ينظر: مختصر الصواعق (٣/ ١٢٣١).

هنا قد جاء التفسير من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلهذا حملناه عَلَيْهِ»[(١)].

ومما ورد في معنى التقرب لفظ الدنو، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يدنو من عبد إذا دنا منه.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «... وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي شِبْرًا دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعًا، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي ذِرَاعًا دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعًا»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستوائه على العرش. وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر... فالذين يثبتون أنه كلَّم موسى بمشيئته وقدرته كلاما قائما به؛ هم الذين يقولون إنه يدنو ويقرب من عباده بنفسه»[(٣)].

وقال ابن الموصلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهو سبحانه يدنو ويقرب مما يريد الدنو والقرب منه مع كونه فوق عرشه»[(٤)].

---

(١) إبطال التأويلات(٢/ ٤٥٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٩٢)، والإمام أحمد برقم (١٢٤٠٥)، و عبد بن حميد في المنتخب (١١٦٩). والطبراني في الأوسط برقم (١٧١٤)، والحاكم برقم (٤/ ٢٤٦). والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٣). من حديث أبي ذر.

قال الحاكم: « صحيح ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/ ٣٧٦): « هذا إسناد رجاله رجال الصحيح ».

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٦٦، ٤٦٧).

(٤) مختصر الصواعق (٣/ ١١٢١).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبناء علىٰ ما سبق من شرح الحديث فإنه يدل علىٰ أن الله ﷻ يقابل تقرب ودنو العبد إليه بالطاعات بأن يتقرب ويدنوَ إليه بالثواب والرحمة. تقربا ودنوا يليقان بجلاله وعظمته.

وعليه فإن التقرب والدنو المرادان في الحديث هو أن العبد كلما تقرب ودنا إلىٰ الله تعالىٰ قدر شبر من الطاعة والعبادة، فإن الله تعالىٰ يجازيه علىٰ ذلك أضعاف ما صدر منه من الطاعة، فإن زاد العبد في الطاعة زاد الله في الثواب.

وهناك معنىً ثانٍ أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أن العبد كلما تقرب إلىٰ الله تعالىٰ بالطاعة شبرا زاده الله تقريبا إليه ذراعا، وهكذا من تقرب إليه ذراعا زاده الله تقريبا إليه باعا.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه الزيادة تكون علىٰ الوجه المتفق عليه بزيادة تقريبه للعبد إليه جزاء علىٰ تقربه باختياره، فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر، زاده الرب قرباً إليه، حتىٰ يكون كالمتقرب إليه بذراع، فكذلك قرب الرّب من قلب العابد، وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب، والإيمان به، وهو المثل الأعلىٰ»(١).

وقد ثبت في نصوص كثيرة قرب الله تعالىٰ ودنوه من عبيده قربا ودنوا يليقان بعظمته من غير مقابلة في اللفظ. كقربه من داعيه بالإجابة. قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة: ١٨٦]، وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيها الناس أربعوا علىٰ أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعا قريبا وهو

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٥١٠). وينظر: بيان تلبيس الجهمية (٨/ ١٧٠).

معكم»(١).

وقربه من عابديه بالإثابة. قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء: ٥٧]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

يقول ابن الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله قريب من المحسنين ورحمته قريبة منهم، فيكون قد أخبر عن قرب ذاته وقرب ثوابه من المحسنين»(٢). وقال: «فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته قربا ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سماواته على عرشه»(٣).

وكذلك قربه من عباده ونزوله إلى سماء الدنيا في آخر الليل، ودنوه عشية عرفة. قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟ »(٤).

وكذلك ما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن موسى عليه السلام أنه قرَّبه نجيا، فناداه وناجاه، وذلك المنادي له هو الله رب العالمين، وقد ناداه من موضع معيّن وقرّبه إليه؛ دلّ ذلك على ما قاله السلف من قربه ودنوّه من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أنّ هذا قرب مما دون السماء(٥).

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٢٠٥). كتاب المغازي. باب: غزوة خيبر. ومسلم برقم (٢٧٠٤). كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب: استحباب خفض الصوت بالذكر. واللفظ له.

(٢) مختصر الصواعق (٣/ ١٢٥٣).

(٣) المصدر السابق (٣/ ١٢٥٥-١٢٥٦).

(٤) رواه مسلم برقم(١٣٤٨). كتاب الحج. باب: في فضل لحج والعمرة و يوم عرفة. من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) ينظر: شرح حديث النزول لابن تيمية (٣١٤).

فروىٰ ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره بإسناده إلىٰ أبي صخر(١) في قوله تعالىٰ: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾[النمل: ٨]، أنه قال: «كان نور الله ﷻ وهو الذي كان في ذلك النور، وإنما كان ذلك النور منه وموسىٰ حوله»(٢).

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلف أهل التأويل(٣) في المعنِّي بقوله ﴿مَنۡ فِي النَّارِ﴾ فقال بعضهم: عنىٰ ﷻ بذلك نفسَه، وهو الذي كان في النار، وكانت النار نوره تعالىٰ ذكره في قول جماعة من أهل التأويل.

وقال آخرون: بل معنىٰ ذلك: بوركت النار»(٤).

وعليه كل قرب ذكر في النصوص الشرعية له معنىٰ معيّن يحمل عليه، فليس كل قربٍ هو قرب بذاته في كل النصوص، أو بإجابته، أو إثابته. بل كل قرب يُفسَّر بحسب السياق والقرائن المُحتفَّة به الدالة علىٰ مراد الله تعالىٰ.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه، بل يبقىٰ هذا من الأمور الجائزة وينظر في النص الوارد، فإن دلّ

---

(١) هو العقيلي رجل من بني عقيل له صحبة ورواية. قيل: اسمه عبد الله بن قدامة. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر ص(٨٢٣). والإصابة لابن حجر (٤/ ٢٢٧٠).

(٢) في التفسير (٩/ ٢٨٤٧). برقم (١٦١٣٧).

(٣) أما الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر أقوال العلماء في تفسير الآية، ورَدّ علىٰ الأقوال التي رآها غير صحيحة. قال: «وأقرب الأقوال في معنىٰ الآية إلىٰ ظاهر القرآن العظيم: قول من قال: إن في النار التي هي نور ملائكة وحولها ملائكة وموسىٰ. وأن معنىٰ ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾، أي: الملائكة الذين هم في ذلك النور ومن حولها؛ أي وبورك الملائكة الذين هم حولها، وبورك موسىٰ لأنه حولها معهم. وممن يروىٰ عنه هذا: السدي». ينظر: أضواء البيان (٤/ ٣٧٠).

(٤) ينظر: جامع البيان (١٩/ ٤٢٨).

علىٰ هذا حمل عليه، وإن دلّ علىٰ هذا حمل عليه»[١].

«والذي يُسَهِّل عليك فهم هذا، معرفة عظمة الربّ، وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرىٰ ثم يهزهن. فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه ويقرب من خلقه كيف يشاء وهو علىٰ العرش»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ١٤).

(٢) مختصر الصواعق لابن الموصلي (٣/ ١٢٥٧).

المبحث الثاني: من أتى الله يمشي أتاه الله هرولة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يقول الله تعالى: «... وَإِنْ **أَتَانِي** يَمْشِي **أَتَيْتُهُ** هَرْوَلَةً»(١).

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل إتيان العبد إليه مشيا بأن يأتيه هرولة، إتيانا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته.

الهَرْوَلَةُ: في المخلوق. يقال هرول الرجل إذا أسرع في مشيه دون الخَبَبِ، والخببُ دون العدو، ولهذا يقال: هو بَيْنَ المَشْي والعَدْو(٢).

ثم اعلم أن هذا الحديث هو جزء من الحديث السابق في مبحث التقرّب، وكلام العلماء فيه هو نفس الكلام على الشق الأول منه. وهو كون الحديث خرج مخرج المثل في بيان سرعة قبول الأعمال، مع المضاعفة عليها في الثواب. لقرينةٍ في الحديث تدل على هذا التفسير.

وقد سبق ذكر تفسير قتادة، والأعمش، والترمذي فيما يحكيه عن بعض السلف للحديث في مبحث التقرب.

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في الرد على من زعم أن أهل السنة مشبهة – قال: «ونحن

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٠٥)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران: ٢٨]. ومسلم برقم (٢٦٧٥). كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري(٦/ ١٤٦)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٩٠٤)، والمصباح المنير للفيومي (٢/ ٨٧٦)، وتاج العروس للزبيدي (٣١/ ١٣١).

نقول إن هذا تمثيل وتشبيه، وإنما أراد من أتاني مسرعاً بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه، فكنى عن ذلك بالمشي وبالهرولة.

كما يقال: فلان مُوضِعٌ في الضلال، والإيضاع سير سريع لا يراد به أنه يسير ذلك السير، وإنما يراد أنه يسرع إلى الضلال، فكنى بالوضع عن الإسراع»[(١)].

وقال **عبد العزيز الكناني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر الحديث فيما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ. قال: « فعقلوا ما خاطبهم به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن العبد لا يمشي إلى ربه، وربه لا يهرول إليه، وإنما أريد بذلك: من دنا مني بالعمل الصالح بقدر شبر أتيته بالثواب قدر ذراع، والذراع أكثر من الشبر وكذلك الباع. وقال: (من أتاني يمشي) يقول: يسارع إلي بالعمل الصالح، أسرعت إليه بالثواب. يريد بالهرولة: الثواب، لا أن الهرولة أسرع من المشي، يقول: ثوابي أكثر من عمله. فهذا مما لا يحمل على ظاهره وما كان مثله؛ فمن الحديث ما يكون معناه في باطنه، ومنه ما يكون معناه في ظاهره»[(٢)].

وقال أبو حاتم-ابن حبان- رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أتى في أنواع الطاعات بالسرعة كالمشي، أتته أنواع الوسائل ووجود الرأفة والرحمة والمغفرة بالسرعة كالهرولة، والله أعلى وأجل»[(٣)].

وقال أبو يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أراد بذلك إسراع الثواب، ويحتمل أَنْ يكونَ المراد بالهرولة والسرعة التضعيف فِي الثواب والزيادة فِيهِ، عَلَى مَعْنَى قوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[الأنعام: ١٦٠]»[(٤)].

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص(٣٢٧).

(٢) جامع المسائل (٧/ ٣٦٠-٣٦١).

(٣) صحيحه (٣/ ٩٣) تحت حديث رقم (٨١١).

(٤) إبطال التأويلات (٢/ ٤٤٩).

وعلَّلَ من ذهب إلىٰ هذا «بأن الله تعالىٰ قال في الحديث: (ومن أتاني يمشي) ومن المعلوم أن المتقرب إلىٰ الله ﷻ الطالب للوصول إليه لا يتقرب، ويطلب الوصول إلىٰ الله تعالىٰ بالمشي فقط، بل تارة يكون بالمشي كالسير إلىٰ المساجد، ومشاعر الحج والجهاد في سبيل الله ونحوها، وتارة بالركوع والسجود ونحوهما. . .

فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالىٰ العبد علىٰ عمله، وأن من صدق في الإقبال علىٰ ربه، وإن كان بطيئا جازاه الله تعالىٰ بأكمل من عمله وأفضل. وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه»(١).

ومما استدلوا به كذلك أن الحديث جاء مفسرا من طريق أخرىٰ. وفيه: « ومن جاء يمشي أقبل اللهُ إِلَيْهِ بالخير يهرول»(٢). فقال أبو يعلىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق هذه الرواية: «وهذه لفظة زائدة قضينا بها عَلَىٰ غيرها من الألفاظ المطلقة، ويعضد ذلك تفسير السلف»(٣): إلا أن إسناده ضعيف، وقد وردت رواية فيها زيادة تفسير عند ابن حبان بلفظ: «وإذا أتاني مشيا، أتيته هرولة، وإن هرول سعيت إليه، والله أوسع بالمغفرة »(٤)، إلا

---

(١) القواعد المثلىٰ لابن عثيمين ص(٦٩). وينظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٦/ ١٠٣-١٠٤).

(٢) رواه أبو يعلىٰ في إبطال التأويلات برقم(٤١٦)، (٢/ ٤٤٣). إلا أن فيه إسحاق بن إبراهيم الحنيني. قال عنه البخاري في الضعفاء الصغير ص(٢١). (في حديثه نظر)، وقال النسائي في الضعفاء ص(٥٢): (ليس بثقة)، وقال ابن عدي في الكامل (١/ ٣٤٢): (مع ضعفه يكتب حديثه)، وقال الذهبي في المقتنىٰ (٢/ ١٥٧): (ضعيف)، وقال الحافظ في التقريب ص(٣٩): (ضعيف).

(٣) إبطال التأويلات (٢/ ٤٥٠).

(٤) صحيح ابن حبان برقم(٣٧٦) قال الحافظ في تغليق التعليق(٥/ ٣٧٢): « تفرد بهذه الزيادة محمد بن المتوكل وهو محمد بن أبي السري العسقلاني»، قال عنه في التقريب ص(٤٣٨). « صدوق عارف له أوهام كثيرة». وقال الألباني هذه الزيادة (وإن هرول. . .) زيادة منكرة. ينظر التعليقات =

أنه حُكِم عليها بالنكارة. وعليه فتفسير الحديث بالمرفوع عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ غير ثابت، ويبقى تفسير السلف له هو المعول عليه. والله أعلم.

وقد حكى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ قولا آخر عن السلف: وهو إجراء الحديث على ظاهره، وأنه خرج مخرج المثال لا الحصر، فيكون المعنى: من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي لكونه وسيلة إليه كالمشي إلى المساجد للصلاة والطواف والسعي وغير ذلك(١).

ومما يدل أيضا على إثبات صفة الإتيان لله تعالى ما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: قال الله تبارك وتعالى: «... يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا **لأتيتك** بقرابها مغفرة»(٢).

فهذا الإتيان يكون يوم القيامة عند العرض على الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فمن أتى الله تعالى بمثل الأرض خطايا خلا الشرك به، أتاه الله سبحانه بمثلها مغفرة تفضلا منه جلَّ وعلا، لعظيم فضله وجزيل كرمه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وسيأتي مزيد بيان لهذا المعنى في مبحث اللقاء- إن شاء الله تعالى-.

=

الحسان (١/ ٣٩٧).

(١) انظر: القواعد المثلى ص(٧١).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٥٤٠). كتاب الدعوات. باب: في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده. وقال هذا حديث حسن غريب. والطبراني في الأوسط برقم (٤٣٠٥)، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص (٧٨١): «وإسناده لا بأس به»، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٢٧). وصحيح الترغيب والترهيب. (٢/ ٢٧٠)، وصحيح الجامع برقم (٤٣٣٨).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد ذكر شرح الحديث وبيان كلام العلماء في توجيهه، يدلنا دلالة واضحة على إثبات أن الله ﷻ يقابل إتيان العبد إليه بالطاعات بأن يأتي إليه بالثواب مضاعفا، مع إثبات صفة الهرولة لله تعالى بما يليق بجلاله وعظمته، لا تشبه صفة ولا هرولة المخلوقين، وتفسير الحديث بأنه خرج مخرج المثل في سرعة الجزاء عن الأعمال ومضاعفة الثواب عليها، لا يدل على نفي صفة الهرولة، بل يدل على إثباتها؛ لأن الله تعالى لا يضيف إلى نفسه الكريمة شيئا لا يقوم به البتة مما هو من قبيل الصفات، ثم إن ضرب المثل لا بد أن يكون بشيء حقيقي قائم بمن ضُرب به المثل حتى يكون أدل على المعنى المراد بيانه، وإلاّ لما كان لضرب المثل دلالة على الخطاب[1].

وقد ثبت عن بعض أهل العلم إثبات صفة الهرولة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حيث قال أبو إسماعيل الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] في كتابه الأربعين: «باب: الهرولة لله ﷻ»[3]، ثم ساق الحديث.

---

(١) استفدته من كلام شيخنا أ. د. محمد بن عبد الرحمن أبوسيف – حفظه الله–.

(٢) هو شيخ الإسلام، الإمام القدوة، الحافظ الكبير، وشيخ خراسان أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي، من ذرية أبي أيوب الأنصاري. ولد سنة (٣٩٦هـ)، وصنف (الأربعين) في التوحيد، و(أربعين) في السنة، وكتاب(ذم الكلام). قال الذهبي: «كان هذا الرجل سيفا مسلولا على المتكلمين، له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده، يعظمونه، ويتغالون فيه، ويبذلون أرواحهم فيما يأمر به. كان عندهم أطوع وأرفع من السلطان بكثير، وكان طودا راسيا في السنة لا يتزلزل ولا يلين، لو لا ما كدر كتابه (الفاروق في الصفات) بذكر أحاديث باطلة يجب بيانها وهتكها، والله يغفر له بحسن قصده. توفي سنة (٤٨١هـ). ينظر: السير للذهبي (١٨/ ٥٠٣، ٥١٨).

(٣) الأربعين في دلائل التوحيد ص (٧٩).

وقد سئلت **اللجنة الدائمة** عن صفة الهرولة، هل تثبت لله أم لا؟ فأجابوا: «نعم. صفة الهرولة علىٰ نحو ما جاء في الحديث القدسي الشريف علىٰ ما يليق به»[١].

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر حديث الباب: «كل هذه الصفات تليق بالله، يجب الإيمان بها وإثباتها لله، علىٰ الوجه اللائق بالله تقربا يليق، وهرولة تليق بالله، ليس فيها مشابهة لخلقه، تقربه وهرولته، وإنما هو شيء يليق به سبحانه، لا يشابه صفة المخلوقين»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن المعلوم أن السلف يؤمنون بأن الله تعالىٰ يأتي إتيانا حقيقيا للفصل بين عباده يوم القيامة علىٰ الوجه اللائق به، كما دلَّ علىٰ ذلك كتاب الله تعالىٰ، وليس في هذا الحديث القدسي إلا أن إتيانه يكون هرولة لمن أتاه يمشي، فمن أثبت إتيان الله تعالىٰ حقيقة لم يشكل عليه أن يكون شيء من هذا الإتيان بصفة الهرولة علىٰ الوجه اللائق به. وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله تعالىٰ يأتي هرولة، وقد أخبر الله تعالىٰ به عن نفسه، وهو سبحانه وتعالىٰ يفعل ما يشاء،...

وليس في إتيان الله تعالىٰ هرولة علىٰ الوجه اللائق به بدون تكييف ولا تمثيل شيء من النقص، حتىٰ يقال: إنه ليس ظاهر الكلام، بل هو فعل من أفعاله يفعله كيف يشاء، ولهذا لم يأت في كلام الله تعالىٰ عنه، ولا في كلام رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يصرفه عن ذلك»[٣].

أما ورود صفة الإتيان مطلقة في النصوص الشرعية فهي كثيرة. منها قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام: ١٥٨]. « ففرق بين إتيان الملائكة، وإتيان الرب وإتيان بعض آياته، فقسَّمّ ونَوَّعَ، ومع هذا التقسيم يمتنع أن

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٣/ ١٩٦).

(٢) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ١٥٧-١٥٨).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٨٤). وينظر: شرح رياض الصالحين له (٣/ ٣٣٥).

يكون القسمان واحدا»[١]. وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾[البقرة: ٢١٠].

وقريب من لفظ الإتيان في المعنى، لفظ المجيء قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[الفجر: ٢٢]. «فعَطْفُ مجيء الملكِ على مجيئِه سبحانه يدلُّ على تغاير المجيئين، وأن مجيئه سبحانه حقيقة كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب سبحانه أولى بأن يكون حقيقة من مجيء الملك»[٢].

وقد ذكر **أبو عثمان الصابوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتقاد أهل الحديث، وإثباتهم لهاتين الصفتين فقال: « وكذلك يثبتون ما أنزل الله – عزَّ اسمه – في كتابه، من ذكر المجيء والإتيان»[٣].

(١) مختصر الصواعق لابن الموصلي(٣/ ٨٥٧).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٨٥٧).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص (١٩٢).

المبحث الثالث: إيواء الله من آوى إليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي واقد اللّيثيّ رضي الله عنه أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينما هو جالس في المسجد، والنّاس معه؛ إذ أقبل ثلاثة نفرٍ، فأقبل اثنان إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذهب واحد، قال: فوقفا علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمّا أحدُهما فرأىٰ فُرْجةً في الحلقة فجلس فيها، وأمّا الآخر فجلس خلفهم، وأمّا الثّالث فأدبر ذاهبًا، فلمّا فرغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ؟ ، أَمَّا أَحَدُهُمْ **فَأَوَىٰ** إِلَىٰ اللهِ **فَآوَاهُ اللهُ**...»[(١)].

وجه مطابقة الحديث للترجمة واضح في الدلالة علىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل إيواء العبد إليه بأن يؤويه ويضمه إليه جزاء له علىٰ ذلك، أي أن الله تعالىٰ قبل إيواء عبده إليه بأن آواه إيواء حقيقيا، وهذا النوع من المقابلة هو من النوع الثالث في القسم الثاني من أنواع المقابلة التي مر ذكرها في المبحث الرابع من التمهيد. وهي المقابلة للجزاء بقبول العمل بفعلٍ هو من جنس الفعل الذي صدر من العبد.

فـ(آوىٰ): «الهمزة والواو والياء أصلان: أحدهما التجمُّع، والثاني الإشفاق. قال الخليل: يقال آوىٰ الرّجلُ إلىٰ منزله وآوَىٰ غَيرَه أُوِيّاً وإيواءً»[(٢)]، أي: « التجأ وانضمّ»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٦). كتاب العلم. باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأىٰ فرجة في حلقة فجلس فيها، ومسلم برقم (٢١٧٦). كتاب السلام. باب: من أتىٰ مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٥١).

(٣) المغرب للمطرزي (١/ ٤٩).

ثم هذا الفعل يأتي لازما ومتعديا:

فيكون لازما بالقصر في الغالب كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾[الكهف:١٠]. وقوله: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ ﴾[الكهف: ٦٣]، وقد يأتي بالمد كما في قوله تعالى حكاية عن لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[هود: ٨٠].

ويكون متعديا بالمد كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾[يوسف:٩٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[المؤمنون: ٥٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾[الضحى: ٦].

أما في هذا الحديث فقد جُمع النوعان: فاللازم بالقصر في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فأوى إلى الله)، والمتعدي بالمد في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فآواه الله).

وأما قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أما أحدهم فأوى إلى الله).** بالقصر. أي: لجأ إلى الله[(١)].

وقيل: «فعل ما يرضاه الله»[(٢)].

وقيل: دخل مجلس ذكر الله تعالى، أو دخل مجلس رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومجمع أوليائه[(٣)].

وقيل: «رجع إليه»[(٤)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٥٧). وينظر: المنتقى للباجي (٩/ ٤٢٦)، شرح مسلم للنووي (١٤/ ١٤٧). وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٤٧١).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (١/ ٣١٦).

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٤٧)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٤٧١).

(٤) النهاية لابن الأثير (١/ ٩٠).

وقيل: «قصد قربه والتوجه إليه بالإقبال على مجلس العلم بلا إدبار»[١].

وهذه كلها معانٍ صحيحة تجمع معنى الإيواء المتعلق بالعبد.

أما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فآواه الله)**. أي: أي ضمه وألجأه إليه[٢].

---

(١) حاشية السندي على البخاري (١/ ٣٦).

(٢) انظر: المغرب للمطرزي (١/ ٤٩).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

لقد دلَّ الحديث على إثبات أن الله تعالى يقابل إيواء العبد إليه بأن يؤويه، ويجيبه إليه. حيث إنه لَمَّا آوى العبد إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولجأ إليه قابله ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجزاه بقبول ذلك الإيواء منه بأن ضمه وألجأه إليه، ومن كانت هذه حاله حصل له من الخير والنعيم والفضل من الله عَزَّوَجَلَّ، ما يكون جزاء له وثوابا على إيوائه .

وقد جاءت النصوص الشرعية بإثبات صفة إيواء الله تعالى عبيده إليه من غير مقابلة في اللفظ كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[المؤمنون: ٥٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾[الضحى: ٦].

وقد جاء في تفسير هذه الآية عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته، فقلت: قد كانت قبلي الأنبياء، منهم من سخَّرتَ له الريح، ومنهم من كان يحيي الموتى، فقال تعالى: يا محمد ألم أجدك يتيماً **فآويتك**؟. ألم أجدك ضالاً فهديتك؟. ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟. ألم أشرح لك صدرك؟. ألم أضع عنك وزرك؟. ألم أرفع لك ذكرك؟. قلت: بلي يا رب»[(١)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير برقم (١٩٣٧٨)، والطبراني في الكبير (١١/ ٤٥٥)، وفي الأوسط (٣٦٥١)، والحاكم (٢/ ٥٢٦). وقال صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الألباني هو كما قالا. ينظر: الصحيحة (٢٥٣٨). وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط لكن الحديث من رواية حماد بن زيد عنه وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط. ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ١٨٥).

المبحث الرابع: من لقي(تلقى) الله بقراب الأرض خطايا وهو لا يشرك به شيئا، لقيه (تلقاه) الله بقرابها مغفرة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء في ذلك من النصوص، وبيان معناها.

عن أبي ذرّ[١] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل: « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ... **وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**»[٢].

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن « من جاء مع التوحيد بقراب الأرض- وهو بملئها أو ما يقارب ملأها- خطايا، لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته ألا يخلَّد في النار، بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة»[٣].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٤٨].

---

(١) مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن. والاختلاف في أبيه كذلك إلا في السكن قيل يزيد وعرفة وقيل اسمه هو السكن بن جنادة بن قيس، أمه رملة بنت الوقيعة غفارية أيضا. وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين، وقيل: في التي بعدها. ينظر: الإصابة لابن حجر (٤/ ٢٢١٧، ٢٢٢٠).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٨٧)كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (٧٩٤).

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرته شركا بالله»(١).

وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل وعيد في ا لكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة، أي: إلا أن يشاء الله أن يغفر ويصفح ويتكرم ويتفضل، فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة، إذ الله عَزَّ وَجَلَّ قد خبَّر في محكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر ما دون الشرك من الذنوب»(٢).

وقد دلت نصوص كثيرة على إثبات اللقاء بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبين عبيده يوم القيامة، منها: قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة: ٢٢٣].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: « صائرون إليه فيجزيكم بأعمالكم»(٣).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقال جلَّ شأنه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف: ١١٠].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية»(٤).

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ

---

(١) في تفسره (٨/ ٤٥٠).

(٢) كتاب التوحيد (٢/ ٨٦٩).

(٣) معالم التنزيل (١/ ٢١٩).

(٤) جامع البيان(١٨/ ١٣٥).

بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾[الأحزاب: ٤٣-٤٤].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يرون الله»(١).

و**قال ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير؛ وقالوا: إن لقاء الله يتضمن رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»(٢).

وهذه الرؤية ثمرة اللقاء وأنه من لقي الله تعالىٰ أمكنه(٣) رؤيته.

وقال **ابن خزيمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واللقاء غير الرؤية والنظر»(٤).

و عن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ ، قال: « هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟»، قالوا: لا، قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ »، قالوا: لا، قال: «فو الذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: **فيلقىٰ العبد** فيقول: أي فلُ ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟، فيقول: بلىٰ، قال: فيقول: أفظننت أنك **ملاقي**؟ ، فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني **ثم يلقىٰ** الثاني...»(٥) الحديث.

قال **ابن خزيمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا الخبر دال: أن قوله (فيلقىٰ العبد) وهو لقاء غير

---

(١) معالم التنزيل (٣/ ٥٧١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ(٦/ ٤٦٢).

(٣) حتىٰ يخرج به الكفار فإنهم وإن كانوا سيلقون الله تعالىٰ فلا يلزم من لقائهم له رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رؤية يحصل لهم بها نعيم.

(٤) كتاب التوحيد(٢/ ٤٣٣).

(٥) رواه مسلم برقم (٢٩٦٨). كتاب الزهد والرقائق. بدون باب.

الرؤية»(١).

أما في الدنيا فقد لقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبدَه موسى عليه السلام عند مواعدته له عند الطور وإن لم يحصل له فيها رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف: ١٤٢].

فمما قيل في تفسير هذه الآية: «إن ذلك بعد ما فرغ من فرعون وقبل الطور، لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرَّق آل فرعون، وخلص إلى الأرض الطيبة، أنزل الله عليهم فيها المنَّ والسلوى، وأمره ربه أن يلقاه، فلما أراد لقاء ربه، استخلف هارون على قومه، وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين ليلة، ميعادا من قبله، من غير أمر ربه ولا ميعاده. فتوجه ليلقى ربه»(٢).

وقريب من لفظ اللقاء لفظ التلقي فقد جاء في الحديث القدسي عند مسلم: « إنّ اللهّ عَزَّ وَجَلَّ قال: إِذَا **تَلَقَّانِي عَبْدِي** بِشِبْرٍ **تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ** وَإِذَا **تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ** وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ جِئْتُهُ بِأَسْرَعَ»(٣)، ففي الحديث إثبات صفة التلقي من الله تعالى عبده مقابلة له على تلقيه إياه بالأعمال الصالحات، وأن ثواب الله تعالى له أعظم من عمل العبد الذي لقيه به. والحديث معناه معنى حديث الهرولة السابق في مبحث الإتيان.

---

(١) كتاب التوحيد(٢/ ٤٣٣).

(٢) رواه ابن جرير في جامع البيان (١٣/ ٨٨) برقم (١٥٠٧١). عن ابن جريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

وبناء على ما سلف من بيان دلالات النصوص، نخلص إلى إثبات أن الله تبارك وتعالى يقابل لقاء عبده له موحدا ولو مع ملإ الأرض خطايا أو ما يقاربها بأن يلقاه بمثلها مغفرة. وتلقيهم بأجور مضاعفة مقابلة لهم على تلقيهم له بالتوحيد، لقاءا دون حجاب كما جاء في تقرير الله العبد ذنوبه ثم الصفح والعفو عنه، ووضع كنفه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليه، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]»(١).

وكذلك ما جاء من إثبات لقاء الله تعالى عبيده وتكليمهم من دون ترجمان ولا حاجب يحجبه، فعن عدي بن حاتم(٢) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة»(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٤١). كتاب المظالم. باب: قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]. ومسلم برقم (٢٧٦٨). كتاب: التوبة. باب: توبة القاتل وإن كثر قتله. من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) هو بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي، ولد الجواد المشهور أبو طريف. أسلم في سنة تسع، وقيل: سنة عشر، شهد فتح العراق ثم سكن الكوفة، وشهد صفين مع علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مات سنة ثمان وستين، وبلغ عشرين ومائة سنة. ينظر: الإصابة لابن حجر (٢/ ١٢٤٤-١٢٤٥).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٥٣٩). كتاب: الرقاق. باب: من نوقش الحساب عذب. ومسلم برقم =

وكذلك ما جاء من حب الله تعالى لقاء عبده إذا أحب العبد لقاء ربه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت، فقال: ليس كذلك؛ ولكن المؤمن إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاء الله فأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا بُشِّر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلما كان اللقاء نوعين - وإنما يميز أحدهما عن الآخر في الإخبار بما يوصف به هذا اللقاء وهذا اللقاء - وصف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللقاء المحبوب بما تتقدمه البشرى بالخير وما يقترن به من الإكرام، و اللقاء المكروه بما يتقدمه من البشرى بالسوء، وما يقترن به من الإهانة؛ فصار المؤمن مخبَرا بأن لقاءَه لله لقاءُ محبوب، والكافر مخبَرا بأن لقاءَه لله مكرُوه: فصار المؤمن يُحِب لقاء الله، وصار الكافر يكره لقاء الله؛ فأحبَّ الله لقاء هذا وكره لقاء هذا، جزاء وفاقا. فإن الجزاء بذلك من جنس العمل»(٢).

وقد جاءت نصوص كثيرة في القرآن تبيِّن لقاء الله لعباده ولقاءهم له. قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٢٢٣]. وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤٩]. وقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا

=

(١٠١٦). كتاب الزكاة. باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار.

(١) سيأتي تخريجه ص(٢٣٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٢).

يَزِرُونَ ﴾[الأنعام: ٣١].

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[يونس: ٤٥]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على حصول اللقاء بين الله وبين عبيده يوم القيامة.

المبحث الخامس: من وصل الرحم وصله الله، ومن وصل صفا وصله الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إِنَّ اللهَّ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتْ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: « نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ **أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ**. . . »، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: «فَهُوَ لَكِ»، قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[محمد: ٢٢]»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللهّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ **وَصَلَنِي وَصَلَهُ الله**...»[2].

وعن عبد اللهّ بن عمر رضي الله عنه أنّ رسول اللهّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ وصل صَفًّا وَصَلَهُ الله**،...»[3].

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٩٨٧) كتاب الأدب. باب: من وصل وصله الله، ومسلم برقم (٢٥٥٤) كتاب البر والصلة والآداب. باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٥٥٥) كتاب البر والصلة والآداب. باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

(٣) رواه أبو داود برقم (٦٧٢)كتاب الصلاة. تفريع أبواب الصفوف. باب: تسوية الصفوف، والنسائي برقم (٨١٩) كتاب الإمامة. باب: من وصل صفا، وأحمد برقم(٥٧٢٤)، وابن خزيمة في الصحيح برقم (١٥٤٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٣).

قال الحاكم: « حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وقال النووي: «اسناده صحيح». ينظر: خلاصة الأحكام (٢/ ٧٠٧).

وقال الألباني: «إسناده صحيح». ينظر: صحيح أبي داود برقم (٦٧٢)، والصحيحة برقم (٧٤٣)، وصحيح الجامع برقم (١١٨٧)، وصحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٣٥).

وجه مطابقة الأحاديث للترجمة ظاهر في الدلالة على إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يصل عبده مقابلة له على وصله لرحمه ولصفه. على ما يليق بجلاله وعظمته من غير مماثلة بينهما وإن اشتركا في اللفظ والمعنى العام.

فـ(وصل) «الواو والصاد واللام: أصلٌ واحد يدلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حَتَّى يَعْلَقَه»[(١)].

«وَصِلَكَ الله بِالكَسْرِ، لُغَةٌ فِي الفَتْحِ. ووصل الشَّيْءَ، ووصل إِلَيْهِ يَصِلُ وُصُولاً وَوُصْلَةً بِضَمِّهما، وَصِلَةً بِالكَسْر: بَلَغَهُ وَانْتَهى إِلَيْه. وَوَصَلَهُ إِلَيْهِ وَأَوْصَلَهُ: أَنْهاهُ إِلَيْهِ وَأَبْلَغَهُ إِيَّاه»[(٢)].

وصلة الرحم «هي كناية عن الإحْسان إلى الأقْرَبينَ من ذَوِي النَّسَب والأصْهار والتَّعَطُّفِ عليهم، والرِّفْقِ بهم، والرِّعايةِ لأحْوالِهم، فكأنَّه بالإحْسان إليهم قد وصل ما بَينه وبَينَهم من عَلاقة القَرابة والصِّهْر»[(٣)].

وقيل «بِرُّ[(٤)] من يجمع بينه وبينه في النسب أنثى»[(٥)].

وقيل: «حقيقة الصلة العطف والرحمة»[(٦)].

وصلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة، ولكنها درجات بعضها أرفع

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١١٧).

(٢) تاج العروس للزبيدي (٣١/ ٧٩).

(٣) النهاية لابن الأثير (٢/ ٨٥٣). وينظر: شرح سنن أبي داوود للعيني (٦/ ٤٥٢).

(٤) مشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/ ٢٨٨).

(٥) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٨/ ٢٠)، وشرح مسلم للنووي (١٦/ ١١٢)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٢٠٦).

(٦) شرح مسلم للنووي (١٦/ ١١٢-١١٣). وينظر: شرح العيني لسنن أبي داود (٦/ ٤٥٢)، وعمدة القاري له (١٩/ ٢٤٨)، والديباج للسيوطي (٥/ ٥٠٢)، ودليل الفالحين للصديقي (٣/ ١٤٨).

من بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب، فلو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلا[١].

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ومن وصل صفا).** أي: بالحضور فيه وسدِّ الخلل منه[٢]، وبوقوفه فيه[٣].

وأما قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(وصله الله).** أي ضمه إليه وعلقه به، فـ«من وصله الله، وصل إلى كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، ولا بد أن تكون نهايته مجاورة ربه في الفردوس؛ لأن الوصل لا ينتهي إلا إلى هناك فينظر إلى وجه ربه الكريم»[٤].

---

(١) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٨/ ٢٠).

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٣/ ١٦٢). وينظر: عون المعبود للعظيم أبادي (٢/ ٣٦٦).

(٣) ينظر: فيض القدير للمناوي (٢/ ٧٥).

(٤) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢/ ٦٦٧).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأحاديث.

زبدة ما تمخَّض عنه المطلب الأول هو إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل واصل الصف، وواصل الرحم بأن يصله وصلا خاصا جزاء له على وصله. وهي صفة فعلية صادرة من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تابعة لمشيئة الله وإرادته.

والوصل كما هو معروف من لغة العرب أنه ضد القطيعة، وهو ضم الله ﷻ عبده إليه وتعليقه به، فمن وصله الله علقه به، و«الله تعالى إذا وصف نفسه بصفة هي معقولة عند العرب، والخطاب ورد بها عليهم بما يتعارفون بينهم ولم يبين سبحانه أنها بخلاف ما يعقلونه، ولا فسرها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمَّآ أداها بتفسيرٍ يخالف الظاهر فهي على [ما][1] يعقلونه ويتعارفونه»[2].

فيظهر هذا الوصل في مفرداته وثمراته من الإحسان، وعميم الرحمة، وإغداق صنوف الإنعام والعطف، وجميل الرعاية وحسنها على الواصل رحمه وصفه في الصلاة. «ولذلك كان من وصل رحِمَهُ رحِمَهُ لقربه من الرحمن ورعاية حرمة الرحم قد عمر دنياه واتسعت له معيشته، وبورك له في عمره ونسئ له في أثره، فإن وصل ما بينه وبين الرحمن ﷻ مع ذلك وما بينه وبين الخلق بالرحمة والإحسان تم له أمر دنياه وأخراه»[3].

وقد ثبت عن بعض الصحابة وصف الله تعالى بالوصل لعباده. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة فقال للغلام: اذهب بهم إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلَّهَ ساعةً في البيت، ساعةً حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها الغلام إليه فقال:

---

(١) أضفتها ليستقيم الكلام.

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد لأبي نصر ص(٢٢٧-٢٢٨).

(٣) مختصر الصواعق لابن الموصلي (٣/ ٨٨٥).

يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: **وصله الله ورحمه**، ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها، فرجع الغلام وأخبره، فوجده قد أعدَّ مثله إلى معاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتلَّهَ في البيت حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذا في بعض حاجتك فقال: **رحمه الله ووصله**، تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا واذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فدحا[1] بهما إليها، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره، وسُرَّ بذلك وقال: «إنهم إخوة بعضهم من بعض» [2].

فقد دعا كل واحد منهما لعمر ﷺ حين وصلهما بالعطية والمال بأن يصله الله تعالى جزاء له على وصله ومقابلته بجنس فعله، وعطفُ الرحمة على الوصل دليلٌ على تغايرهما؛ وأن الوصل غير الرحمة.

---

(١) أصله (دحو)، فـ"الدال والحاء والواو أصل واحد يدل على بَسْطٍ وتمهيدٍ. يقال: دحا الله الأرض يَدْحُوهَا دَحْوًا، إذا بَسَطَهَا. ويقال: دحا المطرُ الحصىٰ عن وجه الأرض. وهذا لأنه إذا كان كذا فقد مهَّد الأرض". مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣٣٣).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٧٨-١٧٩)، وأحمد في الزهد ص(٣٣٥)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٣٣-٣٤)، والطبري في تهذيب الآثار (١/ ١١٥-١١٦).

الفصل الثالث

ما جاء في باب:

الستر

الحفظ

الإعفاف

الإغناء

التصبير

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: من ستر مسلما ستره الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « المسلمُ أَخُو المسلمِ لا يظلمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، ومنْ كانَ فِي حاجَة أَخِيهِ كانَ الله في حاجتِه، ومن فرَّج عن مسلم كُربة فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن **ستر** مسلما **ستره الله** يوم القيامة»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « لاَ **يَسْتُرُ** عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا **إِلاَّ سَتَرَهُ الله** يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

وجه مطابقة الحديثين للترجمة ظاهر في الدلالة على إثبات أن الله جَلَّ جَلَالُهُ يقابل ستر العبد على أخيه المسلم بأن يستره جزاء وفاقا في الدنيا والآخرة.

و(السِّتر): بالكَسْرِ، هو ما يُسْتَر به[٣]، «فالسين والتاء والراء كلمةٌ تدلُّ على الغِطاءِ. تقول: سترْتُ الشيءَ سِتراً. والسُّتْرَةُ: ما استَتَرْتَ به، كائناً ما كان»[٤]. وجمعه سُتُورٌ وأسْتارٌ[٥].

---

(١) رواه البخاري برقم(٢٤٤٢). كتاب المظالم. باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلمُه، ومسلم برقم(٢٥٨٠). كتاب البر والصلة والآداب. باب: تحريم الظلم.

(٢) رواه مسلم برقم(٢٥٩٠) كتاب البر والصلة والآداب، باب: بِشَارَةِ مَنْ سَتَرَ الله تَعَالَىٰ عَيْبَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ.

(٣) تاج العروس للزبيدي (١١/ ٤٩٨).

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٣٢).

(٥) مختار الصحاح للرازي ص(١٧٦).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(من ستر مسلما):** أي «رآه علىٰ قبيح فلم يظهره للناس»(١)، أو «اطلع منه علىٰ ما لا ينبغي إظهاره من الزلات والحسنات»(٢). ثم إن هذا المستورَ عليه نوعان: مُسِرٌّ بالمعصية ومجاهر بها. وكل واحد منها يعامل معاملة خاصة.

يقول **ابن رجب الحنبلي** رَحِمَهُ اللَّهُ: « واعلم أنَّ النَّاس علىٰ ضربين:

أحدهما: من كان مستوراً لا يُعرف بشيءٍ مِنَ المعاصي، فإذا وقعت منه هفوةٌ، أو زلَّةٌ، فإنَّه لا يجوزُ كشفُها، ولا هتكُها، ولا التَّحدُّث بها؛ لأنَّ ذلك غِيبةٌ محرَّمة، وهذا هو الذي وردت فيه النُّصوصُ، وفي ذلك قد قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩]. والمراد: إشاعةُ الفَاحِشَةِ علىٰ المؤمن المستَتِر فيما وقع منه، أو اتُّهِمَ به وهو بريء منه، كما في قصَّة الإفك. . . ،

والثاني: من كان مشتهراً بالمعاصي، معلناً بها، لا يُبالي بما ارتكبَ منها، ولا بما قيل له، فهذا هو الفاجرُ المُعلِنُ، وليس له غِيبة،... ومثلُ هذا لا بأس بالبحث عن أمره، لِتُقامَ عليه الحدودُ»(٣).

ويقول النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر علىٰ ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالأذىٰ والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلىٰ ولي الأمر إن لم يُخَفْ من ذلك مفسدة؛ لأن الستر علىٰ هذا يُطْمِعُه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات، وجسارة غيره علىٰ مثل فعله.

هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها وهو بعدُ متلبسٌ بها

---

(١) عمدة القاري للعيني (١٢/ ٤٠٦).

(٢) سبل السلام للصنعاني (٤/ ١٧٩).

(٣) جامع العلوم والحكم ص(٦٩٦-٦٩٧).

فتجب المبادرة بإنكارها عليه، ومنعه منها على مَنْ قَدر على ذلك، ولا يحل تأخيرها، فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة»[١].

وقوله ﷺ: **(ستره الله):** فقد جاء في بعض الروايات زيادة لفظة «في الدنيا»[٢] ليعم ستر الله عبيده في الدنيا والآخرة، ومعناه يحجب الله ويغطي عيوبه عن الناس في الدنيا والآخرة.

«فإذا كان المرء يؤجر في الستر على غيره، فستره على نفسه كذلك أو أفضل، والذي يلزمه في ذلك التوبة والإنابة والندم على ما صنع، فإن ذلك محوٌ للذنب إن شاء الله»[٣].

---

(١) شرح مسلم (١٦/ ١٢٥).

(٢) رواها الترمذي برقم (١٣٢٥). كتاب الحدود عن رسول الله ﷺ. باب: ما جاء في الستر على المسلم، وابن ماجه برقم (٢٢٥). في المقدمة. باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم.

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٥/ ٣٣٨).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

لقد دلت أحاديث المطلب الأول علىٰ إثبات أن الله ﷻ يقابل ستر المسلم علىٰ أخيه المسلم مما ظهر عليه من الزلات بأن يستره في الدنيا والآخرة.

وستر الله ﷻ علىٰ عبيده هو حجب وتغطية عيوبه عن الناس في الدنيا والآخرة، وجماع ذلك ما ورد في حديث ابن عمر ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ يُدْنِي المؤمنَ فيضعُ عليه كَنَفَهُ **ويستره** فيقول: أتعرفُ ذنبَ كذا؟ ، أتعرفُ ذنبَ كذا؟، فيقول: نعم أي رب. حتىٰ إذا قرَّرَهُ بذنوبه ورأىٰ في نفسه أنَّهُ هَلَكَ قال: **سَتَرْتُهَا** عليكَ في الدنيا وأنا أغْفِرُها لك اليومَ، فيُعطىٰ كتابَ حسناتِهِ. وأما الكافرُ والمنافقُ فيقول الأشهاد ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»(١).

فهذا الحديث جمع بين ستر الله تعالىٰ علىٰ عبده في الدنيا، وشاهده قوله تعالىٰ: «سترتها عليك في الدنيا»، ومثله حديث أبي هريرة ﵁ الآتي: «ثم يُصبحُ وقد **سَتَرَهُ الله** عليه»، وبين ستره عليه في الآخرة علىٰ رؤوس الخلائق وهو «أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف»(٢). فعلىٰ العبد أن يستشعر ما دل عليه الحديث من الثواب عند الله تعالىٰ في موقف أحوج ما يكون العبد فيه أرغبَ إلىٰ ربه من حصول ستره عليه وعدم فضحه أمام الخلائق.

وستر الله تعالىٰ أثرٌ من آثار اسمه (السِّتير) حيث قال رسول الله ﷺ: «إن الله حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يحب الحياءَ والسترَ، فإذا اغتسلَ أحدُكُم فَلْيَسْتَتِرْ»(٣)، ولهذا «فإن سِتْرَ الله

---

(١) سبق تخريجه ص(١٢١).

(٢) شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٤٣).

(٣) رواه أبو داود برقم (٤٠١٢) كتاب الحمَّام. باب: النهي عن التعري. والنسائي برقم (٤٠٦) كتاب =

مستلزمٌ لسترِ المؤمن علىٰ نفسه، فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها أغضب ربَّهُ فلم يستره، ومن قصد التستر بها حياءً من ربِّه ومِنَ الناس مَنَّ الله عليه بستره إياه»[١].

ثم اعلم أن صفة الستر لله تعالىٰ لم ترد في النصوص الشرعية مقابلة في اللفظ فقط. بل وردت مطلقة كذلك.

فعن عبادة بن الصامت ﵁ أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني علىٰ أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفَّىٰ منكم فأجره علىٰ الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم **ستره** الله فهو إلىٰ الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»، فبايعناه علىٰ ذلك[٢].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كلُّ أمتي معافىٰ إلا المجاهرين، وإن من المجاهرةِ أن يعملَ الرجل بالليل عملا ثم يُصبحُ وقد **ستَرَهُ الله** عليه، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات **يستره ربُّهُ** ويصبِحُ يكشفُ **سترَ اللهِ** عنْهُ»[٣].

=

الغسل. باب: الاستتار عند الغسل. بلفظ (حليم حيي ستير)، وأحمد برقم (١٧٩٧٠)، وصححه الألباني في الإرواء برقم (٢٣٣٥)، والمشكاة برقم (٤٤٧).

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٨٧).

(٢) رواه البخاري برقم (١٨). كتاب الإيمان. باب: (١١). ومسلم برقم (١٧٠٩). كتاب الحدود. باب: الحدود كفارات لأهلها.

(٣) رواه البخاري برقم (٦٠٦٩). كتاب الأدب. باب: ستر المؤمن علىٰ نفسه. ومسلم برقم (٢٩٩٠). كتاب الزهد والرقائق. باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه.

المبحث الثاني: من حفظ الله حفظه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما فقال: «يا غلام إنّي أعلّمك كلمات: **احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ**، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ...»[(١)] الحديث.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: « إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ وَتَأْتُونَ الْمَاءَ إِنْ شَاءَ اللهُ غَدًا»، فانطلق النّاس لا يَلْوِي أحدٌ على أحدٍ، قال أبو قتادة: فبينما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسير حتّى ابْهَارّ[(٢)] اللّيل، وأنا إلى جنبه قال: فنعس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمال عن راحلته، فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ من غير أن أوقظَه حتّى اعتدل على

(١) رواه الترمذي برقم (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، باب: (٥٩)، وأحمد برقم(٢٦٦٩)، والحاكم في المستدرك برقم(٣/ ٥٤١-٥٤٢).

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وقال الحاكم: «هذا حديث كبير عالٍ، من حديث عبد الملك بن عُمير، عن ابن عباس رضي الله عنه، إلا أن الشيخين رضي الله عنهما لم يخرجا شهاب بن خراش ولا القداح في الصحيحين، وقد رُوي الحديث بأسانيد عن ابن عباس غير هذا».

وقال الذهبي: «لأن القداح قال أبو حاتم متروك، والآخر مختلف فيه، وعبد الملك لم يسمع من ابن عباس فيما أرى».

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص (١٧٤): «وبكل حال فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة».

وقال الألباني صحيح، ينظر: المشكاة برقم (٥٣٠٢) وظلال الجنة (٣١٦-٣١٨).

(٢) «ابهارَّ » الليل أي انتصف، وقيل: ابهارَّ الليل إذا طلعت نجومه واستنارت، والأول أكثر. ينظر: النهاية لابن الأثير (١/ ١٦٧).

راحلته، قال: ثمّ سار حتّى تَهَوَّرَ[(١)] اللّيل مال عن راحلته، قال: فدعمته من غير أن أوقظه حتّى اعتدل على راحلته، قال: ثمّ سار حتّى إذا كان من آخر السّحر مَالَ مَيْلَة هي أشدّ من الميْلتين الأوليين حتّى كاد يَنْجَفِلُ، فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال: « مَنْ هَذَا؟ » قلت: أبو قتادة، قال: « مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرَكَ مِنِّي»، قلت: ما زال هذا مسيري منذ اللّيلة، قال: «**حَفِظَكَ الله بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهُ**»... [(٢)].

وجه المطابقة للترجمة جليٌ في إثبات أن الله ﷻ يقابل حفظ العبد حدود ربه بأن يحفظه.

فقوله ﷺ: **(احفظِ الله)** يعني: «احفظ حدودَه، وحقوقَه، وأوامرَه، ونواهيَه، وحفظُ ذلك: هو الوقوفُ عندَ أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتنابِ، وعندَ حدوده، فلا يتجاوزُ ما أمر به، وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك، فهو مِنَ الحافظين لحدود الله الذين مدحهمُ الله في كتابه»[(٣)].

وقوله ﷺ: **(يحفظك)** يعني: أنَّ من حفظَ حدود الله، وراعى حقوقَه، حفظه الله، فإنَّ الجزاء من جنس العمل.

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال الله ﷻ: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾[الرعد: ١١].

---

(١) تَهَوّر: مستعار من تهوُّرِ البناء وهو انهدامه والغرض إدباره. أي ذَهَاب أكْثَره. ينظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري(١/ ١٣٦)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٩١٧).

(٢) رواه مسلم برقم (٦٨١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (٤١٤). وينظر: الحق الواضح المبين للعلامة السعدي ص(٣/ ٢٤٣).

النوع الثاني من الحفظ، وهو أشرف النوعين: حفظُ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المُضِلَّة، ومن الشهوات المحرَّمة، ويحفظ عليه دينَه عندَ موته، فيتوفَّاه على الإيمان [١].

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(حفظك الله بما حفظت به نبيه)** أي: «بسبب حفظك نبيه»[٢]، وهذا يحتمل أن يكون إخبارا منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك وأن الله حفظه. أو يكون دعاء له بأن يحفظه الله في مستقبل أمره.

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (٤١٦، ٤١٩)، وسبل السلام للصنعاني (٤/ ١٧٦).
(٢) ينظر: شرح مسلم للنووي (٥/ ١٦١-١٦٢)، والديباج للسيوطي (٢/ ٣١٦).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

يستفاد من المطلب الأول إثبات أن الله ﷻ يقابل حفظ العبد لحدود الله تعالى بامتثال المأمور واجتناب المحظور بأن يحفظ عليه دينه من الشبهات، ودنياه من الشهوات المحرمة. فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل أفعال عباده بأفعاله المناسبة لها. إذ أفعالهم أسباب لما يجري عليهم من فعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وحفظ الله عبيده من صفاته الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المتعلقة بمشيئته وإرادته.

وقد ثبتت هذه الصفة في القرآن من غير مقابلة في اللفظ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾[الحجر: ١٦-١٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها **فاحفظها بما تحفظ به** عبادك الصالحين»(١).

وحفظ الله ﷻ لعبد هو أثر اسمه **الحفيظ** قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[هود: ٥٧]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[الشورى: ٦].

وقد بين العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى الحفيظ. فقال: «الحفيظ: الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات. ولطف بهم في الحركات، والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم وجزاءها.

---

(١) رواه البخاري برقم(٦٣٢٠). كتاب الدعوات. تحت باب بدون ترجمة. ومسلم برقم (٢٧١٤). كتاب الذكر والدعاء. باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

والحفيظ يتضمن معنيين:

أحدهما: أنه قد حفظ علىٰ عباده ما عملوه من خير وشر، وطاعة ومعصية، فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها وباطنها، وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ووَكَّل بالعباد ملائكة كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون، فهذا المعنىٰ من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها ظاهرها وباطنها، وكتابتَها في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمَه بمقاديرها، وكمالها ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته عليها بفضله وعدله.

والمعني الثاني: من معنيي الحفيظ: أنه تعالىٰ الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون...

وحفظه لخلقه نوعان عام وخاص:

فالعام: حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلىٰ هدايته، وإلىٰ مصالحها بإرشاده.

وهدايته العامة التي قال عنها: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]. أي: هدىٰ كل مخلوق إلىٰ ما قدر له وقضىٰ له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل، والمشرب، والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره، والمضار، وهذا يشترك فيه البر، والفاجر بل الحيوانات، وغيرها، فهو الذي يحفظ السماوات، والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه، وقد وكَّلَ بالآدمي حفظة من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله، أي يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.

والنوع الثاني: حفظه **الخاص** لأوليائه سوىٰ ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه، والفتن، والشهوات فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم، ويدفع عنهم كيدهم، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[الحج: ٣٨]. وهذا عام في دفع جميع ما يضرهم

في دينهم ودنياهم فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه»[١].

(١) الحق الواضح المبين ص(٣/ ٢٤٢-٢٤٣)، وتوضيح الكافية الشافية (٣/ ٣٧٢-٣٧٣) ضمن المجموعة. وينظر: شرح نونية ابن القيم للهراس (٢/ ٤٧٢-٤٧٣).

المبحث الثالث: من يستعفف يعفه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أن ناسا من الأنصار سَأَلُوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده فقال: «مَا يَكُونُ عِنْدَي مِنْ خَيْرٍ فلن أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ **مَنْ يستعفف يُعِفُّهُ الله**... وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»[١].

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في إثبات أن الله تعالى يقابل استعفاف العبد عن غيره من المخلوقين بإعفافه وتحقيق مراده.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(من يستعفف)**. بفاءين أو بفاء واحدة[٢]، من الاستعفاف، «وهو طلب العفاف والتعفّف، وهو الكفُّ عن الحرام والسؤال من الناس.

وقيل: الاستعفاف الصبر والنزاهة عن الشيء، يقال: عفَّ يعفُّ عفةً فهو عفيف»[٣].

فلا يسأل بلسانه أحدا.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يعفه الله)** أي يلقي في قلبه العفاف، فالإعفاف فعل الله، والعفاف القائم بقلب المخلوق مفعوله، ولهذا «فإن كمال العبد في إخلاصه لله رغبة ورهبة وتعلقا به دون المخلوقين، فعليه أن يسعى لتحقيق هذا الكمال، ويعمل كل سبب يوصله إلى ذلك، حتى يكون عبدا لله حقا حرا من رقِّ المخلوقين، وذلك بأن يجاهد نفسه على أمرين:

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٦٩)كتاب الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة. ورواه مسلم برقم (١٠٥٣) كتاب الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر.

(٢) «من يستعف يعفه الله» رواه البخاري برقم (٦٤٧٠) كتاب الرقاق. باب: الصبر على محارم الله.

(٣) النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٢٧-٢٢٨)

انصرافها عن التعلق بالمخلوقين بالاستعفاف عما في أيديهم، فلا يطلبه بمقاله ولا بلسان حاله، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر رضي الله عنه: «ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك»[(١)] فَقطعُ الإشرافِ في القلب والسؤالِ باللسان، تعففا وترفعا عن مِنَنِ الخلق، وعن تعلُّقِ القلب بهم، سبب قوي لحصول العفة.

وتمام ذلك: أن يجاهد نفسه على الأمر الثاني: وهو الاستغناء بالله والثقة بكفايته، فإنه من يتوكل على الله فهو حسبه، وهذا هو المقصود، والأول وسيلة إلى هذا، فإن من استعف عما في أيدي الناس وعما يناله منهم، أوجب له ذلك أن يقوى تعلقه بالله، ورجاؤه وطمعه في فضل الله وإحسانه، ويحسن ظنه وثقته بربه، والله تعالى عند حسن ظن عبده به، إن ظن خيرا فله، وإن ظن غيره فله، وكل واحد من الأمرين يمد الآخر فيقويه؛ فكلما قوي تعلقه بالله ضعف تعلقه بالمخلوقين وبالعكس»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٧٣). كتاب الزكاة. باب: من أعطاه الله شيئا من غير مسألة ولا إشراف نفس. ومسلم برقم (١٠٤٥). كتاب الزكاة. باب: إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إشراف.

(٢) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص(٧٣).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد النظر في شرح الحديث يدلنا على أن الله جلَّ وعلا يقابل استعفاف العبد وعدم إلتفاته إلى غيره بإعفافه وخلق العفة في قلبه، حيث إن العبد لما استعفف إما بلسان الحال أو المقال قابله الله تعالى بالمجازاة بإعفافه عن الخلق. فما قام بالله تعالى من الوصف هو الإعفاف، وما قام بالعبد هو العفاف المخلوق.

وقد ثبتت هذه الصفة لله تعالى أيضا من غير مقابلة في اللفظ، فعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله»، قال أبو قلابة: بدأ بالعيال ثم قال: «فأي رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على عيالٍ له صغارٍ **يعفُّهُم الله** به ويغْنِيهم الله به»[1].

---

(١) رواه الترمذي برقم (١٩٦٦). كتاب البر والصلة. باب: ما جاء في النفقة على الأهل. وقال: هذا حديث حسن صحيح. واللفظ له، وابن ماجة برقم (٢٧٦٠). كتاب الجهاد. باب: فضل النفقة في سبيل الله دون زيادة« قال أبو قلابة. . . وما بعدها»، وأحمد برقم (٢٢٤٥٣)، وابن حبان في الصحيح برقم (٤٢٤٢)، وصححه الألباني ينظر: التعليقات الحسان(٦/ ٣٠٢)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٤٢١).

المبحث الرابع: من يستغن يغنه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي سعيدٍ الخدريّ ﷺ أن نَاسا مِنْ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رسول الله ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده فقال: «مَا يَكُونُ عِنْدَي مِنْ خَيْرٍ فلن أَدَّخِرُهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ... **مَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله**... وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»(١).

وجه مطابقة الحديث للترجمة جليٌّ في إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل استغناء العبد عن الخلق بإغنائه؛ إذ هو الغني بذاته سبحانه المستغني عن خلقه. الفقراء إليه.

فقوله ﷺ: (**ومن يستغن**). أي: «بالله وبما أعطاه»(٢)، أو «يظهر الغنى بالاستغناء عن أموال الناس»(٣).

وقيل: «من يستعن بما عنده من اليسير عن المسألة»(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٦٩)كتاب الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة. ورواه مسلم برقم (١٠٥٣) كتاب الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر.

(٢) المفهم للقرطبي (٣/ ٩٩). وينظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠٤)، والديباج للسيوطي (٣/ ١٣٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠٤). وينظر: تحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ١٣٥)، وعون المعبود للعظيم أبادي (٥/ ٥٩).

(٤) المنتقى للباجي(٩/ ٥٠٩).

وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (**يغنه الله**) أي: يرزقه الله ما فيه كفاية له[١]، ويوسعه عليه[٢].

وعليه فمن يطلب الغنى من الله تعالى مع استغنائه عن الخلق فإن الله تعالى يرزقه غنى القلب الذي يجعله مكتفيا بما في يديه – ولو قلَّ- عما في أيدي الناس، ويصون بذلك وجهه عن المسألة.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٦/ ٥٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري(١٩/ ١٦٦).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

بعد بيان ما سبق فإننا نستنتج إثبات أن الله ﷻ يقابل استغناء العبد عما في أيدي المخلوقين بأن يغنيه من فضله، فيرزقه غنى القلب فيرضى بما قُسم له ولو بالقليل، ويرزقه غنى اليد فلا يلتفت إلى غيره.

واغناء الله ﷻ لعباده هو أثرٌ من آثار اسمه الغني، فهو سبحانه وتعالى غني عن خلقه، ويغني من يشاء من عباده، مؤمنهم، وكافرهم، إغناء عاما، إلا أنه خص نوعا من أفراد هذا الإغناء بمن استغنى عن خلقه من عبيده، ولجأ إليه بأن أغناه من فضله.

وإلا فالله سبحانه يغني من يشاء ابتداء وإن لم يستغن كما هو الحال في قارون وأمثاله.

وقد ثبتت هذه الصفة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غير مقابلة في:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴾[النجم: ٤٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ ﴾[التوبة: ٧٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾[النور: ٣٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴾[النساء: ١٣٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «ما ينقِمُ ابنُ جميلٍ إلاَّ أنَّهُ كان فقِيرًا **فأَغْنَاهُ الله** ورسولُه...»(١).

وعن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما مِنْ مسلمٍ تصيبُهُ مصيبةٌ فيقول: ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي

(١) رواه البخاري برقم (١٤٦٨)كتاب الزكاة. باب: قول الله تعالى﴿ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٠]، ومسلم برقم (٩٨٣). كتاب الزكاة. باب: في تقديم الزكاة ومنعها.

خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها».

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أيُّ المسلمينَ خيرٌ من أبي سلمة؟ أوَّلُ بيتٍ هاجَرَ إلى رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم إني قلتها. فأَخْلَفَ الله لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالت: أرسل إلي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتا وأنا غيور. فقال: «أما ابنتُها فندعو اللهَ أن **يُغْنِيَهَا** عنها. وأدعو الله أن يذهب بالغيرة»[1].

---

(١) رواه مسلم برقم (٩١٨). كتاب الجنائز. باب: ما يقال عند المصيبة.

المبحث الخامس: من يتصبَّر يصبِّره الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي سعيد الْخدريّ ﷺ أن ناسا من الأنصار سَأَلُوا رسول الله ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده فقال: «مَا يَكُونُ عِنْدَي مِنْ خَيْرٍ فلن أَدَّخِرُهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ. . . **مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله**، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا أَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»[١].

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تعالى يقابل تَصبُّر العبد عما يلاقيه من أقدار الله بتصبيره تحقيقا لمراده وتقوية له على تحمُّل معاناته.

فقوله ﷺ: **(من يتصبَّر)** أي: «يستعمل الصبر»[٢]، و يجاهد نفسه عليه[٣]، «ويتكلَّفُه على ضيقِ العيش وغيره من مكاره الدنيا»[٤].

وقيل: «من يتصدَّ للصبر ويؤْثِرْه »[٥].

وقيل: « يعالج نفسه على ترك السؤال، ويصبر إلى أن يحصل له الرزق»[٦].

وقيل: « يطلب توفيق الصبر من الله»[٧].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٦٩)كتاب الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة. ورواه مسلم برقم (١٠٥٣) كتاب الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر.

(٢) المفهم للقرطبي (٣/ ٩٩)، وينظر: الديباج للسيوطي(٣/ ١٣٥-١٣٦).

(٣) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص(٧٤).

(٤) شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٣٥٧).

(٥) المنتقى على الموطأ للباجي(٩/ ٥٠٩).

(٦) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠٤).

(٧) تحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ١٣٥). وينظر: عون المعبود للعظيم أبادي (٥/ ٥٩).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يُصبِّره الله)** أي: يرزقه الله الصبر ، فالتصبير فعل الله تعالى، والصبر القائم بقلب العبد مفعوله المخلوق. ولهذا «كان الصبر أعظم العطايا، لأنه يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته، وكل حالة من أحواله تحتاج إلى صبر، فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله، حتى يقوم بها ويؤديها، وإلى صبر عن معصية الله حتى يتركها لله، وإلى صبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يتسخطها، بل إلى صبر على نعم الله ومحبوبات النفس، فلا يدع النفس تمرح وتفرح الفرح المذموم، بل يشتغل بشكر الله، فهو في كل أحواله يحتاج إلى الصبر وبالصبر ينال الفلاح»[1].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص(٧٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

يستفاد من المطلب السابق أن الله ﷻ يقابل تصبُّر العبد وتَحمُّلَه لما يلاقيه من المصائب والشدائد، وحبس نفسه على ذلك بأن يصبِّره. وتصبيرُ الله العبد من الصفات الفعلية المتعلقة بإرادته ومشيئته، «فالتصبُّر من العبد، والصبر ثمرته التي يفرعها الله إذا تعاطاه وتكلفه»[(١)].

وقد أمر الله تعالى رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصبر وبين أنه لا يكون إلا بالاستعانة به فيه، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[النحل: ١٢٧]. أي: «وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله، وتوفيقه إياك لذلك»[(٢)].

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (٢٨٤).

(٢) جامع البيان للطبري (١٧/ ٣٢٥). وينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٦٤٧).

الفصل الرابع

ما جاء في باب:

الاستحياء

الصدق

التغيير

النصرة

الرد

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: من استحيا من الله استحيا الله منه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي واقد اللّيثيِّ رضي الله عنه أنّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينما هو جالس في المسجد والنّاس معه إذ أقبل ثلاثة نفر،... [وفيه]: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَمَّا الآخَرُ **فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ**...»(١). الحديث.

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على إثبات صفة الاستحياء لله تعالى، استحياء يليق بجلاله وعظمته في مقابلة استحياء عبده منه، مجازاة له عليه.

(فاستحيا) مشتق من حيِيَ- بياء واحدة- أو حيي- بياءين- فـ«الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خِلاف المَوْت، والآخر الاستحياء الذي هو ضِدُّ الوقاحة. . .

والأصل الآخَر: قولهم استحييت منه استِحياءً »(٢).

وفي استحيا لغتان: لغة أهل الحجاز استحيا يستحيي - بياءين -، ولغة بني تميم: استحَىٰ يستحِي، بتحريك الحاء وحذف إحدى الياءين(٣).

ومعناه في المخلوق: «الانقباض والانزواء»(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٦) كتاب العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، ومسلم برقم (٢١٧٦) كتاب السلام، باب: من أتى مجسا فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم.

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٢٢).

(٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي (٣/ ١١٩).

(٤) المصباح المنير للفيومي (١/ ٢٢٠).

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا**) أي: « ترك المزاحمة والتخطي حياء من الله تعالى، ومن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحاضرين، أو استحياء منهم أن يعرض ذاهبا كما فعل الثالث»[(١)].

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**فاستحيا الله منه**). فيه إثبات الحياء لله عَزَّ وَجَلَّ، ولكنه ليس كحياء المخلوقين، بل هو حياء كمال يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ[(٢)]. فمن استحيى الله منه لم يعذبه بذنبه بل وغفر له ولم يعاتبه عليه[(٣)].

(١) شرح مسلم للنووي (١٤/ ١٤٧-١٤٨). وينظر: المنتقى للباجي (٩/ ٤٢٧)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٥٧)، وعمدة القاري للعيني (٢/ ٥٠)، والديباج للسيوطي (٥/ ١٩٥)، وشرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ١٩٨)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٤٧١).

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين(٥/ ٥٣٤).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (١/ ٣١٧).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد وقوفنا على ما تضمنه المطلب الأول نخلص إلى إثبات أن الله ﷻ يقابل استحياء العبد منه إعظاما وإجلالا له بأن يستحيي منه جزاء له.

وحياء الربِّ تعالى من عبده هو «نوع آخر لا تدركه الأفهام ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرمٍ وبرٍّ وجودٍ وجلالٍ، فإنه تبارك وتعالى حيِيٌّ كريمٌ يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا، ويستحيي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام»[(١)]. أما حياء العبد من ربِّه فهو حياء العبودية وهو «حياء ممتزج من محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدره أعلى وأجلّ منها، فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة»[(٢)].

وقد بوَّب **ابن منده** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد لحديث أبي واقد ﷺ وقال: «ذكر ما يدل على أن الله وصف نفسه بالحياء، وأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إن الله يستحيي من عبده»[(٣)].

وقال أبو يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّه غير ممتنع وصف اللهَّ تعالى بالحياء، لا على معنى ما يوصف به المخلوقين من الحياء الذي هو انقباض وتغير وتجمع وخجل، لاستحالة كونه جسما متغيرا تحله الحوادث[(٤)] لكن نطلق هذه الصفة كما أطلقنا وصفه سبحانه بالإرادة وإن خالفت إرادة المخلوقين لأنَّ إرادته تقتضي وجوب المراد، وإرادتنا لا تقتضي وجوبه،

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٩٤).

(٢) نفس المصدر (٢/ ١٩٤-١٩٥).

(٣) كتاب التوحيد ص (٧٣٢).

(٤) هذه الألفاظ لم ترد في الكتاب و السنة في حق الله تعالى، ولذلك وجب الإمساك عنها وعدم التعرض لها بنفي أو إثبات.

وكذلك علمه يقتضي العلم بالمعدوم والموجود خلاف علمنا»[(١)].

وقال الهرَّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحياؤه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه، فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه، وتمام قدرته عليه؛ يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيئه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر»[(٢)].

وقد ثبتت صفة الاستحياء لله تعالى من غير مقابلة. فقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ ربَّكم حيِيٌ كريمٌ **يستحيي** مِنْ عبده إذا رَفعَ يديْه إليه أن يَرُدَّهُما صفراً»[(٣)].

فجمع هذا الحديث بين نوعين من الصفات: الأولى صفة ذاتية وهي الحياء. والأخرى صفة فعلية وهي الاستحياء. وهي أثر الصفة الذاتية.

---

(١) إبطال التأويلات (١/ ٤١٢ وما بعدها).

(٢) شرح نونية ابن القيم (٢/ ٤٦٩)، وينظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٥/ ٥٣٤-٥٣٥).

(٣) رواه أبو داود برقم (١٤٨٨). كتاب الصلاة. باب: الدعاء، والترمذي برقم (٣٥٥٦). كتاب الدعوات. باب (١٠٥)، وابن ماجه برقم (٣٨٦٥). كتاب الدعاء. باب: رفع اليدين في الدعاء، وابن حبان في الصحيح برقم (٨٧٦)، والحاكم (١٨٧٤). وقال: «إسناده صحيح» ووافقه الذهبي، وصححه الألباني ينظر: صحيح أبي داود برقم (١٣٣٧)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٨).

المبحث الثاني: اصدق الله يصدقك. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن شدّاد بن الهاد[١] رضي الله عنه، أَنّ رجلاً من الأعراب جاء إلى النّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآمن به واتَّبَعَه، ثمّ قال: أُهاجرُ معك، فأوصى به النّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعضَ أصحابه، فلمّا كانت غَزوةٌ غَنِمَ النّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيًا، فقَسَمَ وقَسَمَ له، فأعطى أصحابَه مَا قَسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلمّا جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ ، قَالُوا: قِسْمٌ قسمه لك النّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذه فجاء به إلى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ما هذا؟ قال: «قَسَمْتُهُ لَكَ»، قال: ما على هذا اتَّبعتُك، ولكنّي اتَّبَعْتُك على أن أُرمى إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأموت فأدخل الجنّة فقال: «**إِنْ تَصْدُقِ الله يَصْدُقْكَ**»، فلبثوا قليلا ثمّ نهضوا في قتال العدوّ، فأُتي به النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَهُوَ هُوَ؟ » قالوا: نعم، قال: «**صَدَقَ الله فَصَدَقَهُ** »، ثمّ كفَّنه النّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جُبّة النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمّ قدّمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ»[٢].

---

(١) اسم الهاد: أسامة بن عمرو، وقيل: اسم شداد أسامة، واسم الهادي عمرو بن عبد الله بن جابر بن بشر الليثي حليف بني هاشم، وإنما قيل لأبيه الهاد لأنه كان يوقد النار ليلا للسارين. شهد الخندق وسكن المدينة وتحول إلى الكوفة. ينظر: الإصابة لابن حجر (١/ ٨٤٣-٨٤٤).

(٢) رواه النسائي برقم (١٩٥٣) كتاب الجنائز، باب: الصلاة على الشهداء، وفي الكبرى (٢/ ٤٣٢-٤٣٣)، وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٤٥)، والطحاوي في شرح معاني الآثار برقم(٢٨٩١)، والطبراني في الكبير (٧/ ٣٢٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٩٥-٥٩٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٥-١٦).

قال الألباني: «وإسناده صحيح، رجاله كلهم على شرط مسلم ما عدا شداد بن الهاد لم يخرج له شيئا، =

وجه مطابقة الترجمة للحديث واضح في الدلالة على إثبات أن الله تعالى يقابل صدق عبده في العمل بأن يصدقه في الثواب والأجر.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إن تصدق الله**). أي: «إن كنت صادقًا فيما تَقول وتعاهد اللهَّ عليه»[(١)].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**يصدقك**). أي «يجزك على صدقك بإعطاء ما تريدهُ»[(٢)].

فإن هذا العبد لما صدق الله تعالى في اتباعه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل أن يموت شهيدا في سبيل الله، ومع ذلك هو لا يريد شيئا من متاع الدنيا؛ بل يؤم متاعا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، صدقه الله تعالى بأن قضى له مراده في الدنيا بالشهادة حيث تمنى، وهو سبحانه ذو الفضل والكرم والإحسان يوفي له موعوده بالجنان يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾[الزمر: ٧٤].

وها هي ذي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها لما صدقت الله تعالى وصبرت على ما اتهمت به من الإفك، جازاها الله على صدقها بأن صدَّقها فأنزل براءتها في سورة تتلى إلى يوم القيامة.

ومثلها كعب بن مالك رضي الله عنه الذي صدَق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحديث مع أنه أُوتي جدلا حيث قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنْ

=

ولا ضير، فإنه صحابي معروف». أحكام الجنائز ص(٦١). وينظر: صحيح الجامع (٣٧٥٦)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١١٧-١١٨).

(١) حاشية السندي على النسائي (٤/ ٣٦٢).

(٢) نفس المصدر (٤/ ٣٦٢).

سأخرجُ من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثَ كذب ترضى به عني ليوشكنَّ الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديثَ صدقٍ تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله»(١)، فصدَّقه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنظره إلى أن يقضي الله فيه أمرا، فبعد مدة جاء التصديق من الله تعالى بالتوبة عليهم وأنهم لما صدقوا الله تعالى صدقهم وما خيبهم فقال كعب بن مالك بعدها: «يا رسول الله! إن الله إنما نجَّاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت»(٢).

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه البخاري برقم (٤٤١٨) كتاب المغازي. باب: حديث كعب بن مالك. ومسلم برقم (٢٧٦٩) كتاب التوبة. باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

(٢) قطعة من الحديث السابق تخريجه.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

يستفاد من المطلب الأول أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل صدق عبده في العمل بأن يصدقه في الجزاء، ويوفيه إياه كاملا غير نقصان. فهو سبحانه موصوف بالصدق في وعده لأوليائه بالجنان، وفي حديثه وقيله. قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[النساء: ٨٧]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[النساء: ١٢٢]. وموصوف بالصدق في أخباره قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[الأنعام: ١١٥].

فالصدق وصف ذاتي لازم له سبحانه، ومن أفراد هذا الصدق نوع خاص بمن صدق الله تعالى في قصده فقابله وجزاه به بأن قضى له مراده، وأنجز له موعوده.

وقد جاء في تفسير اسم الله المؤمن بأنه المصدق(١)؛ لأنه إذا وعد صدق وعده(٢).

وقد بين **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ كيف يكون العبد صادقا مع الله تعالى حتى ينتفع بصدقه، حيث قال: «ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربَّه في جميع أموره، مع صدق العزيمة، فيصدقه في عزمه وفي فعله، قال تعالى ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾[محمد:٢١]. فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل. فصدق العزيمة جمعُها وجزمُها وعدمُ التردُّدِ فيها، بل تكون عزيمةً لا يشوبُها تردُّدٌ ولا تلوُّمٌ، فإذا صدقتْ عزيمتُه بقي عليه صدقُ الفعل، وهو استفراغُ الوسع وبذلُ الجهد فيه وأن لا يتخلّف عنه بشيء من ظاهره وباطنه، فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة، وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور، ومن صدق الله في جميع أموره، صنع الله له فوق ما يصنع لغيره، وهذا الصدق معنى يلتئم

(١) جامع البيان للطبري (٢٣/ ٣٠٤). وينظر: معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٣٦٩).

(٢) ينظر: التوحيد لابن منده ص(٣٠٨). والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٥).

من صحة الإخلاص وصدق التوكُّل، فأصدق الناس من صح إخلاصه وتوكله»[(١)].

وقد ثبتت هذه الصفة لله تعالى من غير مقابلة. قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران: ٩٥].

وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾[الفتح: ٢٧].

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[الأنبياء: ٩]. وقال على لسان أهل الجنة: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[الزمر: ٧٤].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا قفل من غزوٍ أو حجٍّ أو عمرةٍ يكبِّر على كل شَرَفٍ من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. آيبون، تائبون، عابدُون، ساجدُون، لربِّنا حامِدون، **صدَقَ الله** وعدَه، ونَصَرَ عبدَه، وهَزَمَ الأحزابَ وحْدَه»[(٢)].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلا أتى النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه عسلا»، ثم أتى الثانية، فقال: «اسقه عسلا» ثم أتاه الثالثة، فقال: «اسقه عسلا» ثم أتاه فقال: قد فعلت، فقال: «**صدق الله** وكذب بطن أخيك اسقه عسلا» فسقاه فبرأ[(٣)].

---

(١) الفوائد ص (٢٣٥).

(٢) رواه البخاري (١٧٩٧). كتاب العمرة. باب: ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو. ومسلم برقم (١٣٤٤). كتاب الحج. باب: ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره.

(٣) رواه البخاري برقم (٥٦٨٤). كتاب الطب. باب: الدواء بالعسل. ومسلم برقم (٢٢١٧). كتاب =

فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله صادق في خبره في كون العسل فيه شفاء للناس، وصدق عباده حين أخبرهم بأنه شفاء. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٦٩].

وفي الحديث« إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وأن بقاء الداء ليس لِقصور الدواء في نفسه، ولكنّ لكَذِب البطن، وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمَره بتكرار الدواء لكثرة المادة»[(١)].

=

السلام. باب: التداوي بسقي العسل.

(١) زاد المعاد لابن القيم (٤/ ٣٥).

المبحث الثالث: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[الرعد: ١١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنفال: ٥٣].

وجه مطابقة الآيتين للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل تغيير بني آدم ما بأنفسهم بأن يغير عليهم ما هم فيه. فإذا غيروا ما هم عليهم غيَّرَ الله عليهم جزاء وفاقا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾.

يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « إن الله لا يغيِّر ما بقوم من عافية، ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك، بظلم بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض، فتحلّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره»(١).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ﴾ من النعمة والإحسان ورغد العيش ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها.

وكذلك إذا غيَّر العبادُ ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غيَّر الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة»(٢).

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٣٨٢-٣٨٣).

(٢) تيسير كريم الرحمن(٤/ ٩٤).

وقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾. قيل «نعمة الله: محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنعم الله بها على قريش، فكفروا ونقله إلى الأنصار»[١].

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يسلبهم إلا إذا غيَّروا ما في أنفسهم بالمعاصي والذنوب فلا يجزى بالسيئات إلا من فعل السيئات، ولا يوقع النقم و يسلب النعم إلا من أتى بالسيئات المقتضية لذلك، كما فعل بمن خالف رسله من جميع الأمم»[٢].

أما الغاية المستفادة من (حتى) فهي لانتفاء تغيير نعمة الله على الأقوام هي غاية متسعة، لأن الأقوام إذا غيروا ما بأنفسهم من هدى؛ أمهلهم الله زمنا ثم أرسل إليهم الرسل، فإذا أرسل إليهم الرسل، فقد نبههم إلى اقتراب المؤاخذة، ثم أمهلهم مدة لتبليغ الدعوة والنظر، فإذا أصرُّوا على الكفر، غَيَّر نعمتَه عليهم بإبدالها بالعذاب أو الذل أو الأسر[٣].

---

(١) جامع البيان للطبري(١٤/ ٢٠)، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٨)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٣٦٩)، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٦).

(٢) جامع الرسائل (١/ ١٣٤).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور(١٠/ ٤٥).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآيتين.

وبعد الوقوف على كلام المفسرين نخلص إلى أن الله ﷻ يقابل تغيير عبادِه ما هم عليه من الكفر إلى الإيمان ومن المعصية إلى الطاعة، أو العكس، بأن يغيِّرَ عليهم الحال التي هم عليها، وتغيير الله تعالى عليهم من الصفات الفعلية الاختيارية.

«فأخبر الله تعالى أنه لا يغيِّر نعمتَه التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغيِّرُ ما بنفسه، فيُغيُّر طاعةَ الله بمعصيتِه، وشكرَه بكفرِه، وأسبابَ رضاه بأسبابِ سخطهِ، فإذا غَيَّرَ غُيِّرَ عليه، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد. فإن غيَّر المعصيةَ بالطاعةِ غيَّرَ الله عليه العقوبةَ بالعافيةِ والذلَّ بالعزِّ»[1].

وقد أضيفت هذه الصفة لله تعالى من غير مقابلة في اللفظ. فعن أبي رزين[2] ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ضحك ربُّنا من قُنُوط عبدِه وقرب **غِيَرِه** » قال، قلت: يا رسول الله أوَ يضحكُ الربُّ ﷻ؟، قال: « نعم»، قال: لن نعدم من ربٍّ يضحك خيرا[3].

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم ص(٩٥).

(٢) هو لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر العامري أبو رزين العقيلي وافد بني المنتفق. . ينظر: الإصابة لابن حجر (٣/ ١٧٢٩).

(٣) رواه ابن ماجه برقم (١٨١). في المقدمة. باب: فيما أنكرت الجهمية، والطيالسي المسند(١١٨٨)، وأحمد برقم (١٦١٨٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٥٤)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٠٧)، والدارقطني في كتاب الصفات ص(٤٦).

حسنه ابن تيمية في الواسطية (١٠٣) عليه شرح محمد بن إبراهيم.

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٨٧): « هذا إسناد فيه مقال. وكيع ذكره ابن حبان في الثقات وذكره الذهبي في الميزان وباقي رجال الإسناد احتج بهم مسلم».

وحسنه الألباني ينظر: ظلال الجنة ص(٢٢٧)، والصحيحة (٢٨١٠).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعنى أنه سبحانه يَعْجَبُ من قنوط عباده عند احتباس القطر عنهم، وقنوطهم ويأسهم من الرحمة، وقد اقترب وقت فرجه ورحمته لعباده بإنزال الغيث عليهم، وتغيره لحالهم وهم لا يشعرون»[1].

(١) جامع العلوم والحكم ص (٤٣٨).

المبحث الرابع: إن تنصروا الله ينصركم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[محمد: ٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: ٤٠].

وقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ **نَصَرَ** أخاهُ بِظَهْرِ الغيبِ، **نَصَرَه الله** في الدنيا والآخرة»[١].

وجه مطابقة شواهد المبحث واضح في الدلالة على أن الله تعالى يقابل نصر أوليائه له بنصرته لهم على أعدائه و أعدائهم.

ونصر: النون والصاد والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على إتيان خَيرٍ وإيتائه. ونَصَر اللهُ المسلمين: آتاهمُ الظّفَرَ على عدوِّهم[٢].

---

(١) فهو مروي عن جابر وأنس وعمران بن حصين رضي الله عنهم. فأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت برقم (٢٤٤)، وفي كتاب الغيبة والنميمة برقم(١٠٩)، والبزار في المسند (٩/ ٣١)، و(٩/ ٧٧)، والدينوري في المجالسة برقم (١٤١٢)، والطبراني في الكبير برقم (١٨/ ١٥٤)، وفي مكارم الأخلاق (١٣٥)، والقضاعي في الشهاب برقم(٤٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦٨)، وشعب الإيمان (١٠/ ١٠٢).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٥٢٧)« رجاله رجال الصحيح».

وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٢١٧).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٣٥).

فقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: «إن تعينوا الله ورسوله حتى يُوَحَد»[١].

وقيل: «بنصركم رسوله محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أعدائه من أهل الكفر به، وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العليا»[٢].

وقيل: «أي إن تنصروا دين الله»[٣].

وقيل: «فيه حذف مضاف، أي دين الله ورسوله، والمعنى: تنصروه بجدكم و اتباعكم وإيمانكم»[٤].

وقيل: «أي دينه ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا على أن الكلام على تقدير مضاف؛ بل على أن نصرة الله فيه تجوز في النسبة، فنصرته سبحانه نصرة رسوله ودينه إذ هو جل شأنه وعلا المعين الناصر وغيره سبحانه المعان المنصور»[٥].

وقوله تعالى: ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ أي: «يمددكم الله بنصره ومعونته»[٦].

وبالجملة «هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبِّر أجسامهم على ذلك، ويعينهم

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٣٥).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٢/ ١٦٠). وينظر: معالم التنزيل للبغوي (٧/ ٢٨١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٩/ ٢٥٢)، و(١٤/ ٤١٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٩/ ٢٥٢). وينظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٢).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ١١٢). وينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٩/ ٤٦٣).

(٥) روح المعاني للألوسي (١٣/ ٢٠٠). وينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٦/ ٨٥).

(٦) تفسير السعدي (٣/ ٢٣٥).

علىٰ أعدائهم، فهذا وَعدٌ من كريمٍ صادقِ الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره»(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾. أي: « وليعيننّ الله من يقاتل في سبيله، لتكون كلمته العليا علىٰ عدوّه؛ فنصْر الله عبده: معونته إياه، ونصر العبد ربه: جهاده في سبيله، لتكون كلمته العليا»(٢).

ولذلك فقد «وعد الله بالنصر من ينصره وعدا مؤكدا بمؤكدات لفظية ومعنوية، أما المؤكدات اللفظية فهي القَسَم المقدَّر؛ لأنّ التقدير: والله لينصرنَّ الله مَنْ ينصرُه، وكذلك اللام والنون في (وَلَيَنصُرَنَّ) كلاهما يفيد التوكيد، وأمّا التوكيد المعنوي ففي قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ فهو سبحانه قَويٌّ لا يضْعُف، وعزيز لا يُذَلُّ، وكلُّ قوةٍ وعزةٍ تُضَادُّهُ ستكونُ ذُلاً وضعفاً»(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٧/ ٦٦).

(٢) جامع البيان للطبري (١٨/ ٦٥١).

(٣) مجالس شهر رمضان لابن عثيمين ص (٢٢٩). وينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧/ ٢٧٩).

المطلب الثاني: ما يستفاد من المطلب الأول.

وبعد وقوفنا على ما سبق من تفاسير أهل العلم على الآيتين نخلص إلى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقابل نصر أوليائه له - وذلك بنصر كتابه ونبيه ودينه- بأن ينصرهم على أعدائهم.

ونصر الله ﷻ المطلق لعباده ولأوليائه هو خلق ما يغلب به العدو[1]، وإمدادهم بمعونته، ويكون حسيا ومعنويا:

فأما الحسي: فيكون بمدده لهم بجند من عنده كما نصر المؤمنين يوم بدر بأن مدهم بالملائكة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[آل عمران: ١٢٣، ١٢٦].

وبإصابة وجوه المشركين بالحصيات التي رماها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجوههم « إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفا من الحصا إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين إلا ويصيبها منه شيء»[2]. وما ذاك إلا نصرة من الله تعالى لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما نصره المعنوي: وذلك بإيتائهم الشجاعة والإقدام وإلقاء ذلك في قلوبهم، وإنزال الطمأنينة والسكينة عليهم﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦].

وبغشيانهم بالأمنة والنعاس: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١].

---

(١) ينظر: الاستقامة لابن تيمية (٢٠٤).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٠٦).

فهو النصير سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. قال جلَّ سلطانه: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴾[النساء: ٤٥]. أي: «ينصرهم علىٰ أعدائهم ويبين لهم ما يحذرون منهم ويعينهم عليهم. فولايته تعالىٰ فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر»(١).

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ينصر عباده المؤمنين ابتداء من غير مقابلة كما في قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾[التوبة:٤٠].

وقال جلّ شأنه: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾[الحج: ١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الروم: ٥].

وقال: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الروم: ٤٧].

وقوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو: «رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر هدايَ إليَّ، **وانصرني** علىٰ من بغىٰ عليَّ، اللهم اجعلني لك شاكرا، لك ذاكرا، لك راهبا، لك مِطْواعا، إليك مُخبتا، أو منيبا، ربِّ تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، و اهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي»(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢/ ٧٦).

(٢) رواه أبو داود برقم (١٥١٠). كتاب الصلاة. باب: ما يقول الرجل إذا سلم. والترمذي برقم (٣٥٥١). كتاب الدعوات. باب: في دعاء النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. وابن ماجه برقم (٣٨٣٠). كتاب الدعاء. باب: دعاء رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. والبخاري في الأدب المفرد (٦٦٥). =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا إله إلا الله وحده أعز جنده **ونصر** عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده»[١].

ومن استشعار الناس بمعنى الآية قولُ أعرابي دخل المسجد يسأل الناس فقال: «**من نصرني نصره الله**»[٢].

=

وصحح إسناده الألباني. ينظر: ظلال الجنة ص(١٥٥).

(١) رواه البخاري برقم (٤١١٤). كتاب المغازي. باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم برقم (٢٧٢٤). كتاب الذكر والدعاء. باب: التعوذ من شر ما عُمل ومن شر ما لم يعمل.

(٢) ذكره الخطابي في غريب الحديث (١/ ٦٣٠).

المبحث الخامس: من ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **من ردَّ عن عرض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[(١)].

وجه مطابقة الدليل للترجمة ظاهر.

والراء والدال أصل واحد مطرد منقاس، وهو رَجْعُ الشيء[(٢)].

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من ردَّ عن عرض أخيه**) في الدِّين، أي: «ردَّ على من اغتابه وشان من أذاه وعابه»[(٣)]، وقيل: « منع غيبة عن أخيه»[(٤)].

«بل ورد في الحديث أن المستمع للغيبة أحد المغتابين، فمن حضر الغيبة وجب عليه أحد أمور: الرد عن عرض أخيه، ولو بإخراج من اغتاب إلى حديث آخر، أو القيام عن موقف الغيبة، أو الإنكار بالقلب، أو الكراهة للقول، وقد عدَّ بعض العلماء السكوت كبيرة لورود هذا الوعيد، ولدخوله في وعيد من لم يغير المنكر، ولأنه أحد المغتابين حكما وإن لم

---

(١) رواه الترمذي برقم (١٩٣١). كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في الذب عن عرض المسلم. وقال: حديث حسن، وأحمد برقم (٢٧٥٤٣)، وابن أبي الدنيا في الصمت ص(١٥٢)، وكتاب الغيبة والنميمة برقم (١٠٣)، والبيهقي في الشعب (١٠/ ١٠٢)، وصححه الألباني ينظر: صحيح الجامع برقم (٦٢٦٢)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٨٢)، وغاية المرام ص(٢٤٧).

(٢) ينظر مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣٨٦).

(٣) فيض القدير للمناوي (٦/ ١٣٥).

(٤) تحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٣٦).

يكن مغتابا لغة وشرعا»[١].

وقوله ﷺ: «**ردَّ الله عن وجهه النَّار**» أي: أرجع الله عن وجهه نار جهنم، وصرفه عنها.

(١) سبل السلام للصنعاني (٤/ ٥٨٨).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد شرح الحديث نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقابل ردَّ العبدِ عن عرض أخيه المغتاب بأن يردَّ عن وجهه نار جهنم جزاء وثوبا له.

وردُّ الله تعالى النار عن وجه عبده من صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته وإرادته. وهو ارجاعُه النارَ عن وجه عبده يوم القيامة.

وقد أضاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فعل الردَّ لنفسه من غير مقابلة في اللفظ في نصوص كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾[الإسراء: ٦].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين: ٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[القصص: ١٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن عفريتا من الجن جعل يفتك علي البارحة، ليقطع علي الصلاة، وإن الله أمكنني منه فَذَعَتُّهُ، فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون (أو كلكم) ثم ذكرت قول أخي سليمان ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾[ص: ٣٥]. **فَردَّه الله** خاسئا»(١).

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٦١). كتاب: الصلاة. باب: الأسير أو الغريم يربط في المسجد، ومسلم برقم (٥٤١). كتاب المساجد. باب: جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة. واللفظ له.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: **فرد الله إليه عينه...**»[١]. الحديث.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل: **لا ردَّها** الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا»[٢].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٠٧). كتاب أحاديث الأنبياء. باب: وفاة موسى وذكره بعد. ومسلم برقم (٢٣٧٢). كاب الفضائل. باب: فضائل موسى عليه السلام. واللفظ له.

(٢) رواه مسلم برقم (٥٦٨). كتاب المساجد. باب: النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد.

الفصل الخامس

ما جاء في باب:

الإعانة

الإعتاق

الإنفاق

الإفساح

البناء

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: من أعان أخاه أعانه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «... **وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**...»[(١)].

فدلالة مطابقة الحديث للترجمة واضح في إثبات أن الله سبحانه وتعالى يقابل من أعان أخاه فيما يحتاج إليه بأن يعينه جزاء له.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «(والله في عون العبد) أي: إعانته وتسديده (ما كان العبد) أي: مدة دوام كون العبد (في عون أخيه) أي: إعانة أخيه بقلبه، أو بدنه، أو ماله أو غيرها»[(٢)]، والعبد إذا عزم على معاونة أخيه ينبغي أن لا يجبن عن إنفاذ قولٍ، أو صدعٍ بحقٍ إيماناً بأن الله تعالى في عونه [(٣)].

وهو يدل على أن الله يتولى عونه في حاجة العبد التي يسعى فيها، وفي حوائج نفسه، فينال من عون الله ما لم يكن يناله بغير إعانته، وإن كان تعالى هو المعين لعبده في كل أموره، لكن إذا كان في عون أخيه زادت إعانة الله، فيؤخذ منه أنه ينبغي للعبد أن يشتغل بقضاء حوائج أخيه فيقدمها على حاجة نفسه لينال من الله كمال الإعانة في حاجاته [(٤)].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩). في كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر.

(٢) دليل الفالحين للصديقي (٣/ ١٩).

(٣) ينظر: شرح الأربعين النووية لابن دقيق ص (١٢٧).

(٤) ينظر: سبل السلام للصنعاني (٤/ ٤٩٩-٥٠٠).

وهو إشارة إلى أن المكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما لدفع المضار أو جذب المنافع، إذ لكلٍ عونٌ[(١)].

وقد ثبت ما دل عليه الحديث من التعاون، والقيام على قضاء حوائج الإخوان، وأن الله تعالى يكون في قضاء حاجته في حديث ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته...»[(٢)]. أي: أعانه عليها[(٣)].

ومعلوم أن هذه الإعانة مقيدة بباب البرِّ والخير، لا مطلق المعاونة.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[المائدة: ٢].

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٩/ ١٦٩).

(٢) سبق تخريجه ص(١٣٠).

(٣) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٢٥).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

يستفاد من الحديث إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل إعانة العبد لأخيه المسلم فيما ينوبه من الحوائج بأن يعينه في قضائها وفي قضاء حوائجه هو، فإن العبد المسلم إذا قام على إعانة إخوانه فهو يتلقى العون من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيما يسعى إليه من قضاء حوائج إخوانه، وفي قضاء حوائج نفسه.

يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:: « فإن إعانة الله لعبده على عبادته تكون بأمور لا يقدر عليها غيره، مثل جعل العلم والهدى في القلب، وجعل الإرادة والطلب في القلب، وخلق القوى الباطنة والظاهرة، موضع بناء الأسباب المنفصلة التي بها تحصل العبادة، ومعونة الإنسان لغيره إنما هي بفعله القائم في محل قدرته، وهي شيء لا يخرج عنه»[(١)].

وقد أخبرنا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن نفسه على لسان رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه موصوف بإعانة عبيده من غير مقابلة باللفظ وإن لم يكن منهم إعانة على حوائج إخوانهم، ليدل على عظيم كرمه وجوده وإحسانه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فعن ميمونة زوج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنها استدانت فقيل لها: يا أم المؤمنين تستدينين وليس عندك وفاء؟ ، قالت: إني سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «من أخذ دَينا وهو يريد أن يؤديه، **أعانه** الله عَزَّوَجَلَّ »[(٢)].

---

(١) الاستغاثة لابن تيمية ص(٢١٦).

(٢) رواه النسائي برقم (٤٦٨٧). كتاب البيوع. باب: التسهيل فيه، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٤٣٢)، وفي الأوسط برقم (٨٢٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٢٩)، وصحيح الجامع (٥٩٨١).

وعن عائشة أنها سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من كان عليه دين ينوي أداءه، **كان معه من الله عونٌ**، وسبَّب الله له رزقا»[(١)].

بل إن العبد لا يتمكن من القيام بأي عمل كان، سواء كان عبادة أو غيرها، إلا بإعانة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له وهي تحقيق مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥].

يقول **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففيها سرُّ الخلقِ والأمر، والدنيا والآخرة، وهي متضمنة لأجلِّ الغايات، وأفضل الوسائل، فأجلُّ الغايات عبوديتُه، وأفضلُ الوسائل إعانته، فلا معبود يستحق العبادة إلا هو، ولا معين على عبادته غيره، فعبادته أعلى الغايات، وإعانته أجل الوسائل»[(٢)].

وقال: «ولما كان حرص الإنسان وفعله؛ إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه، أمره أن يستعين به، ليجتمع له مقام إياك نعبد وإياك نستعين، فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله ولا تتم إلا بمعونته، فأمره بأن يعبده وأن يستعين به»[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٦٠٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٢٢).

(٢) الصلاة وحكم تاركها (٣٥١).

(٣) شفاء العليل لابن القيم (١/ ٢٣١).

المبحث الثاني: من أعتق رقبة مؤمنة أعتقه الله من النار. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ أَعْتَقَ** رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، **أَعْتَقَ الله** مِنْهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْ النَّارِ، حَتَّى يَعْتِقَ فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ»[١].

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله ﷻ يقابل عتق العبد لأخيه المؤمن من رق العبودية بأن يعتقه من نار جهنم يوم القيامة.

والعِتْق المراد به هنا: «خِلافُ الرِّقِّ، وهو الحُرِّيَّةُ»[٢].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من أعتق رقبة مؤمنة**) أي: «المراد الرقبة المسترقة التي يراد فكها بالعتق، وخصها بالمؤمنة لا لإخراج الكافر؛ بل تنويها بزيادة فضل عتق المؤمن هكذا قاله البعض، لكن أخذ بعضهم بالمفهوم فقال: لا ينكر أن في عتق الكافر فضلا لكن لا يترتب عليه ذلك»[٣]، «ولكن عتق المؤمن أفضل لأن العتق يخلصه لعبادة الله سبحانه، ويسقط عنه حقوق السيد التي تشغله عن جملة من حقوق الله»[٤]. «وهذا مقيد لباقي الروايات المطلقة فلا يستحق الثواب المذكور إلا من أعتق رقبة مؤمنة»[٥].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أعتق الله**) أي: فك الله بكل عضو منه عضوا من النار، وهذا

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٧١٥) كتاب كفارات الأيمان، باب: قول الله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩]، وأي الرقاب أزكى؟ ، ومسلم برقم (١٥٠٩) كتاب العتق، باب: فضل العتق.

(٢) تاج العروس للزبيدي (٢٦/ ١١٥-١١٦).

(٣) فيض القدير للمناوي (٦/ ٧٤).

(٤) عارضة الأحوذي لابن العربي (٦/ ٢٦).

(٥) تحفة الأحوذي للمباركفوري (٥/ ١٠٤).

نظير قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣]

وهو مروي كذلك في الحديث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أيما امرئ مسلم أعتق أمرأ مسلم كان فكاكه من النار »[١].الحديث.

وقد ورد في بعض الروايات تفسير هذا الإعتاق المضاف إلى الله تعالى بأنه استنقاذٌ للعبد من النار فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلما **استنقذ الله** بكل عضو منه عضوا منه من النار»[٢].

«ونص على الفرج لكونه محل أكبر الكبائر بعد الشرك والقتل. وأخذ منه ندب إعتاق كامل الأعضاء تحقيقا للمقابلة»[٣]. ولذلك «كان بعض أهل العلم يستحب أن لا يكون العبد الذي يعتقه خصيا لينال بعتقه الموعود في الحديث»[٤].

وفي هذا الحديث بيان فضل العتق وأنه من أفضل الأعمال، ومما يحصل به العتق من النار، ودخول الجنة[٥]. «وفيه أن المجازاة قد تكون من جنس الأعمال؛ فجوزي المعتِق للعبد بالعتق من النار»[٦].

---

(١) رواه أبوداود برقم(٣٩٦٧). كتاب العتق. باب: أي الرقاب أفضل. و وابن ماجه برقم (٢٥٢٢). كتاب العتق. باب: العتق. وأحمد رقم(١٨٠٨٨). وصححه الألباني: انظر: صحيح الجامع برقم (٢٧٠٠)، والصحيحة برقم (٢٦١١). من حديث كعب بن مرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري برقم(٢٥١٧). كتاب العتق. باب: في العتق وفضله، ومسلم برقم(١٥٠٩). كتاب العتق. باب: فضل العتق.

(٣) فيض القدير للمناوي (٦/ ٧٤).

(٤) شرح السنة للبغوي (٩/ ٣٥٢).

(٥) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٥/ ١٢٨)، وشرح مسلم للنووي (١٠/ ١٥١).

(٦) عمدة القاري للعيني (١٣/ ١١٣).

المطلب الثاني ما يستفاد من الحديث.

وبعد بيان ما سبق من شرح أهل العلم للحديث نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقابل عتق العبد لأخيه المؤمن من رقِّ العبودية بأن يعتقه من نار جهنم يوم القيامة، وهو عتقٌ واستنقاذٌ وفكاك خاص بمن أعتق، وإلا فإن فضل الله تعالى على عباده لا حصر له، فهو سبحانه يعتق من يشاء من النار وإن لم يعتق هو، كما هو الحال يوم عرفة فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتفضل بعتق من يشاء من النار في هذا اليوم، وكذلك يوم القيامة فهو يخرج من يشاء من نار جهنم عتقا لهم واستنقاذا، وهم من جاء وصفهم في الحديث بعتقاء الله.

فعن عائشة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء»[(١)].

وعنها أيضا أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو **أعتقها** بها من النار»[(٢)].

وكذلك ما ورد في الحديث الطويل الذي يصف أهوال يوم القيامة. وفيه «...فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء **عتقاء الله** الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه...»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه ص(١٠٣).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٣٠). كتاب البر والصلة والآداب. باب: فضل الإحسان إلى البنات.

(٣) رواه مسلم برقم (١٨٣). كتاب الإيمان. باب: معرفة طريق الرؤية. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

المبحث الثالث: من أنفق أنفق الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قال الله: **أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[(١)].

وعن عياض بن حمار المجاشعي[(٢)] رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إنَّ ربِّي أمرَني أن أعلِّمكُم ما جهلتُم ممّا علَّمني يومي هذا،... وإنَّ الله أمرني أن أُحَرِّقَ قُريشا، فقلت: رب إذا يَثْلَغُوا[(٣)] رأسي فيدعوه خُبْزَة، قال: اسْتَخْرِجْهم كما استَخْرَجُوك، واغْزُهُم نُغْزِكَ، **وأنفقْ فسننفقْ عليك**، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك،...»[(٤)].

وجه مطابقة الحديثين للترجمة ظاهر في الدلالة على إثبات على أن الله تعالى يقابل نفقة عبده في سبيل الله بأن ينفق عليه نفقة خاصة، جزاء من جنس عمله.

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٣٥٢) كتاب النفقات. باب: فضل النفقة على الأهل، ومسلم برقم(٩٩٣) كتاب الزكاة. باب: الحثِّ على النفقة وتَبشيرِ المُنفق بالخَلَفِ.

(٢) هو عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي المجاشعي، سكن البصرة. ينظر: الإصابة لابن حجر (٢/ ١٣٩٦)

(٣) الثاء واللام والغين كلمة واحدة، وهو شدخ الشيء، يقال: ثلغت رأسَه أي شدخته. ينظر: مقاييس اللغة لان فارس (١/ ٣٨٦).

(٤) رواه مسلم برقم (٢٨٦٥). كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أنفق):** «بفتح الهمزة وكسر الفاء مجزوم علىٰ الأمر، أي: علىٰ عباد الله، وفي ترك تقييد النفقة بشيء معين ما يرشد إلىٰ أن الحث علىٰ الإنفاق يشمل جميع أنواع الخير»[١]. والمعنىٰ: «أن الله سبحانه وتعالىٰ أمر عبده أن ينفق في المصالح الخيرية، والمشاريع الحيوية، مما أنعم الله عليه، وجعله حاكمًا عليه، وتحت يده من نقدٍ، أو عرض تجارة، أو غير ذلك مما يحوزه الإنسان، ويملكه؛ لأن المال كله من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، رزقه عبده ليصرفه في منافع المسلمين إذا زاد عن كفايته، وكفاية من يلزمه نفقته شرعًا، أخذًا من أدلة أخرىٰ معلومة مقيدة بذلك، ولا ريب أن الإنفاق علىٰ الأهل والأقارب غير اللازمة نفقتهم أولىٰ، وأفضل من النفقة علىٰ غيرهم، والأفضل والأحرىٰ صرف المال علىٰ الفقراء والمساكين المتمسِّكين بشعائر دينهم من صلاة، وصيام، وزكاة، وغير ذلك من فرائض الإسلام، وأركانه، وواجباته، ولأن تقديمهم بذلك لذلك أردعُ لغير المتمسِّكين، وأرغب لهم في التمسك لذلك، ويراعىٰ في ذلك ما كان نفعه أعم، وفائدته أشمل، وثمرته أعظم»[٢].

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أنفق عليك)**. بضم الهمزة وكسر الفاء مجزوم جواباً بصيغة المضارع، أي: أعطك خَلَفَهُ[٣].

وهذا المعنىٰ الذي دلَّ عليه الحديث، جاء مقرَّرا في كثير من النصوص الشرعية منها قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[سبأ: ٣٩]. أي يعطيكم خلفا عنه[٤].

(١) عمدة القاري للعيني (٢٥/ ٢٤٠).

(٢) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية لمحمد منير النقلي ص(١٠٦).

(٣) ينظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين(٣/ ٤٠١).

(٤) ينظر: نفس المصدر.

وهذه إشارة إلى الخلَف في الدنيا بمثل المنفَق فيها؛ إذا كانت النفقة في طاعة الله. وقد لا يكون الخلَفُ في الدنيا؛ فيكون كالدعاء، سواء في الإجابة أو التكفير أو الادخار؛ والادخار ها هنا مثله في الأجر[1].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٣٢٤-٣٢٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

مما يستفاد من المطلب الأول أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل نفقة عبده في وجوه الخير بأن ينفق عليه نفقة خاصة جزاء له على فعله، وهي صفة فعلية اختيارية متعلقة بإرادته ومشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد أضيفت هذه الصفة لله تعالى من غير مقابلة كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة: ٦٤]. أي: «يرزق كيف يشاء»[١]. «بل هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه، وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه، في ليلنا ونهارنا، وحضرنا وسفرنا، وفي جميع أحوالنا»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « يد الله ملأى لا يغيضها[٣] نفقة، سحاء[٤] الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما **أنفق** منذ خلق السموات والأرض؛ فإنه لم يغض ما في يده. وقال: عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[٥].

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد إخراجه للحديث: « هذه أخبار أطلقت من هذا النوع توهم من لم يحكم صناعة العلم أن أصحاب الحديث مشبهة، عائذ بالله أن يخطر ذلك ببال أحد

---

(١) ينظر جامع البيان للطبري (١٠/ ٤٥٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٠).

(٣) أي: لا ينقصها. ينظر: شرح السنة للبغوي (٦/ ١٥٥).

(٤) أي: دائمة الصب. ينظر: شرح السنة للبغوي (٦/ ١٥٥).

(٥) رواه البخاري برقم (٧٤١١). كتاب التوحيد. باب: قول الله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. ومسلم برقم (٩٩٣). كتاب الزكاة. باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

من أصحاب الحديث، ولكن أطلق هذه الأخبار بألفاظ التمثيل لصفاته علىٰ حسب ما يتعارفه الناس فيما بينهم دون تكييف صفات الله، جلَّ ربُّنا عن أن يُشبَّه بشيء من المخلوقين، أو يكيَّف بشيء من صفاته، إذ ليس كمثله شيء»[(١)].

وهذه الصفة ثابت معناها لله تعالىٰ بألفاظ أخرىٰ: كالرِزْق، والخَلَف. فهو يرزق عباده ابتداء، ويخلف لهم عوضا عما أنفقوه خيرا منه أضعاف مضاعفة.

قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٣٧].

وقال سبحانه ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[الشورىٰ: ١٩].

وقال جلَّ شأنه ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[سبأ: ٣٩].

وعن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبتي و**أخلف** لي خيرا منها، إلا **أخلف الله** له خيرا منها».

قالت: «فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم إني قلتها. **فأَخْلَفَ الله** لي رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»[(٢)].

---

(١) في الصحيح (٢/ ٥٠٤-٥٠٥).

(٢) سبق تخريجه ص(١٤٧).

المبحث الرابع: من تفسح في المجلس فسح الله له. وفي مطلبان.

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾[المجادلة:١١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «لا يُقِيمُ الرجلُ الرجلَ من مجلسه؛ ولكن **افسحوا يفسح الله** لكم»[(١)].

وجه مطابقة الأدلة للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل من تفسح لإخوانه في المجلس بأن يفسح له مثوبة له وجزاء.

والتفسُّح هو التوسع. فـ«الفاء والسين والحاء كلمة واحدة تدل على سَعَةٍ واتساع. من ذلك الفسيح: الواسع. وتفسحتُ في المجلس، وفسَّحتُ المجلسَ»[(٢)].

فقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ ﴾.

أي: فوسعوا[(٣)]. «والتفسيح المأمور به هو التوسع دون القيام»[(٤)].

وقوله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾: «يوسع الله منازلكم في الجنة»[(١)].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ١٤٠)، وأحمد (٨٤٦٢). و(١٠٢٦٦) وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٦٠): « رواه أحمد، ورجاله ثقات»، وصححه الألباني ينظر: الصحيحة (٢٢٨)، و صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٨٣).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٥٠٣). وينظر: المفردات للراغب ص (٣٧٩).

(٣) جامع البيان لابن جرير (٢٣/ ٢٤٥)، والهداية لمكي بن أبي طالب (١١/ ٧٣٦٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤/ ٣٤٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٣١٦).

(٤) التسهيل لابن جزي (٢/ ٤٢٢).

وقيل: « في قبوركم. وقيل: في قلوبكم. وقيل: يوسع عليكم في الدنيا والآخرة»(٢).

و«هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسُّح له في المجلس، فإنَّ من الأدب أنْ يفسحوا له تحصيلا لهذا المقصود.

وليس ذلك بضارٍّ للجالس شيئا، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسَّح فسَّح الله له، ومن وسَّع لأخيه، وسَّع الله عليه»(٣).

=

(١) جامع البيان لابن جرير (٢٣/ ٢٤٥)، والهداية لمكي بن أبي طالب (١١/ ٧٣٦٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤/ ٣٤٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٨/ ١٩٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٣١٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن السعدي (٧/ ٣١٦).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الدليلين.

وبعد بيان ما سلف نخلص إلى إثبات أن الله تعالى يقابل تفسُّح العبد لأخيه في المجالس، بأن يفسح له في كل ما يحتاج فيه إلى تفسُّحٍ جزاء من جنس عمله.

ومما ورد بمعنى التفسح: التوسع؛ فعن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ وَسَّعَ** عَلَى مَكْرُوبٍ كُربة فِي الدُّنْيَا، **وَسَّعَ الله** عَلَيْهِ كُربة فِي الْآخِرَةِ...»[1]. الحديث.

وقد أضاف الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ التوسيع لنفسه من غير مقابلة في اللفظ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات: ٤٧]. . وقال تعال: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾[الأنعام: ٨٠].

وكذلك ما جاء في حديث أبي هريرةﷺ الطويل وفيه قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «...، ورجل **وسَّع الله** عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها...»[2]. الحديث.

وتوسيع الله تعالى على عباده هو من آثار اسمه الواسع. قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[البقرة: ١١٥]. وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[البقرة: ٢٤٧].

قال التيمي رَحِمَهُٱللَّهُ: «الواسع: وسعت رحمته الخلق أجمعين. وقيل: وسع رزقه الخلق أجمعين، لا تجد أحداً إلا وهو يأكل رزقه، ولا يقدر أن يأكل غير ما رزق»[3].

---

(١) رواه أحمد برقم (٧٧٠١). وصححه الأرنؤوط.

(٢) رواه مسلم برقم (١٩٠٥). كتاب الإمارة. باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

(٣) الحجة (١/ ١٦٢).

المبحث الخامس: من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة.

وفيه مطلبان.

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من بنى مسجدا**» قال بكير: حسبت أنه قال: « يبتغي به وجه الله **بنى الله له** مثله في الجنة»(١).

وجه المطابقة بين الترجمة والحديث ظاهر.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من بنى مسجدا**) أي: «من بنى مسجدا خالصا لله»(٢)، وسواء بناه بنفسه أو بُنِيَ له بأمره. (مسجدا) أي محلا للصلاة يعني وقفه لذلك، ونَكَّرَهُ ليشيع فيشمل الكبير والصغير، وإطلاق البناء غالبيٌّ، فلو مَلَكَ بقعةً لا بناء بها، أو كان يملكه بناءً فوقَفَهُ مسجداً صحَّ نظرا للمعنى(٣).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**يبتغي به وجه الله**) فهذا الشرط لا بد منه(٤).

قال **ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبكل حال؛ فالإخلاص شرط لحصول الثواب في جميع الأعمال؛ فإن الأعمال بالنيات، وإنما لامرئ ما نوى، وبناء المساجد من جملة الأعمال، فإن كان الباعث على عمله ابتغاء وجه الله حصل له هذا الأجر، وإن كان الباعث عليه الرياء والسمعة أو المباهاة فصاحبه متعرض لمقت الله وعقابه، كسائر من عمل شيئا من إعمال البر

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٠). كتاب الصلاة. باب: من بنى مسجدا. ومسلم برقم (٥٣٣). كتاب المساجد. باب: فضل بناء المساجد والحث عليها.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٢/ ٣٩٢).

(٣) ينظر: فيض القدير للمناوي (٦/ ٩٥).

(٤) ينظر: فتح الباري لابن رجب (٢/ ٣٩٢).

يريد به الدنيا كمن صلى يرائي، أو حج يرائي، أو تصدق يرائي»[(١)].

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**بنى الله له** مثله في الجنة) أي «أوجد، أو أمر ببنائه»[(٢)]، و«يحتمل مثله في القدر والمساحة ولكنه أنفس منه بزيادات كثيرة، ويحتمل مثله في مسمى البيت وإن كان أكبر مساحة وأشرف»[(٣)].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وأما قوله: (مثله)، فليس المراد أنه على قدره، ولا على صفته في بنيانه، ولكن المراد - والله أعلم - أنه يوسع بنيانه بحسب توسعته، ويُحكَم بنيانُه بحسب إحكامه، لا من جهة الزخرفة، ويُكَمَّلُ انتفاعه بما يُبنى له في الجنة بحسب كمال انتفاع الناس بما بناه لهم في الدنيا، ويَشرُفُ على سائر بنيان الجنة كما تَشرُفُ المساجد في الدنيا على سائر البنيان، وإنْ كان لا نسبة لما في الدنيا إلى ما في الآخرة»[(٤)].

وأما ما جاء في لفظ مسلم بدلَ قوله (مثله)، (بيتا) فتوجيهه أن يقال: «لأن المساجد إنما تبنى بيوتا ثم تعود مساجد بالصلاة فيها، وهي قبل الصلاة فيها بيوتٌ لا مساجدُ، وإن كان الذين بنوها بيوتا أرادوا أن تكون مساجد، فإنها لا تكون كذلك حتى يصلى فيها، فتكون بيوتا مساجد، وإذا كان ذلك كذلك في الدنيا، جاز أن يكون ما يثيب الله عَزَّ وَجَلَّ به من بنى مسجدا في الدنيا أن يبني له في الجنة ثوابا لذلك المسجد ما يراد به ثواب ما بني في الدنيا، وما بني في الدنيا لم يكن مسجدا ببنائه إياه يريد به المسجد حتى صلى المسلمون فيه، وما بنى الله له في الجنة ثوابا عليه ليس مما يصلى فيه في الجنة؛ لأن الجنة ليست بدار عمل،

---

(١) نفس المصدر (٢/ ٣٩٢-٣٩٣).

(٢) حاشية السندي على ابن ماجة (٢/ ١٥٣).

(٣) شرح مسلم للنووي (١٨/ ١١٣). وينظر: الديباج للسيوطي (٦/ ٢٩٠-٢٩١)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٢/ ٢٣٢).

(٤) فتح الباري (٢/ ٣٩١).

وإنما هي دار جزاء، فبقي بعد بناء الله ﷻ إياه له بمثل اسم المسجد الذي بُني في الدنيا قبل صلاة الناس فيه، وهو بيتٌ على ما في الأحاديث الأخر»[١].

(١) بيان مشكل الآثار للطحاوي (٤/ ٢١٥-٢١٦).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد تقرير ما سبق نخلص إلىٰ إثبات أن الله تعالىٰ يقابل بناء العبد للمسجد في الدنيا ابتغاء وجهه تعالىٰ بأن يبني له بيتا في الجنة جزاء ومثوبة له.

والبناء المضاف إلىٰ الله تعالىٰ هو من صفاته الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، المتعلقة بمشيئته وإرادته، وهو من أفراد الخلق الذي اتصف الله تعالىٰ به، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[الأنعام: ١٠٢]. وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[الرعد: ١٦]. وقال جَلَّالَهُ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[الزمر: ٦٢]. ولفظ (شيء) نكرة تفيد العموم، أي كل ما هو مخلوق، فيدخل فيه الجنة وما يُخلق ويوجد فيها.

والبناء يضاف إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ وجهين(١):

الأول: علىٰ وجه المباشرة، ويظهر أن بناء السماء منه.

الثاني: علىٰ وجه الأمر، أي يأمر ملائكته بالبناء، ويظهر أن البناء في الجنة منه.

والنصوص الشرعية لم تفصل بين النوعين، وكلاهما يضاف إلىٰ الله تعالىٰ وتكون فيه المقابلة، فإن العبد قد يباشر البناء بنفسه، وقد يأمر غيره بالبناء، والله جل وعلا يقابله بالجزاء من جنس العمل، والله أعلم.

وقد أضاف الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فعل البناء لنفسه من غير مقابلة في اللفظ بقول تعالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾[ق: ٦]. أي: «لا يحتاج ذلك النظر إلىٰ كلفة وشد رحل، بل هو في غاية السهولة، فينظرون ﴿كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ قبة مستوية

---

(١) أفادنيه شيخنا أ. د. محمد بن عبد الرحمن أبوسيف– حفظه الله–.

الأرجاء، ثابتة البناء، مزينة بالنجوم الخنس، والجوار الكنس، التي ضربت من الأفق إلى الأفق في غاية الحسن والملاحة، لا ترى فيها عيبًا، ولا فروجًا، ولا خلالا ولا إخلالا. قد جعلها الله سقفًا لأهل الأرض، وأودع فيها من مصالحهم الضرورية ما أودع»(١).

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[الذاريات: ٤٧]. أي: «خلقناها وأتقناها، وجعلناها سقفًا للأرض وما عليها»(٢).

وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾[النبأ: ١٢]. أي: «وسقّفْنا فوقكم، فجعل السقف بناء، إذْ كانت العرب تسمي سقوف البيوت - وهي سماؤها - بناءً وكانت السماء للأرض سقفا، فخاطبهم بلسانهم إذ كان التنزيل بِلسانهم»(٣).

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾[النازعات: ٢٧]. أي: «أأنتم أيها الناس أشد خلقا، أم السماء بناها ربكم، فإن من بنى السماء فرفعها سقفا، هَيِّنٌ عليه خلقكم وخلق أمثالكم، وإحياؤكم بعد مماتكم وليس خلقكم بعد مماتكم بأشدّ من خلق السماء. وعني بقوله: (بَناها): رفعها فجعلها للأرض سقفا»(٤).

وقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾[الشمس: ٥]. أي: «والسماء ومَنْ بناها، يعني: ومَنْ خَلَقها، وبناؤه إياها: تصييره إياها للأرض سقفا»(٥).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٧/ ١٤٧).

(٢) نفس المصدر (٧/ ١٧٧).

(٣) جامع البيان للطبري (٢٤/ ١٥٣).

(٤) نفس المصدر (٢٤/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٥) نفس المصدر (٢٤/ ٤٥٣).

ومن السنة ما ثبت عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا، غير فريضة، إلا **بنى الله له** بيتا في الجنة، أو إلا بُني له بيت في الجنة»[(١)].

(١) رواه مسلم برقم (٥٢٨). كتاب الصلاة. باب: فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وبيان عددهن.

الفصل السادس

ما جاء في باب:

الرفق

الذكر

التسليم

الصلاة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من رفق رفق الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم ...، من ولي من أمر أمتي شيئا **فرفق بهم فارفق به**» [(١)].

وكان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يخطب يقول: «إنَّ مِنْ أحبِّ الأمور إلى الله القصد في الجِدَةِ[(٢)]، والعفو في المقدرة، والرفق في الولاية، **وما رفق عبدٌ** بعبد في الدنيا إلا **رفق الله** به يوم القيامة»[(٣)].

وجه مطابقة الدليل للترجمة ظاهر على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقابل رفق العبد بأخيه المسلم بأن يرفق به يوم القيامة، جزاء وفاقا.

والرفق: هو لين الجانب، ولطافة الفعل[(٤)].

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من رفق بأمتي**) أي: «عاملهم باللين والإحسان والشفقة»[(٥)]، قولاً وفعلاً[(٦)].

(١) رواه مسلم برقم (١٨٢٨). كتاب الإمارة. باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم.

(٢) الغنى: ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٠٧).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩/ ٣٣٦)، وهناد في الزهد (٢/ ٦٠٣).

(٤) ينظر: غريب الحديث للحربي (٢/ ٣٥٤). وتهذيب اللغة للأزهري (٩/ ١٠٠).

(٥) فيض القدير للمناوي (٢/ ١٠٧).

(٦) ينظر: دليل الفالحين للصديقي (٥/ ١١٨).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**رفق الله به**) أي: لطف الله به، وهو أثر اسمه تعالى اللطيف. قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

«والحديث دليل على أنه يجب على الوالي تيسير الأمور على من وليهم، والرفق بهم، ومعاملتهم بالعفو والصفح، وإيثار الرخصة على العزيمة في حقهم لئلا يدخل عليهم المشقة، ويفعل بهم ما يحب أن يفعل به الله»(١).

(١) سبل السلام للصنعاني (٤/ ٥٤٧-٥٤٨).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

خلاصة المطلب الأول إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل رفق العبد بأخيه المسلم بأن يرفق به يوم القيامة جزاء له.

ورفق الله تعالى بعباده هو من صفاته الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما تقتضيه حكمته وإحسانه. وهو أثر من آثار اسم الله تعالى الرفيق.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت استأذن رهط من اليهود على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: « يا عائشة إن الله **رفيق** يحب الرفق في الأمر كله»[(١)].

وفي لفظ أخر عنها، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته[(٣)]:

وهو الرفيق يحبُّ أهلَ الرفق بل ... يعطيهمُ بالرفق فوق أمان

فالرفيق مأخوذ من الرفق الذي هو التأني في الأمور والتدرج فيها، وضده العنف الذي هو الأخذ فيها بشدة واستعجال[(٤)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٩٢٧). كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم. باب: إذا عرَّض الذمي وغيره بسبَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولم يصرح، نحو قوله: السام عليكم. ومسلم برقم (٢١٦٥). كتاب: السلام. باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٥٩٣). كتاب: البر والصلة والآداب. باب: فضل الرفق.

(٣) ص (٢٤٥).

(٤) ينظر: شرح النونية للهراس (٢/ ٤٧٥).

«فالله تعالى رفيق في أفعاله، خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئاً فشيئاً بحسب حكمته ورفقه، مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة. وهو سبحانه رفيق في أمره ونهيه، فلا يأخذ عباده بالتكاليف الشاقَّة مرة واحدة، بل يتدرج معهم من حال إلى حال، حتى تألفَها نفوسُهم، وتَأنَسَ إليها طباعُهم، كما فعل ذلك سبحانه في فريضة الصيام وفي تحريم الخمر والربا ونحوها.

فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة اتباعاً لسنن الله في الكون، واقتداء بهدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تتيسر له الأمور، وتذلل الصعاب، ولاسيما إذا كان ممن يتصدى لدعوة الناس إلى الحق، فإنه مضطر إلى استشعار اللين والرفق»(١).

(١) شرح النونية للهراس (٢/ ٤٧٥). وينظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٣/ ٢٤٥).

المبحث الثاني: من ذكر الله ذكره الله تعالى. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾[البقرة: ١٥٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال النّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: يقول اللهّ تعالى: « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، **فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**...»[(١)] الحديث.

وقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، **وذكرهم الله فيمن عنده**»[(٢)].

وجه مطابقة النصوص للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله ﷻ يقابل ذكر عبده له في نفسه أو في ملإ بأن يذكره في نفسه أو في ملإ خير من الملإ الذين ذكر العبدُ فيهم ربَّه.

وقوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾.

لقد ذكر أهل التفسير من الصحابة ومن بعدهم أقوالا كثيرة في بيان معنى هذه الآية. وإليك بعضا منها:

قال ابن عباسﷺ: «ذكر الله إياكم أكثر من ذكركم إياه»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾[آل عمران: ٢٨]. وقوله جلَّ ذكره: ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦]. ومسلم برقم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٧٠٠). كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٦٠).

وقيل: «اذكروني فيما افترضت عليكم، أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي »(١).

وقيل: «قَالَ اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي»(٢).

وبنحوه قال ابن جرير الطبري(٣).

وقيل: «ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله ﷻ، لا يذكره مؤمن إلا ذكره الله برحمته، ولا يذكره كافر إلا ذكره الله بعذاب»(٤).

وقال البخاري: «... أن ذكر العبدِ ربَّه غيرُ ذكر الله عبده؛ لأن ذكر العبد الدعاء والتضرع، وذكر الله الإجابة»(٥).

«وأما دلالة اللفظ فهي طلب مطلق الذكر، والذي يتبادر إليه الذهن هو الذكر اللساني. والذكر اللساني لا يكون ذكر لفظ الجلالة مفردا من غير إسناد، بل لا بد من إسناد، وأولاها الأذكار المروية في الآثار، والمشار إليها في القرآن.

وقد جاء الترغيب في ذكر جملة منها، والوعد على ذكرها بالثواب الجزيل. وتلك الأذكار تتضمن: الثناء على الله، والحمد له، والمدح لجلاله، والتماس الخير من عنده. فعبر عن ذلك بالذكر، وأمر العبد به، فكأنه قيل: عظموا الله، وأثنوا عليه بالألفاظ الدالة على ذلك. وسمى الثواب المترتب على ذلك ذكرا، فقال: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ على سبيل المقابلة،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٦١). وينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٥).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٣/ ٢١١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ١٦٧) وعلقه الترمذي بعد حديث رقم (٣٦٠٣)، كتاب الدعوات. باب: في حسن الظن بالله، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٥٩)، وتفسير ابن كثير (١/ ٤٦٥)

(٣) جامع البيان (٣/ ٢١١).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٣/ ٢١٢). والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٢/ ٤٦٠).

(٥) خلق أفعال العباد ص(١٠٥).

لما كان نتيجة الذكر وناشئا عنه سماه ذكرا»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر الثعلبي في تفسير هذه الآية نحو أربعين عبارة أكثرها عن أهل الزهد، ومرجعها إلى: معنى التوحيد والثواب، أو المحبة والوصل، أو الدعاء والإجابة»[(٢)].

وهذا الذكر الذي أطلق هنا قد يكون ذكرا لسانيا وقد يكون ذكرا بالقيام بالأعمال الصالحة، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٥]. فمما جاء في تفسيرها «عن عبد الله بن ربيعة قال: قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما تقول في قول الله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ قال: هو الذي يذكر الله، عند المعاصي.

فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لقد قلت وما هو كما قلت، ولكن ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه»[(٣)].

وأما قوله تعالى في الحديث القدسي: (**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي**).

فمعنى النفس الذي سيكون مدار كلام العلماء عليه هنا هو إما الذات، أو الغيب.

يقول **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ – بعد أن ساق جملة من النصوص ومنها حديث الباب، قال: «فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء: الله نفسه التي هي ذاته المتصفة

---

(١) التفسير المحيط لأبي حيان (١/ ٦١٩-٦٢٠).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٨٩).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٧). وينظر: جامع البيان للطبري (٢٠/ ٤٢)، ومعلم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٧٥)، وتفسير ابن كثير (١٠/ ٥١٦).

بصفاته ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات»(١).

«وذكر العبد ربه في نفسه نوعان:

أحدهما: في نفسه من غير حروف يسمعها هو.

الثاني: ذكر بلفظ خفي يسمعه هو دون غيره.

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[الأعراف: ٢٠٥].

وذكر العبد في نفسه يتناول القسمين جميعًا»(٢).

ومما قيل في شرح الحديث: «ذكرته في نفسي أي: في ذاتي ويجوز أن يكون المراد: في غيبي إذا ذكرني خاليا أثبته بما لا يطلع عليه أحد»(٣).

وقيل: « وإذا ذكرني بقلبه مخفيا ذلك عن خلقي، ذكرته برحمتي وثوابي مخفيا ذلك عن خلقي، حتى لا يطلع عليه أحد منهم »(٤).

وقيل: « من ذكرني في نفسه متضرعا داعيا؛ ذكرته في نفسي مجيبا مشفقا»(٥).

وذكر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحفة الذاكرين: «أن العبد إذا ذكره ذكرا قلبيا غير شفاهي،

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/ ٢٩٢-٢٩٣)، وينظر: بيان تلبيس الجهمية له (٧/ ٤٣٠-٤٣١)، ورد الدارمي على المريسي ص (١٩٦).

(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٧/ ٤٨٣، ٤٨٥).

(٣) شرح مسلم للنووي (١٧/ ٢-٣). وينظر: الديباج للسيوطي (٦/ ٤٣).

(٤) ينظر: صحيح ابن حبان (٣/ ٩٣) تحت حديث رقم (٨١١)، وشرح البخاري لابن بطال(١٠/ ٤٣٠)، وإبطال التأويلات لأبي يعلى (١/ ٤٤٥)، والمفهم للقرطبي (٧/ ٧)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٨٦).

(٥) شرح البخاري لابن بطال(١٠/ ٥٢٠).

أثابه ثوابا مخفيا عن عباده وأعطاه عطاء لا يطلع عليه غيره.

ويحتمل أن يريد الذكر الشفاهي على جهة السر دون الجهر، وأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يجعل ثواب هذا الذكر الإسراري ثوابا مستورا لا يطلع عليه أحد، ويدل على هذا الاحتمال الثاني قوله: وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منه؛ فإنه يدل على أن العبد قد جهر بذكره سبحانه وتعالى بين ذلك الملإ الذي هو فيهم، فيقابله الإسرار بالذكر باللسان لا مجرد الذكر القلبي؛ فانه لا يقابل الذكر الجهري؛ بل يقابل مطلق الذكر اللساني فإنه أعم من أن يكون سرا أو جهرا»(١).

وقوله: **(وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ)**.

أي أن الله تعالى «قابل ذكر العبد في الملإ بذكره له في الملإ، فإنما صار الذكر في الملأ الثاني خيرا من الذكر في الأول؛ لأن الله هو الذاكر فيهم والملأ الذين يذكرون والله فيهم أفضل من الملأ الذين يذكرون وليس الله فيهم»(٢) فـ«يذكره عندهم بما يعظم به شأنه ويرتفع به مكانه»(٣) «بالثناء الجميل وإعطاء الأجر الجزيل وحسن القبول وتوفيق الوصول»(٤).

فكل ما سبق من تفسير ذكر الله تعالى لعبد بالرحمة والمغفرة والثواب الجميل والإجابة فهو من لوازم الذكر وثمراته؛ لأن ذكر الله تعالى هو الثناء على عبده كما سيأتي إن شاء الله.

---

(١) ص (١١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٨٧).

(٣) تحفة الذاكرين للشوكاني ص (١٢).

(٤) مرقاة المفاتيح للقاري (٥/ ١٤٠).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

وبعد الوقوف على كلام أهل العلم من المفسرين و شرَّاح الحديث على أدلة المطلب الأول، نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل ذكر عبده له في نفسه أو في ملإ بأن يذكره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في نفسه أو في ملإ خير من الذين ذكر العبد فيهم ربه. والذكر المضاف إلى الله تعالى هو من الصفات الفعلية. إذ هو فرد من أفراد الكلام الثابت له سبحانه. فصفة الكلام صفة ذاتية لله تعالى ومنها أفراد وآحاد تكون فعلية متى شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومن هذه الأفراد ذكره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لعبده، فهو ذكر مخصوص بمن ذكره.

إذ ذكر الله تعالى لعبده ه: «هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى بين ملائكته ومباهاتهم به وتنويهه بذكره»[(١)].

ومما يوضح لك ذلك قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثا غبرا »[(٢)].

فتأمل في هذا الحديث وكيف أن الله تعالى يباهي بعباده ملائكته. وقولهسُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: (انظروا...) هو كلام الله تعالى وهو ذكره لعباده أمام ملائكته، فدل على أن ذكره غير رحمته أو مغفرته بل هذه لوازم وآثار تعقب هذا الذكر حيث إنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بعد ذكره لهم عند

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص(٧٠٨). وينظر: المفهم للقرطبي (٧/٧)، والديباج للسيوطي (٦/ ٥٦-٥٧).

(٢) رواه الإمام أحمد برقم (٨٠٤٧)، وابن خزيمة في الصحيح (٢٨٣٩)، وابن حبان (٣٨٥٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٤) وقال «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب(٢/ ٢١). وصحيح الجامع (١٨٦٧).

ملائكته ومباهاته بهم فإنه يرحمهم ويغفر لهم ويجيب سائلهم ويمنح طالبهم.

ومن ذكره لعباده عند ملائكته والثناء عليهم، إخبارهم بمن يحب من خلقه كما جاء في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا أحبَّ الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض»[(١)].

ولذلك «فهذا الذكر يختص بمن ذكره، فمن لا يذكره لا يحصل له هذا الذكر»[(٢)].

«وحرف (إن) حرف الشرط؛ والجزاء يكون بعد الشرط فهذا يبين أنه يذكر العبدَ بعد أن يذكره العبدُ، إنْ ذكره في نفسه ذكره في نفسه، وإنْ ذكره في ملإٍ ذكره في ملإٍ خير منهم»[(٣)].

وقد **بين ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ حقيقة ذكر العبد ربه وما يتضمنه، حيث قال: « وليس المراد بالذكر مجرد الذكر اللساني؛ بل الذكر القلبي واللساني. وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه، وذكره بكلامه وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله، والثناء عليه بأنواع المدح، وذلك لا يتم إلا بتوحيده، فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٠٤٠). كتاب الأدب. باب: المقة من الله تعالى. واللفظ له. ومسلم برقم(٢٦٣٧). كتاب: البر والصلة والآداب. باب: إذا أحب الله عبدا حبَّبه إلى عباده.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ١٣٤).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٢٣٥). وينظر: جامع الرسائل له (٢/ ٢٧-٢٨).

(٤) الفوائد ص(١٧٠).

المبحث الثالث: من سلَمَ على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلَمَ الله عليه عشرا.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إني لقيت جبريل فبشَّرني، فقال: إن الله يقول لك: منْ صَلّى عليك صَلَّيْتُ عليه، **ومن سلَّمَ** عليك **سلَّمْتُ عليهِ**، فسجدْتُ لله شُكرا»(١).

وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال: أتى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا والبِشْر يُرَى في وجهه، فقيل: يا رسول الله إنا نرى في وجهك بِشْرا لم نكن نراه، قال: إن مَلَكًا أتاني فقال: إنَّ ربَّك يقول لك: «أمَا تَرْضَى أو ألاَ يُرْضِيكَ أنْ لا يُصلي عليك أحدٌ منْ أُمَّتِك إلاَّ صَلَّيتُ عليه عَشْرًا، **ولا يُسَلِّمُ** عليك إلاَّ **سَلَّمْتُ عليهِ عَشْرًا**؟ قلت: بلى»(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد برقم (١٦٦٤)، وعبد بن حميد في المسند (١٥٧)، وابن أبي الدنيا في الشكر ص(٥٦)، وابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ص(٢٩)، وأبو يعلى في المسند (٢/ ١٧٣)، و أبو نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة ص (١٢٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٢٣)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٣٧١).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولا أعلم في سجدة الشكر أصح من هذا الحديث». ووافقه الذهبي.

وقال ابن الملقن في البدر المنير (٤/ ٢٧٨): « هو كما قال» يعني الحاكم.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٨٧): «رواه أحمد ورجاله ثقات».

وحسنه الألباني في الإرواء (٢/ ٢٢٩)، والمشكاة (٩٣٧).

(٢) رواه النسائي برقم (١٢٨٣). كتاب السهو. باب: فضل التسليم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وابن المبارك في الزهد برقم (١٠٢٧)، وفي المسند برقم (٥٠)، وابن أبي شيبة في المصنف برقم =

وجه مطابقة الحديثين للترجمة واضح في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل تسليم عبده على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يسلِّم عليه عشرا جزاء له.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (**لا يسلِّم عليك**) أي بقولهم: «السلام على النبي، أو السلام عليك أيها النبي، أو سلامٌ عليك أيها النبي، أو يا رسول الله»[1] وهو امتثال ما ورد من الأمر بالتسليم عليه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٦].

وصيغة التسليم عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحدة وهي قولك: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. سواء كان التسليم عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، أو بعد موته.

أما في حياته فبيانه قول كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قلنا: «يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ »[2].

وهو الوارد كذلك في صيغة التشهد التي علمهم إياها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن

=

(٨٧٨٧)، وأحمد برقم (١٦٣٦٣)، والدارمي في السنن برقم (٢٧٧٥)، والدينوري في المجالسة برقم (٩٩٥)، وابن حبان في الصحيح برقم (٩١٥)، و الطبراني في الكبير (٥/ ١٠٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٠).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وقال المغلطاي في شرح ابن ماجه (٥/ ١٥٣٧): «سنده جيد».

وبنحوه قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٦٣).

وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٨٢٩)، والمشكاة برقم (٩٢٨)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩١).

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ١٤٥).

(٢) سيأتي تخريجه ص(٢٢١).

عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كنَّا إذا كنَّا مع النبيِّ ﷺ في الصلاة، قلنا: السَّلام على الله من عباده، السَّلام على فلان وفلان، فقال النبيُّ ﷺ: «لا تَقُولُوا السَّلامُ على الله، فإنَّ اللهَ هوَ السَّلامُ، ولكن قولوا: التَّحياتُ لله والصَّلواتُ والطيِّباتُ، **السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته،...**»[(١)] الحديث.

«فنهاهم النبي ﷺ أن يقولوا (السَّلام على الله)؛ لأن السَّلام هو للمسَلَّم عليه دعاء له وطلب أن يسلم، والله تعالى هو المطلوب منه لا المطلوب له، وهو المدعو لا المدعو له، فيستحيل أن يُسلَّم عليه، بل هو المسلِّم على عباده، كما سَلَّم عليهم[(٢)] في كتابه حيث يقول: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الصافات: ١٨٠-١٨١]»[(٣)].

وأما بعد موته ﷺ فقد ثبت عن عمر بن الخطاب ﷺ وهو على المنبر يعلم الناس التشهد يقول: «قولوا التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات الصلوات لله، **السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله»[(٤)].

وهذا هو الذي يشرع قوله لمن زار قبره ﷺ، بأن يسلِّم عليه بهذه الصيغة، وعلى صاحبيه رضي الله عنهما. وهو الجاري عليه عمل الأمة إلى يومنا هذا.

«ومعنى: السَّلام عليك: أي اسم السَّلام عليك، والسَّلام اسم من أسماء الله ﷻ فكأنه يقال: اسم الله عليك، وتأويله لا خلوت من الخيرات والبركات، وسلمت من

---

(١) رواه البخاري برقم (٨٣٥). كتاب الأذان. باب: ما يتخير من الدعاء بعد التشهد، وليس بواجب، ومسلم برقم (٤٠٢). كتاب الصلاة. باب: التشهد في الصلاة.

(٢) أي على المرسلين.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم ص (٤٦٣).

(٤) رواه مالك في الموطأ برقم(٢٤٠). كتاب الصلاة. باب: التشهد في الصلاة.

المكاره والمذام، إذ كان اسم الله تعالى إنما يذكر على الأعمال توقعا لاجتماع معاني الخير والبركة فيه، وانتفاء عوارض الخلل والفساد عنه. ووجه آخر وهو أن يكون معناه ليكن قضاء الله عليك السَّلام، وهو السَّلامة: كالمقام والمقامة، والملام والملامة أي سلَّمك الله من المذام والنقائص، فإذا قلنا: اللهم سلم على محمد، كأنما نريد به اللهم اكتب لمحمد في دعوته وأمته وذكره السَّلامة من كل نقص، فتزداد دعوته على الأيام علوا، وأمته تكاثرا وذكره ارتفاعا»[1].

وأما السَّلامُ عليه بلفظ الخطاب دون الغيبة فذلك «تنزيلا له منزلة المواجه لحكمة بديعة جدا، وهي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان أحبَّ إلى المؤمن من نفسه التي بين جنبيه وأولى به منها وأقرب، وكانت حقيقته الذهنية ومثاله العلمي موجودا في قلبه، بحيث لا يغيب عنه إلا شخصه... ومن كان بهذه الحال فهو الحاضر حقا، وغيره- وإن كان حاضرا للعيان- فهو غائب عن الجنان، فكان خطابُه خطابَ المواجهة والحضور بالسَّلام عليه أولى من سلام الغيبة تنزيلا له منزلة المواجه المعاين لقربه من القلب وحلوله في جميع أجزائه بحيث لا يبقى في القلب جزء إلا ومحبته وذكره فيه»[2].

وأما قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: (**إلا سلَّمتُ عَليه عَشرا**). أي طلب الله من نفسه السلامة له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان معقولا أن الإنسان يأمر نفسه وينهاها، والأمر والنهي طلب مع أن فوقه آمرا وناهيا، فكيف يستحيل ممن لا آمر فوقه ولا ناهيَ أن يطلبَ من نفسه فعلَ ما يحبُّه وترك ما يبغضُه؟ وإذا عُرف هذا، عُرف سرُّ سلامه تبارك وتعالى على أنبيائه ورسله، وأنه طلب من نفسه لهم السلامة، فإن لم يتسع لهذا ذهنُك فسأزيدك إيضاحا

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ١٤٥).

(٢) بدائع الفوائد ص(٥٢٦-٥٢٧).

وبيانا، وهو أنه قد أخبر سبحانه في كتابه أنه كتب على نفسه الرحمة، وهذا إيجاب منه على نفسه، فهو الموجبُ وهو متعلَّقُ الإيجاب الذي أوجبه، فأوجب بنفسه على نفسه»[١].

فيلحق بالأنبياء كل من سلم الله ﷻ عليه بأن يطلب من نفسه السلامة لهم.

---

(١) نفس المصدر ص (٤٩٠).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

وبعد بيان ما سلف من معنى الحديثين نخلص إلى إثبات أن الله تبارك وتعالى يقابل تسليم العبد على رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن يسلِّم عليه عشرا جزاء له.

وسلام الله تعالى على عباده هو طلب السلامة من نفسه لهم، وهو من صفاته الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وقد ثبت تسليمه على عباده الذين اصطفى، قال سبحانه: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٢، ١٥]. وقال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الصافات: ٧٩]. وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[الصافات: ١٠٩]. وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[الصافات: ١٢٠]. وقال جلَّ شأنه: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾[الصافات: ١٣٠]. وقال تبارك وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨١]. فـ«قد ذكر تنزيهه لنفسه عما لا يليق بجلاله ثم سلامه على رسله.

وفي اقتران السلام عليهم بتسبيحه لنفسه سرٌ عظيم من أسرار القرآن يتضمن الرد على كل مبطل ومبتدع؛ فإنه نزه نفسه تنزيها مطلقا كما نزه نفسه عما يقول خلقه فيه، ثم سلَّم على المرسلين، وهذا يقتضي سلامتهم من كل ما يقول المكذبون لهم، المخالفون لهم، وإذا سلِموا من كل ما رماهم به أعداؤهم لزم سلامة كل ما جاءوا به من الكذب والفساد، وأعظم ما جاءوا به التوحيد، ومعرفة الله ووصفه بما يليق بجلاله مما وصف به نفسه على ألسنتهم»[(١)].

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ص (٥٠٢).

وسلام الله تعالىٰ علىٰ عباده هو من جنس القول، وفرد من أفراد الكلام، فقد جاء ما يدل علىٰ أن سلامه علىٰ أهل الجنة هو قول منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس: ٥٥،٥٨]. «فـ(قولاً) منصوب علىٰ المصدر، وفعله ما تضمنه سلامٌ من القول؛ لأن السَّلامَ قولٌ»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٤]. «فهذا تحيتهم يوم يلقونه تبارك وتعالىٰ، ومحال أن تكون هذه تحية منهم له، فإنهم أعرف به من أن يسلِّموا عليه، وقد نهوا عن ذلك في الدنيا، وإنما هذا تحية منه لهم، والتحية هنا مضافة إلىٰ المفعول، فهي التحية التي يُحَيَّون بها لا التحية التي يحيونه هم بها، ولولا قوله تعالىٰ في سورة يس ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ لاحتمل أن تكون التحية لهم من الملائكة كما قال الله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾[الرعد: ٢٣-٢٤]. ولكن هذا سلام الملائكة إذا دخلوا عليهم وهم في منازلهم من الجنة، يدخلون مسلِّمين عليهم.

وأما التحية المذكورة في قوله ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ فتلك تحية لهم وقت اللقاء، كما يُحَيِي الحبيبُ حبيبَه إذا لقيه، فماذا حرم المحجوبون عن ربهم يومئذ»(٢).

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «واعلم – رحمك الله- أن عند أهل العلم باللغة أن اللقاء ها هنا لا يكون إلا معاينة، سيراهم الله عَزَّ وَجَلَّ ويرونه، ويسلم عليهم، ويكلمهم ويكلمونه»(٣).

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ص (٤٦٣).

(٢) نفس المصدر ص (٤٦٤).

(٣) الشريعة (١/ ٥٨٧)، وينظر: الانتصار للعمراني (٢/ ٦٤٥).

وتسليم الله على عباده هو أثر اسمه السلام. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الحشر: ٢٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معنى اسم الله السلام. قال: «وإذا عرفت هذا فإطلاق السَّلام على الله تعالى اسما من أسمائه هو أولى من هذا كله، وأحق بهذا الاسم من كل مسمى به؛ لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه، فهو السَّلام الحق بكل اعتبار، والمخلوق سلام بالإضافة، فهو سبحانه سلام في ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وَهْمٌ، وسلام في صفاته من كل عيب ونقص، وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة، بل هو السَّلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار.

فعلم أن استحقاقه تعالى لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه، وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزه به نفسه ونزهه به رسوله.

فهو السَّلام من الصاحبة والولد، والسَّلام من النظير والكفء والسّمي والمماثل، والسّلام من الشريك، ولذلك إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاما مما يضاد كمالها.

فحياته سلام من الموت، ومن السّنة والنوم.

وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب و اللغوب.

وعلمه سلام من عزوب شيء عنه، أو عروض نسيان أو حاجة إلى تذكر وتفكر.

وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة.

وكلماته سلام من الكذب والظلم، بل تمت كلماته صدقا وعدلا.

وغناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجه ما، بل كل ما سواه محتاج إليه، وهو غني عن كل ما سواه، وملكه سلام من منازع فيه أو مشارك أو معاون مظاهر أو شافع عنده بدون

إذنه وإلاهيته سلامٌ من منازع فيه أو مشارك أو معاونٍ مظاهر أو شافعٍ عنده بدون إذنه.

وإلهيته سلامٌ من مشارك له فيها، بل هو الله الذي لا إله إلا هو.

وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذلٍ أو مصانعة كما يكون من غيره، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه.

وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلامٌ من أن يكون ظلما أو تشفيا أو غلظةً أو قسوةً، بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الأشياء مواضعها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه على إحسانه وثوابه ونعمه، بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضا لحكمته ولعزته، فوضعه العقوبة موضعها هو من عدله وحكمته وعزته، فهو سلام مما يتوهم أعداؤه والجاهلون به من خلاف حكمته.

وقضاؤه وقدره سلام من العبث والجور والظلم، ومِنْ تَوَهُّم وقوعِه على خلاف الحكمة البالغة.

وشرعه ودينه سلامٌ من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم وخلاف حكمته، بل شرعه كله حكمة ورحمة ومصلحة وعدل.

وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضةً أو لحاجة إلى المعطَى.

ومنعه سلامٌ من البخل وخوف والإملاق، بل عطاؤه إحسانٌ محضٌ لا لمعاوضة ولا لحاجة، ومنعه عدلٌ محضٌ وحكمة لا يشوبه بخلٌ ولا عَجْزٌ.

ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا سلام مما يضادُّ علوَّه وسلام مما يضادُّ غناه.

وكماله سلام من كل ما يتوهم معطل أو مشبه، وسلام من أن يصير تحت شيء أو محصورا في شيء. تعالى الله ربنا عن كل ما يضادُّ كماله.

وغناه وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل.

وموالاته لأوليائه سلام من أن تكون عن ذلٍ كما يوالي المخلوق المخلوق بل هي موالاة

رحمة وخير وإحسان وبر كما قال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾[الإسراء: ١١١]. فلم ينف أن يكون له ولي مطلقا، بل نفى أن يكون له ولي من الذل.

وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبة حاجة إليه، أو تملق له أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوله المعطلون فيها، وكذلك ما أضافه إلى نفسه من اليد والوجه، فإنه سلام عما يتخيَّله مشبه أو يَتقوَّله معطل»(١).

(١) بدائع الفوائد (٤٥٥، ٤٥٨).

المبحث الرابع: من صلى على النبي ﷺ واحدة صلى الله عليه بها عشرا. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّه سمع النّبيّ ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ **فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا،** ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(١).

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله سبحانه وتعالى يقابل صلاة عبده على رسله ﷺ بأن يصليَ عليه عشرا، جزاء مضاعفا.

فقوله ﷺ: (**فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً**) فالصلاة الواحدة المقصودة هنا هي التي سأل الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله ﷺ أن يبيِّنها لهم كما جاء في حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى(٢) قال: لقيني كعب بن عجرة(٣) فقال: ألا أهدي لك هدية؟. إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلِّم عليك

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٨٤) كتاب الصلاة، باب: استحباب القول مثل ما يقول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ وعلى آله وسلم ثم يسأل الله له الوسيلة.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي ليلي الأنصاري، المدني ثم الكوفي: ثقة، من الثانية، اختلف في سماعه من عمر رضي الله عنه، مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين، وقيل غرق، أخرج له أصحاب الكتب الستة. ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر برقم (٣٩٩٣).

(٣) هو بن أمية بن عدي بن عبيد بن الحارث البلوي ثم السوادي، من بني سواد، حليف الأنصار وقيل: هو من أنفسهم. ويكنى أبا محمد، مات بالمدينة سنة ثلاث أو إحدى وخمسين. وقيل: سنة اثنتين وخمسين. وهو ابن خمس وسبعين سنة. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر ص(٦٢٦).

فكيف نصلي عليك؟. قال: «فقولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[(١)]. فهذه الصيغة هي أكمل الصيغ لإرشاد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه إليها، ولا يمنع من دخول غيرها من الصيغ في الأجر، كقولهم: صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالصلاة في هذا الحديث هي «الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته، وهي ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه، وإرادة تكريمه وتقريبه، فهي تتضمن الخبر والطلب، وسمي هذا السؤال والدعاء منَّا نحن صلاة عليه لوجهين:

أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلي عليه والإشادة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة لذلك من الله تعالى، فقد تضمنت الخبر والطلب.

والوجه الثاني: أن ذلك سمي منَّا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلي عليه، فصلاة الله عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه وصلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به»[(٢)].

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)**. فالصلاة من الله ذكروا فيها أقوالا كثيرة منها: الثناء[(٣)]:

---

(١) رواه البخاري برقم(٦٣٥٧). كتاب: الدعوات. باب: الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. ومسلم برقم (٤٠٦). كتاب: الصلاة. باب: الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بعد التشهد.

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم (٢٦٢-٢٦٣).

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٤/ ٤١٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٥٧١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٣٩٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٦٨)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ١٥٦)، وتفسير ابن كثير (١١/ ٢١٠)، وروح المعاني للألوسي (٢٢/ ٧٦-٧٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢/ ٤٩)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٧٩)، وتيسير الكريم الرحمن (٦/ ٢٤٥).

قال أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدّعاء»[(١)].

ومنها: إشاعة الذكر الجميل له في عباده [(٢)].

ومنها: البركة[(٣)].

أو التبريك. كما قال ابن عباس رضي الله عنه: (يصلون) يُبَرِّكُونَ [(٤)].

قوله: (بها) أي: « بمقابلة صلاته الواحدة؛ و(الباء) تجيء للمقابلة كقولك: أخذت هذا بهذا»[(٥)].

وأولى الأقوال- والله أعلم- هو ما ذهب إليه أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو الثناء عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الملإ الأعلى، وهو الذي اختاره جمع من العلماء كابن القيم، و الطيبي[(٦)]، وابن رجب الحنبلي[(٧)]، وابن كثير[(٨)]، وابن حجر[(١)]، والشوكاني[(٢)]. وعبد الرحمن بن ناصر

---

(١) رواه البخاري معلقا في كتاب التفسير. باب: قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٦] ص(٥٩٠). .

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠/ ٢٧٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٥٧١)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٧٩).

(٣) معالم التنزيل للبغوي(٣/ ٥٨٢).

(٤) رواه البخاري معلقا في كتاب التفسير. باب: قَوْلِهِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٦] ص(٥٩٠). وينظر: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٥٨٢).

(٥) شرح سنن أبي داود للعيني (٢/ ٤٨١).

(٦) ينظر: شرح مسلم للنووي (٤/ ١٢٨)، والديباج للسيوطي (٢/ ١٣٩)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٤/ ٧)، و فيض القدير للمناوي (٦/ ١٦٨)، وتحفة الاحوذي للمباركفوري (٢/ ٥٢١).

(٧) جامع العلوم الحكم ص (٧٠٨).

(٨) ينظر: التفسير (١١/ ٢١٠).

ناصر السعدي(٣).

أما تفسير الصلاة بالتبريك كما هو تفسير ابن عباس رضي الله عنه فـ«هذا لا ينافي تفسيرها بالثناء وإرادة التكريم والتعظيم، فإن التبريك من الله يتضمن ذلك، ولهذا قُرن بين الصلاة عليه والتبريك عليه»(٤)، قال صلى الله عليه وسلم: «قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما **صليت** على آل إبراهيم، و**بارك** على محمد وأزواجه وذريته كما **باركت** على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»(٥).

وقالت الملائكة لإبراهيم عليه السلام: ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ ﴾[هود: ٧٣].

يقول ابن القيم رحمه الله بعد أن ساق حديث الباب: «وهذا موافق للقاعدة المستقرة في الشريعة أن الجزاء من جنس العمل، فصلاة الله على المصلي على رسوله صلى الله عليه وسلم جزاء لصلاته هو عليه، ومعلوم أن صلاة العبد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست هي رحمة من العبد لتكون صلاة الله عليه من جنسها؛ وإنما هي ثناء على الرسول صلى الله عليه وسلم وإرادة من الله تعالى أن يعلي ذكره، ويزيده تعظيما وتشريفا، والجزاء من جنس العمل، فمن أثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ جزاه الله من جنس عمله بأن يثني عليه، ويزيد تشريفه وتكريمه،

=

(١) ينظر: فتح الباري (١١/ ١٥٦).

(٢) ينظر: فتح القدير (٤/ ٣٩٧).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٦/ ٢٤٥).

(٤) جلاء الأفهام لابن القيم ص (٢٧٢-٢٧٣).

(٥) رواه البخاري برقم (٣٣٦٩). كتاب: أحاديث الأنبياء. باب: قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾[النساء: ١٢٥]، ومسلم برقم (٤٠٧). كتاب: الصلاة. باب: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد. من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

فصح ارتباط الجزاء بالعمل، ومشاكلته له، ومناسبته له»[١].

(١) جلاء الأفهام ص (٢٦٥).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

مما يستفاد من المطلب الأول هو أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل صلاة عبده على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يصليَ عليه عشرا، ويضاعف أجره، فصلاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي ثناؤه عليه في الملإ الأعلى وزيادة تشريفه وتكريمه، وهي من الصفات الفعلية؛ إذ هي فرد من أفراد الكلام الصادر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كالذكر وغيره. فكذلك صلاته على من صلى على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي ثناؤه عليه في الملإ الأعلى.

وقد وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه يصلي على نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى عباده المؤمنين، وأمر عباده بأن يصلوا على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[الأحزاب: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملإ الأعلى، بأنه يُثني عليه في الملإ الأعلى عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمَيْن العلوي والسفلي جميعاً»[(١)].

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله وملائكتَّه يُصَلُّون على الذين يَصِلون الصفوف»[(٢)]. أي يثنون عليهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١١/ ٢١٠).

(٢) رواه ابن ماجة برقم (٩٩٥). كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها. باب: إقامة الصفوف، وأحمد (٢٤٥٨٧)، وابن خزيمة في الصحيح برقم (١٥٥٠)، وابن حبان في الصحيح (٢١٦٤)، =

وعن عبد الله بن أبي أوفى[(١)] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: « اللهم **صل** على آل فلان» فأتاه أبي بصدقته فقال: « اللهم صل على آل أبي أوفى»[(٢)].

=

والطبراني في الأوسط (٥٠٦٧)، والحاكم في المستدرك(١/ ٢١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٠٣).

وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٣٢)، وصحيح الجامع برقم (١٨٤٣)، وصحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٣٥).

(١) هو علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم الأسلمي، أبو معاوية، وقيل: أبو إبراهيم، وقيل أبو محمد، له ولأبيه صحبة، وشهد الحديبية، وروى أحاديث شهيرة، ثم نزل الكوفة سنة ست أو سبع وثمانين. وكان آخر من مات بها من الصحابة، ويقال مات سنة ثمانين. ينظر: الإصابة لابن حجر (٢/ ١٠١١).

(٢) رواه البخاري برقم (١٤٩٧). كتاب. الزكاة. باب: صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، ومسلم برقم (١٠٧٧). كتاب: الزكاة. باب: الدعاء لمن أتى بصدقة.

الفصل السابع

ما جاء في باب:

الرحمة

المحبة

الرضا

الإكرام

الوفاء

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الراحمون يرحمهم الرحمن. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَنْ لَا يَرْحَم النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ الله عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلتْ ابنةُ النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، إنّ ابنًا لي قُبض فأتنا، فأرسل يُقرئُ السّلام ويقول: «إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّىٰ فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فأرسلت إليه تُقسم عليه ليأتينّها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت ورجالٌ، فَرُفع إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصّبيّ ونفسه تَتَقَعْقَعُ، قال: حَسبتُه أنّه قال: كأنّها شَنٌّ، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ ، فقال: « هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا الله فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، **وَإِنَّمَا يَرْحَمُ الله مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبّل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحسن بن عليّ وعنده الأقرع بن حابس التّميميُّ جالسًا، فقال الأقرع: إنّ لي عشرةً من الولد ما قَبّلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمّ قال: « **مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٣٧٦) كتاب التوحيد. باب: قول الله تبارك وتعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ومسلم برقم (٢٣١٩) كتاب الفضائل. باب: رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الصبيان و العيال وتواضعه، وفضل ذلك، واللفظ له.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٦٥٥) كتاب المرضى. باب: عيادة الصبيان، ومسلم برقم (٩٢٣) كتاب الجنائز. باب: البكاء على الميت.

(٣) رواه البخاري برقم (٥٩٩٧) كتاب الأدب. باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم برقم =

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارحموا من في الأرض يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ** »[(١)].

وعن قُرّة بن إياس[(٢)] رضي الله عنه أنّ رجلا قال: يا رسول الله إنّي لأذبح الشّاة وأنا أرحمها، أو قال: إنّي لأرحم الشّاة أن أذبحها، فقال: «**وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ**»[(٣)].

وجه مطابقة الأحاديث للترجمة واضح في الدلالة على أن الله تعالى يقابل الرحماء من

=

(٢٣١٨) كتاب الفضائل. باب: رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الصبيان والعيال، وتواضعه وفضل ذلك.

(١) رواه أبو داود برقم (٤٩٤١)كتاب الأدب. باب: في الرحمة، والترمذي برقم (١٩٢٤) كتاب البر والصلة. باب: ما جاء في رحمة الناس، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد برقم (٦٤٩٤)، والحاكم في المستدرك برقم (٤/ ١٥٩). وقال: بعد أن ذكر معه أحاديث عدة في الباب «وهذه الأحاديث كلها صحيحة» ووافقه الذهبي، وقال الألباني في مختصر العلو ص (٨٤) «إنما هو صحيح لغيره» وينظر: الصحيحة رقم(٩٢٥)، وصحيح الجامع (٣٥٢٢)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٤٩).

(٢) هو قرة بن إياس بن هلال بن رئاب المزني جد إياس بن معاوية القاضي. قال البخاري وابن السكن: « له صحبة»، لم يرو عنه غير ابنه معاوية، ويقال له: قرة بن الأغر، شهد الخندق، وقتل في حرب الأزارقة سنة أربع وستين. ينظر: الإصابة لابن حجر (٣/ ١٦١٥).

(٣) رواه الإمام أحمد برقم (١٥٥٩٢)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٣٧٣)، والبزار في المسند (٨/ ٢٥٥)، والطبراني في المعجم الصغير برقم (٣٠١)، والأوسط برقم (٢٧٣٦)، والكبير (١٩/ ٢٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٨٧)، والبيهقي في الشعب (١٣/ ٤١٣)،

قال الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٣): «رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير والصغير كلهم من غير شك...، ورجاله ثقات».

وقال الألباني: سنده صحيح، ينظر الصحيحة (٢٦)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥١).

عباده بأن يرحمهم، رحمة خاصة.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ لَا يَرْحَمْ النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ الله عَزَّ وَجَلَّ**) فقد دلَّ الحديث بمنطوقه على أن من لا يرحم الناس لا يرحمه الله، وبمفهومه على أن من يرحم الناس يرحمه الله[(١)].

فرحمة العبد للخلق من أكبر الأسباب التي تنال بها رحمة الله، التي من آثارها خيرات الدنيا، وخيرات الآخرة، وفقدها من أكبر القواطع والموانع لرحمة الله.

والرحمة التي يتصف بها العبد **نوعان:**

النوع الأول: رحمة غريزية، قد جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والحنان على الخلق، ففعلوا بمقتضى هذه الرحمة جميع ما يقدرون عليه من نفعهم، بحسب استطاعتهم. فهم محمودون مثابون على ما قاموا به، معذورون على ما عجزوا عنه، وربما كتب الله لهم بنياتهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم.

والنوع الثاني: رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة، تجعل قلبه على هذا الوصف، فيعلم العبد أن هذا الوصف من أجل مكارم الأخلاق وأكملها، فيجاهد نفسه على الاتصاف به، ويعلم ما رتب الله عليه من الثواب، وما في فواته من حرمان الثواب، فيرغب في فضل ربه، ويسعى بالسبب الذي ينال به ذلك. ويعلم أن الجزاء من جنس العمل.

وهذه الرحمة التي في القلوب، تظهر آثارها على الجوارح واللسان، في السعي في إيصال البر والخير والمنافع إلى الناس، وإزالة الأضرار والمكاره عنهم.

وعلامة الرحمة الموجودة في قلب العبد، أن يكون محبا لوصول الخير لكافة الخلق

---

(١) ينظر: فيض القدير للمناوي(٦/ ٢٣٩).

عموما، وللمؤمنين خصوصا، كارها حصول الشر والضرر عليهم. فبقدر هذه المحبة والكراهة تكون رحمته[١]. ولأن رحمة الله صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه وشقت عليها فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك، ودفع المضار عنك.

ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين: تسليط أنواع البلاء على العبد فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته، من رحمته به، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربَّه بابتلائه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه[٢].

أما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**)فـ«الرحماء جمع رحيم، وهو من صيغ المبالغة، وقضيته أن رحمته تعالى تختص بمن اتصف بالرحمة الكاملة بخلاف من فيه رحمة ما»[٣].

ومناسبة ذكر لفظ الرحماء في الحديث هو أن اسم الله تعالى دالٌ على العظمة، وقد عرف بالاستقراء أنه حيث ورد يكون الكلام مسوقا للتعظيم، فلما ذكر هنا ناسب ذكر من كثرت رحمته وعظمته ليكون الكلام جاريا على نسق التعظيم[٤].

---

(١) ينظر: بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص(١٥٧-١٥٨).

(٢) ينظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ص(٦٧٧).

(٣) فيض القدير للمناوي (٣/ ٨).

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٥٨)، فيض القدير للمناوي (٤/ ٤٣)، ونيل الأوطار للشوكاني (٤/ ١٥٢).

أما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ**)، فالراحمون جمع راحم، و «عبَّر بجمع راحم إشارة إلى أن العباد منهم من قَلَّتْ رحمته؛ فيصح وصفه بالراحم لا الرحيم فيدخل في ذلك،... ولَمَّا كان الرَّحمن يدل على المبالغة في العفو ذكر كل ذي رحمة وإن قلَّت»[1].

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٥٨).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأحاديث.

وبعد تقرير ما سبق فإنا نخلص إلىٰ إثبات صفة الرحمة لله تعالىٰ وأنه يقابل رحمة عباده بعضهم لبعض بأن يرحم الراحم منهم جزاء له علىٰ ذلك.

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ متصف بصفة الرحمة، صفة ذاتية قائمة به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ باعتبار أصلها، وفعلية متعدية باعتبار تعلقها. كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦]. وقال سبحانه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[الأنعام: ١٤٧]. وقال حكاية عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر: ٧].

وهذه الرحمة التي يتراحم الخلق بها هي جزء من مائة جزء من الرحمة التي خلقها الله تعالىٰ. قال رسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة...»(١) الحديث.

وأما رحمة الله تعالىٰ فهي رحمة تليق بجلاله وعظمته، وفي هذه الأحاديث «رحمة الله تختص بمن اتصف بالرحمة وتحقق بها»(٢)؛ لأن الله تعالىٰ يحب من العباد أمورا اتصف بها، كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **(إن الله وتر يحب الوتر)**(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٦٩). كتاب: الرقاق. باب: الرجاء مع الخوف، ومسلم برقم(٢٧٥٢). كتاب: التوبة. باب: في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٥٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠). كتاب الدعوات. باب: لله مائة اسم غير واحد، ومسلم برقم (٢٦٧٧). كتاب الذكر والدعاء والتوبة الاستغفار. باب: في أسماء الله تعالىٰ وفضل من أحصاها. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وقال(**إن الله جميل يحب الجمال**)[(١)].

وقال: (**أنه طيب لا يقبل إلا طيبا**)[(٢)]، ونحو ذلك، وقال (**الراحمون يرحمهم الرحمن**)[(٣)]. فهو يحب اتصاف العبد بهذه الصفات[(٤)] وتعبده بهذه المعاني المحبوبة[(٥)]، ولا يلزم من ذلك المماثلة في حقيقة هذه الصفة، لأن «الرب يوصف بها على أتم الوصف؛ مجردة عن جميع النقائص، والعبد يوصف بها محفوفة بالنقص»[(٦)]، فإذا كان المخلوق يرحم، ويسمى رحيماً، والله تعالى يرحم ويسمى رحيماً، فليس ما يخص الله تعالى من هذا الفعل يكون مماثلاً أو مقارباً لما يخص المخلوق[(٧)].

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سمى نفسه رحمانا ورحيما ليدلنا على أمر هام «وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته»[(٨)].

وهذه الصفة ثابتة لله تعالى من غير مقابلة في اللفظ في مواضع كثيرة منها: قوله جلَّ شأنه: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾[الأعراف: ١٥٦]. «وسعتها عموم تعلقها بكل شيء، كما

(١) رواه مسلم برقم (٩١). كتاب: الإيمان. باب: تحريم الكبر وبيانه. عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم برقم (١٠١٥). كتاب: الزكاة. باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه(٢٢٨).

(٤) إلا ما اختص به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كالكبرياء والعظمة والإلهية ونحوها.

(٥) الرد على الشاذلي لابن تيمية ص(٩٥-٩٦).

(٦) إيثار الحق لابن الوزير (١/ ٢١٦).

(٧) ينظر: شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١/ ٥٧-٥٨).

(٨) بدائع الفوائد لابن القيم ص (٣٦).

أن سعة علمه تعالى عموم تعلقه بكل معلوم»[١].

وقال رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن **رحمتي** سبقت غضبي»[٢].

---

(١) المصدر السابق ص (٥١٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٢٢). كتاب: التوحيد. باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود: ٧]، ومسلم برقم(٢٧٥١). كتاب التوبة. باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

المبحث الثاني: من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه. ومن أحبَّ الأنصار أحبَّه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقاءَهُ**»(١).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قال: قال النّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ، **فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنّ رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مَدْرَجَتِه ملكا، فلمّا أتى عليه قال: أين تريد؟ ، قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّهَا(٣)، قال: لا، غير أنّي أحببته في الله عَزَّ وَجَلَّ قال: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ **بِأَنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**»(٤).

وعنه رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سوق من أسواق المدينة، فانصرف فانصرفت، فقال: «أَيْنَ لُكَعُ ثَلاثًا ادْعُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ»، فقام الحسن بن عليٍّ يمشي وفي عنقه

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٠٨)كتاب الرِّقاق. باب: من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه. ومسلم برقم (٢٦٨٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧٨٣) كتاب مناقب الأنصار. باب: حب الأنصار من الإيمان، ومسلم برقم (٧٥) كتاب الإيمان. باب: الدليل على أن حب الأنصار وعليٍّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته.

(٣) أي: تحفظها وتراعيها. ينظر النهاية لابن الأثير (١/ ٦٢٢).

(٤) رواه مسلم برقم (٢٥٦٧)كتاب البر والصلة والآداب. باب: فضل الحب في الله.

السِّخَابُ[(١)]، فقال النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده هكذا، فقال الحسن بيده هكذا، فالْتَزَمَه فقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ**» وقال أبو هريرة رضي الله عنه: « فما كان أحدٌ أحَبَّ إِليّ من الحسن بن عليّ بعد ما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال»[(٢)].

وعن يَعْلَى بن مُرّة[(٣)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، **أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا**، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ»[(٤)].

وعن عائشة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في

---

(١) قلادة من القرنفل أو غيره، ليس فيه من الجواهر شيء، والجمع سُخُب. ينظر مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٤٧).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٨٨٤) كتاب اللباس. باب: السِّخاب للصبيان، ومسلم برقم (٢٤٢١) كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل الحسن والحسين.

(٣) هو بن وهب بن جابر بن عتاب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي، أبو المرازم بفتح الميم والراء وكسر الزاي المنقوطة بعد الألف، وهو يعلى بن سيابة، وسيابة أمه، شهد خيبر وبيعة الشجرة والفتح وهوازن والطائف. ينظر: الإصابة لابن حجر (٣/ ٢١٢٤).

(٤) رواه الترمذي برقم (٣٧٧٥) كتاب المناقب. باب: مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب، والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وابن ماجه برقم (١٤٤) في المقدمة. باب: فضائل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ابن أبي شيبة في المصنف (١٧/ ١٧٣)، وأحمد برقم (١٧٥٦١)، البخاري في الأدب المفرد (٣٦٤)، وابن حبان برقم(٦٩٧١)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢١)، الحاكم في المستدرك (٣/ ١٧٧).

قال الترمذي « هذا حديث حسن».

وقال الحاكم: « إسناده صحيح» ووافقه الذهبي.

وقال البوصيري في المصباح (١/ ١٦٨): «هذا إسناد حسن رجاله ثقات».

وحسنه الألباني. ينظر: الصحيحة (١٢٢٧)، وصحيح الجامع (٣١٤٦).

صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أخبروه أن الله يحبُّهُ**»[(١)].

وجه مطابقة النصوص ظاهر في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل محبة عبده لقاءه بمحبته سبحانه لقاء العبد، وبمحبته لأصحاب رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يحبهم محبة خاصة.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه**) فإن أولى ما يفسر به هذا الحديث الروايات الأخرى التي تُبيِّن معنى حبّ هذا اللقاء، ففي رواية البخاري: «قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال ليس ذاك: ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته فليس شيء أحبَّ إليه مما أمامه فأحبَّ لقاء الله وأحبَّ الله لقاءه...»[(٢)].

وعند مسلم: «ولكن المؤمن إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجنته»[(٣)].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الحديث معناه عند أهل العلم فيما يعانيه المرء عند حضور أجله؛ فإذا رأى ما يكره لم يحبّ الخروج من الدنيا، ولا لقاء الله لسوء ما عاين مما يصير إليه، وإذا رأى ما يحبّ أحبّ لقاء الله والإسراع إلى رحمته لحسن ما عاين وبشر به،

(١) رواه البخاري برقم (٧٣٧٥) كتاب: التوحيد. باب: ما جاء في دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم برقم (٨١٣). كتاب: الصلاة. باب: فضل قراءة قل هو الله أحد.

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٠٧)كتاب الرِّقاق. باب: من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه. من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) برقم (٢٦٨٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب: من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. من حديث عائشة رضي الله عنها.

وليس حبّ الموت ولا كراهيته»[١].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلما كان اللقاء نوعين - وإنما يميز أحدهما عن الآخر في الإخبار بما يوصف به هذا اللقاء وهذا اللقاء - وصف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللقاء المحبوب بما تتقدمه البشرى بالخير وما يقترن به من الإكرام، و اللقاء المكروه بما يتقدمه من البشرى بالسوء، وما يقترن به من الإهانة؛ فصار المؤمن مخبَرا بأن لقاءه لله لقاء محبوب، والكافر مخبَرا بأن لقاءه لله مكروه: فصار المؤمن يحب لقاء الله، وصار الكافر يكره لقاء الله؛ فأحب الله لقاء هذا وكره لقاء هذا، جزاء وفاقا. فإن الجزاء بذلك من جنس العمل »[٢].

فمحبة الله تعالى ومحبة لقائه هي أصل المحبة، إذ ليس هناك من يُحب لذاته إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، «وهو سبحانه يحب من يحبه لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له، بل بقدر محبة العبد لربِّه يكون حب الله له، وإن كان جزاء الله لعبده أعظم »[٣].

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله**) أي الأنصار. «لما لهم من المآثر الحميدة في نصرة الدين، وقيام نواميس الشريعة، وقتالهم بالسنان واللسان على إعلان الإيمان»[٤].

«وإنما خصوا بذلك لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيوائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومواساته بأنفسهم وأموالهم، فكان صنيعهم لذلك موجبًا لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين إذ ذاك من عرب وعجم، والعداوة تجر البغض، ثم إن ما اختصوا به موجب للحسد،

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٢٥). وينظر: شرح مسلم للنووي (١٧/ ٩-١٠)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٦١١)، وعمدة القاري للعيني (٢٣/ ١٤٢)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٩/ ٢٩٥). وفيض القدري للمناوي (٦/ ٢٩)، و تحفة الأحوذي للمباركفوري (٤/ ١٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٢).

(٣) العبودية ص(٩٨).

(٤) فيض القدري للمناوي (٦/ ٣٠).

والحسد يجر إلى البغض أيضًا، فمن ثم حذر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بغضهم ورغب في حبهم حتى جعله من الإيمان والنفاق»[(١)].

يقول **حرب الكرماني**[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة»[(٣)].

ومحبة الأنصار ﭬ والحسن والحسين رضي الله عنهما محبة مأمور بها لغيرها، فنحن نحبهم لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحبهم، وأمر بحبهم «ولهذا كانت محبة المؤمنين لما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، والحب في الله، والبغض في الله، كل ذلك تبعٌ وفرعٌ على محبتهم لله، فإذا أحبوه أحبوا ما أحبه هو من الأعمال والأشخاص، إذ محبوب المحبوب محبوب، وبغيض المحبوب بغيض. وكذلك محب المحبوب محبوب، ومبغض المحبوب مبغض، فالمؤمنون يحبون ربهم، وكانت محبتهم لما يحبه الله ولما يحب الله فرعًا وتبعًا لمحبتهم له، والله تعالى يحبهم ويحب ما يحبونه وما يحبهم »[(٤)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٦٣).

(٢) هو أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني الإمام، العلامة، الفقيه، تلميذ أحمد بن حنبل. قال الخلال: كان رجلا جليلا، وله كتاب (مسائل حرب) من أنفس كتب الحنابلة، سألها الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه. توفي سنة ثمانين ومائتين. وقد قارب التسعين. ينظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٣٨٨)، والسير للذهبي (١٣/ ٢٤٤).

(٣) كتاب السنة ص (٤٥).

(٤) جامع المسائل لابن تيمية (٦/ ١٠٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأحاديث.

ونتيجة لما سبق نخلص إلى إثبات صفة المحبة لله تعالى، وأنه ﷻ يقابل محبة عبده لقاءه، ومحبة من يحبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يحبه ويحب لقاءه. «فمحبة ما يحبه الله لله من الأعيان والأعمال من تمام محبة الله وهو الحب في الله ولله »(١). وصفة المحبة من الله تعالى هي صفة فعلية اختيارية، «وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام»(٢).

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب ابتداء من غير مقابلة قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة: ١٩٥]، و﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة: ٢٢٢]، وقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٧]. وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم: ٩٦]، أي: «يحبُّهم ويحبِّبُهم إلى المؤمنين»(٣).

فقد «تضمنت هذه الآيات إثبات أفعال له تعالى ناشئة عن صفة المحبة، ومحبة الله ﷻ لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له قائمة به، وهي من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته، فهو يحب بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٢٥٦-٢٥٧). وينظر: مجموع الفتاوى له (١٠/ ٦٦).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٣٥٤).

(٣) جامع البيان للطبري (١٨/ ٢٦٢).

البالغة»[١].

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: « إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل: إن الله **يحبُّ** فلانا فأحبِبْه، فيُحِبُّه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إنَّ **الله يحبُ** فلانا فأحِبُوهُ؛ فيحبُّه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[٢].

ولذلك «فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهوَّن عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد»[٣].

وقال النبي ﷺ يوم خيبر: « لأعطين الراية غدا رجلا يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، و**يحبه الله** ورسوله»[٤] فـ«أخبر النبي ﷺ أن علي بن أبي طالب ﵁ محب لله ولرسوله ﷺ، وأن الله ﷻ ورسوله محبان لعلي ﵁»[٥].

وقال رسول الله ﷺ: إن الله قال: « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبّ إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل **حتى أحبَّه**؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن

(١) شرح الواسطية للهراس (١٠٠-١٠١). وينظر: شرح النونية له (١/ ١٠٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٠٤٠) كتاب الأدب. باب: المقة من الله تعالى، ومسلم برقم (٢٦٣٧). كتاب: البر والصلة والآداب. باب: إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ٣٠٧). وينظر: إيثار الحق لابن الوزير (١/ ٢١٨-٢١٩).

(٤) رواه البخاري برقم (٣٠٠٩). كتاب: الجهاد والسير. باب: فضل من أسلم على يديه رجل. ومسلم برقم (٢٤٠٦). كتاب: فضائل الصحابة. باب: من فضائل علي ابن أبي طالب﵁.

(٥) الشريعة للآجري (٢/ ٢٢٥).

شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»(١).

فـ«أثبت متقرِبا ومتقرَبا إليه، ومحِبا ومحبوبا غيره»(٢)، فهم «فعلوا محبوبه فأحبهم؛ فإن الجزاء من جنس العمل، مناسب له مناسبة المعلول لعلته»(٣).

«فقد بين أن العبد إذا تقرب إلى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الله، فحب الله لعبده بحسب فعل العبد لما يحبه الله. وما يحبه الله من عبادته وطاعته فهو تبع لحب نفسه، وحبه ذلك هو سبب حب عباده المؤمنين، فكان حبه للمؤمنين تبعا لحب نفسه»(٤).

وقد أثبت السلف رحمهم الله تعالى المحبة صفة لله تعالى.

يقول **حرب الكرماني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله تبارك...، يفرح **ويحب**، ويكره، ويبغض، ويرضى، ويسخط، ويغضب، ويرحم، ويعفو...»(٥).

ويقول **أبو عثمان الصابوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان عرضه لعقيدة السلف بإثبات ما ورد في القرآن والأخبار الصحاح من صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين. . . و الرضى، والسخط، **والحب** والبغض. . . »(٦).

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٠٢). كتاب: الرقاق. باب: التواضع.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ٣٧١).

(٣) نفس المصدر (٢/ ٣٩٤).

(٤) نفس المصدر (٨/ ١٤٤).

(٥) كتاب السنة ص (٤٠-٤١).

(٦) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص(١٦٥).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من **المحبة** والرضى والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال»[١].

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٥١).

المبحث الثالث: من رضي فله الرضى. وفيه مطلبان:

المطلب لأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِظَمَ الجزاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وإِنَّ اللهَ إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهُم، **فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رضا الرب في رضا الوالد**»(٢).

وجه مطابقة الأدلة للترجمة واضح في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقابل رضا عبده على ما أصابه بأن يرضى عنه.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣٩٦). كتاب: الزهد. باب: في الصبر على البلاء. وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه برقم (٤٠٣١). كتاب: الفتن. باب: الصبر على البلاء، والقضاعي في الشهاب برقم (١١٢١)، والبيهقي في الشعب (١٢/ ٢٣٤)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٤٥)، وحسنه الألباني ينظر الصحيحة (١٤٦)، وصحيح الجامع (٢١١٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٣١)، والمشكاة (١٥٦٦).

(٢) رواه الترمذي برقم (١٨٩٩). كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ باب: ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، والبخاري في الأدب المفرد (٢)، والبزار في المسند (٦/ ٣٧٦)، وابن حبان (٢٠٢٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ١٢٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٢)، والبيهقي في الشعب (١٠/ ٢٤٧)، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ١١).

وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وصححه الألباني. ينظر: الصحيحة (٥١٦)، وصحيح الجامع (٣٥٠٦)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٥٨).

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**فمن رضي**) بما ابتلاه الله به[(١)] من المصائب والبلايا. وهذا النوع من الرضا حكمه مستحب؛ لأن الرضا في المقضي من الله تعالى إما واجب أو مستحب:

فالواجب: الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، ويتناول ما أباحه الله من غير تعدٍ إلى المحظور. كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩].

والمستحب: الرضا بالمصائب. كالفقر والمرض والذلّ وغيرها [(٢)].

وقوله: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**فله الرضا**). أي رضا الله تعالى عنه جزاءً لرضاه[(٣)].

وعليه فرضا العبد بما قسم الله له، وبما أمره به كَبِرِّ الوالدين سببٌ في نَيْلِ رضا الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن رضيَ عنه الربُّ جَلَّ جَلَالُهُ فقد حاز أمرا أفضل من الجنة وما فيها، إذ الرضا صفة لله تعالى والجنة خلقة، كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: « يا أهل الجنة، فيقولون لبيك ربَّنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟. فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنَا أُعطيكم أفضلَ من ذلك، قالوا يا ربّ وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحلُّ عليكم **رِضواني** فلا أَسْخَطُ عليكُم بَعدهُ أَبَدا»[(٤)].

---

(١) فيض القدير للمناوي (٢/ ٤٥٩). وينظر: تحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ١٠٣).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٦٧٢).

(٣) ينظر: حاشية السندي على ابن ماجه(٤/ ٣٧٤).

(٤) رواه البخاري برقم (٦٥٤٩). كتاب: الرقاق. باب: صفة الجنة والنار، ومسلم برقم (٢٨٢٩). كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا.

قال **ابن أبي العز الحنفي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر الحديث: « فيستدل به على أنه يحل رضوانه في وقت دون وقت، وأنه يحل رضوانه ثم يسخط، كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤلاء أحل عليهم رضوانا لا يتعقبه سخط»[1].

(١) شرح الطحاوية ص(٤٧٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

ونتيجة لما سلف فإننا نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل رضا عبده بما قضى له، وبما أمره به ونهاه عنه بأن يرضى عنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ جزاء لرضاه. ورضا الرب ﷻ «من لوازم ذاته دائمٌ بدوامِهِ، ولهذا أدام نعيم أهل الجنة والرضا، كما يقول لهم في الجنة (إني أحل عليكم **رضواني** فلا أسخط عليكم أبدا)»[(١)].

«فمن رضي عن ربه رضي الله عنه؛ بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده:

رضا قَبْلَه أوجب له أن يرضى عنه.

و رضا بعده هو ثمرة رضاه عنه، ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين»[(٢)].

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يرضى ابتداء عن عباده المؤمنين وعن أعمالهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[التوبة: ١٠٠]. فـ«أخبر الله ﷺ أنه رضيَ الله عنهم، ورضيَ أعمالهم، ورضيَ عمن اتّبعهم بإحسان، فهم القدوة في الدين بعد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بإصابة الحق، وأقربهم إلى التوفيق لما يقرب إلى رضاه»[(٣)].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ

(١) مختصر الصواعق لابن الموصلي (٢/ ٦٧٢).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٢٩).

(٣) الحجة في بيان المحجة للتيمي (٢/ ٤٢٧).

عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾[البينة: ٨]. «ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم »[(١)]، «فرضي عنهم بما قاموا به من مراضيه، ورضوا عنه، بما أعد لهم من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات»[(٢)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[المائدة: ١١٩]. أي: «رَضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه، من العمل بطاعته واجتناب معاصيه (ورضوا عنه)، يقول: ورضوا هم عن الله تعالى ذكره في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه فيما أمرهم ونهاهم، من جزيل ثوابه»[(٣)].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[الفتح: ١٨]. « فبين أنه رضي عنهم هذا الوقت فإن حرف (إذ) ظرف لما مضى من الزمان، فعلم أنه ذاك الوقت رضي عنهم بسبب ذلك العمل وأثابهم عليه، والمسبَّب لا يكون قبل سببه، والموقت بوقت لا يكون قبل وقته، وإذا كان راضيا من جهة فهذا الرضة الخاص الحاصل بالبيعة لم يكن إلا حينئذ»[(٤)].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ **اللهَ يرضى** لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا، **فَيَرضى** لكم أنْ تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأنْ تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[(٥)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٤٥٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن السعدي (٧/ ٦٥٩).

(٣) جامع البيان للطبري (١١/ ٢٤٥).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية(٧/ ٤٤٤).

(٥) رواه مسلم برقم (١٧١٥). كتاب: الأقضية باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي =

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ **اللهَ ليرضى** عن العبد أنْ يأكل الأكْلَة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»(١).

و عنه رضي الله عنه «قال بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقواما من بني سليم إلى بني عامر في سبعين، فلما قدموا قال لهم خالي: أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلا كنتم مني قريبا، فتقدم فأمنوه، فبينما يحدثهم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ أومئوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال: الله أكبر، فزت وربِّ الكعبة، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلا أعرج صعد الجبل. قال همام: فأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم قد لقوا **ربَّهم فرضي عنهم وأرضاهم**، فكنا نقرأ: أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا **فرضي عنا وأرضانا**، ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رِعْلٍ وذكوانَ وبني لحيانَ وبني عُصَيَّةَ الذين عصوا الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

وقد أثبت السلف هذه الصفة لله تعالى على ما يليق به كما وردت في الأخبار.

يقول **حرب الكرماني** رَحِمَهُ اللهُ: «والله تبارك...، يفرح ويحب، ويكره، ويبغض، **ويرضى**، ويسخط، ويغضب، ويرحم، ويعفو...»(٣).

ويقول **ابن أبي زيد القيرواني** رَحِمَهُ اللهُ: «أن الله تبارك اسمه له الأسماء الحسنى والصفات

=

عن منع وهات، وهو الامتناع عن أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه.

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٣٤). كتاب: الذكر والدعاء. باب: استحباب حمد لله تعالى بعد الأكل أو الشرب.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٨٠١). كتاب: الجهاد والسير. باب: من ينكب في سبيل الله، ومسلم برقم (٦٧٧). كتاب: المساجد. باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة.

(٣) كتاب السنة ص (٤٠-٤١).

العلى...،وأنه **يرضى** عن الطائعين ويحب التوابين »[١].

ويقول **أبو عثمان الصابوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان عرضه لعقيدة السلف بإثبات ما ورد في القرآن والأخبار الصحاح من صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع، والبصر، والعين،. . . و**الرضى**، والسخط، والحب والبغض...»[٢].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة **والرضى** والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال»[٣].

---

(١) كتاب الجامع ص(١٠٧-١٠٨).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص(١٦٥).

(٣) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٥١).

المبحث الرابع: من أكرم سلطان الله أكرمه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك وبيان معناها.

عن أبي بكرة[(١)] ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ **أَكْرَمَ** سُلْطَانَ اللهِ فِي الدُّنْيَا **أَكْرَمَهُ الله** يومَ القيامَةِ،...»[(٢)]، الحديث.

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل إكرام العبد للسلطان بأن يكرمه جزاء له.

فقوله ﷺ: (**من أكرم سلطان الله**) أي: «بالطاعة له فيما أمر الله تعالى فيه بطاعته»[(٣)]. بل طاعة السّلطان في ما فيه طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واجبة على العبد، وإكرامه له يكون بما زاد عن ذلك، كمن أتى أميرَه لا لشيءٍ إلاَّ ليعزِّرَه ويوقِّرَه كما جاء في الحديث: «ورجلٌ أتى إِمَامًا لا يَأْتيه إلاَّ لِيُعَزِّرَهُ ويُوقِّرَهُ، فإنْ مَاتَ في وَجِهِهِ ذلك، كان ضَامِنًا على الله»[(٤)].

---

(١) هو نفيع بن الحارث ويقال: بن مسروح، وقيل: اسمه مسروح، مشهور بكنيته وكان من فضلاء الصحابة. سكن البصرة، وكان تدلى إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من حصن الطائف ببكرة فاشتهر بأبي بكرة. ينظر: الإصابة لابن حجر (٣/ ٢٠١٤).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٠٤٣٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٦٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦٤)، من دون لفظَي «الدنيا» و«يوم القيامة»، والقضاعي في الشهاب برقم (٤١٩)، والخطيب البغدادي في المتفق والمفترق (١/ ٧٣٦).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢١٥): «رجال أحمد ثقات».

وحسنه الألباني ينظر الصحيحة (٢٢٩٧)، وظلال الجنة ص(٤٤٤).

(٣) حاشية السندي على المسند(١٢/ ١٦٠).

(٤) رواه عبد بن حميد في المسند برقم (٣٣٧)، الإمام أحمد برقم (٢٢٠٩٣)، والطبراني في الكبير =

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أكرمه الله** ﷻ) فمن كرمِ الله تعالى: أنه يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق، ويبتدع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنوب، ويعفو عن المسيء، وأن العبد إذا تاب عن السيئة محاها عنه وكتب له مكانها حسنة[١]. وقد يخصه بإكرام كما أكرم هو سلطان الله في الأرض.

=

(٢٠/ ٣٧)، وفي الأوسط برقم (٣٨٢٢)، وابن حبان في الصحيح برقم (٣٧٢)، وابن خزيمة في الصحيح (١٤٩٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٢). وقال: «هذا حديث رواته مصريون ثقات ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٩٩): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام، وبقية رجاله ثقات»، وصححه الألباني. ينظر: الصحيحة رقم (٣٣٨٤)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٠٨)،

(١) ينظر: الحجة للتيمي(١/ ١٤٥).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

نخلص في هذا المطلب إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل إكرام العبد للسلطان بطاعته فيما فيه طاعة لله وتعزيره وتوقيره بأن يكرمه جزاء له بما ييسره له من التوفيق للطاعة في الدنيا، ورفع درجته في الآخرة(١).

وإكرام الله تعالى لعباده هو أثر اسمه تعالى الأكرم قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾[العلق:٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم أعاد الأمر بالقراءة مخبرا عن نفسه بأنّه الأكرم. وهو الأفعل من الكرم، وهو كثرة الخير، ولا أحد أولى بذلك منه سبحانه، فإنَّ الخيرَ كلَّه بيديه، والخيرُ كلُّه منه، والنعمُ كلُّها هو موليها، والكمال كلُّه والمجد كلُّه له، فهو الأكرم حقا»(٢).

وقد أضاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإكرام لنفسه من غير مقابلة فقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴾[الفجر:١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارُّون في رؤية الشّمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ » قالوا: لا، قال: « فهل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ » قالوا: لا، قال: « فو الذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربِّكم إلا كما تضارُّون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبدَ فيقول: أَيْ فُلُ! ألم **أكرمْك**، وأسودك، وأزوجك، و أسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس

---

(١) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٢٦).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٤٢).

وتربع؟...»[(١)] .الحديث.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حيينا أبدا

فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، **فأكرم** الأنصار والمهاجرة»[(٢)].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أحبَّ عبدٌ عبدًا في الله عز وجل إلا **أكرمَه الله** عز وجل »[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه ص(١١٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٩٦١). كتاب الجهاد والسير. باب: البيعة في الحرب أن لا يفروا، ومسلم برقم (١٨٠٥). كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة الأحزاب وهي الخندق.

(٣) رواه الإمام أحمد برقم (٢٢٢٢٩)، والبيهقي في الشعب (١١/ ٣٢٦). وجوَّد إسناده الألباني ينظر: الصحيحة (١٢٥٦).

المبحث الخامس: من وَفَّى لله وَفَّى الله له. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[البقرة: ٤٠].

وجه مطابقة الآية للترجمة ظاهر في الدلالة علىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ يقابل وفاء العبد بعهد الله له بأن يُوفِّيَه ما عاهده عليه جزاء له ومثوبة.

وأصل الوفاء التمام، يقال: وَفَّىٰ بعهده، وأوفىٰ وفاءً، ووفَّىٰ الشيء، ووفىٰ تمَّ[(١)].

فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ ﴾ أي: أتمُّوا ما أمرتكم به من طاعةٍ، ونهيتكم عنه من معصيةٍ في النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وغيره. وقيل: عهده إلىٰ عبادة دينه الإسلام أن يتبعوه[(٢)].

وقد ورد في حديث سيد الاستغفار قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «...وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت»[(٣)]، «أي علىٰ ما عهدته إلينا من طاعتك، وما وعدتنا به من ثوابك، أمتثل أمرك وأرجو وعدك»[(٤)].

وقد بيَّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا العهد الذي أخذه عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾[المائدة: ١٢]. وقال

---

(١) ينظر: مشارق الأنوار للقاضي (٢/ ٢٩٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١/ ٥٥٨- ٥٥٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٥)، والاستغاثة لابن تيمية ص (١٣٥). و تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٢).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٣٢٣). كتاب الدعوات. باب: ما يقول إذا أصبح.

(٤) الاستغاثة لابن تيمية ص (١٣٥).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[آل عمران: ١٨٧].

وقولهﷻ: ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ أي: «أرضى عنكم وأدخلكم الجنة. وقيل: أنجز لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه، فوضع عنكم ما كان عليكم من الإصر والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم »(١).

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « والصوابُ عندنا من القول فيه. وهو في هذا الموضع: عهدُ الله ووصيته التي أخذ على بني إسرائيل في التوراة، أن يبيِّنوا للناس أمرَ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رسولٌ، وأنّهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة أنه نبيّ الله، وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾: وعهدُه إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة»(٢).

وفي تسمية ذلك عهداً قولان:

أحدهما: لأنَّه عَهْدُهُ في الكتب السالفةِ.

والثاني: أنه جعله كالعهد، الذي هو يمين لِلُزُوم الوفاء بهما معاً(٣).

وقد بيَّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عهدَه لهم إذا هم وفَّوا بعهده بقوله: ﴿ لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [المائدة: ١٢].

---

(١) جامع البيان للطبري (١/ ٥٥٨- ٥٥٩)، وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٤٢).

(٢) جامع البيان (١/ ٥٥٧).

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي (١/ ١١٢).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآية.

وبعد تقرير ما سبق نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل من أوفى بعهد الله له من طاعة رسوله والإيمان به واتباعه بأن يوفيه عهده من تكفير سيئاته في الدنيا، وإدخاله جنته في الآخرة. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أزال تَوَهُّمَ من تَوَهَمَ أنه تعالى يجوز عليه ترك الوفاء بما وعد به[١] بقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ١١١].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ولا وأحدَ أعظمُ وفاءً بما عاهد عليه من الله، فإنه لا يخلف الميعاد»[٢].

وقد أضاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الوفاء لنفسه من غير مقابلة كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾[النور: ٢٥]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾[هود: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[النور: ٣٩].

وكذلك ما ورد في حديث جابر ابن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما اشتد عليه غريمُه في دَينه فقال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كِلْ له فإن الله عَزَّ وَجَلَّ سوف **يوفيه**»، فنظرت إلى السماء فإذا الشمس قد دلكت قال: «الصلاة يا أبا بكر»، فاندفعوا إلى المسجد، فقلت: قَرِّبْ أوعيتَك فَكِلْتُ له من العجوة **فوفَّاه الله** عَزَّ وَجَلَّ وفَضَلَ لنا من التمر كذا وكذا...[٣]. الحديث.

---

(١) ينظر: مختصر الصواعق لابن الموصلي (١/ ١٤١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٨).

(٣) رواه الإمام أحمد برقم(١٥٢٨٠)، الدارمي في السنن برقم (٤٦). وأصله عند البخاري برقم (٢٦٠١) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها. باب: إذا وهب دينا على رجل. قال الهيثمي في =

ومما ورد من استعمال الصحابة ﷺ للوفاء على سبل المقابلة قول سلمان الفارسي ﷺ: «الصلاةُ مكيالٌ، فمن **أوفى أوفى الله** له، وقد علمتم ما قال الله في الكيل: ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾[المطففين: ١]»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كان لرجل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ سنٌ من الإبل، فجاءه يتقاضاه فقال: «أعطوه» فطلبوا سنه فلم يجدوا له إلا سنا فوقها، فقال: «أعطوه» فقال: **أوفيتني أوفى الله بك** قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «إن خياركم أحسنكم قضاء»(٢).

=

المجمع (٤/ ١٣٧): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح خلا نبيح العنزي، وهو ثقة».

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٥٦١).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٣٠٥). كتاب الوكالة. باب: وكالة الشاهد والغائب جائزة. واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٠١). كتاب المساقاة. باب: من استسلف شيئا فقضى خيرا منه و(خيركم أحسنكم قضاء).

الباب الثاني

صفات الله تعالى الواردة على سبيل المقابلة المتضمنة معنى العقاب

وقد اشتمل على سبعة فصول:

تمهيد

إنَّ «هذا باب واسع جدا، عظيم النفع، فمن تدبَّره يجده متضمنا لمعاقبة الربِّ سبحانه من خرج عن طاعته، بأن يعكس عليه مقصودَه شرعا وقدرا دنيا وأخرى، وقد اطردت سنته الكونية سبحانه في عباده بأنَّ من مكر بالباطل مُكِر به، ومن احتال احتيل عليه، ومن خادع غيره خُدِع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر: ٤٣]. فلا تجد ماكرا إلا وهو ممكور به، ولا مخادعا إلا وهو مخدوع، ولا محتالا إلا وهو محتال عليه»[1].

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ص(٤٤٦).

الفصل الأول

ما جاء في باب:

المَلل (السأم)

الإعراض (الاستغناء)

النسيان

الإغلاق

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: إن الله لا يملُ(يسأم) حتى تملُوا(تسأموا).

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن عائشة رضي الله عنها، أَن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل عليها وعندها امرأة، قال: «مَنْ هَذِهِ؟ » قالت: فُلَانَةُ، تذكر من صلاتها، قال: « مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَ اللهِ **لا يمل الله حَتَّى تَمَلُّوا**» وكان أحبّ الدّين إليه مادام عليه صاحبه[(١)].

وعن عروة بن الزبير[(٢)] أن عائشة رضي الله عنها زوج النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرته، أنّ الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزّى[(٣)] مرّت بها، وعندها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام اللّيل، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَنَامُ اللَّيْلَ! خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَ اللهِ **لا يَسْأَمُ الله حَتَّى تَسْأَمُوا** »[(٤)].

وجه مطابقة الدليلين للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تعالى يقابل ملل العبد

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٣). كتاب الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه، ومسلم برقم (٧٨٥). كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك.

(٢) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله المدني: ثقة فقيه مشهور، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين على الصحيح، ومولده في أوائل خلافة عثمان رضي الله عنه، أخرج له أصحاب الكتب الستة. ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر برقم (٤٥٦١).

(٣) الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزّى بن قصي القرشية الأسدية، هاجرت إلى رسول الله ﷺ وكانت من المجتهدات العبادة. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر برقم (٣٢٧٢).

(٤) رواه مسلم برقم (٧٨٥). كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك.

وسآمته من العبادة بأن يمل يسأم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من ثوابه مللا وسآمة يليقان به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لا يمل)** الميم واللام أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تقليب الشيء، والآخر على غرضٍ من الشيء[١]. فمن الثاني تقول: ملَّ الشيءَ وملَّ من الشيء، يملُّ بفتح الميم. ملَلاً وملاَلَة. ومِلِلته ومِلِلت منه بالكسر، أي سئمته[٢].

والسأم بمعنى الضجر والملل، فتقول سئِمَ من الشيء أي ملَّه[٣]. يسأمُ سأَماً وسَآمةً[٤].

والملل: في المخلوق هو فتور يعرض للإنسان من كثرة مزاولة شيء؛ فيوجب الكلال والإعراض عنه[٥].

أما معنى الحديث فقد ذُكر له عدة معانٍ، وكلها ترجع إلى بيان معنى (حتى) في الحديث. فعلى ذكر معناها يتم شرح الحديث.

فمن الشرَّاح من حمل **(حتى)** على بابها وهي **لانتهاء الغاية**. ويكون التقدير: (إلا أن)[٦] أي: إن الله لا يملُّ إلا أن تملُّوا. ويكون معنى الحديث: إنَّ الله لا يقطع عنكم فَضْلَهُ وإحسانه حتى تملوا سؤاله، أو لا يترك الثواب والجزاء ما لم تملوا من العمل، فعبر بالترك

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٢٧٦)، ومختار الصحاح للرازي (٣٦٦)، وتاج العروس للزبيدي (٣٠/ ٤١٩).

(٣) ينظر: مختار الصحاح للرازي (١٧٤)، وجامع الأصول لابن الأثير (١/ ٣١٣).

(٤) ينظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/ ٢٠٢)، والنهاية لابن الأثير (١/ ٧٤٣).

(٥) تاج العروس للزبيدي (٣٠/ ٤١٩).

(٦) إبطال التأويلات لأبي يعلى (٢/ ٣٧١).

عن الملل لأنه سببه، فمن مَلَّ شيئًا تركه[١].

وقيل: إن الله لا يمل من الثواب والعطاء حتىٰ تملوا أنتم، ولا يسأم من إفضاله عليكم إلا بسآمتكم عن العمل له، وأنتم متىٰ تكلفتم من العبادة ما لا تطيقون لحقكم الملل وأدرككم الضعف والسآمة، وانقطع عملكم فانقطع عنكم الثواب بانقطاع العمل[٢].

ومنهم من حملها علىٰ معنىٰ **(الواو)** فيكون التقدير: لا يملُّ وتملُّون، أي وأنتم تملون. فنفىٰ عنه الملل وأثبته لهم[٣].

ومنهم من حملها علىٰ معنىٰ **(حين)**. فيكون التقدير: لا يملّ الله حين تملّون[٤].

ومنهم من حملها علىٰ معنىٰ **(إنْ)**أو **(إذا)** فيكون التقدير: إن الله لا يملّ وإنْ مللتم. أو إن الله لا يملّ إذا مللتم[٥]. فهو لا يمل أبدا، مللتم أو لم تملوا، فجرىٰ مجرىٰ قولهم: لا أفعله أفعله حتىٰ يشيب الغراب[٦]، ويبيض القار[١] وهذا كقول الشاعر الشنفرىٰ[٢]:

---

(١) ينظر: شرح السنة للبغوي (٤/ ٤٩).

(٢) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (١/ ١٩٤).

(٣) ينظر: المنتقىٰ للباجي (٢/ ١٥٧)، والمعلم للمازري (١/ ٤٥٧-٤٥٨)، وإكمال المعلم للقاضي (٣/ ٨٤)، ومشارق الأنوار له (١/ ١٧٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٣١٥)، وتنوير الحوالك للسيوطي (١/ ١٠٧)، ودليل الفالحين للصديقي (٢/ ٣٨٤-٣٨٥).

(٤) ينظر: المعلم للمازري (١/ ٤٥٧-٤٥٨)، و إكمال المعلم للقاضي (٣/ ٨٤)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٠٢)، و(١٠/ ٣١٤)، وتنوير الحوالك للسيوطي (١/١٠٧)، وشرح الزرقاني (١/ ٣١٩).

(٥) ينظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٤٨٦-٤٨٧)، والتمهيد لابن عبد البر (١/ ١٩٥-١٩٦)، ١٩٦)، وشرح السنة للبغوي (٤/ ٤٩).

(٦) وتقرير هذا المثال: أنه لما كان شيب الغراب غير ممكن عادة، وبياض القارِّ كذلك. يكون الملل من =

صَلِيتُ مني هُذيل بحرق لا يملّ الشرّ حتى تملّوا

يريد أنه لا يملّ إذا ملّوا، ولو كان يملّ عند ملالهم لم يكن له عليهم فضل.

وكقولهم عن الفصيح البليغ: «لا ينقطع فلان عن خصومة خصمه حتى ينقطع خصمه، ليس يريدون بذلك أنه ينقطع بعد انقطاع خصمه؛ لأنهم لو كانوا يريدون ذلك لم يثبتوا للذي وصفوه فضيلة، إذ كان ينقطع بعقب انقطاع خصمه كما انقطع خصمه، ولكنهم يريدون أنه لا ينقطع بعد انقطاع خصمه كما انقطع خصمه عنه، وأنه يكون من القوة والاضطلاع بخصومته بعد انقطاع خصمه عنها كمثل ما كان عليه منها قبل انقطاع خصمه عنها»(٣).

وبعد الوقوف على هذه التفسيرات للحديث بقي أن نعرف الوجه الصحيح أو القوي منها ليكون هو المعتمد في شرح الحديث.

أولا: من المعلوم أن **(حتى)** تستعمل في كلام العرب على ثلاثة معان: لانتهاء الغاية وهو الغالب، وللتعليل، وبمعنى (إلا) في الاستثناء وهذا أقلها (٤).

وعليه فمن قال: إن معناها (الواو)، أي: العاطفة رُدَّ هذا بأن الواو تعطف الجمل والمفردات، وأما (حتى) فلا تعطف إلا المفردات؛ لأن شرط معطوفها أن يكون جزءا مما

=

الله تعالى كذلك غير ممكن.

(١) ينظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٦٨٠)، وتاج العروس للزبيدي (٣٠/ ٤١٩).

(٢) وقيل هو لخلف الأحمر. ينظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري (٤/ ٢٠٥).

(٣) بيان مشكل الآثار للطحاوي (٢/ ١١٦). وينظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٤٨٦).

(٤) ينظر: مغني اللبيب لابن هشام (٢/ ٢٦٠).

قبله، أو كجزء منه، ولا يتأتى ذلك إلا في المفردات(١). وحديث الباب فيه عطف جملة على جملة.

وأما من قال: إن معناها هو (حين). فهذا غير معروف في لغة العرب(٢).

وقد ضعَّف كلا التفسيرين السابقين العينيُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وهذا ضعيف جدا»(٣).

وأما قولهم: إن معناها (إنّ) أو (إذا)، وأن هذا الاستعمال معروف في كلام العرب، استبعده الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وزعم ابن قتيبة أن المعنى: لا يملُّ إذا مللتم، وزعم أن هذا الاستعمال معروف في كلام العرب، وقد يقال: إن (حتى) بمعنى لام التعليل، وأن المراد أن الله لا يمل لكي تملوا أنتم من العمل وفيه **بُعْدٌ** - أيضا.

ولو كان كذلك لقال: حتى لا تملوا، ويكون التعليل حينئذ بإعلامهم بأن الله لا يمل من العطاء، فيكون إخبارهم بذلك مقتضيا لمدوامتهم على العمل وعدم مللهم وسآمتهم»(٤).

وأما ما مثلوا به وأنه مستعمل في لغة العرب من عدم انقطاع البليغ عن خصمه حتى ينقطع خصمه، وغيره. فالذي يظهر - والعلم عند الله- أن مدلول ما مثلوا به لا يتفق مع حديث الباب لأمور:

منها: أن في المثال مفاعلة من الطرفين في نفس الفعل والعمل الذي هو المناظرة

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ١٦٣)، ومغني اللبيب لابن هشام (٢/ ٢٨٠، ٢٨٣).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ١٦٣).

(٣) عمدة القاري للعيني (١/ ٤٠٢-٤٠٣).

(٤) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٦٣).

والمخاصمة. أما الحديث فليس فيه مفاعلة في الملل نفسه، حتى يصح التمثيل عليه.

ومنها: أن الملل في بيت الشاعر هو سبب في ترك مفعول من جنس واحد وهو ترك الشر، بخلاف حديث الباب، فإن الملل هنا هو سبب لترك مفعول يختلف عن بعضه بحسب من يضاف إليه. فملل العبد كان سببا في ترك العمل والعبادة والطاعة. فقابله الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بملل كان سببا في ترك ثوابه وأجره.

ومنها: أنه ليس في الحديث مفاضلة ولا مغالبة بين العبد وربه حتى يصح التمثيل بما مثلوا به.

ومنها: قولهم إن الله لا يمل أبدا مللتم أم لم تملوا، فما هو المعنى المنفي عنه الملل هنا في هذا الحديث، فهل هو أن الله تعالى لا يمل من الثواب مللتم من العمل أو لم تملوا، فهذا مخالف لما ورد في النصوص من أن الثواب لا يستمر إلا في أمور منها: الأوقاف أو الصدقة الجارية وهذه ينقطع ثوابها بذهاب عينها، وعدم الاستفادة منها، أو الولد الصالح الذي يدعو لأبيه وهذا ينقطع ثوابه بموت الولد على أبعد تقدير، وأما العلم الذي ينتفع به فليس كل أحد يخلف علما ينتفع به، لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[(١)]. هذا فيما يتعلق بما يتركه العبد بعد موته.

وأما ما يكون في حياته فإنه لم ترد النصوص باستمرار الثواب مع انقطاع العمل إلا في المريض أو المسافر. قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما

---

(١) رواه مسلم. برقم (١٦٣١). كتاب الوصية. باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته. من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

كان يعمل مقيما صحيحا»[١]. ولذلك فإطلاق القول بأن الله لا يمل من الثواب أبدا وإن مل العباد من العمل، فيه مخالفة لما ورد في النصوص السالفة.

ومنها: « أَنَّ الخبر قصد به بيان التحريض عَلَىٰ العمل والحث عَلَيْهِ وإن قلَّ، فإذا حمل الخبر عَلَىٰ استدامة الثواب مع انقطاع العمل من العامل لَمْ يوجد المقصود بالخبر، لأَنَّهُ يعول عَلَىٰ التفضل ويطرح العمل»[٢].

ومنها: أن يقال: إنه لما كان هذا الأسلوب معروفا في كلام العرب يجوز التفسير به في كل ما أضيف إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ نحو سياق هذا الحديث كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾[الرعد: ١١]. فيجوز أن يقال: إن الله لا يغير عليهم أبدا غيَّروا أم لم يغيروا. وهذا لم يقل به أحدٌ ممن وقفت علىٰ تفسيره للآية. وبه يظهر أن الحامل لهم علىٰ تفسير الحديث بهذا الأسلوب هو النقص المصاحب لهذه الصفة إذا أضيفت للمخلوق.

بقي القول الأول وهو أن **(حتىٰ)** علىٰ **بابها لانتهاء الغاية،** وبيان ذلك: أن في الحديث تعليق أمر علىٰ أمر، فإن وجد الثاني وُجد الأول، كما هو معروف من لغة العرب، فهو مغيا بغاية لابد من وقوعها، وذلك أن ملل العبد محقق، وقد عُلِّق عليه ملل الله تعالىٰ، فإذا وقع ملل العبد وقع المعلق عليه وهو ملل الله تعالىٰ. وكذلك مما هو مقرر عند النحاة أن «حتىٰ» إذا نصبت ما بعدها، كان الثاني مغيا للأول.

وقد استعمل القرآن نفس هذا الأسلوب كما في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾[الرعد: ١١]. فتغير الله تعالىٰ علىٰ عباده في هذه الآية مشروط بتغييرهم ما

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٩٩٦). كتاب الجهاد والسير. باب: يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة. من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ.

(٢) إبطال التأويلات لأبي يعلىٰ (٢/ ٣٧١).

بأنفسهم، فإن غيروا غير الله عليهم.

يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « إن الله لا يغير ما بقوم من عافية، ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك، بظلم بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض، فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره»(١). فعقوبته وتغييره كان بعد تغييرهم، معلق عليه. فهذا الأسلوب من الناحية العربية مستعمل كما رأيت.

وأما ما دل عليه الحديث من المعنى الذي يفهم منه، وهو معنى الملل، فهو الذي سبَّب الإشكال، فالناظر في معناه في المخلوق- الذي هو فتور يعرض من كثرة مزاولة شيء؛ فيوجب الكلال والإعراض عنه- جعله ينفي ذلك مطلقا عن الله تعالى، ويحمِّل النص تأويلات وتصريفات تكون بعيدة أحيانا عن لغة العرب كما مر بيانه.

ومن هنا يمكن القول: جريا على لغة العرب وأسلوب كلامها، إن الحديث يدل على أن الله تعالى يقابل ملل العبد و سآمته عن العبادة بأن يمل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويسأم من ثوابه. ثم ما يضاف من هذه الصفة يختلف باختلاف من تضاف إليه، فما يضاف إلى الله تعالى منها يكون بما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الكمال. وما يضاف منها إلى العبد يكون بحسبه. جريا على قاعدة السلف في كون المضاف إلى الله تعالى لا يكون إلا كمالا. وهو في هذا الحديث يكون كمالا مقيدا على سبيل المقابلة كما ورد في النص.

فإذا ثبت هذا، كان ما قالوه في معنى الحديث من أنَّ الله لا يترك الثواب والجزاء ما لم يملوا من العمل، أو لا يقطع عنهم فَضْلَهُ وإحسانه حتى يملوا سؤاله، والرغبة إليه، هو أثر وثمرة عن هذا الملل ولازمه، فإن الله تعالى إذا ملَّ عند مللهم من العبادة ترك إثابتهم.

وبهذا يظهر أن القول الأول هو الأولى بالصواب لعدم ورود إيرادات عليه، كما في

---

(١) جامع البيان (١٦/ ٣٨٢-٣٨٣).

الأقوال الأخرىٰ؛ إلا ما تُوهِّم من معنىٰ النقص في صفة الملل المضاف إلىٰ الله تعالىٰ، وهذا لا يقوىٰ أن يكون إيرادا يسقط به التوجيه، لأن هذا الإيراد أُورِد في عدد من الصفات منها ما قد سبق الكلام فيها. والله أعلم.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

وبعد تقرير ما سبق في المطلب الأول نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل ملل عبده وسآمته من العمل بأن يمل ويسأم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من ثوابه مللا وسآمة تليقان به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهما من الصفات الفعلية المتعلقة بإرادته ومشيئته. وهما تثبتان له على وجه المقابلة فقط من دون إطلاق وقوفا على النص.

ولهذا فإن «الملل والسآمة للعمل يوجب قطعه وتركه، فإذا سأم العبد من العمل وملَّه قطعه وتركه فقطع الله عنه ثواب ذلك العمل؛ فإن العبد إنما يجازى بعمله، فمن ترك عمله انقطع عنه ثوابه وأجره إذا كان قطعه لغير عذر من مرض أو سفر أو هرم»(١).

وممن وقفت على قوله في إثبات الملل صفة لله تعالى: **ابن القاسم المالكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يرويه عنه **ابن عبد البر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بلاغا حيث قال: «وقد بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير بأسا برواية الحديث أن الله ضحك وذلك لأن الضحك من الله والتنزل والملالة والتعجب منه ليس على جهة ما يكون من عباده»(٢).

وقال ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ذكر الأخبار المأثورة في الملال وأن الله ﷻ لا يسأم حتى يسأم عبده»(٣). ثم ساق أحاديث الباب. وقد ساق قبل هذا أدلة صفة التعجب، وبعده صفة الإعراض والإقبال والمكر بالماكرين وغيرها من الصفات.

---

(١) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٦٢)، وينظر: غريب الحديث للحربي (١/ ٣٣٨)، وجامع البيان للطبري (٢٣/ ٦٧٨)، والتمهيد لابن عبد البر (١/ ١٩٤).

(٢) التمهيد (٧/ ١٥٢).

(٣) كتاب التوحيد ص (٧٤٤).

وقال أبو يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أَنَّه غير ممتنع إطلاق وصفه تعالى بالملل لا على معنى السآمة[١]، والاستثقال، ونفور النفس عَنْهُ[٢]، كَمَا جاز وصفه بالغضب لا عَلَى وجه النفور، وكذلك الكراهة والسخط والعداوة»[٣].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(فإن الله لا يمل حتى تملوا) من نصوص الصفات، وهذا على وجه يليق بالباري لا نقص فيه، كنصوص الاستهزاءِ والخداع فيما يتبادر»[٤]

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهكذا قوله في الحث على الأعمال الصالحة: (فإن الله جل وعلا لا يمل حتى تملوا) ملل يليق بالله لا يشابه صفات المخلوقين في مللهم، فالمخلوقون لديهم نقص وضعف، وأما صفات الله فهي كاملة تليق به سبحانه لا يشابه خلقه، وليس فيها نقص ولا عيب، بل هي صفات تليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يشابه فيها خلقه جل وعلا»[٥].

وسئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل نفهم من حديث: (إن الله لا يمل حتى تملوا). المتفق عليه أن الله يوصف بالملل؟.

---

(١) هذا غير صحيح فقد ثبتت السآمة في رواية مسلم كما مرّ في المطلب الأول.

(٢) هذه الأوصاف التي ذكرها هي أوصاف المخلوقين فلا حاجة إلى الاحتراز منها، لأن كل صفة لها لوازمها التي تعود عليها بحسب من تضاف إليه، فلوازم صفات المخلوقين يتنزه الله عنها. وكذلك ما لزم من صفات الله تعالى فهي كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

(٣) إبطال التأويلات (٢/ ٣٧٠).

(٤) الفتاوى (١/ ٢٠٩).

(٥) فتاوى نور على الدرب (٣/ ١٥٨).

فأجاب قائلا: «من المعلوم أن القاعدة عند أهل السنة والجماعة أننا نصف الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه من غير تمثيل، ولا تكييف.

فإذا كان هذا الحديث يدل على أن لله مللا فإن ملل الله ليس كمثل مللنا نحن، بل هو ملل ليس فيه شيء من النقص، أما ملل الإنسان فإن فيه أشياء من النقص؛ لأنه يتعب نفسيا وجسميا مما نزل بعد لعدم قوة تحمله، وأما ملل الله إن كان هذا الحديث يدل عليه فإنه ملل يليق به عز وجل، ولا يتضمن نقصا بوجه من الوجه»(١).

وسئلت **اللجنة الدائمة للإفتاء** عن حديث الباب فأجابت:

«الواجب هو إمرار هذا الحديث كما جاء، مع الإيمان بالصفة، وأنها حق على الوجه الذي يليق بالله، من غير مشابهة لخلقه ولا تكييف، كالمكر والخداع والكيد الواردة في كتاب الله عز وجل، وكلها صفات حق تليق بالله سبحانه وتعالى، على حد قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]».

وقد أمضى على الفتوى كل من الشيخ ابن باز رئيسا، وأعضاؤه كل من الشيخ الفوزان وعبد العزيز آل الشيخ وعبد الله بن غديان(٢).

---

(١) فتاوى ابن عثيمين (١/ ١٧٤).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (٢/ ٤٠٣).

المبحث الثاني: من أعرض عن الله أعرض الله عنه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي واقد اللّيثيّ رضي الله عنه أَنّ رسول اللهّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينما هو جالس في المسجد والنّاس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، وفيه قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...**وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عَنْهُ**»[(١)] الحديث.

وجه مطابقة الحديث للترجمة واضح في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقابل إعراض العبد عن الهدى والخير بأن يعرض عنه عقوبة له.

و**الإعراض** عن الشيء: الصدُّ عنه، تقول: أعرضَ عنه: بمعنى صَدَّ عنه[(٢)].

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أما الآخر فأعرض**) أي: عن مجلسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يلتفت إليه، بل ولَّى مدبرا[(٣)]، عن عمل البرِّ[(٤)].

وأما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**فأعرض الله عنه**) أي: بالثواب[(٥)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٦). كتاب العلم. باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في حلقة فجلس فيها، ومسلم برقم (٢١٧٦). كتاب السلام. باب: من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم.

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري (٣/ ١٠٨٤)، ومختار الصحاح للرازي ص(٢٥٥). ولسان العرب لابن منظور (٤/ ٢٨٩٤)، وتاج العروس للزبيدي (١٨/ ٤٠٩).

(٣) ينظر: عمدة القاري للعيني (٢/ ٥٠)، وتنوير الحوالك للسيوطي (١/ ٢٣٩)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥، ٤٥٧).

(٤) التمهيد لابن عبد البر (١/ ٣١٧).

(٥) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (١/ ٣١٧).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

ما يستفاد من حديث الباب هو إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل إعراض عبده عنه وعن الهدىٰ بأن يعرض عنه تقريعا له من جنس فعله. والإعراض المضاف إلى الله تعالى هو من الصفات الفعلية المتعلقة بإرادته ومشيئته الصادرة منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وإعراضه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن العبد في الدنيا بأن يتركه ويَكِلَه إلى نفسه وإلى ما تولّاه كما قال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وقد توعد الله تعالى من أعرض عن ذكره في الدنيا بأن يحييه معيشة ضنكا ويحشره يوم القيامة أعمى. قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤]. وإعراضُه عن ذكره يتناول إعراضَه عن الذكر الذي أنزله، وهو كتابه، وهو المراد، ويتناول إعراضَه عن أن يَذكُرَ ربَّهُ بكتابه، وأسمائه، وصفاته، وأوامره، وآلائه، ونعمه؛ فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربِّه تعالى، فمن لم يَتْلُه ولم يتدبره، ولم يعمل به، ولم يفهمه؛ فإنَّ حياته ومعيشته لا تكون إلا مضيَّقةً عليه مُنَكَّدَةً معذَّبًا فيها[1].

وعن جابر رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في مسجدنا هذا وفي يده عرجونُ ابنِ طابٍ فرأى في قبلة المسجد نُخامةً فَحَكَّهَا بالعرجون ثم أقبل علينا فقال: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ الله عنه**؟ »قال: فخشعنا، ثم قال: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ الله عنه** ؟ »، قال: فخشعنا، ثم قال: « **أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ الله عنه ؟** » قلنا: لا أينا يا رسول الله، قال: « فإنَّ أحدَكم إذا قام يُصلِّي فإنَّ اللهَ تبارك وتعالى قِبَلَ وَجْهِهِ، فلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَن

---

(١) ينظر: الوابل الصيب لابن القيم (١٠٦-١٠٧).

يَمِينِهِ، وَلْيَبْصُقْ عنْ يَسارِهِ تَحتَ رِجْلِهِ اليُسْرَىٰ...»[١].

وقد ورد -أيضا- أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يعرضُ عن أناسٍ يوم القيامة كما جاء في الحديث.

عن وائل ابن حجر[٢] رضي الله عنه قال: جاء رجل من حضر موت ورجل من كندة إلىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال الحضرمي: يا رسول الله! إن هذا قد غلبني علىٰ أرضٍ لي كانت لأبي، فقال الكندي: هي أرضي في يدي أزرعها ليس له فيها حق، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحضرمي: «أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟» قال: لا، قال: «فَلَكَ يَمِينُهُ». قال: يا رسول الله إن الرجل فاجر لا يبالي علىٰ ما حلف عليه، وليس يتورع من شيء، فقال: «لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ». فانطلق ليحلف، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما أدبر: «أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَىٰ مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْماً **لَيَلْقَيَنَّ اللهَ وهوَ عَنهُ مُعْرِضٌ**»[٣].

وقد ورد ما يدل علىٰ معنىٰ قريب من معنىٰ الإعراض وهو **الاستغناء منه** سبحانه وتعالىٰ كما في روايةٍ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعظ أصحابه فإذا ثلاثة نفر يمرون، فجاء أحدهم فجلس إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومضىٰ الثاني قليلا ثم جلس، وأما الثالث فمضىٰ علىٰ وجهه، فقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا هذا الذي جاءَ فَجَلَسَ إِلَيْنَا فَإِنَّهُ تَابَ فَتَابَ الله عَليهِ، وَأَمَّا الذي مَضَىٰ قَلِيلًا ثُمَّ جَلَسَ؛ فَإِنَّهُ اسْتَحْيَىٰ فاسْتحيَىٰ الله مِنْهُ، وأَمَّا الذي مَضَىٰ عَلىٰ وَجْهِهِ **فإِنَّهُ اسْتغْنَىٰ فَاسْتَغْنَىٰ الله عَنه**»[٤].

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٠٠٨). كتاب الزهد والرقائق. باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر.

(٢) وائل بن حجر بضم المهملة وسكون الجيم بن ربيعة بن وائل بن يعمر، ويقال: بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل بن النعمان الحضرمي، نزل الكوفة ومات في خلافة معاوية رضي الله عنهما. ينظر: الإصابة لابن حجر (٣/ ٢٠٧٧).

(٣) رواه مسلم برقم (١٣٩). كتاب الإيمان. باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار.

(٤) رواه البزار في المسند (٤/ ٤٦٢)، الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٥)، والضياء في المختارة (٢٥٦٩).

=

فالسين والتاء في الاستغناء المضاف إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليستا للطلب وإنما هي للمبالغة[١] كقوله: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾[عبس: ٥]. أي أنه لما استغنى العبد عما عند الله تعالى من الهدى وما عند رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدلالة والرشاد، قابله الله ﷻ بالاستغناء عنه وعن هدايته، وهذا استغناء زائد عن غناه الذاتي، وخاص بهذه الحال، لأن الله تعالى غني بذاته عن مخلوقاته سواء أطاعوه وأجابوه لما دعاهم إليه، أو عصوه وأعرضوا عما أرشدهم إليه وطلبه منهم.

يقول **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في نونيته[٢].

هو الغني بذاته فغناه ذا ... تي له كالجود والإحسان

«فله سبحانه الغنى التام المطلق من كل وجه، بحيث لا تشوبه شائبة فقر وحاجة أصلا؛ وذلك لأن غناه وصف لازم له، لا ينفك عنه؛ لأنه مقتضى ذاته، وما بالذات لا يمكن أن يزول، فيمتنع أن يكون إلا غنيا، كما يمتنع أن يكون إلا جوادا محسنا برا رحيما كريما»[٣].

=

وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٩). « رجاله ثقات». ويشهد له حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه المبوب له.

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨/ ٢٦٩).

(٢) ص (٢٤٢).

(٣) شرح النونية للهراس (٢/ ٤٦٣). وينظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٣/ ٢٣٥). ضمن المجموعة.

وأما الاستغناء الوارد في الحديث فهو نوع استغناء خاص، وفرد من أفراد استغنائه العام عن خلقه، بحيث استغنى عمن استغنى عنه. عقوبة له على ذلك وإن كان هو سبحانه وتعالى مستغن عن غيره على كل حال.

ومما ورد في صفة الاستغناء من الله تعالى من غير مقابلة في اللفظ قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾[التغابن: ٦]. أي: «واستغنى الله عنهم، وعن إيمانهم به وبرسله، ولم تكن به إلى ذلك منهم حاجة»[١].

(١) جامع البيان للطبري(٢٣/ ٤١٧).

المبحث الثالث: من نسي الله نسيه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[الأعراف: ٥١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[التوبة: ٦٧].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[طه: ١٢٦].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[السجدة: ١٤].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [الجاثية: ٣٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: « هل تُضارُّون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ » قالوا: لا، قال: « فهل تُضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ » قالوا: لا، قال: « فو الذي نفسي بيده لا تُضَارُّون في رؤية ربِّكم إلا كما تُضَارُّون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبدَ فيقول: أي فُلُ! ألم أكرمْك، وأسودك، وأزوجك، و أسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: **فإني أنساك كما نسيتني**، ثم يلقى الثاني فيقول: أيّ فُلُ! ألم أكرمْك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، أي ربّ! فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: **فإني أنساك كما نسيتني**، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب! آمنت بك وبكتابك

وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذا...»[١]. الحديث.

وجه مطابقة الأدلة للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تعالى يقابل نسيان العبد وتركه لعبادته بأن ينساه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حيث يتركه في نار جهنم.

والنسيان في اللغة: ضِدّ الذِّكْر. **يقول ابن فارس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النون والسين والياء أصلان صحيحان: يدل أحدهما على إغفال الشيء، والثاني على ترك شيء»[٢]. تقول: نَسِيَهُ نِسْياً ونِسْياناً ونِسْوَةً، وتَناسَاهُ وأَنْساه إيَّاه[٣]. وأكثر أهل اللغة فسروه بالترك وهو المشهور عندهم[٤].

فقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾.

في تفسيرها أقوال[٥]:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نتركهم في النار كما تركوا لقاء يومهم هذا.

وقيل: نسيهم الله من الخير، ولم ينسهم من الشر.

وقيل: نسوا في العذاب.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٦٨). كتاب الزهد والرقائق. بدون باب.

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٤٢١).

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٨/ ٥١٨).

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٧٨)، و(٤/ ٣٤٩)، ومشارق الأنوار للقاضي (٢/ ٢٧). وتاج العروس للزبيدي (٤٠/ ٧٤-٧٥).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٩٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٤١)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٤- ٤٢٥).

وقيل: ننساهم: نؤخرهم في النار.

وقيل: نتركهم من الرحمة.

وقيل: كما تركتم أمري.

وعلى تفسير ابن عباس ﷺ الأول جرى تفسير أهل العلم بعده[١].

وقد حكاه الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسيرا لبعضهم[٢].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾:

فعن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: تركوا الله ﴿ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ تركهم من ثوابه وكرامته.

وقيل: تركوا طاعة الله.

وقيل: نسوا من كل خير، ولم ينسوا من الشر[٣].

وقوله تعالى: ﴿ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ ﴾. أي: فتركتها وأعرضت عنها، ﴿ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾: أي: تُترك في النار[٤].

---

(١) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢١٥)، وجامع البيان للطبري (١١/ ٣٥٧)، و(١٢/ ٤٧٥)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٢٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ١٠٨)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ٣٥).

(٢) الجامع (٥٤٧) تحت حديث رقم(٢٤٢٨)

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١/ ٩)، و(٢/ ٤٧٦)، و(١٠/ ١٢٩)، و(١٤/ ٢٤٦، ٣٣٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٣٢-١٨٣٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٨٣)، و(٣/ ٢٣١)، والهداية لمكي بن أبي طالب (١/ ٣٨٦). و(٤/ ٣٠٦١).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨/ ٣٩٦-٣٩٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٠-٢٤٤١)، (٣/ ١٤٦).

وقيل: نسي من الخير، ولم ينس من الشرّ.

وهذا القول لا يعارض القول الأول؛ لأن تركه إياهم في النار أعظم الشرّ لهم(١).

وقال تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾.

قيل في تفسيرها: «﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ ﴾ أي: تركتم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾: أي: تركناكم في النار(٢).

وقيل: نسوا من كلّ خير، وأما الشرّ فلم ينسوا منه(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾

يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم العمل للقاء ربِّكم يومكم هذا»(٤).

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**فإني أنساك كما نسيتني**).

قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى قوله: (اليوم أنساك)، يقول: اليوم أتركك في العذاب»(٥).

وقيل: أي: «أمنعك الرحمة كما امتنعت من طاعتي»(٦).

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨/ ٣٩٦-٣٩٧).

(٢) ينظر: نفس المصدر (١٩/ ٧٦)، و(٢٠/ ١٧٧).

(٣) نفس المصدر (٢٠/ ١٧٧).

(٤) نفس المصدر (٢٢/ ٨٧).

(٥) الجامع (٥٤٧) تحت حديث رقم(٢٤٢٨).

(٦) شرح مسلم للنووي (١٨/ ١٠٤). وينظر: الديباج للسيوطي (٦/ ٢٨٣)، ومرقاة المفاتيح للقاري للقاري (١٠/ ٢١٤).

«فهذا يقتضي أنه لا يذكره كما يذكر أهل طاعته، هو متعلق بمشيئته وقدرته أيضًا، وهو سبحانه قد خلق هذا العبد وعلم ما سيعمله قبل أن يعمله، ولما عمل علم ما عمل ورأى عمله، فهذا النسيان لا يناقض ما علمه ـ سبحانه ـ من حال هذا»[(١)].

وبناء على هذه التفسيرات يمكن القول: إنها ترجع في الجملة إلى معنى واحد: وهو أن النسيان هنا مراد به عدم ذكرهم وتركهم، في النار يوم القيامة الذين تركوا الإيمان به وبآياته ورسله في الدنيا. وهو تفسير لظاهر الآية بما هو معروف من لغة العرب في تفسير النسيان بالترك وهو المشهور عندهم.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ١٣٥).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

ونتيجة لما سبق تفصيله في المطلب الأول نخلص إلى إثبات أن الله تعالى يقابل نسيان عباده له ولآيات وللقائه بأن ينساهم، ومعناه: يتركهم في نار جهنم جزاء لهم على تركهم ما أمروا به في الدنيا، والنسيان المضاف إلى الله تعالى هو من الصفات الفعلية، ومعناها هنا هو الترك كما هو مستعمل مشهور عند أهل اللغة، وجرى عليه تفسير أهل العلم من الصحابة ﷺ ومن بعدهم.

وأما النسيان الذي هو بمعنى الذهول عن الشيء فهذا قد نفاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نفسه حيث قال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم: ٦٤]. وقال جلَّ شأنه: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[طه: ٥٢].

وأما النسيان الذي يضاف إلى العباد هو: ترك الإنسان ضبط ما استودع. إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة، وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره، وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد، وما عذر فيه فهو ما لم يكن سببه منه.

ولذلك فالنسيان المضاف إلى العباد في هذه الآيات السالفة الذكر: هو ما كان سببه عن تعمد منهم وتركوه على طريق الإهانة، فقابلهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن تركهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه(١).

(١) ينظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص (٤٩١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجازاهم على نسيانهم له أن نسيهم فلم يذكرهم بالهدى والرحمة، وأخبر أنه أنساهم أنفسهم فلم يطلبوا كمالها بالعلم النافع والعمل الصالح، وهما الهدى ودين الحق، فأنساهم طلب ذلك ومحبته ومعرفته والحرص عليه عقوبة لنسيانهم له»[1].

ولذلك فإن «نسيان الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ [للعبد[2]] يوجب [له] نسيان نفسه ومصالحها قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[الحشر: ١٩]. وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها، فهلكت وفسدت ولا بدّ، كمن له زرعٌ أو بستانٌ أو ماشيةٌ أو غير ذلك ومما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره، وضيع مصالحه؛ فإنه يفسد ولا بد. هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه؛ فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها، واشتغل عن مصالحها، وعطل مراعاتها، وترك القيام عليها بما يصلحها، فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان! وهذا هو الذي صار أمره كله فرُطا، فانفرط عليه أمره وضاعت مصالحه وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك.

ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به، وأن لا يزال اللسان رطبا به، وأن ينزله منزلة حياته التي لا غنى له عنها، ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك، وبمنزلة الماء عند شدة العطش، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد، وبمنزلة الكنِّ في شدة الشتاء والسموم.

---

(١) الفوائد ص(١٧٤-١٧٥).

(٢) ما بين معكوفتين أضفته ليتضح المعنى.

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم، فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده؟ هذا هلاك لا بد منه وقد يعقبه صلاح الأبد، وأما هلاك القلب والروح فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها لكفي بها، فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا ونسيه في العذاب يوم القيامة»[1].

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم ص(١٠٤، ١٠٦). وينظر: الصواعق المرسلة له (٤/ ١٤٨١)، ومختصر الصواعق لابن الموصلي (٢/ ٦٣٤-٦٣٥)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٣٤٨).

المبحث الرابع: من أغلق بابه دون رعيته أغلق الله أبواب السماء دونه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك وبيان معناها.

عن عمرو بن مرة[(١)] ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من إمام **يغلق بابه** دون ذي الحاجة والخلة والمسكنة إلا **أغلق الله** أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته»[(٢)].

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل من أغلق بابه عن رعيته دون حاجتهم ومسكنتهم بأن يغلق أبواب السماء دون حاجته ومسكنته عقابا له.

فقوله ﷺ: (**يغلق بابه دون ذي الحاجة والخلة والمسكنة**). أي يمنعهم من الولوج عليه وعرض أحوالهم عليه، ويترفع عن استماع كلامهم[(٣)].

---

(١) هو أبو مريم الفلسطيني الأزدي، قدم دمشق على معاوية﵁ وروى حديثا واحدا. ينظر: الإصابة لابن حجر (٤/ ٢٣٥٦-٢٣٥٧).

(٢) الترمذي برقم (١٣٣٢) كتاب الأحكام، باب: ما جاء في إمام الرعية، وابن أبي شيبة في المسند برقم (٦٧٦)، وأحمد برقم (١٨٠٣٣)، وعبد بن حميد في المسند برقم (٢٨٦)، وأبو يعلى في المسند برقم (١٥٦٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٩٤)، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وحسن إسناد الإمامِ أحمدَ المنذريُ. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٢٨)، والبوصيري في إتحاف المهرة (٥/ ٣٨٢)، وصححه الألباني. ينظر: الصحيحة برقم (٦٢٩)، وصحيح الجامع (٥٦٨٥)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٢٧).

(٣) فيض القدير للمناوي (٥/ ٤٧٠).

وقيل: «عبارة عن الاحتجاب ونصب الحجاب، أو كناية عن الامتناع عن قضاء مقصود المحتاجين بالباب»[١].

وقيل: «أي يحتجب ويمتنع من الخروج عند احتياجهم إليه»[٢].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته)** أي: فلا يصعد إلى الله تعالى منه دعاء؛ لأن أبواب السماء دونه مغلقة. وإجابة الله له عنه محجوبة.

---

(١) مرقاة المفاتيح للقاري (٧/ ٢٧٦).

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري (٤/ ٤٦٦).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث:

وبعد بيان ما سبق من شرح الحديث نخلص إلى إثبات أن الله تعالى يقابل من أغلق عن رعيته بابه عند حاجتهم إليه بأن يغلق أبواب السماء دون حاجته وخلته عقوبة له.

وهذا الاغلاق المضاف إلى الله تبارك وتعالى قد جاء معناه مقررا في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[الأعراف: ٤٠].

قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق هذه الآية: «لأن أبواب السماء إنما تفتح لأرواح المؤمنين، لرفع أعمالهم إلى الله ﷻ منها، ولما سوى ذلك مما يشاء الله»[١].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها، ولم يتبعوا رسلنا ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا ﴾ يقول: وتكبروا عن التصديق بها، وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبرًا ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ ﴾ لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم ﴿ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل، لأن أعمالهم خبيثة، وإنما يُرفع الكلم الطيبُ والعملُ الصالح»[٢].

---

(١) الرد على الجهمية(٥٨).

(٢) جامع البيان (١٢/ ٤٢١).

الفصل الثاني

ما جاء في باب:

الفتح

الاحصاء

الإيعاء

الإيكاء

المنع

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: من فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه باب فقر. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي كبشةَ الأنّماريّ[(١)] رضي الله عنه، أنّه سمع رسول اللهّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ الله عِزًّا، وَلا **فَتَحَ عَبْدٌ** بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ **فَتَحَ الله عَلَيْهِ** بَابَ فَقْرٍ...»[(٢)].

وجه مطابقة الترجمة للحديث ظاهر في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل من فتح على نفسه باب المسألة من دون حاجة بأن يفتح عليه باب فقر عقوبة له.

فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: (**ولا فتح باب مسألة**): أي باب سؤال وطلب من الناس لا لحاجة وضرورة بل لقصد غنىً وزيادةٍ وتكثُّرٍ[(٣)].

---

(١) هو المذحجي، مختلف في اسمه قيل: سعيد بن عمر، وقيل: عمرو بن سعيد، وقيل عمير بضم العين، وقيل عامر، وقيل سليم، نزيل الشام. ينظر: الإصابة لابن حجر (٤/ ٢٣٣٩-٢٣٤٠).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٣٢٥) كتاب الزهد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، باب: ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، وقال حديث صحيح، وأحمد برقم(١٨٠٣١)، والطبراني في الكبير (٨٥٥). والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٨٩). وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند ابن حبان في صحيحه برقم (٣٣٨٧). قال عنه الألباني: «وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم». ينظر الصحيحة رقم(٢٥٤٣)، والمشكاة برقم (٥٢٨٧).

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٩/ ٤٦٩)، وفيض القدير للمناوي (٣/ ٢٩٨)، ودليل الفالحين للصديقي (٤/ ٥٣٩)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٢٦).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إلا فتح الله عليه باب فقر**) أي: باب احتياج، أو بأن يسلب عنه ما عنده من النعمة فيقع في نهايةٍ من النقمة [(١)].

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٩/ ٤٦٩)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٢٦).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد بيان ما سلف من شرح الحديث نخلص إلىٰ إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل فتح العبد علىٰ نفسه باب المسألة من غير حاجة ولا ضرورة لها بأن يفتح الله عليه باب الفقر عقابا له، وفتحه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علىٰ عبده هو من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وإرادته.

ومما دلَّ عليه الحديث. أن العبد لما ادعىٰ الحاجة وفتح باب المسألة لها والحالة عكس ذلك عاقبه الله تعالىٰ بأن صيَّره إلىٰ ما ادعاه من الفقر والحاجة.

وقد بيَّن النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّ المسألة لا تحلُّ إلا لأحد ثلاثة، فعن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحمَّلْتُ حمالةً، فأتيت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أسأله فيها، فقال: «أقمْ حتىٰ تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها» قال: ثم قال: «يا قبيصة! إن المسألةَ لا تحلُّ إلا لأحد ثلاثة: رجلٍ تحمَّل حمالةً فحلَّت له المسألة حتىٰ يصيبها ثم يمسك، ورجلٍ أصابته جائحةٌ اجتاحتْ ماله فحلت له المسألة حتىٰ يصيب قواما من عيش (أو قال سدادا من عيش)، ورجلٍ أصابته فاقةٌ حتىٰ يقوم ثلاثةٌ من ذوي الحِجَا من قومه: لقد أصابت فلانا فاقةٌ فحلت له المسألة، حتىٰ يصيب قواما من عيش (أو قال سدادا من عيش) فما سواهنَّ من المسألة، يا قبيصةُ! سُحتًا يأكلُها صاحبُها سُحتًا»(١).

وفتحُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علىٰ عباده هو أثر اسمه الفتاح قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[سبأ: ٢٦].

(١) رواه مسلم برقم (١٠٤٤) كتاب الزكاة. باب: من تحل له المسألة.

يقول **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته[١]:

وكــــذلك الفتَّـــاحُ مــــن أســـمائه والفـــتحُ في أوصـــافه أمــــران

فـــتحٌ بحكـــمٍ وهـــو شرعُ إلهنـــا والفـــتحُ بالأقـــدار فـــتحٌ ثـــان

والـــربُّ فتَّـــاحٌ بـــذين كِلَـــيهِما عـــدلاً وإحســـاناً مـــن الـــرحمن

يقول **ابن سعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحا لهذه الأبيات: « فالفتاح: هو الحكم المحسن الجواد.

وفتحه تعالى قسمان:

أحدهما: فتحه بحكمه الديني، وحكمه الجزائي.

والثاني: الفتاح بحكمه القدري.

ففتحه بحكمه الديني: هو شرعه على ألسنة رسله جميع ما يحتاجه المكلفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم.

وأما **فتحه بجزائه**: فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم، وبين أوليائه وأعدائه بإكرام الأنبياء وأتباعهم ونجاتهم، و بإهانة أعدائهم وعقوباتهم.

وكذلك فتحه يوم القيامة، وحكمه بين الخلائق حين يوفي كل عامل ما عمله.

وأما **فتحه القدري**: فهو ما يقدره على عباده من خير وشر، ونفع وضر، وعطاء ومنع، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[فاطر: ٢]. فالرب تعالى هو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضله وعدله»[٢].

(١) ص(٢٤٧).

(٢) الحق الواضح المبين (٣/ ٢٥٦) ضمن المجموعة، وينظر: شرح النونية للهراس (٢/ ٤٨٨-٤٨٩).

المبحث الثاني: من يحصي يحصي الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أسماء رضي الله عنها قالت: قال لي النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لاَ تُحْصِي فَيُحْصِي الله عَلَيْكِ**»(١).

وجه مطابقة الحديث للترجمة واضح في الدلالة على أن الله جَلَّ جَلَالُهُ يقابل إحصاء العبد لرزق الله وعَدِّه وعدم الإنفاق منه بأن يحصيَ عليه، جزاء من جنس عمله.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لا تحصي**). فهي كلمة مأخوذة من الإحصاء وهو: «معرفة قدر الشيء وزنا أو عددا»(٢)، وقيل: المراد بالإحصاء: «عَدُّ الشيء لأن يُدَّخَر ولا ينفق منه »(٣).

والمراد في الحديث: لا تحصي ما تعطي فتستكثرُ نفسُك، فيكون سببَ انقطاعه ومنعَك له. وقد يراد هنا بالإحصاء معرفة عدده خوف أن تزول البركة منه(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٣٣) كتاب الزكاة. التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، ومسلم برقم (١٠٢٩) كتاب الزكاة. باب: الحث على الإنفاق، وكراهية الإحصاء.

(٢) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٣/ ٥٥٩)، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٠٠)، وعمدة القاري للعيني(٨/ ٤٣١)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٣/ ٣٣)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٤/ ٣١٨)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٦٨).

(٣) تحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٦٨). وينظر: حاشية السيوطي على النسائي (٥/ ٧٦).

(٤) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٣/ ٥٥٩)، وشرح مسلم للنووي (٧/ ١١٩)، وعمدة القاري للعيني (٨/ ٤٣١)، والديباج للسيوطي (٣/ ١٠٥)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٤/ ٣١٨)، وفيض القدير للمناوي (٣/ ٦١).

وقيل: « لا تتكلَّفي معرفة قدر إنفاقك »[(١)].

وقيل: لا تبخلي فتجازين علىٰ بخلك، وعبَّر عن البُخل بالإحصاء؛ لأن البخيل يعدُّ مالَه ويتحرز به، ويغار عليه [(٢)].

وقيل: «لا تبقي شيئا للادخار؛ فإن من أبقىٰ شيئا أحصاه»[(٣)].

وقيل: «لا تَعُدِّي ما تتصدقين به وتجمعينه »[(٤)].

وقيل: «أي تمسكي المال وتدَّخريه من غير إنفاق منه »[(٥)].

وقيل: «كناية عن الإمساك عن الإنفاق والتقتير»[(٦)].

وهذه المعاني المذكورة كلها متقاربة في المعنىٰ إذ هو نهي عن الإمساك والبخل، «وعن منع الصدقة خشية النفاد، فإن ذلك أعظم الأسباب لقطع مادة البركة؛ لأن الله يثيب علىٰ العطاء بغير حساب، ومن لا يحاسب عند الجزاء، لا يحسب عليه عند العطاء، ومن علم أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب، فحقه أن يعطي ولا يحسب »[(٧)].

---

(١) مشارق الأنوار للقاضي عياض (١/ ٢٠٦).

(٢) ينظر: المفهم للقرطبي (٣/ ٧٤).

(٣) شرح السنة للبغوي (٦/ ١٥٤). وينظر: وعمدة القاري للعيني (١٣/ ٢١٦)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٤/ ٣١٧)، وعون المعبود للعظيم أبادي (٥/ ١١٧).

(٤) جامع الأصول لابن الأثير (٦/ ٤٨٠).

(٥) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤/ ٤٥١)، ودليل الفالحين للصديقي(٤/ ٥٤٢).

(٦) مشارق الأنوار للقاضي عياض (١/ ٢٠٦).

(٧) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٠٠).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**فيحصي الله عليك**): أي : «فيحصى عليه الزيادة، وتنقطع البركة، وقد يكون مرجع الإحصاء إلى المحاسبة عليه، والمناقشة في الآخرة»[1].

(١) شرح السنة للبغوي (٦/ ١٥٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبناء علىٰ ما سبق تقريره من شرح الحديث فإنه يخلُص أن الله ﷻ يقابل إحصاء العبد لرزق الله، وعَدِّهِ، وتقتيره، وبخله في الإنفاق منه، بأن يحصي عليه.

والإحصاء المضاف إلىٰ الله تعالىٰ صفة فعلية تليق بجلاله وعظمته، وأنه سبحانه يحصي علىٰ عبده الزيادة في رزقه ويعدُّه عليه، وهذا في الدنيا، وأما في الآخرة فيكون مرجع الإحصاء إلىٰ المحاسبة عليه والمناقشة.

وقد أضيفت هذه الصفة إلىٰ الله تعالىٰ من غير مقابلة. كما قال تعالىٰ: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[الجن: ٢٨]. أي: «علم عدد الأشياء كلها، فلم يخف عليه منها شيء»[١].

وقال سبحانه: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[المجادلة: ٦]. أي: «أحصىٰ الله ما عملوا، فعدّه عليهم، وأثبته وحفظه، ونسيه عاملوه»[٢]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[يس: ١٢]. أي: «كل شيء كان أو هو كائن أحصيناه، فأثبتناه في أم الكتاب»[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا﴾[النبأ: ٢٩]. فتأمل هذه التفاسير للإحصاء المضاف إلىٰ الله تعالىٰ فهي تدل علىٰ أن معناه دائر بين العدِّ والحفظ والتثبيت.

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٣/ ٦٧٤).

(٢) نفس المصدر (٢٣/ ٢٣٦). .

(٣) نفس المصدر (٢٠/ ٤٩٩).

المبحث الثالث: من يوعي يوعي الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنّها جاءت إلى النّبي ﷺ فقال: «**لا توعي فَيُوعِي الله عَلَيّكِ**، ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ»[(١)].

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تعالى يقابل إيعاء العباد وبخلهم في النفقة بأن يوعي عليهم عقوبة لهم.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لا توعي**) فـ« الواو والعين والياء: كلمة تدل على ضم شيء. ووَعَيْتُ العلمَ أعِيه وَعْيا. وأَوْعَيْتُ المتاعَ في الوِعاء أُوعِيه»[(٢)] «إذا جعلتَه فيه، ووَعَيتُ الشيء حفظتُه»[(٣)].

والمعنى: «لا تجمعي في الوعاء وتبخلي»[(٤)]. وتشحي بالنفقة[(٥)].

وقيل: «لا تخبئي الشيء في الوعاء: أي أن مادة الرزق متصلة باتصال النفقة منقطعة بانقطاعها فلا تمنعي فضلها»[(٦)].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٣٤) كتاب الزكاة. باب: الصدقة فيما استطاع، ومسلم برقم (١٠٢٩) كتاب الزكاة. باب: الحث على الإنفاق، وكراهية الإحصاء.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٢٤).

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٠٠)، وعمدة القاري للعيني(٨/ ٤٣١).

(٤) إرشاد الساري للقسطلاني (٤/ ٣٤٧). وينظر: فيض القدير للمناوي (٣/ ٦١).

(٥) النهاية لابن الأثير (٢/ ٨٦٦). وينظر: تاج العروس للزبيدي (٤٠/ ٢١٥).

(٦) عمدة القاري للعيني (١٣/ ٢١٥-٢١٦). وينظر: وشرح السنة للبغوي (٦/ ١٥٣)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٤/ ٣٤٧)، ومرقاة المفاتيح للملا علي (٤/ ٣١٨)، ودليل الفالحين =

وقيل: « لا تمسكي المال في الوعاء»[١].

فهذه التفاسير وإن اختلفت في ألفاظها تقريبا إلا أنها ترجع في الجملة إلى النهي عن الإمساك والتقتير في النفقة.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(**فيوعي الله عليك**): أي: «لا تمنعي ما في يدك، فتنقطع مادة بركة الرزق عنك، فإن مادة الرزق متصلة باتصال النفقة، ومنقطعة بانقطعها»[٢].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أرضخي**): الرَّضخ: العطية القليلة، يقال: «رَضَخَ له من ماله رضخًا، أي أعطاه قليلاً من كثير»[٣]، والمعنى: «أعطي بغير تقدير»[٤].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ما استطعت**) أي ما دمتِ مستطيعة قادرة على الرضخ[٥].

=

للصديقي(٤/ ٥٤٢).

(١) المفهم للقرطبي (٣/ ٧٤). وينظر: الديباج للسيوطي (٣/ ١٠٥)، وحاشية السندي على البخاري (٢/ ١٦٥).

(٢) شرح السنة للبغوي (٦/ ١٥٣).

(٣) المعلم للمازري (٢/ ٢٧). وينظر: وشرح البخاري لابن بطال (٣/ ٤٣٦)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٣/ ٥٥٩)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤/ ٤٥١)، وعمدة القاري للعيني(٨/ ٤٣٢).

(٤) المفهم للقرطبي (٣/ ٧٤).

(٥) عمدة القاري للعيني (٨/ ٤٣٢).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبناء على ما سبق بيانه فإننا نخلص إلى إثبات أن الله جلَّ وعلا يقابل إيعاء عبده وتقتيره في النفقة بأن يوعي عليه عقوبة له جزاء وفاقا. والإيعاء المضاف إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو من صفاته الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومدلول هذه الصفة قد ورد في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[الطلاق: ٧]. أي: «ومن **ضُيِّق** عليه رزقه فلم يوسع عليه، فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله، وما أعطي منه»[1].

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾[الفجر: ١٦]. أي: «فضيَّق عليه رزقه و قتَّره، فلم يكثر ماله، ولم يوسع عليه»[2].

ومع ذلك فقد حث الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على النفقة في الطاعة فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[البقرة: ٢٥٤]. بل قد مدح سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عباده المؤمنين الذين ﴿ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[الفرقان: ٦٧]. أي: عدم المجاوزة في النفقة الحدّ المطلوب، وعدم التقصير عن الذي لا بدّ منه[3].

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٣/ ٤٦٢).

(٢) نفس المصدر (٢٤/ ٤١٢).

(٣) ينظر: نفس المصدر (١٩/ ٢٩٩).

المبحث الرابع: من يوكي يوكي الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك وبيان معناها.

عن أسماء رضي الله عنها قالت قال لي النبي ﷺ: «**لَا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ**»[(١)].

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقابل إيكاء العبد في النفقة بخلا بأن يوكي عليه، عقوبة له.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لا توكي**): الواو والكاف والحرف المعتل: أُصَيلٌ يدل على شدِّ شيء وشِدَّة[(٢)]، من أَوْكى يُوكي إيكاء، يقال: أوكى ما في سِقائه إذا شدَّه بالوكاء، وهو الرِّباط الذي يربط به، أي: لا تربطي[(٣)].

ويقال: أَوْكَى فمَه سدَّه، وفلان يُوكِي فلاناً يأْمرُه أَن يَسُدَّ فاه ويسكت[(٤)].

وفيه وجه آخر هو أن الإيكاء في كلام العرب يكون بمعنى السعي الشديد.

فمعنى الإيكاء: الاشتداد في المشي. وإنما قيل للذي يشتدُّ عدوه: مُوكٍ، لأنه ملأ هواء ما بين رجليه عدواً وأوكى عليه[(٥)].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٣٣). كتاب الزكاة. باب: التحريض على الصدقة والشفاعة فيها.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٣٧).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ٤١٥)، وشرح السنة للبغوي (٦/ ١٥٣)، المفهم للقرطبي(٣/ ٧٤)، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٠٠)، وعمدة القاري للعيني(٨/ ٤٣١)، والديباج للسيوطي (٣/ ١٠٥)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٣/ ٣٣)، وفيض القدير للمناوي (١/ ٥٦٣)، و عون المعبود للعظيم أبادي (٥/ ١١٦)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٦٨).

(٤) لسان العرب لان (٦/ ٤٩١٢).

(٥) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري(١٠/ ٤١٦)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٨٧٧)، ولسان العرب لان =

ومما قيل في معنى الحديث: (**لا توكي**): أي: «لا تدَّخري وتشدِّي ما عندك وتمنعي ما في يدك»[(١)].

وقيل: « لا توكي للادخار»[(٢)].

وقيل: «لا توكي مالك عن الصدقة، فلا تتصدقي خشية نفاده»[(٣)].

«وفيه وجه آخر أن صاحب البيت إذا أدخل الشيء بيته كان ذلك في العرف مفوضا إلى ربَّة المنزل، فهي تنفق منه بقدر الحاجة في الوقت، وربما تدخر الشيء منه لغابر الزمان، فكأنه قال: إذا كان الشيء مفوضا إليك، وموكولا إلى تدبيرك، فخذي قدر الحاجة للنفقة، وتصدقي بالباقي ولا تدخري»[(٤)].

وعليه فيكون المعنى النهي عن الإيكاء من أجل الادخار شحا بخلا.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**فيوكى عليك**) بالبناء للفاعل، أي: «فتنقطع مادة الرزق عنك؛ فإن مادة الرزق متصلة باتصال النفقة، ومنقطعة بانقطاعها »[(٥)].

فيكون الحديث دالا على أنَّ الصدقة تنمي المال، وتكون سببًا إلى البركة والزيادة فيه،

=

منظور (٦/ ٤٩١٢).

(١) ينظر: شرح السنة للبغوي (٦/ ١٥٣)، ومشارق الأنوار للقاضي (٢/ ٢٨٦)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٨٧٧)، وعمدة القاري للعيني(٨/ ٤٣١)، وحاشية السيوطي على النسائي (٥/ ٧٦) وإرشاد الساري للقسطلاني (٣/ ٣٣)، وعون المعبود للعظيم أبادي (٥/ ١١٦)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٦٨).

(٢) عمدة القاري للعيني(٨/ ٤٣١).

(٣) شرح البخاري لابن بطال (٣/ ٤٣٥).

(٤) شرح السنة للبغوي (٦/ ١٥٣). وينظر: عون المعبود للعظيم أبادي (٥/ ١١٦).

(٥) شرح السنة للبغوي (٦/ ١٥٣).

وأن من شحَّ ولم يتصدق، فإنَّ الله يوكي عليه، ويمنعُه من البركة في ماله والنماء فيه(١).

(١) ينظر: شرح البخاري لابن بطال (٣/ ٤٣٥-٤٣٦)، وعمدة القاري للعيني (٨/ ٤٣١)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٦٨).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

نتيجة ما نخلص إليه في هذا المطلب هو إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل إيكاء العبد في النفقة شحًّا وبخلا بأن يوكي عليه عقوبة له من جنس فعله. والإيكاء المضاف إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو من الصفات الفعلية الصادرة منه جلَّ وعلا، وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يعطي من يشاء بغير حساب، ويقدر ويضيِّق على من يشاء. ولذلك فإنَّ مَنْع الصدقة خشية النفاد من أعظم الأسباب لقطع مادة البركة، لأن الله يثيب على العطاء بغير حساب، ومن لا يحاسب عند الجزاء لا يحسب عليه عند العطاء، ومن علم أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب، فحقه أن يعطي ولا يحسب[1]

وهنا **لطيفة** في ترتيب هذه الصفات بالنسبة بالمخلوقين. وهي الإحصاء ثم الايعاء ثم الإيكاء. وذلك أن العبد قد يجمع من أوصاف البخل هذه الثلاث. وذلك أنه يحصيها عدًّا ويحسُبها، ثم بعد ذلك يضعها في وعاء فيوعيها، ثم يوكي عليها بالوكاء ويشد رباطها فلا تراه منفقا أبدا، لأنه اجتمع فيه ما قد تفرَّق في غيره من هذه الصفات. وقد يكون العبد محصيا لا موعيا ولا موكيا، أو قد يكون موعيا لا محصيا، وقد يكون موكيا موعيا لا محصيا. لأن الإيكاء لا يكون إلا مع إيعاء. فتأمل.

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٠٠)، وينظر: فيض القدير للمناوي (١/ ٥٦٣).

المبحث الخامس: من منع ما عنده، منع الله عنه فضله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثلاثةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ الله يومَ القِيامَةِ، ولاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رجلٌ حَلَفَ على سِلْعَةٍ لَقدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطى وهوَ كَاذِبٌ، ورَجُلٌ حَلَفَ على يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ **مَنَعَ فَضْلَ** ماءٍ فيقول الله: اليومَ **أَمْنَعُكَ فَضْلِي** كَمَا **مَنَعْتَ فَضْلَ** مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ»(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أَقْبَلَ علينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ...، وَلَمْ **يَمْنَعُوا** زَكَاةَ أَموالِهِم إِلَّا **مُنِعُوا** القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ...»(٢)الحديث.

وجه مطابقة الحديثين للترجمة واضح في الدلالة على أن الله جل جلاله يقابل من مَنَعَ فَضْلَ ما عنده بأن يمنع عنه فضله عقابا له.

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٣٦٩). كتاب المساقاة. باب: من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٨) كتاب الإيمان. باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة.

(٢) رواه ابن ماجه برقم(٤٠١٩). كتاب الفتن. باب: العقوبات، والبزار برقم (١٢/ ٣١٥)، في الأوسط برقم (٤٦٧١)، وفي الكبير (١٢/ ٤٤٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٠)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٢)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.
وقال الهيثمي في المجمع(٥/ ٣١٨): «رواه البزار ورجاله ثقات».
وقال البوصيري في المصباح (٤/ ١٨٦): « هذا حديث صالح للعمل به».
وصححه الألباني. ينظر: صحيح الجامع رقم (٥٢٠٤)، و(٧٩٧٨)، والصحيحة(١٠٦)، وصحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤٦٨).

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ورجل منع فضل ماء)** أي: يمنع الناس من الماء الفاضل عن حاجته(١).

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اليوم **أمنعك فضلي)** فهذا وعيد عظيم بالعذاب، لكونه منع فضل ما لم تعمل يداه، والكلأ الذي ينبت بغير فعله لم تعمله يداه(٢).

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**كما منعت فضل ما لم تعمل يداك**) أي: ليس حصوله وطلوعه من منبعه بقدرتك؛ بل هو بإنعامي وفضلي(٣)، والمراد به مِثْل الماء الذي لا يكون ظهوره بسعي الشخص كالعيون والسيول، لا كالآبار والقنوات(٤)، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾[الواقعة: ٦٩]

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لم يمنع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء)**. أي: «لم ينزل إليهم المطر عقوبة بشؤم منعهم للزكاة عن مستحقيها، فانتفاعهم بالمطر إنما هو واقع تبعا للبهائم، فالبهائم حينئذ خير منهم، وهذا وعيد شديد على ترك إخراج الزكاة أعظم به من وعيد»(٥).

---

(١) ينظر: عمدة القاري للعيني (١٢/ ٢٩٨)، و(٢٥/ ٢٠٢)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١٠/ ٤١١)، وفيض القدير للمناوي (٣/ ٣٣٠).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/ ٢٦٦)، (٢٩/ ٢١٩).

(٣) ينظر: عمدة القاري للعيني (٢٥/ ٢٠٢)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١٠/ ٤١١).

(٤) عمدة القاري للعيني (٢٥/ ٢٠٢).

(٥) فيض القدير للمناوي (٥/ ٢٩٧).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

وبعد بيان معنىٰ الحديثين نخلص إلىٰ إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل مَن مَنَعَ فضْل ما عنده، بأن يمنع عنه فضله عقابا له.

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يعطي ويهب لمن يشاء فضلا، فلا يمنعه أحد. ويمنع عمن يشاء عدلا فلا معطي لما منع، «فهو تعالىٰ يملك المنع والعطاء، يعطي تفضلا، ويمنع ابتلاء، لا راد لما أراد»[1].

فعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم: «لاَ إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولهُ الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٍ. اللهمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ **لِمَا مَنَعْتَ**، ولا ينفعُ ذَا الجدِّ مِنْكَ الجدُّ»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «فبيَّن في هذا الحديث أصلين عظيمين:

أحدهما: توحيد الربوبية، وهو أن لا معطي لما منع الله، ولا مانع لما أعطاه، ولا يتوكل إلا عليه ولا يسأل إلا هو.

والثاني: توحيد الإلهية، وهو بيان ما ينفع وما لا ينفع، وأنه ليس كل من أُعطي مالا، أو دنياً، أو رياسة كان ذلك نافعا له عند الله، منجيا له من عذابه، فإن الله يعطي الدنيا من يحبّ ومن لا يحبّ. ولا يعطي الإيمان إلا من يحبّ»[3].

---

(١) الحجة للتيمي (١/ ١٦٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٨٤٤). كتاب الآذان. باب: الذكر بعد الصلاة، ومسلم برقم(٥٩٣). كتاب: المساجد. باب: استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته.

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٤٤٧).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان المقصود بهذا تفردُّ الربِّ سبحانه بالعطاء والمنع؛ لم يكن لذكر المعطي ولا لحظ المعطى معنى، بل المقصود أن حقيقة العطاء والمنع إليك لا إلى غيرك، بل أنت المتفرد بها لا يَشْرَكُك فيها أحد»[1].

(١) جلاء الأفهام ص (٦٣١).

الفصل الثالث

ما جاء في باب:

تتبع العورات (الطلب، والكشف)

التسميع

الرياء

التفريق

القطع (السب)

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تتبع وطلب وكشف عورة المتتبع والطالب والكاشف لعورات المسلمين. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي برزة الأسلمي[(١)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا مَعشرَ منْ آمنَ بلسانِه ولم يدخلِ الإيمانُ قلبَه لا تَغْتَابُوا المسلمين، ولا تَتَّبِعُوا عورَاتِهِم؛ فإنَّه مَنِ **اتَّبَعَ عَوراتِهِم يتَّبِعُ الله عورتَه، ومن يتَّبعِ الله** عورتَه يَفضَحْه في بيته»[(٢)].

---

(١) هو نضلة بن عبيد، وقيل: نضلة بن عبد الله بن الحارث بن حبال بن ربيعة بن دعبل، أبو برزة الأسلمي مشهور بكنيته. شهد فتح خيبر وفتح مكة وحنينا، ونزل مرو، ومات بها، وقيل: مات بالبصرة، وقيل: مات بمفازة سجستان وهراة، مات في سنة خمس وستين. ينظر: الإصابة لابن حجر (٣/ ١٩٩٧-١٩٩٨).

(٢) رواه أبوداود برقم (٤٨٨٠). كتاب الأدب. باب: في الغيبة، وأحمد برقم (١٩٧٧٦)، وابن أبي الدنيا في الصمت برقم (١٦٨)، والبيهقي في الشعب (٩/ ٧٥)، والآداب له ص(٤٨)، وجَوَّدَ إسنادَه العراقي. ينظر: المغني (١/ ٤٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٨٩٧)، وصحيح الجامع برقم (٧٩٨٤).

ورواه من حديث ابن عمر رضي الله عنه الترمذي برقم (٢٠٣٢). كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. باب: ما جاء في تعظيم المؤمن. وقال: « هذا حديث حسن غريب». وحسَّنه الألباني في غاية المرام ص (٢٤٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٨٩٧)، وصحيح الجامع برقم (٧٩٨٥).

ورواه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: ابن أبي الدنيا في الصمت برقم (١٦٧)، وأبو يعلى في المسند (١٦٧٥)، والبيهقي في الشعب (١٢/ ١٦١)، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٩٧): «رواه أبو يعلى بإسناد حسن»، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٩٣): «رجاله ثقات»، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/ ٧٤): «هذا إسناد ثقات»، وصححه الألباني في صحيح الجامع =

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تُؤْذُوا عِبادَ الله ولا تُعيِّروهُم، **ولاَ تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِم؛ فإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المسلم، طَلَبَ الله عَوْرَتَهُ** حتى يفضحَه في بيته»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ **كَشَفَ الله** عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ»[(٢)].

وجه مطابقة الأدلة للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل من تتبع وطلب وكشف عورات المسلمين بأن يتتبع ويطلب ويكشف عورته ويفضحه عقوبة له.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من اتبع**): « التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء، وهو التلُوُّ والقَفْوُ. يقال تبعتُ فلانا إذا تلوتَهُ و اتبعته. وأتْبَعْتُه إذا لحقتَه»[(٣)].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(من طلب):** فـ« الطاء واللام والباء أصل واحد يدل على ابتغاء الشيء. يقال: طلبتُ الشيءَ أطلبُهُ طلَبًا. وهذا مَطْلَبِي، وهذه طَلِبَتِي»[(٤)].

=

برقم (٧٩٨٤).

ورواه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: الطبراني في الكبير (١١/ ١٨٦).

(١) رواه أحمد برقم (٢٢٤٠٢)، وابن حبان في الصحيح برقم (٥٧٦٣). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨٧): «رجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة». وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٨٩٧)، وصحيح الجامع برقم (٧٩٨٥).

(٢) رواه ابن ماجه برقم (٢٥٤٦) كتاب الحدود، باب: الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات. قال المنذري في الترغيب والترهيب(٢/ ٨٩٧): «رواه ابن ماجه بإسناد حسن». وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٨٩٧)، والصحيحة برقم (٢٣٤١).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٣٦٢).

(٤) نفس المصدر (٣/ ٤١٧).

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ولا تعيِّروهم**). من التعيير، وهو التوبيخ والتعييب على ذنب سبق لهم من قديم العهد، سواء علم توبتهم منه أم لا. وأمّا التعيير في حال المباشرة أو بُعَيْدَهُ قبل ظهور التوبة فواجب لمن قدر عليه، وربما يجب الحد أو التعزير فهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١)

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ولا تتَّبِعوا**): من باب الافتعال أي لا تجسَّسوا، (عوراتهم) فيما تجهلونها، ولا تكشفوها فيما تعرفونها (فإنه) أي الشأن (من يتبع) أي من يطلب (عورة أخيه) أي: ظهور عيب أخيه، (يتبع الله عورته) يكشف عيوبه، وقوله: (يفضحه) من فضح أي يكشف مساوئه(٢).

فمن تتبع وطلب عورة أخيه المسلم؛ فإنه ينتج عنه كشف عورته للناس، فصار الكشف نتيجة مترتبة على التتبع والطلب. وكذلك الجزاء المرتب على ذلك، فإنه من تتبع الله عورته عقوبة له فضحه وكشف مساوئه للناس.

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح للملا علي (٧/ ٢٤٥)، وعون المعبود للعظيم أبادي (١٣/ ٢٢٤)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ١٤٤-١٤٥).

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح للملا علي (٧/ ٢٤٥)، وعون المعبود للعظيم أبادي (١٣/ ٢٢٤)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ١٤٤-١٤٥).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

نتيجةً لما سبق بيانه نخلص إلى إثبات أن الله تعالى يقابل تتبع العبد وطلبه لعورة أخيه المسلم بأن يتتبع ويطلب عورته حتى يكشفه ويفضحه عقابا له، والتتبع والطلب والكشف المضاف إلى الله تعالى هو من قبيل الصفات الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يفعلها متى شاء مقابلا بها من يستحق ذلك، «فكما تدين تدان، وكن كيف شئت، فان الله تعالى لك كما تكون أنت لعباده»(١)، لأن «التجسس والتتبع ثمرة سوء الظن بالمسلم، والقلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيؤدي إلى هتك الستر»(٢).

ثم إن الناس على ضربين:

أحدهما: من كان مستورا لا يعرف بشيء من المعاصي فإذا وقعت منه هفوةٌ أو زلةٌ فإنه لا يجوز هتكُها ولا كشفُها، ولا التحدُّثُ بها؛ لأن ذلك غيبة محرمة.

والثاني: من كان مشتهرا بالمعاصي معلنا بها، ولا يبالي بما ارتكب منها، ولا بما قيل له، هذا هو الفاجر المعلن وليس له غيبة، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره لتقام عليه الحدود، ولا يشفع له إذا أخذ ولو لم يبلغ السلطان؛ بل يترك حتى يقام عليه الحد ليكشف ستره ويرتدع به أمثاله(٣).

وقد ورد في النصوص إضافة فعل الكشف إلى الله تعالى من غير مقابلة في الفظ كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾[النحل: ٥٤].

وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم ص(٥٦).

(٢) مرقاة المفاتيح للقاري (٧/ ٢٤٥).

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (٦٩٦-٦٩٧).

يَنكُثُونَ ﴾[الأعراف: ١٣٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾[يونس: ١٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[يونس: ٩٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾[الزخرف: ٥٠].

وقَالَ ﷻ: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[القلم: ٤٢].

وقد فسرت هذه الآية بحديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « **يكشف ربنا عن ساقه،** فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا»(١).

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد صلاة الكسوف: « إن الشَّمسَ والقمرَ لا ينكسِفَانِ لموتِ أحدٍ، فإذا رأيتمُوهُما فصلُّوا وادعوا حتى **يُكْشَفَ** ما بكم»(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٩١٩). كتاب التفسير. باب: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾. [القلم: ٤٢]. واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٢). كتاب الإيمان. باب: معرفة طريق الرؤية. مطولا.

(٢) رواه البخاري برقم (١٠٤٠). كتاب الكسوف. باب: الصلاة في كسوف الشمس، ومسلم برقم (٩١١). كتاب الكسوف. باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف (الصلاة جامعة) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

المبحث الثاني: من يسمّع يسمّع الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن جُنْدُبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَمَّع سَمَّعَ الله بِهِ**»[(١)]. وفي رواية زيادة « **يوم القيامة** »[(٢)].

وجاء الحديث في روايةٍ بصيغة المضارع، فعن جُنْدُبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ الله بِهِ،...**»[(٣)]. الحديث.

وجه مطابقة الحديثين للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل تسميع العبد بعمله في الدنيا بأن يُسَمِّعَ به يوم القيامة عقابا له.

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من سمِّع**)، أو(**من يُسمِّع**) بتشديد الميم.

يقال: سَمَّعتُ بالشيء إذا أشعتَه فشاعَ في الأسماع، وسمَّعتُ بالرجل تسميعا إذا أشهرتَه وأفشيتَ القبيح عليه[(٤)].

والتسميعُ: هو العمل ليَسمَع الناس به، والتسميع مرجعه إلى السماع[(٥)]، ومنه السُّمْعة- بضم المهملة وسكون الميم- وهي أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس[(٦)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٩٩). كتاب الرِّقاق. باب: الرياء والسمعة، ومسلم برقم(٢٩٨٦). كتاب الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله. لكنه من رواية ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري برقم (٧١٥٢). كتاب الأحكام. باب: من شاقَّ شق الله عليه.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٩٨٧) كتاب الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله.

(٤) ينظر: شرح السنة للبغوي (١٤/ ٣٢٦).

(٥) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٩/ ١١٩).

(٦) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٣٦)، وعمدة القاري للعيني (٢٣/ ١٣١)، وتحفة الأحوذي =

ومعناه: من عمل عملا على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعونه[(١)] قصْد الجاه، والمدح، والمنزلة والتعظيم، ولم يرد به وجه الله[(٢)].

وقيل: المعنى من سمَّع بعيوب الناس وأذاعها[(٣)].

والذي يظهر أن الحديث عام يشمل جميع هذه المعاني لأن جميعها مرجعها إلى التسميع.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**يسمِّع الله به**) أو (**سمَّع الله به**). أي: أظهر أمره للناس وفضحه وكشفه[(٤)]. والحديث لم يقيد هل هو في الدنيا أو في الآخرة، فيمكن أن يسمع الله به في الدنيا، فيكشف عيبه عند الناس، ويمكن أن يكون ذلك في الآخرة وهو أشد والعياذ بالله[(٥)].وقيل: «أظهر عنه ما ينطوي عليه من قبح السرائر»[(٦)].

=

للمباركفوري (٧/ ٨٢).

(١) ينظر: أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١١٨٥)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٤٠)، وشرح السنة للبغوي (١٤/ ٣٢٣)، والمفهم للقرطبي (٦/ ٦١٦)، وعمدة القاري للعيني (٢٣/ ١٣٣)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٩/ ٢٨٧)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٨٢-٨٣).

(٢) ينظر: شرح البخاري لابن بطال (١٠/ ٢٠٨)، والمعلم للمازري (٣/ ٣٨٤)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٨/ ٥٣٥)، ومشارق الأنوار له (٢/ ٢٢٠)، وشرح مسلم للنووي (١٨/ ١١٦)، وشرح البخاري للكرماني (٢٣/ ٢٠)، والتوضيح لابن الملقن (٢٩/ ٥٧٥).

(٣) ينظر: المعلم للمازري (٣/ ٣٨٤)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٨/ ٥٣٥)، ومشارق الأنوار له (٢/ ٢٢٠)، والمفهم للقرطبي (٦/ ٦١٦)، وشرح مسلم للنووي (١٨/ ١١٦)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٣٧).

(٤) ينظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٢/ ٥٢).

(٥) ينظر: نفس المصدر (٦/ ٣٥١).

(٦) غريب الحديث للحميدي ص(٦٦).

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه على رؤوس الأشهاد، فيشهدوا عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك»(١).

---

(١) شرح السنة (١٤/ ٣٢٣).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

وبعد بيان معنى الحديثين في المطلب السالف نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل تسميع عبده بعمله في الدنيا بأن يُسمِّعَه خلقَه في الدنيا والآخرة عقابا له، وفضيحة له، وبيان أنه ما أراد بعمله ذلك وجه الله تعالى، وإنما أراد المدح وقرب المنزلة عندهم والتعظيم.

وتسميع الله تعالى بعبده المسمع هو فضح حقيقة ما انطوى عليه قصد قلبه من عمله هذا، وهو من الصفات الفعلية القائمة به والصادرة منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولعله مما يوضح بيانَ تسميعِ الله تعالى بعبده المسمِّع يوم القيامة ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثني رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قُتِل في سبيل الله، ورجلٌ كثيرُ المال، فيقول الله للقارئ: ألم أُعَلِمِّك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا ربِّ. قال: فماذا عمِلْتَ فيما عُلِّمْتَ؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: **كذبت،** وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: **بل أردت أن يقال: إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك،** ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أُوَسِّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا ربِّ، قال: فماذا عمِلت فيما آتيتك؟ قال: كنت أَصِلُ الرحم وأتصدَّق، فيقول الله له: **كذبت،** وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: **بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك،** ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله، فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أُمِرْتُ بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قُتلت، فيقول الله تعالى له: **كذبت،** وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: **بل أردت أن يقال: فلان جريء فقد قيل ذاك**» ثم ضرب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على

ركبتي فقال: «يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلقِ الله تسعر بهم النار يوم القيامة»[١].

وقد جاء هذا الحديث عند مسلم[٢] بلفظ أخْصَر من هذا فعدلت عنه إلىٰ هذه الرواية التامة لما فيها من التصريح بأن الله تعالىٰ هو من يسأله ويكذبه مع ملائكته.

والشاهد من الحديث لما يتعلق بالباب هو تسميع قارئ القرآن حتىٰ يقول الناس إنه قارئ، وتسميع الله تعالىٰ به بقوله: بل أردت أن يقال: إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك. نعوذ بالله من الخذلان بعد التوفيق.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم علىٰ فعلهم ذلك لغير الله، وإدخالهم النار دليل علىٰ تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلىٰ الحث علىٰ وجوب الإخلاص في الأعمال، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البينة: ٥]. وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالىٰ بذلك مخلصا، وكذلك الثناء علىٰ العلماء وعلىٰ المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول علىٰ من فعل ذلك لله تعالىٰ مخلصا»[٣].

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣٨٢). كتاب الزهد عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ. باب: ما جاء في الرياء والسمعة، والنسائي في الكبرىٰ (١٠/ ٣٩٥)، برقم (١١٨٢٤)، وابن خزيمة في الصحيح برقم (٢٤٨٢)، وابن حبان في الصحيح برقم (٤٠٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤١٨-٤١٩). والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٣١، ٣٣٤).

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وأصل الحديث عند مسلم.

(٢) برقم (١٩٠٥). كتاب الإمارة. باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

(٣) شرح مسلم (١٣/ ٥٠-٥١).

المبحث الثالث: من يرائي يرائي الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...، **وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي الله بِهِ**»(١).

وقد جاء الحديث بصيغة الماضي، من رواية ابن عبّاس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...، **وَمَنْ راءىٰ راءىٰ الله بِهِ**»(٢).

وجه مطابقة الحديثين للترجمة واضح في الدلالة علىٰ أنَّ الله تعالىٰ يقابل رياء العبد بأعماله في الدنيا بأن يرائي به يوم القيامة فضيحة له وعقابا.

وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ومن يرائي)** أو **(من راءىٰ)** أي: فعل ذلك رياء للناس. والرياء بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد مشتق من الرؤية، والمراد به: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، وهو متعلق بحاسة البصر(٣)، ومرجعه إلىٰ الرؤية(٤).

وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يرائي الله به)** أو **(راءىٰ الله به)** أي: يبين عيبه للناس ويفضحه والعياذ بالله حتىٰ يتبين أنه مرائي(٥).

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٩٩). كتاب الرِّقاق، باب: الرياء والسمعة، ومسلم برقم(٢٩٨٧). كتاب الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله.

(٢) رواها مسلم برقم(٢٩٨٦) كتاب الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله.

(٣) ينظر: المفهم للقرطبي (٦/ ٦١٦)، ورياض الصالحين للنووي ص(٤٨١)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٣٦).

(٤) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٩/ ١١٩).

(٥) ينظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين(٦/ ٣٥١).

وبما أن الرياء مأخوذ من الرؤية فإن مراءاة الله ﷻ بعبده المرائي في الدنيا هي إظهار ما كان يخفيه العبد من نيته للناس، وأنه ما أراد ذلك إلا رغبة في مدحهم وثنائهم، فعاقبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من جنس عمله، حيث إن العامل راءى العبادَ بظاهر عمله، فراءى الله تعالى بحقيقة باطن عمله العبادَ.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

وبعد تبيين ما سبق من شرح الحديث نخلص إلى إثبات أن الله تعالى يقابل رياء العبد بأعماله في الدنيا بأن يرائي به خلقه يوم القيامة عقوبة له وجزاء، ومراءاة الله تعالى بعبده المرائي هو إظهار ما كان يخفيه العبد في قلبه وما قصده بنيته حتى يراه الناس، وهو من الصفات الفعلية التي تثبت له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مقيدة مقابلة لمراءاة العبد على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه المراءاة قد ورد في النصوص ما يبين كيفية حصولها في الآخرة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في النفر الثلاثة الذين هم أول من تُسعَّر بهم النار حيث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أُوَسِّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا ربِّ، قال: فماذا عمِلت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: **كذبت،** وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: **بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك،** ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أُمِرْتُ بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله تعالى له: **كذبت،** وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: **بل أردت أن يقال: فلان جريء فقد قيل ذاك**»(1).

فهذه عقوبة لهم و مراآة بهم، وبيان أنهم ما عملوا ذلك مخلصين فيه لوجه الله تعالى، بل عملوه ليحصلوا على ثناء الناس لهم ومدحهم إياهم، وقد حصل لهم ذلك في الدنيا، ونالوا به ما أرادوا بدليل قوله تعالى: « فقد قيل ذاك» أي ما أردتموه من الثناء والمدح، لكنهم حرموا ثواب العمل المرتب على هذه الأعمال لو كانت لوجهه تعالى.

---

(١) سبق تخريجه ص(٣٢١).

وقد خاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته من الشرك الأصغر وبين أنه الرياء فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[(١)].

---

(١) رواه الإمام أحمد برقم (٢٣٦٣٠)، والبيهقي في الشعب (٩/ ١٥٥)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٢٤)، عن محمود بن لبيد. و الطبراني في الكبير برقم (٤/ ٢٥٣). عن رافع بن خديج.
قال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٧٥): « رواه أحمد بإسناد جيد».
وقال العراقي في المغني (١/ ٩٢٩): « رواه أحمد و البيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية، ورجاله ثقات. و وراه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج».
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٠٢). «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح».
وقال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ١١٥): « رجاله ثقات».
وقال الألباني على إسناد البغوي: «وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير محمود بن لبيد، فإنه من رجال مسلم وحده». ينظر: الصحيحة برقم (٩٥١)، صحيح الجامع برقم (١٥٥٥)، وصحيح الترغيب والترهيب (١/ ٧٥).

المبحث الرابع: من فرّق بين والدة وولدها، فرّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء في النصوص من ذلك، وبيان معناها.

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « من **فَرَّق** بين والدة وولدها، **فَرَّق الله** بينه وبين أحبَّتِه يومَ القيامة»(١).

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(من فرَّق بين والدة وولدها)** أي« ببيع، أو هبة، أو خديعة بقطيعة وأمثالها. وفي معنى الوالدة الوالد؛ بل وكل ذي رحم محرم»(٢).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة)**. أي: من أولاده ووالديه

---

(١) رواه الترمذي برقم (١٢٨٣) كتاب البيوع. باب: ماجا في كراهية أن يفرق بين الأخوين أو بين الوالدة وولدها في البيع، وأحمد برقم (٢٣٤٩٩)، والدارمي في السنن برقم (٢٤٨٢)، وابن المنذر في الأوسط (١١/٢٤٨)، والطبراني في الكبير (٤/ ١٨٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥)، والقضاعي في الشهاب برقم (٤٥٦)، والبيهقي في الصغرى (٨/ ١٠٠)، والسنن الكبرى (٩/ ١٢٦).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» وسكت عنه الذهبي.

وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٦/ ٥١٩).

وحسنه الألباني: ينظر صحيح الجامع برقم (٦٤١٢)، و المشكاة برقم(٣٣٦١)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٤٧).

(٢) مرقاة المفاتيح للقاري (٦/ ٤٨١)، وينظر: تحفة الأحوذي للمباركفوري (٤/ ٤١٣).

وغيرهما[١].

وقوله: (**يوم القيامة**). أي: «في موقف يجتمع فيه الأحباب ويشفع بعضهم بعضا عند رب الأرباب»[٢].

قال ابن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على [أن] التفرقة بين الولد وبين أمه -والولد طفل لم يبلغ سبع سنين، ولم يستغن عن أمه- غير جائز»[٣].

---

(١) نفس المصادر، والجزء والصفحة.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) الأوسط لابن المنذر (١١/ ٢٤٩)، وينظر: سبل السلام للصنعاني (٣/ ٥١).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد بيان معنى الحديث نخلص إلى أن الله تعالى يقابل تفرقة من فرَّق بين الوالدة وولدها بأن يفرِّق بينه وبين أحبته يوم القيامة، عقابا له وجزاء. وتفريق الله تعالى للأشياء من الصفات الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد أضافها لنفسه كذلك من غير مقابلة في اللفظ كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[البقرة: ٥٠].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى قوله: ﴿ فَرَقْنَا بِكُمُ ﴾: فصلنا بكم البحر. لأنهم كانوا اثني عشر سبطا؛ ففرق البحر اثني عشر طريقا، فسلك كل سبط منهم طريقا منها، فذلك فرق الله بهم عَزَّ وَجَلَّ البحر، وفصله بهم، بتفريقهم في طرقه الاثني عشر»[١].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[الإسراء: ١٠٦].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنزلنا هذا القرآن مفرِّقًا، فارقًا بين الهدى والضلال، والحق والباطل»[٢].

وعن زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « من كانت نيته الآخرة جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت نيته الدنيا، **فرَّق الله عليه أمره**، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له»[٣].

---

(١) جامع البيان (٢/ ٥٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٣٢١).

(٣) رواه ابن ماجة برقم (٤١٠٥). كتاب الزهد. باب: الهم بالدنيا، وأحمد برقم (٢١٥٩٠)، وابن أبي عاصم في الزهد برقم (١٦٣)، وابن حبان في الصحيح برقم (٦٨٠)، والطبراني في الكبير (٥/ ١٤٣)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٢٤٥).

=

ومما يُبيِّن كذلك المقابلة في الجزاء على التفرقة ما فعله الله ﷻ بإخوة يوسف عليه السلام حيث لما فرَّقوا بينه وبين أبيه فرَّق الله بينهم وبين أخيهم بما كاده ليوسف عليه السلام من وضع الصواع في رحله.

قال **ابن الموصلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كاد الله سبحانه ليوسف حين أظهر لأخوته ما أبطن خلافه جزاء لهم على كيدهم له مع أبيه حيث أظهروا له أمرا وأبطنوا خلافة، وكان هذا من أعدل الكيد، فإن إخوته فعلوا به مثل ذلك حتى فرَّقوا بينه وبين أبيه وادعوا أن الذئب أكله، ففرَّق بينهم وبين أخيهم بإظهار أنه سرق الصواع، ولم يكن ظالما لهم بذلك الكيد، حيث كان مقابلة ومجازاة، ولم يكن أيضا ظالما لأخيه الذي لم يكده، بل كان إحسانا إليه وإكراما له في الباطن»[1].

=

قال المنذري: «رواته ثقات»: ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٠).

وقال البوصيري: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» ينظر: مصباح الزجاجة (٤/ ٢١٢)، وصححه الألباني. ينظر: صحيح الجامع برقم (٦٥١٦)، والصحيحة برقم (٩٥٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٠).

(١) مختصر الصواعق (٢/ ٧٤٣-٧٤٤).

المبحث الخامس: من قطع الرحم قطعه الله. ومن قطع صفا قطعه الله، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي هريرة ﷺ عن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَّ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتْ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ... **أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ**، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ فَهُوَ لَكِ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[محمد: ٢٢]»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللهّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ:... **وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ الله**»(٢).

وعن عبد اللهّ بن عمر ﷺ أَنّ رسول اللهّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «... ، وَمَنْ **قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ الله** عَزَّ وَجَلَّ»(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٩٨٧) كتاب الأدب، باب: من وصل وصله الله، ومسلم برقم (٢٥٥٤) كتاب البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٥٥٥) كتاب البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

(٣) رواه أبو داود برقم (٦٦٦)كتاب الصلاة. تفريع أبواب الصفوف. باب: تسوية الصفوف. والنسائي برقم (٨١٩). كتاب الإمامة، باب: من وصل صفا، وأحمد برقم (٥٧٢٤)، وابن خزيمة في الصحيح برقم (١٥٤٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٣).

وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وقال النووي في رياض الصالحين ص(٣٤٨): «رواه أبو داود بإسناد صحيح».

وقال الألباني: «إسناده صحيح». ينظر: صحيح أبي داود (٦٧٢)، والصحيحة برقم (٧٤٣)، والمشكاة برقم(١١٠٢).

وجه مطابقة الأحاديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل قطع العبد لرحمه وكذلك قطعه لصف الصلاة بأن يقطعه عقوبة له من جنس فعله جزاء وفاقا.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: (**مَنْ قَطَعَكِ**)، وقول الرحم: (**وَمَنْ قَطَعَنِي**) أي: لم يصلها، والحال التي يستحق فيها المرء اسم قاطع رحمه، هي الحال التي يقطع فيها أهلها بالهجرة منه لهم، والمعاداة، مع منعه إياهم معروفه ومعونته[١].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من قطع صفا**). أي: «بعدم السدِّ أو بوضع شيء مانع»[٢].

وقيل: «بأن كان فيه فخرج منه لغير حاجة، أو جاء إلى صف وترك بينه وبين من بالصف فرجة بلا حاجة»[٣]، أو جلس بين الصفوف بلا صلاة، أو منع الداخل من الدخول في الفرجات [٤]، إلى غير ذلك من الحالات التي يكون بها الصف مقطوعا.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: (**أقطع من قطعك**). والقطع ضد الوصل، ولهذا فمن قطع ما بينه وبين الرحم، وما بينه وبين الرحمن جَلَّ جَلَالُهُ أفسد الله عليه أمر دنياه وآخرته، ومحق بركة رزقه وأثره[٥].

---

(١) ينظر: تهذيب الآثار للطبري ص (١٤٩). الجزء المفقود.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٣/ ١٦٢)، وعون المعبود للعظيم أبادي (٢/ ٣٦٦).

(٣) فيض القدير (٢/ ٧٥).

(٤) ينظر: حاشية السندي على النسائي (٢/ ٤٢٨)، وذخيرة العقبى لمحمد لأثيوبي (١٠/ ٢٨٨).

(٥) ينظر: مختصر الصواعق لابن الموصلي (٣/ ٨٨٥).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

خلاصة هذا المطلب هي إثبات أن الله تعالى يقابل قطع العبد لرحمه، وقطعه لصَفِّه في الصلاة بأن يقطعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. والقطع المضاف إليه جلَّ وعلا هو ضد الوصل، وهو من الصفات الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومما جاء في معنى القطع مضافا إلى الله تعالى في ألفاظ أخرى هو «البتُّ».

فعن عبد الرحمن بن عوف ﵁ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « قال الله: أنا الرحمن، وهي الرحم، شققت لها اسما من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها **بتته**»[(١)].

قوله بتتُّه: أي قطعته قطعا بيِّنا. والبتُّ: أشد القطع. يقال: بتَّ فلانٌ الحبلَ، فهو يبتُّه بتًّا، وهو حبلٌ مبتوتٌ - يعني به - مقطوعٌ[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود برقم (١٦٩٤). كتاب الزكاة. باب: في صلة الرحم، والترمذي برقم (١٩٠٧). كتاب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. باب: ما جاء في قطيعة الرحم، وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ١٧٢)، والحميدي في المسند برقم (٦٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٦٧)، وأحمد في المسند برقم(١٦٨١)، والبخاري في الأدب المفرد برقم(٥٣)، والبزار في مسنده (٣/ ٢٠٦)، وأبو يعلى في المسند برقم (٨٤٠)، وابن حبان في الصحيح (٤٤٣)، والطبراني في الأوسط (٤٦٠٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٧).

قال الترمذي: «حديث صحيح».

وقال الحاكم: «صحيح»، ووافقه الذهبي.

وصححه الألباني. ينظر: صحيح أبي داود (٥/ ٣٧٨)، والصحيحة برقم (٥٢٠)، والمشكاة برقم (٤٩٣٠).

(٢) ينظر: تهذيب الآثار للطبري ص (١٥٣)الجزء المفقود، وجامع الأصول لابن الأثير (٦/ ٤٨٧).

لهذا سمي العقوق قطعا، والعقُّ الشَّقُّ. كأنه قطع ذلك السبب المتصل[١].

فمن قطعه الله فهو المبتوت المقطوع، ولو أراد الخلق كلهم صلته ونفعه، لم يفده ذلك[٢].

وكذلك مما ورد في معنى القطع «**السَّبُّ**» فقد قال رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لخالد ابن الوليد رضي الله عنه: «لا تسبّ عمارا؛ فإنه من **يَسُبُّ** عمارا **يَسُبُّه** الله»[٣].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السين والباء حَدَّهُ بعضُ أهل اللغة- وأظنه ابن دريد[٤]- أنَّ أصل هذا الباب القَطع، ثم اشتقَّ منه الشَّتم. وهذا الذي قاله صحيح. وأكثر الباب موضوعٌ عليه. من ذلك السِّبّ: الخِمار، لأنّه مقطوع من مِنۡسَجه...،

والسَّبّ: الشتم، ولا قطيعة أقطع من الشَّتم»[٥]. وعليه يكون معنى الحديث من قطع عمارا قطعه الله.

---

(١) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٦/ ١١٢).

(٢) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢/ ٦٦٨).

(٣) رواه الطيالسي برقم (١٢٥٢)، وأحمد برقم (١٦٨٢١)، والنسائي في الكبرى برقم (٧/ ٣٥٦-٣٥٧)، والطبراني في الكبير (٤/ ١١٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٩، ٣٩١)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٤): «رواه الطبراني مطولا ومختصرا بأسانيد منها ما وافق أحمد ورجاله ثقات ومنها ما هو مرسل». وقال الأرنؤوط على حديث أحمد: «حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عبد الرحمن- وهو ابن يزيد النخعي-، فقد روى له البخاري في «الأدب المفرد» وأصحاب السنن، وهو ثقة» ينظر: المسند (٢٨/ ٢٤). ورواية الطبراني هذه موصولة.

(٤) نعم هو ابن دريد كما في جمهرة اللغة (١/ ٦٩).

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٦٣). وينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/ ٣١٢).

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**يسبُّه الله**). أي: يقطعه الله.

وقد أضاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فعل القطع إلى نفسه من غير مقابلة في اللفظ فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[الأعراف: ٧٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٧].

يقول **ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي« يريد أن يَجُبَّ أصل الجاحدين توحيدَ الله»[١].

---

(١) جامع البيان (١٣/ ٤٠٧).

الفصل الرابع

ما جاء في باب:

التخويف

العود

الإهانة(التسفيه، والتنقيص، والتحقير)

الفضح

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أخاف أهل المدينة أخافه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن السائب بن خلاد[(١)] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَخَافَ أَهْلَ المدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ الله**، وعليهِ لعْنَةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعينَ، لاَ يَقْبَلُ الله منهُ يومَ القِيامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا[(٢)]»[(٣)].

وجه مطابقة الدليل للترجمة ظاهر في الدلالة علىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ يقابل من أخاف

(١) هو بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك الأنصاري الخزرجي أبو سهلة، شهد بدرا وولي اليمن لمعاوية، مات سنة إحدىٰ وسبعين. ينظر: الإصابة لابن حجر (١/ ٦٨٣-٦٨٤).

(٢) قيل: العدل: الفريضة، والصرف: النافلة، وقيل: العدل: الفدية، والصرف: التوبة. ينظر: جامع الأصول لابن الأثير (٨/ ٢٦).

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (٩/ ٢٦٥)، وابن أبي شيبة في المسند برقم (٨٥٤)، وأحمد برقم (١٦٥٥٧)، و(١٦٥٥٩)، و(١٦٥٦٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١٧١)، والنسائي في الكبرىٰ (٤/ ٢٥٣)، والطبراني في الكبير (٧/ ١٦٩)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٩٦٢)، وفي حلية الأولياء (١/ ٣٧٢).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٨): «ورجال أحمد رجال الصحيح».

وحسَّن إسنادَ الطبراني المناويُ في فيض القدير (٦/ ٤٠).

وصححه الألباني. ينظر: الصحيحة رقم (٢٣٠٤)، و(٢٦٧١).

ورواه من حديث جابر بن عبد الله ﷺ ابن أبي شيبة في المصنف (١٧/ ٣١٤)، وابن حبان في الصحيح برقم(٣٧٣٨). وقال الألباني: «حسن صحيح». ينظر الصحيحة (٢٣٠٤)، وصحيح الجامع (٥٩٧٧)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٣).

أهل المدينة بأن يخيفه عقابا له.

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من أخاف أهل المدينة**)، وأخاف أصلها:(خوف) فالخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع(١). وقيل: «الخوف: الفزع وكذلك: التخويف. وطريق مَخُوفٌ: يخافه الناس، ومُخِيفٌ يخيف الناس»(٢).

والمعنى: من أرادها في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقيل: من كادها اغتيالا وطلبا لغرتها في غفلة، بخلاف من أتى ذلك جهارا (٣).

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أخافه الله**)، أي ألقى في قلبه الذعر والفزع والرعب، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[آل عمران: ١٥١]، و «لأنه لا يستحق هذا العذاب إلا من ارتكب إثمًا عظيمًا»(٤).

ومن التخويف المذكور تخويف الله له بما جاء مبينا في رواية مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا **أَذَابَهُ الله فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ** أو ذَوْبَ المِلْحِ في الماءِ»(٥).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٢٣٠).

(٢) غريب الحديث للحربي (٢/ ٨٣٤).

(٣) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٤/ ٤٨٤)، وشرح مسلم للنووي (٩/ ١٣٨)، وفتح الباري لابن حجر (٤/ ٩٤)، وعمدة القاري للعيني (١٠/ ٣٤٤)، والديباج للسيوطي (٣/ ٤٠٧).

(٤) عمدة القاري للعيني (١٠/ ٣٤٣). وينظر: إرشاد الساري للقسطلاني (٣/ ٣٣٦).

(٥) رواه مسلم برقم (١٣٦٣). كتاب الحج. باب: باب فضل المدينة، ودعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها بالبركة، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها.

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد بيان ما سلف نخلص إلى إثبات أن الله ﷻ يقابل من أخاف أهل المدينة وأراد بهم السُّوء بأن يخيفه عقابا له وجزاء على فعله.

وتخويف الله لهم من صفاته الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهو إلقاء الرعب والفزع والذعر في قلوبهم، وهو تخويف خاص بهم وفرد من أفراد تخويفه العام للكفار والمشركين، والعصاة من المسلمين.

ويكون ذلك التخويف إما بها في الدنيا أو بها في الآخرة. قال **ابن حبان** رَحِمَهُٱللَّهُ: «ذكر البيان بأن الله جل وعلا يُخَوِّفُ من أخاف أهل المدينة بما شاء من أنواع بليته»(١).

ومما ورد من إضافة التخويف لله تعالى مما يخوِّفُ به عباده بها في الدنيا: قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾[الإسراء: ٥٩].

وقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إن الشَّمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ الله لا ينكسفانِ لموتِ أحدٍ **ولكنَّ اللهَ تعالى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ**»(٢).

ومما ورد من إضافة التخويف لله تعالى مما يُخوِّفُ به عباده بها في الآخرة قوله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ

---

(١) الصحيح (٩/ ٥٥).

(٢) رواه البخاري برقم (١٠٤٨). كتاب الكسوف. باب: قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ: « يخوف الله عباده بالكسوف». من حديث أبي بكرة ﵁. واللفظ له، ومسلم من برقم (٩١١). و(٩١٢). كتاب الكسوف. باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف (الصلاة جامعة). من حديث أبي مسعود الأنصاري﵁، وأبي موسى الأشعري﵁.

ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾[الإسراء: ٦٠].

وقوله جل جلاله: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾[الزمر: ١٦].

يقول **ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس به، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب، تخويفٌ من ربِّكم لكم، يخوفكم به لتحذروه، فتجتنبوا معاصيه، وتنيبوا من كفركم إلى الإيمان به، وتصديق رسوله، واتباع أمره ونهيه، فتنجوا من عذابه في الآخرة»(١).

(١) جامع البيان (٢١/ ٢٧٢). وينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٩٠).

المبحث الثاني: من عاد عاد الله له. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك وبيان معناها.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنفال: ١٩].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨].

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من شرب الخمر لم تقبل له صلاته أربعين ليلة، فإن تاب تاب الله عليه، **فإن عاد عاد الله له**، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد، كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من نهر الخبال» قيل: وما نهر الخبال؟ قال: « صديد أهل النار»[(١)].

وجه مطابقة الأدلة للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل عود العبد إلى العصيان والفساد بأن يعود له بالعقوبة والجزاء.

فقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُودُواْ ﴾ أي: وإن تعودوا لحربه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقتاله، وقتال أتباعه

(١) والترمذي برقم (١٨٦٢). كتاب الأشربة. باب: ما جاء في شارب الخمر، والإمام أحمد برقم (٤٩١٧)، واللفظ له، وأبو يعلى في المسند (١٠/ ٥١)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩٠)، وصححه الألباني: ينظر الجامع الصحيح برقم (٦٣١٢).

ورواه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه النسائي برقم (٥٦٧٠). كتاب الأشربة. باب: توبة شارب الخمر، وابن ماجة برقم (٣٣٧٧). كتاب الأشربة. باب: من شرب الخمر لم تقبل له صلاة، وابن حبان في الصحيح برقم (٥٣٥٧)، والحاكم في المستدرك(٤/ ١٤٦)، وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني: ينظر الجامع الصحيح برقم (٦٣١٣)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٠٦).

المؤمنين[١].

وقيل: «وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة»[٢].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿نَعُدْ﴾ أي: «بمثل الواقعة التي أوقعت بكم يوم بدر»[٣].

وقيل: وإن تعودوا للاستفتاح، نعد للفتح لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤].

وقد رَدَّ ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا التفسير بقوله: «وهذا القول لا معنى له، لأن الله تعالى قد كان ضَمِنَ لنبيِّهِ عليه السلام حين أذن له في حرب أعدائه إظهارَ دينِه وإعلاءَ كلمتِه، من قبل أن يستفتح أبو جهل وحزبه، فلا وجه لأن يقال والأمر كذلك»[٥].

وأما قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ أي: وإن عدتم يا معشر بني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري، وقتل رسلي[٦]، والفساد في الأرض[٧].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عُدْنَا﴾ أي: «عليكم بالقتل والسِّباء، وإحلال الذلّ والصَّغار بكم، فعادوا، فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم»[٨].

---

(١) جامع البيان للطبري (١٣/ ٤٥٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣).

(٣) جامع البيان للطبري (١٣/ ٤٥٥). وينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣/ ٤٥٦)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٣). وغيره من التفاسير.

(٥) جامع البيان للطبري (١٣/ ٤٥٦).

(٦) نفس المصدر (١٧/ ٣٨٩).

(٧) تفسير ابن كثير(٥/ ٤٨).

(٨) جامع البيان للطبري (١٧/ ٣٨٩). وينظر: تفسير ابن كثير(٥/ ٤٨).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما بيَّن جلَّ وعلا أن بني إسرائيل قضى إليهم في الكتاب أنهم يفسدون في الأرض مرتين، وأنه إذا جاء وعد الأولى منهما: بعث عليهم عباداً له أولي بأس شديد، فاحتلوا بلادهم وعذبوهم.

وأنه إذا جاء وعد المرة الآخرة: بعث عليهم قوماً ليسوءوا وجوههم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيراً.

وبيَّن أيضاً: أنهم إن عادوا للإفساد المرة الثالثة فإنه جلَّ وعلا يعود للانتقام منهم بتسليط أعدائهم عليهم. وذلك في قوله: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾، ولم يبيِّن هنا: هل عادوا للإفساد المرة الثالثة أو لا؟.

ولكنه أشار في آيات أخر إلى أنهم عادوا للإفساد بتكذيب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكتم صفاته ونقض عهوده، ومظاهرة عدوه عليه، إلى غير ذلك من أفعالهم القبيحة. فعاد الله جلَّ وعلا للانتقام منهم تصديقاً لقوله: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ فسلط عليهم نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمسلمين. فجرى على بني قريظة والنضير، وبني قينقاع وخيبر، ما جرى من القتل، والسبي، والإجلاء، وضرب الجزية على من بقي منهم، وضَرْب الذلة والمسكنة»(1).

ومن الآيات الدالة على أنه عاد للانتقام منهم، قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ [الحشر: ٢-٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦]. ونحو ذلك من الآيات.

---

(١) أضواء البيان (٣/ ٤٨٥)، و(٢/ ١٤٠).

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فإن عاد عاد الله له)** أي عاد الله له بالعقوبة وهي أنه لا تقبل له صلاة أربعين ليلة، كما جاء ذلك مفسرا في الروايات الأخرى « فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا»[1].

(١) رواه الترمذي برقم (١٨٦٢). كتاب الأشربة. باب: ما جاء في شارب الخمر. وابن ماجة برقم (٣٣٧٧)، كتاب الأشربة. باب: من شرب الخمر لم تقبل له صلاة. وصححه الألباني. ينظر: الصحيحة برقم (٧٠٩).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

وبعد تحرير ما سلف نخلص إلى أن الله ﷻ يقابل عود العبد إلى المعاصي والذنوب بأن يعود له بالعذاب والعقاب جزاء له.

والعود المضاف إلى الله تعالى من صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته وإرادته، وكما يكون عود الله تعالى على العبد بما فيه عذاب وعقاب له، كذلك يكون فيما فيه خير للعبد ونفع له.

عن أُسيد بن حضير[1] رضي الله عنه قال: أتاني أهل بيتين من قومي: أهل بيت من بني ظفر، وأهل بيت من بني معاوية فقالوا: كلِّم النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقسم لنا أو يعطينا، فكلمت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «نعم أقسم لأهل كل بيت منهم شطرا، وإن **عاد الله** علينا **عدنا عليهم**»[2].

فهنا فيه مقابلة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم لفعل الله تعالى، أي فإن عاد الله تعالى بالعطاء والمنح من الخيرات على رسوله صلى الله عليه وسلم، عاد النبي صلى الله عليه وسلم بالنفقة والعطاء على من يستحق ذلك والله أعلم.

---

(١) هو بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، اختلف في كنيته والأشهر أبو يحيى. وكان ممن شهد العقبة الثانية وهو من النقباء ليلة العقبة. شهد بدراً وشهد أحد وما بعدهما من المشاهد. توفي سنة عشرين، وقيل: سنة إحدى وعشرين. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر ص(٤٤-٤٥).

(٢) رواه أبو يعلى في المسند برقم (٩٤٥)، وابن حبان في الصحيح برقم (٧٢٧٩)، والطبراني في الكبير (١/ ٢٠٩)، والضياء في المختارة برقم (١٤٦٥)، وينظر الصحيحة برقم (٣٠٩٦).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مرَّ رجلٌ ممن كان قبلكم في بني إسرائيل بجمجمة فنظر إليها فقال: أي ربِّ أنت أنت وأنا أنا، **أنت العوَّاد بالمغفرة** وأنا **العوَّاد بالذنوب** ثم خر ساجدا فقيل له: ارفع رأسك **فأنا العواد بالمغفرة وأنت العوَّاد بالذنوب** فرفع رأسه فغفر له»(١).

ففي الحديث وصف الله تعالى بالعوَّاد على وزن فعَّال، وهي صيغة مبالغة من كثرة العود، أي أن العبد كلما أذنب وعاد إلى التوبة عاد الله تعالى بالتوبة عليه، وهذا نظير اسمه الغفار، أي كثير الغفران، فكلما استغفره عبيده غفر لهم، وهكذا العوَّاد.

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٤/ ١٧٣)، وابن عدي في الكامل (٢/ ١٤٧). وصححه الألباني وينظر: الصحيحة (٣٢٣١).

المبحث الثالث: من أهان سلطان الله وأهان قريشا أهانه الله ﷻ. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك وبيان معناها.

عن أبي بكرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ **أَهَانَ** سُلْطَانَ اللهِ فِي الأَرْضِ **أَهَانَهُ اللهُ**»(١).

وعن سعد بن أبي وقّاص﵁ قال: قال رسول اللهّ ﷺ: «**مَنْ أَهَانَ** قُرَيْشًا **أَهَانَهُ اللهُ** ﷻ»(٢).

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٢٢٤) كتاب الفتن. باب: ما جاء في الخلفاء، وأحمد(٢٠٤٣٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٦٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠١٧)، والبزار في المسند (٩/ ١٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٨/ ١٦٤)، والخطيب البغدادي في المتفق والمفترق (١/ ٧٣٦).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢١٥): «ورجال أحمد ثقات».
وحسنه الألباني: ينظر الصحيحة (٢٢٩٧)، وظلال الجنة ص(٤٤٤).

(٢) رواه الترمذي بلفظ «من يرد هوان قريش. . . » برقم (٣٩٠٥)، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: في فضل الأنصار وقريش، وأحمد (١٥٨٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٠٧)، والبزار في المسند (٤/ ١٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٧٤)، وصححه الذهبي. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه»، وجوَّد إسناده المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٤٣)، وقال الألباني: «صحيح» ينظر ظلال الجنة ص (٥٩٩).
ورواه ومن حديث عثمانَ ﵁ الإمام أحمد برقم (٤٦٠)، والدينوري في المجالسة (٢٥٣٩)، وابن أبي عاصم في السنة(١٥٠٩). وقال الألباني: «ضعيف لجهالة محمد وعمه». ينظر ظلال الجنة ص (٦٠٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٣٦٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧). وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلىٰ في الكبير باختصار، والبزار بنحوه، ورجالهم =

وجه مطابقة الحديثين للترجمة واضح في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل إهانة الرجل للسَّلطان، وإهانته لقريشٍ بأن يهينه عقابا له وجزاء.

و**الإهانة**: الإذلال[١].

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من **أهان سلطان الله**) وإهانة السلطان لها عدة صور:

منها: أن يسخر بأوامره.

ومنها: إذا فعل السلطان شيئا لا يراه هذا الإنسان. قال: انظر ماذا يفعل؟ يريد أن يهون أمر السلطان على الناس، لأنه إذا هون أمر السلطان على الناس استهانوا به، ولم يمتثلوا أمره، ولم يجتنبوا نهيه.

ولهذا من يهين السلطان بنشر معايبه بين الناس وذمه والتشنيع عليه والتشهير به يكون عرضة لأن يهينه الله عَزَّ وَجَلَّ، لأنه إذا أهان السلطان بمثل هذه الأمور، تمرد الناس عليه فعصوه، وحينئذ يكون هذا سبب شر فيهينه الله عَزَّ وَجَلَّ[٢].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من أهان قريشا**) أي أراد ذلهم[٣].

=

ثقات»، وصححه الألباني: في الصحيحة (١١٧٨)، وصحيح الجامع رقم (٦١١٢).

ورواه من حديث أنس رضي الله عنه ابن أبي عاصم في السنة(١٥١٠)، وقال الألباني «ضعيف لعنعنة قتادة». ينظر: ظلال الجنة ص (٦٠٠)، وابن الأعرابي في المعجم (٢/ ٥٧٠)، الطبراني في الكبير (١/ ٢٥٩)، وفي الأوسط برقم (٥٩٢٤)، بزيادة « قبل موته»، وينظر: الصحيحة (١١٧٨).

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري(١٥/ ١٢).

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين(٣/ ٦٧٣).

(٣) مرقاة المفاتيح للقاري (١١/ ١٣٨). وينظر: تحفة الأحوذي للمباركفوري (١٠/ ٣٠٩).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(أهانه الله)**: أذله الله، بما يدركه من العقوبة في الدنيا، وإن لم يهنه في الدنيا فإنه يستحق أن يهان في الآخرة؛ لأن كلام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق[(١)].

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ٦٧٣).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

وبعد بيان ما سلف نخلص إلى إثبات أن الله تبارك وتعالى يقابل إهانة الرجل للسلطان، ويقابل إهانة الرجل لقريش بأن يهينه عقوبة له من جنس فعله.

وإهانة الله لعبيده إذلاله لهم، وهي من الصفات الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، المتعلقة بمشيئته وإرادته. والهوان والذلة مفعوله المخلوق القائم بالعبد.

وإهانة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم دليل على بغضهم ومقتهم.

يقول **ابن الموصلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإهانة والطرد والإبعاد والحرمان دال على المقت والبغض»[(١)].

ومما يدل على وصف الله تعالى بالإهانة لعبيده من غير مقابلة في اللفظ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾[الحج: ١٨].

يقول **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد هذه الآية: «فلما هان عليهم السجود له، واستخفوا به، ولم يفعلوه أهانهم الله، فلم يكن لهم من مُكرِمٍ بعد أن أهانهم الله، ومن ذا يُكرِم من أهانه الله؟ أو يهن من أكرم الله؟»[(٢)].

ومما يقارب الإهانة في المعنى مما أضيف إلى الله تعالى على سبيل المقابلة: التحقير والتسفيه، والتنقيص لمن سفَّه وحقَّر وتنقَّص غيره.

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومَنْ يُحقِّر عَمَّارًا يحقِّرْهُ الله**»[(٣)].

---

(١) مختصر الصواعق (١/ ٤٥).

(٢) الجواب الكافي ص(٩٠).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٤/ ١١٢، ١١٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٩٠-٣٩١). وقال: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٤): «رواه الطبراني
=

فـ« الحاء والقاف والراء أصل واحدٌ، استصغار الشيء، يقال: شيءٌ حقيرٌ أي صغيرٌ. وأنا أحتقِرُهُ: أي أسْتَصْغِرُهُ»[١].

وقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**وَمَنْ سَفَّهَ عَمَّارًا يُسفِّهه الله**»[٢].

فالسين والفاء والهاء أصل واحد، يدل علىٰ خِفَّةٍ وَسَخَافَةٍ. وهو قياسٌ مُطَّرِدٌ. فالسَّفَهُ: ضِدُّ الحِلْمِ. يقال: ثوبٌ سَفِيهٌ، أي: رديءُ النَّسْجِ. ويقال: تسفَّهْتُ فُلانًا عن مالِه، إذا خَدعْتَه، كأَنَّكَ مِلْتَ بِهِ عنهُ واسْتَخْفَفْتَهُ[٣].

وقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ومن ينْتقص عمارا ينتقصْه الله**»[٤].

فـ«النون والقاف والصاد كلمة واحدة، هي النَّقص: خلاف الزيادة. ونقصَ الشيءُ، ونقَصتُه أنا، وهو منقوصٌ. والنقيصَة: العيبُ؛ يقال ما به نقيصة، أي شيءٌ يَنْقُصُ»[٥].

فهذه المعاني كلها تدل علىٰ إهانة وإذلال من الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ مقابل من أهان وأذل غيره. والله أعلم.

=

مطولا ومختصرا بأسانيد منها ما وافق أحمد، ورجاله ثقات ومنها ما هو مرسل». ورواية الطبراني موصولة.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩٠).

(٢) رواه النسائي في الكبرىٰ برقم (٧/ ٣٥٧)، والطبراني في الكبير (٤/ ١١٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٩-٣٩٠). وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٧٩-٨٠).

(٤) رواه النسائي في الكبرىٰ برقم (٧/ ٣٥٧)، والطبراني في الكبير (٤/ ١١٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٤): «رواه الطبراني مطولا ومختصرا بأسانيد منها ما وافق أحمد ورجاله ثقات ومنها ما هو مرسل». قال مقيده عفا الله عنه: هذا إسناد موصول.

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٧٠).

المبحث الرابع: من انتفى من ولده ليفضحه فضحه الله.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنِ انْتَفَىٰ مِنْ وَلَدِهِ **لِيَفْضَحَهُ** فِي الدُّنْيَا، **فَضَحَهُ الله** يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُءُوسِ الأَشْهَادِ قِصَاصٌ بِقِصَاصٍ »[(١)].

والفضح: انكشاف الشيء، ولا يكاد يقال إلا في قبيح، وقالوا: افتضح الرجل، إذا انكشفت مساوئه[(٢)].

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنِ انْتَفَىٰ مِنْ وَلَدِهِ لِيَفْضَحَهُ فِي الدُّنْيَا**) أي: انقطع عنه بأن نفىٰ نسبه عنه، وقال: إنه ليس مني[(٣)].

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**فضحه الله**) أي: كشف مساوئه بأنه ما أراد بفعله ذلك إلا فضيحة ولده، ففضحه الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الأشهاد عقوبة له.

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٤٢٥-٤٢٦) مطولا، وأحمد برقم (٤٧٩٥)، والطبراني في الأوسط (٤٢٩٧)، وفي الكبير (١٢/ ٤٠١)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٢٣)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٨/ ٣٣٢-٣٣٣). مطولا.

وجَوَّد إسناده العراقي في المغني(١/ ١٠٧٤).

وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٥): «ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا عبد الله بن أحمد، وهو ثقة إمام». وحسنه الألباني. ينظر الصحيحة (٣٤٨٠).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٥٠٩).

(٣) حاشية السندي علىٰ المسند (٤/ ٥٥).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد بيان ما سبق نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل من انتفى من ولد ليفضحه في الدنيا بأن يفضحه في الآخرة عقابا له، فكما أراد هو فضيحة ولده جازاه الله تعالى من جنس فعله بأن فضحه.

وفضح الله تعالى للعبد هو كشف وإظهار حقيقة ما قصده من عمله للخلق، وهو من الصفات الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والله ﷻ يفضح كل من عمل عملا يريد به خلاف ما أظهر للناس منه. والفضيحة مفعوله المخلوق القائم بالعبد.

وقد بين الله ﷻ كيف يكون فضحه عقوبة لعباده حيث قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته **يفضحه** في بيته»[(١)]. فتتبع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عورته فضيحة له.

وكذلك قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم؛ فإنه من طلب عورة أخيه المسلم، طلب الله عورته حتى **يفضحه** في بيته»[(٢)]، فبيَّن أن طلب عورته نتيجته الفضيحة له.

---

(١) سبق تخريجه ص(٣١١).

(٢) سبق تخريجه ص(٣١٢).

الفصل الخامس

ما جاء في باب:

المشقة

الإضرار

الصرف

الإزاغة

التعذيب

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: من شاقَّ شاقَّ الله عليه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن جندب رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «...، وَمَنْ **شَاقَّ يَشْقُقِ الله** عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»[(١)].

وفي روايةٍ عن أبي صِرمة[(٢)] رضي الله عنه صاحب النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «...، وَمَنْ **شَاقَّ شَاقَّ الله** عَلَيْهِ»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧١٥٢) كتاب الأحكام، باب: من شاق شق الله عليه.

(٢) هو الأنصاري المازني من بني مازن بن النجار وقيل: بل هو من بني عدي بن النجار والأول أكثر وأشهر. اختلف في اسمه فقيل: مالك بن قيس، وقيل: لبابة بن قيس، وقيل: قيس بن مالك بن أبي أنس. وقيل: مالك بن أسعد وهو مشهور بكنيته. ولم يختلف في شهوده بدراً. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر ص(٨٢٣)، والإصابة لابن حجر (٤/ ٢٢٧٠).

(٣) رواه أبو داود برقم (٣٦٣٥) كتاب الأقضية، أبواب: من القضاء، والترمذي برقم (١٩٤٠) كتاب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، باب: ما جاء في الخيانة والغش، وابن ماجه برقم (٢٣٤٢) كتاب الأحكام، باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره، وأحمد برقم (١٥٧٥٥)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص (٢٧٤)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٣٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٨)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٧٠).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وضعَّفه ابن قطان في بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٣/ ٥٥٠). لجهل حال لؤلؤة.

وقال الألباني: «والحق أنه حديث حسن». ينظر أحكام الجنائز ص(٧)، والارواء (٨٩٦).

ورواه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الدينوري في المجالسة برقم (٣١٦٠)، والدارقطني في السنن برقم (٣٠٧٩)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٦٩).

وجه مطابقة الدليلين للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تعالى يقابل مشاقَّة العبد على أخيه المسلم بأن يشقَّ الله عليه عقوبة له.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من شاقَّ**): بتشديد القاف. فالشين والقاف أصل واحد يدل على انصداع في الشيء. يقال: أصاب فلاناً شِقٌّ ومشقَّةٌ، وذلك الأمرُ الشديدُ،؛ كأنه من شدَّتِهِ يَشقُّ الإنسانَ شَقًّا. قال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[النحل: ٧] [(١)].

والمشاقَّة مشتقةٌ من الشِّقاق وهو الخلاف[(٢)]. «ومفارقة الجماعة، وهو أن يكون في شقٍ أي ناحية عن الجماعة»[(٣)].

وقيل: «المشاقة المنازعة، أي من نازع مسلما ظلما وتعديا»[(٤)]. والمشاقة بين المتنازعين: أن أحدهما يأخذ بشقٍ دون شقِ الآخر، أو يبعد عنه في شقٍ، أو يريد كل منهما مَشقَّة الآخر، فهو إما مأخوذ من الشِّق بالكسر وهو المشقة، أو من الشِّق بمعنى نصف الشيء؛ فكأن المتنازعين بعد أن كانا مجتمعين صارا نصفين، أو من الشَّق بالفتح الفصل في الشيء وهو الفرق[(٥)]. وقيل: يحملهم على ما يشق عليهم من الأمر[(١)].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٧٠-١٧١) مادة (شق).

(٢) ينظر: شرح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٢٠-٢٢١)، والمعلم للمازري (٣/ ٣٨٤)، ومشارق الأنوار للقاضي (٢/ ٢٥٨)، وشرح الكرماني للبخاري (٢٤/ ٢٠١)، والتوضيح لابن الملقن (٣٢/ ٤٥٣)، و فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٣٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٣٠). وينظر: عمدة القاري للعيني (٢٤/ ٣٤٢).

(٤) ينظر: جامع الأصول لابن الأثير (١١/ ٧١٥)، وسبل السلام للصنعاني (٤/ ٥٦٣)، وعون المعبود للعظيم آبادي (١٠/ ٦٤).

(٥) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٧/ ٢٤٤).

وقيل: أوْصَلَ مشقةً إلى أحدٍ بمحاربةٍ وغيرها [٢].

وقيل: يقول فيهم أمرًا قبيحًا، ويكشف مساوئهم وعيوبهم [٣].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**يشقق الله عليه**)، أو (**شاق الله عليه**). بأي شيء يكون، إما بآفات في بدنه، أو في صدره، أو في أهله، أو في غير ذلك؛ لأن الحديث مطلق، وربما لا تظهر للناس، ولكننا نعلم أنه إذا شق على الأمة بما لم ينزل به الله سلطانا؛ فإنه مستحق لهذه العقوبة [٤]. وما ظنك بشخص شق الله عليه والعياذ بالله، فإنه سوف يخسر وينحط [٥].

=

(١) ينظر: المعلم للمازري (٣/ ٣٨٤)، ومشارق الأنوار للقاضي (٢/ ٢٥٨)، وشرح الكرماني للبخاري (٢٤/ ٢٠١)، والتوضيح لابن الملقن (٣٢/ ٤٥٣)، وعمدة القاري للعيني (٢٤/ ٣٤٢)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١٠/ ٢٢٥).

(٢) ينظر: فيض القدير للمناوي (٦/ ١٧٣)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٤٧).

(٣) ينظر: شرح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٢٠-٢٢١)، وشرح الكرماني للبخاري (٢٤/ ٢٠١)، والتوضيح لابن الملقن (٣٢/ ٤٥٣)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٣٠)، وعمدة القاري للعيني (٢٤/ ٣٤٢)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١٠/ ٢٢٥).

(٤) ينظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ٦٣٤).

(٥) ينظر: نفس المصدر (٢/ ٤٢٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

وبعد بيان ما سبق من شرح الحديثين نخلص إلى إثبات أن الله تعالى يقابل مشاقة العبد لأخيه المسلم أو شقاقه له بأن يشقّ أو يشاق عليه بما يُلحِقه به من المشقة عقوبة له في الدنيا والآخرة. وما يلحقه الله بعبده من المشقة والشدة هو من جنس عذابه لعباده الصادر منه يوم القيامة، وهو من صفاته الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، على ما يليق به جل وعلا.

وقد أضاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فعل الشقَّ لنفسه من غير مقابلة في اللفظ، فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾ [عبس: ٢٦]. أي: «ثم فتقنا الأرض فصدّعناها بالنبات»[١]، وتوكيد الفعل بالمصدر دليل على وقوع ذلك الفعل حقيقة من الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(١) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٢٢٦).

المبحث الثاني: من ضارّ ضارّ الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي صرمة رضي الله عنه عن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «**مَنْ ضارَّ أَضَرَّ الله بِهِ...**»[(١)].

وجه مطابقة الحديث للترجمة واضح في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل مضارَّة العبد لأخيه المسلم بأن يضرَّ به عقوبة له.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من ضارَّ**): - بتشديد الراء - فالضاد والراء ثلاثة أصول: منها خلاف النفع وضده. يقال ضَرَّه يَضُرُّه ضرًّا[(٢)]. أي من قصد الإضرار بأحد من الناس بغير حق[(٣)]. وأوْصَلَ الضرر إليه ابتداء[(١)]؛ سواء كانت مضرةً في ماله، أو نفسه، أو عرضه[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٦٣٥) كتاب الأقضية. أبواب: من القضاء، والترمذي برقم (١٩٤٠) كتاب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. باب: ما جاء في الخيانة والغش، وابن ماجه برقم (٢٣٤٢) كتاب الأحكام. باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره، وأحمد برقم (١٥٧٥٥)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ص (٢٧٤)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٣٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٨)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٧٠).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وضعفه ابن قطان في بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٣/ ٥٥٠). لجهلة حال لؤاؤة

وقال الألباني: «والحق أنه حديث حسن» ينظر أحكام الجنائز ص(٧)، والارواء (٨٩٦).

ورواه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الدينوري في المجالسة برقم (٣١٦٠)، والدارقطني في السنن برقم (٣٠٧٩)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٦٩).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٣٦٠).

(٣) بذل المجهود للسهارنفوري (١٥/ ٣٢٠).

أو ينقصه شيئا من حقه(٣).

«والضرر يرجع إلى أحد أمرين: إما تفويت مصلحة، أو حصول مضرة بوجه من الوجوه، فالضرر غير المستحق لا يحل إيصاله وعمله مع الناس، بل يجب على الإنسان أن يمنع ضرره وأذاه عنهم من جميع الوجوه»(٤).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أضرّ الله به**). أي: أدخل عليه المضرة وأوقعها عليه، وقد يكون ذلك في الدنيا، وقد يكون في الآخرة؛ لأن الحديث أطلق ولم يقيد الإضرار بإحدى الدارين، «ومن ضاره الله، ترحّل عنه الخير، وتوجه إليه الشر وذلك بما كسبت يداه»(٥).

=

(١) ينظر: جامع الأصول لابن الأثير (١١/ ٧١٥)، ومرقاة المفاتيح للملا علي (٧/ ٢٤٤)، وفيض القدير للمناوي (٦/ ١٧٣)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٤٧).

(٢) ينظر: عون المعبود للعظيم آبادي (١٠/ ٦٤).

(٣) سبل السلام للصنعاني (٣/ ٢٣١).

(٤) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص(٣٨).

(٥) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص(٣٨).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد تحرير ما سبق نخلص إلى إثبات أن الله ﷻ يقابل العبد المضارَّ بأخيه بأن يَضُرَّ به عقوبة له من جنس فعله، ومضارَّة الله تعالى لعبده هي من جنس عقابه وعذابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة، لـ«أنه ليس لأحد أن يضرَّ بأحدٍ سواء أضر به قبل أم لا؛ إلا أن له أن ينتصر ويعاقب إن قدر بما أبيح له من السلطان والاعتداء بالحق الذي له هو مثل ما اعتدىٰ به عليه، والانتصار ليس باعتداءٍ ولا ظلمٍ ولا ضررٍ إذا كان على الوجه الذي أباحته السنة، وكذلك ليس لأحد أن يضرَّ بأحد من غير الوجه الذي هو الانتصاف من حقه»[1].

وعليه فالمُضارَّة مبناها على القصد والإرادة، أو على فعل ضرر لا يحتاج إليه في قصد الإضرار، ولو بالمباح، أو فعل الإضرار من غير استحقاق[2].

---

(١) التمهيد لابن عبد البر(٢٠/ ١٦٠).

(٢) ينظر: جامع المسائل لابن تيمية (٦/ ٣٦-٣٧).

المبحث الثالث: من انصرف عن الهدى صرف الله قلبه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٧].

وجه مطابقة الآية للترجمة ظاهر في الدلالة على أن من انصرف عن طريق الهدى والخير قابله الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأن يصرف قلبه عن الإيمان عقابا له.

و الصرف رَدُّ الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، يقال: صرفته فانصرف[(١)].

فقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ ﴾. قيل: عزموا على الكفر[(٢)]، وقيل: «انصرفوا من عند رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولم يستمعوا قراءة السورة التي فيها معايبهم»[(٣)].

وقوله ﷻ: ﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾. أي: «صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوبَ هؤلاء المنافقين، ذلك ﴿ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾، يقول: فعل الله بهم هذا الخذلان، وصرف قلوبهم عن الخيرات، من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه، استكبارًا، ونفاقا»[(٤)].

---

(١) ينظر: المفردات للراغب ص(٢٧٩).

(٢) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٤١).

(٣) جامع البيان للطبري(١٤/ ٥٨٢).

(٤) نفس المصدر (١٤/ ٥٨٢). وينظر: الانتصار للعمراني (٢/ ٤٣٩).

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم»[١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية أنه صارف القلوب ومصرفها وقالبها ومقلبها؛ ردا على القدرية في اعتقادهم أن قلوب الخلق بأيديهم وجوارحهم بحكمهم، يتصرفون بمشيئتهم ويحكمون بإراداتهم واختيارهم»[٢].

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٧٧)، وينظر: معاني القرآن لأبي جعفر النحاس (٣/ ٢٧٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٣٩).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآية.

وبعد بيان تفسير الآية نخلص إلىٰ إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقابل من انصرف عن مواطن الهدىٰ والخير بأن يصرف قلبه عن الإيمان مجازاة له علىٰ ذلك من جنس فعله.

وصرف الله تعالىٰ قلب العبد عن اتباع الإيمان وقبوله وتغييره من حال إلىٰ حال هو من صفاته الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذ ملاك الأمر بيده، وتقليب الأحوال والقلوب بحكمته، فهو المالك المتصرف في ملكه كيف يشاء. وانصراف القلب وتغيره مفعوله المخلوق الصادر من العبد.

يقول **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر سبحانه عن فعلهم وهو الانصراف، وعن فعله فيهم، وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبره، لأنهم ليسوا أهلا له، فالمحل غير صالح ولا قابل، فإن صلاحية المحل بشيئين: **حسن فهم، وحسن قصد،** وهؤلاء قلوبهم لا تفقه، وقصودهم سيئة، وقد صرح سبحانه بهذا في قوله ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[الأنفال: ٢٣]. فأخبر سبحانه عن عدم قابلية الإيمان فيهم، وأنهم لا خير فيهم يدخل بسببه الإيمان إلىٰ قلوبهم، فلم يسمعهم سماع إفهام ينتفعون به، وإن سمعوه سماعا تقوم به عليهم حجته، فسماع الفهم الذي سمعه به والمؤمنون لم يحصل لهم.

ثم أخبر سبحانه عن مانع آخر قام بقلوبهم يمنعهم من الإيمان لو أسمعهم هذا السماع الخاص، وهو الكبر والتولي والإعراض، فالأول: مانع من الفهم، والثاني: مانع من الانقياد والإذعان، فأفهامٌ سيئةٌ، وقصودٌ رديئةٌ، وهذه نسخة الضلال وعلم الشقاء، كما أن نسخة الهدىٰ وعلم السعادة فهمٌ صحيحٌ وقَصْدٌ صالحٌ، والله المستعان.

وتأمل قوله سبحانه ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ كيف جعل هذه الجملة الثانية سواء كانت خبرا أو دعاء عقوبة لانصرافهم، فعاقبهم عليه بصرف آخر غير الصرف الأول، فإن انصرافهم كان لعدم إرادته سبحانه ومشيئته لإقبالهم، لأنه لا صلاحية فيهم

ولا قبول، فلم ينلهم الإقبال والإذعان، فانصرفت قلوبهم بما فيها من الجهل والظلم عن القرآن، فجازاهم على ذلك صرفا آخر غير الصرف الأول»[(١)].

وقد أضاف الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فعل الصرف لنفسه من غير مقابلة في اللفظ في مواطن كثيرة منها: قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[الأعراف: ١٤٦].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[يوسف: ٢٤].

وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[الأحقاف: ٢٩].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد **يصرفه** حيث يشاء»، ثم قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اللهم مصرف القلوب **صرِّف** قلوبنا على طاعتك»[(٢)].

---

(١) شفاء العليل لابن القيم (٢/ ٦٤٢- ٦٤٣).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٥٤). متاب: القدر. باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء.

المبحث الرابع: من زاغ عن الهدى أزاغ الله قلبه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[الصف: ٥].

وجه مطابقة الآية للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله ﷻ يقابل من زاغ عن اتباع الهدى والنور الذي بعث به رسوله ﷺ بأن يزيغ قلبه عقابا له.

«وأصل الزيغ: الميل، ومنه: زاغت الشمس: إذا مالت، فإزاغة القلب: إمالته، وزيغه: ميله عن الهدى إلى الضلال»[(١)].

فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ ﴾. أي: «عدلوا وجاروا عن قصد السبيل»[(٢)].

وقوله ﷻ: ﴿ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾ أي: «أمال الله قلوبهم عنه»[(٣)]، «عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم ورضوه لها، ولم يوفقهم الله للهدى، لأنهم لا يليق بهم الخير، ولا يصلحون إلا للشر»[(٤)]، «فالعبد إذا تولى عن ربِّه، ووالى عدوه، ورأى الحق، فصدف عنه، ورأى الباطل فاختاره، ولَّاه الله ما تولى لنفسه، وأزاغ قلبه، عقوبة له على زيغه، وما ظلمه الله، ولكنه ظلم نفسه، فلا يلم إلا نفسه الأمارة بالسوء»[(٥)].

---

(١) شفاء العليل لابن القيم (٢/ ٦٥٥، ٦٥٦).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٣/ ٣٥٨).

(٣) نفس المصدر (٢٣/ ٣٥٨).

(٤) تفسير السعدي (٧/ ٣٦٧).

(٥) نفس المصدر(١/ ٣٥٩).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده، ليس ظلما منه، ولا حجة لهم عليه، وإنما ذلك بسببٍ منهم، فإنهم الذين أغلقوا علىٰ أنفسهم باب الهدىٰ بعد ما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه وتقليب القلوب عقوبة لهم وعدلا منه بهم كما قال تعالىٰ: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[الأنعام: ١١٠]»[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧/ ٣٦٧-٣٦٨).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآية.

ومما يستفاد من المطلب الأول أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل من زاغ عن اتباع الهدىٰ والخير بأن يزيغ قلبه عن الإيمان عقوبة له.

وإزاغة الله لقلوب عباده هي إمالتها من الهدىٰ إلىٰ الضلال، وهي من صفاته الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهي مقتضىٰ عدله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو الخالق والمالك، يفعل في ملكه ما يشاء. فالإزاغة فعله والزيغ والميل مفعوله المخلوق الصادر من العبد، ولذلك فإن الإزاغة المترتبة علىٰ زيغهم هي إزاغة أخرىٰ غير الإزاغة التي زاغوا بها أولا عقوبة لهم علىٰ زيغهم، والربٌّ تعالىٰ يعاقب علىٰ السيئة بمثلها كما يثيب علىٰ الحسنة بمثلها، فحدث لهم زيغ آخر غير الزيغ الأول. فهم زاغوا أولا فجازاهم الله بإزاغةٍ فوق زيغهم. والزيغ الأول وقع جزاء لهم وعقوبة علىٰ تركهم الإيمان والتصديق لما جاءهم من الهدىٰ [1].

فـ«هم دائرون بين عدله فيهم وحجته عليهم، فمكنهم وفتح لهم الباب، ونهج لهم الطريق، وهيأ لهم الأسباب، فأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ودعاهم علىٰ ألسنة رسله، وجعل لهم عقولا تميز بين الخير والشر، والنافع والضار، وأسباب الردىٰ، وأسباب الفلاح، وجعل لهم أسماعا وأبصارا، فآثروا الهوىٰ علىٰ التقوىٰ، واستحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ، وقالوا: معصيتك آثرُ عندنا من طاعتك، والشرك أحبُّ إلينا من توحيدك، وعبادة سواك أنفعُ لنا في دنيانا من عبادتك. فأعرضتْ قلوبهم عن ربهم وخالقهم ومليكهم، وانصرفت عن طاعته ومحبته وتوحيده، وانفكت عن هداه، فلما رآها سبحانه كذلك عدل فيها بأن صرفها وأعرض بها عنه، وصدَّها عن الإقبال عليه ومعرفته ومحبته، فهذا عدله فيهم وتلك حجته عليهم، فهم سدوا علىٰ أنفسهم باب الهدىٰ إرادة منهم واختيارا، فسده

(١) ينظر: شفاء العليل لابن القيم (٢/ ٨١٢).

عليهم اضطرارا، فخلاَّهم وما اختاروا لأنفسهم، وولَّاهم ما تولوه، ومكنهم فيما ارتضوه، وأدخلهم من الباب الذي استبقوا إليه، وأغلق عنهم الباب الذي تولوا عنه وهم معرضون، فلا أقبح من فعلهم، ولا أحسن من فعله»(١).

وقد وصف الله نفسه بأنه يزيغ قلوب من يشاء من غير مقابلة في اللفظ، وذلك محض عدله سبحانه، فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حكاية عن المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[آل عمران: ٨].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك». قالت: قلت: يا رسول الله، أوإن القلوب لتتقلب؟ قال: «نعم، ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، إن شاء أقامه وإن شاء **أزاغه**، فنسأل الله ربنا أن **لا يزيغ** قلوبنا بعد إذا هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب»(٢).

---

(١) نفس المصدر (٢/ ٦٤٥).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٥٢٢). كتاب الدعوات. باب: رقم (٩٠)، والطيالسي في مسنده برقم(١٧١٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٠٣)، و(١٥/ ٦١٥)، وأحمد برقم (٢٦٥٧٦)، واللفظ له، وعبد بن حميد في المسند برقم (١٥٣٤)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٢٢٣)، والنسائي في الكبرىٰ (٧/ ١٥٦)، وأبو يعلىٰ في المسند برقم(٦٩١٩)، و(٦٩٨٦)، والطبراني في الكبير(٢٣/ ٣٣٨)، وفي الدعاء برقم (١٢٥٨)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٠٥).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٧٦): « رواه أحمد، وإسناده حسن».

وصححه الألباني ينظر: ظلال الجنة ص(٩٤).

وعن النواس[(١)] بن سمعان الكلابي ﷺ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن. إن شاء أقامه وإن شاء **أزاغه**»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اللهم زدني علما **ولا تزغ** قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»[(٣)].

---

(١) هو النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب العامري الكلابي له ولأبيه صحبة. ينظر: الإصابة لابن حجر (٣/ ٢٠١٩).

(٢) رواه ابن ماجه برقم (١٩٩) في المقدمة. باب: فيما أنكرت الجهمية، وأحمد برقم (١٧٦٣٠)، وابن أبي عاصم في السنة برقم(٢١٩)، وابن حبان في الصحيح برقم (٩٤٣)، والطبراني في الدعاء برقم (١٢٦٢)، وابن منده في كتاب التوحيد برقم(١٢٨)، وابن أبي زمنين في أصول السنة برقم(١٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٥)، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٦٦).
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.
وقال البوصيري في المصباح (١/ ١٩١): «هذا إسناد صحيح».
وصححه الألباني. ينظر ظلال الجنة ص (٩٢)، وصحيح الجامع برقم (٥٧٤٧).
ورواه من حديث نعيم بن همّار ﷺ ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني برقم (١٢٧٨)، و في السنة برقم (٢٢٠)، وصححه الألباني في الظلال ص (٩٣).
ورواه من حديث سبرة بن فاتك الأسدي ﷺ ابن أبي عاصم في السنة برقم (٢٢٠)، الطبراني في الكبير(٧/ ١٣٧)، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢١١): «رواه الطبراني، ورجاله ثقات». وصححه الألباني. ينظر ظلال الجنة ص (٩٣).
ورواه من حديث عائشة ﷺ الإمام أحمد برقم (٢٤٦٠٤)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٨٥).

(٣) رواه محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل ص(١٠٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٧٥٦)، وابن منده في كتاب التوحيد برقم (١٣١). وقال: «هذا إسناد متصل مشهور»، والبيهقي في القضاء والقدر برقم (٣١٨).

المبحث الخامس: إن الله يعذب الذين يعذبون الناس. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: مرّ هشام بن حكيم بن حزام على أناس من الأنباط[(١)] بالشّام، قَد أقيموا في الشّمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حُبسوا في الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ الله **يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ** النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»[(٢)].

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقابل من يعذب الناس في الدنيا بغير حق بأن يعذبهم.

وكل من منعته شيئا فقد عذّبته[(٣)].

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إن الله يعذب**) إما بإلحاق العذاب به، أو بمنعه النعيم ليكون أشد في النكاية به. كرؤية الكفار لله تعالى يوم القيامة[(٤)] رؤية تعريف وتعذيب ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم[(٥)].

---

(١) هم فلاحو العجم ينظر: شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٦٧). وسموا بذلك لاستنباطهم الماء أي استخراجه. ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٨١).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٦١٣) كتاب البر والصلة والآداب، باب: الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ١٩٣).

(٤) على أحد الأقوال التي حكاها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن العلماء.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية(٦/ ٤٨٨).

وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (**الذين يعذبون الناس**): في الدنيا بغير حق[١]، ظلما، إما في أصل التعذيب فيعذبونهم في موضع لا يجوز فيه التعذيب، أو بزيادة على المشروع في التعذيب: إما في المقدار، وإما في الصفة [٢]، ولا يدخل فيه التعذيب بحق كالقصاص والحدود و التعزير ونحو ذلك [٣].

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٧/ ٧٦).

(٢) ينظر: المفهم للقرطبي (٦/ ٥٩٩).

(٣) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٦٧).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد شرح الحديث نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يقابل تعذيب العبد لغيره بغير حق بأن يعذبه من جنس عذابه في الدنيا وفي الآخرة، والتعذيب هو إجراء العقوبة على العبد، وهو نوع خاص زائد على العذاب المرتب على الذنوب الأخرى؛ لأنه من حقوق العباد فيما بينهم، فيدخل في باب القصاص.

ومما يبيّن مقابلة العذاب في الدنيا بعذابٍ من جنسه في الآخرة ما ورد في حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «من تردَّى من جبلٍ فقتلَ نفسه فهو في نار جهنم يتردَّى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسَّى سُمًّا فقتل نفسه فَسُمُّهُ في يده يَتَحَسَّاهُ في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا»(١).

فدل الحديث على «مجانسة العقوبات الأخروية للجنايات الدنيوية، ويؤخذ منه أن جناية الإنسان على نفسه كجنايته على غيره في الإثم؛ لأن نفسه ليست مِلكا له مطلقا؛ بل هي لله تعالى فلا يتصرف فيها إلا بما أذن له فيه»(٢).

وتعذيب الله تعالى للكافرين و العصاة ثابت في الدنيا ومتوعد به في الآخرة.

فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[المائدة: ٤٠].

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٧٧٨). كتاب الطب. باب: شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، ومسلم برقم (١٠٩). كتاب الإيمان. باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٥٣٩).

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[آل عمران: ١٢٨].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الأنفال: ٣٤].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[التوبة: ١٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[التوبة: ٧٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[التوبة: ٨٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من صوَّرَ صُورةً؛ **فإن الله مُعَذِّبُهُ** حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا»[1].

(١) رواه البخاري برقم (٢٢٢٥). كتاب البيوع. باب: بيع التصاوير التي فيها روح، وما يكره من ذلك. واللفظ له، ومسلم برقم (٢١١٠). كتاب اللباس والزينة. باب: تحريم تصوير صور الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه.

الفصل السادس

ما جاء في باب:

الاستهزاء

المكر

الخداع

السخرية

الكيد

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: من استهزاء بالمؤمنين استهزأ الله تعالى به.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[البقرة: ١٤-١٥].

وجه مطابقة الآية للترجمة واضح في الدلالة على أن الله تعالى يقابل استهزاء المنافقين بالمؤمنين بأن يستهزئ بهم عقوبة لهم.

(**واستهزأ**) مأخوذ من هزأ، فـ«الهاء والزاي والهمزة كلمة واحدة. يقال: هَزِئَ واستهزأ إذا سخر»(١).

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: ساخرون بأصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

يقول ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع أهل التأويل جميعًا -لا خلاف بينهم- على أن معنى قوله: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾: إنما نحن ساخرون. فمعنى الكلام إذًا: وإذا انصرف المنافقون خالين إلى مَرَدتهم من المنافقين والمشركين قالوا: إنا معكم عن ما أنتم عليه من التكذيب بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء به، ومعاداته ومعاداة أتباعه، إنما نحن ساخرون بأصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِقِيلِنا لهم إذا لقيناهم: آمَنَّا بالله وباليوم الآخر»(٣).

وأما قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «يسخر منهم للنقمة

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٥٢).

(٢) ينظر: جامع البيان لابن جرير (١/ ٣٠٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٨).

(٣) جامع البيان (١/ ٣٠٠).

منهم»[(١)].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «اختُلف في صفة استهزاءِ الله جَلَّ جَلَالُهُ، الذي ذَكر أنه فاعله بالمنافقين، الذين وَصَف صفتهم.

فقال بعضهم: استهزاؤه بهم، كالذي أخبرنا تبارك اسمه أنه فاعلٌ بهم يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[الحديد: ١٣-١٤].

وكالذي أخبرنا أنَّه فَعَل بالكفار بقوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[آل عمران: ١٧٨]. فهذا وما أشبهه من استهزاء الله جلّ وعزّ وسخريته ومكرِه وخديعتِه للمنافقين وأهل الشرك به عند قائلي هذا القول، ومتأوّلي هذا التأويل.

وقال آخرون: اسْتهزاءُ الله جل ثناؤه بمن اسْتهزأ به من أهل النفاق والكفر به: إمّا إهلاكه إياهم وتدميرُه بهم، وإمّا إملاؤهُ لهم ليأخذهم في حال أَمْنِهم عند أنفسهم بغتةً، أو توبيخه لهم ولأئمته إياهم. قالوا: وكذلك معنى المكر منه والخديعة والسُّخرية.

وقال آخرون: (الله يستهزئ بهم)، على الجواب. والله لا يكونُ منه المكر ولا الهُزْء، والمعنى أن المكر والهُزْءَ حاق بهم.

وقال آخرون: إخبارٌ من الله أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء، ومعاقبهم عقوبةَ الخداع. فأخرج خبرَه عن جزائه إياهم وعقابه لهم، مُخْرَج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقُّوا العقاب في اللفظ، وإن اختلف المعنيان. كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ ﴾

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٨).

[الشورى: ٤٠]. ومعلومٌ أن الأولى من صاحبها سيئة، إذْ كانت منه لله تبارك وتعالى معصية، وأن الأخرى عَدلٌ، لأنها من الله جزاءٌ للعاصي على المعصية، فهما -وإن اتفق لفظاهما- مختلفا المعنى.

وقال آخرون: إنّ معنى ذلك: أن الله جل وعز أخبر عن المنافقين أنهم إذا خَلَوْا إلى مَرَدَتهم قالوا: إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء به، وإنما نحن بما نُظهر لهم – من قولنا لهم: صدقنا بمحمد عليه السلام وما جاء به – مستهزئون. يعنون: إنا نُظهر لهم ما هو عندنا باطل لا حَقٌّ ولا هدًى. قالوا: وذلك هو معنى من معاني الاستهزاء، فأخبر الله أنه ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلافَ الذي لهم عنده في الآخرة، كما أظهروا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين في الدين ما هم على خلافه في سرائرهم.

والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهارُ المستهزِئ للمستهزَإ به من القول والفعل ما يُرضيه ظاهرًا، وهو بذلك من قِيله وفِعْله به مُورِثه مَساءة باطنًا.

فإذا كان ذلك كذلك؛ وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام – بما أظهروا بألسنتهم، من الإقرار بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله، المُدْخِل لهم في عداد من يشمله اسمُ الإسلام، وإن كانوا لغير ذلك مستبطنين أحكامَ المسلمين المصدِّقين إقرارَهم بألسنتهم بذلك، بضمائر قلوبِهم، وصحائح عزائمهم، وحميدِ أفعالهم المحققة لهم صحة إيمانهم – معَ علم الله عَزَّ وَجَلَّ بكذبهم، واطلاعِه على خُبث اعتقادهم، وشكِّهم فيما ادَّعوا بألسنتهم أنهم به مصدِّقون، حتى ظنُّوا في الآخرة إذْ حشروا في عِداد من كانوا في عِدادهم في الدنيا، أنَّهم وارِدُون مَوْرِدَهم. وداخلون مدخلهم. والله جَلَّ جَلَالُهُ– مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام المُلْحِقَة بهم في عاجل الدنيا وآجل الآخرة إلى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه، وتفريقِه بينهم وبينهم معدٌّ لهم من أليم عقابه ونَكال عذابه، ما أعدّ منه لأعدى أعدائه وشر

عباده، حتى ميز بينهم وبين أوليائه، فألحقهم من طبقات جحيمه بالدَّرك الأسفل كان معلومًا أنه جل ثناؤه بذلك من فعلِه بهم - وإن كان جزاءً لهم على أفعالهم، وعدلا ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم إياه منه بعصيانهم له -كان بهم- بما أظهرَ لهم من الأمور التي أظهرها لهم: من إلحاقه أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائِه وهم له أعداء، وحشرِه إياهم في الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين -إلى أن ميَّز بينهم وبينهم- مستهزئًا، وبهم ساخرًا، ولهم خادعًا، وبهم ماكرًا. إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل، دون أن يكون ذلك معناه في حالٍ فيها المستهزئ بصاحبه له ظالمٌ، أو عليه فيها غير عادل، بل ذلك معناه في كل أحواله، إذا وُجدت الصفات التي قدَّمنا ذكرها في معنى الاستهزاء وما أشبهه من نظائره»(١).

ويقول **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلا يستحق هذا الاسم كما روي عن ابن عباس؛ أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار فيسرعون إليه فيغلق، ثم يفتح لهم باب آخر فيسرعون إليه فيغلق، فيضحك منهم المؤمنون. قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٤، ٣٦]. وعن الحسن البصري: إذا كان يوم القيامة خمدت النار لهم كما تخمد الإهالة من القدر فيمشون فيخسف بهم. وعن مقاتل: إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فيبقون في الظلمة فيقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا. وقال بعضهم: استهزاؤه: استدراجه لهم. وقيل: إيقاع استهزائهم ورد خداعهم ومكرهم عليهم. وقيل: إنه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن في الآخرة. وقيل: هو تجهيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه؛ وهذا كله حق وهو استهزاء بهم حقيقة»(٢).

---

(١) جامع البيان (١/ ٣٠٠، ٣٠٤). وينظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٨٣-١٨٤).

(٢) الإيمان الكبير (٩٣-٩٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآية.

وبعد بيان تفسير الآية نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل استهزاء المنافقين بالمؤمنين في الدنيا بأن يستهزئ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بهم في الدنيا والآخرة، و استهزاؤه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بهم هو سخريته منهم، وهو من الصفات الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مقيدة ومقابلة لاستهزاء المنافقين. إذ الاستهزاء لما كان جزاء على من فعل ذلك بمثل فعله كان عدلا حسنا(١)؛ لأن هذه الصفة إذا كانت من الله لم تكن سفهاً لأن الله حكيم، والحكيم لا يفعل السفه، بل ما يكون منه يكون صواباً وحكمة(٢).

يقول **ابن الموصلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض رَدِّهِ على دعواهم أن ألفاظ هذه الصفات مجاز: «والحق خلاف هذا الظن وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمنا للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود، فإن المخادع إذا خدع بباطل وظلم حَسُنَ من المجازي له أن يخدعه بحقٍ وعدلٍ، وكذلك إذا مكر واستهزأ ظالما متعديا كان المكر به والاستهزاء عدلا حسنا»(٣).

وقال: «فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقا بل تمدح في موضع وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقا، فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد...، والمقصود أن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/ ٤٧١).

(٢) ينظر: الحجة للتيمي (١/ ١٨١).

(٣) مختصر الصواعق (٢/ ٧٤٠).

الخالق سبحانه»[١].

(١) نفس المصدر (٢/ ٧٤٥-٧٤٦).

المبحث الثاني: من مكر بالمؤمنين مكر الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء في ذلك من النصوص، وبيان معناها.

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ٥٤].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[الأنفال: ٣٠].

وقال جل جلاله: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾[يونس: ٢١].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[النمل: ٥٠].

وجه مطابقة الأدلة للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تعالى يقابل من مكر بالأنبياء والمؤمنين بأن يمكر بهم معاقبة لهم من جنس فعلهم.

وأما تعريف المكر: فهو من المخلوقين: «الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر، ليورِّطه الماكر به مكروهًا من الأمر»(١). وقيل: هو التدبير(٢). وقيل: هو «فعل يقصد به ضرّ أحد في هيئة تخفَى، أو هيئة يحسبها منفعة»(٣).

والمكر من الله: استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم كما قال: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم

(١) جامع البيان للطبري (١٢/ ٩٥).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢١٦).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٤).

﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف: ١٨٢] (١).

وقيل: «وهو من الله التدبير بالحق»(٢).

وقيل: «الجزاء والمثوبة أن يجازيهم جزاء مكرهم»(٣).

وقيل: هو «الإتيان بالعقوبة المستحقة من حيث لا يدري العبد.

وقيل: هو أخذه من أخذ منهم علىٰ غرة وغفلة.

وقيل: هو إظهار النظرة وترك العقوبة عاجلاً حتىٰ يأخذه علىٰ غرة»(٤).

فقوله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾. أي: ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل، وهم الذين ذكر الله أنّ عيسىٰ أحسّ منهم الكفر. وكان مكرهم الذي وصفهم الله به، مُواطأة بعضهم بعضًا علىٰ الفتك بعيسىٰ وقَتْله.

وأما مكر الله بهم: فهو إلقاؤه شبَه عيسىٰ علىٰ بعض أتباعه حتىٰ قتله الماكرون بعيسىٰ، وهم يحسبونه عيسىٰ، وقد رفع الله ﷻ عيسىٰ قبل ذلك(٥).

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾.

فقد قال **ابن جرير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتأويل الكلام إذًا: واذكر، يا محمد، نعمتي عندك، بمكري بمن حاول المكر بك من مشركي قومك، بإثباتك أو قتلك أو إخراجك من

---

(١) ينظر: الهداية لمكي ابن أبي طالب (٢/ ١٠٣٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ٣٥٨).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢١٦).

(٣) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٧٥).

(٤) الهداية لمكي ابن أبي طالب (٨/ ٥٤٤٧)

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٦/ ٤٥٣-٤٥٤).

وطنك، حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم، فامض لأمري في حرب من حاربك من المشركين، وتولى عن إجابة ما أرسلتك به من الدين القيم، ولا يُرْعِبَنَّك كثرة عددهم، فإن ربّك خيرُ الماكرين بمن كفرَ به، وعبدَ غيرَه، وخالفَ أمرَه ونهيَه»(١).

وقوله تعالى: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾. قيل: ليوثقوك. وقيل: ليسجنوك. وقيل: يحبسوك. وقيل: ليشدُّوك(٢).

وأما قوله ﷻ: ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَا﴾. أي: استهزاء وتكذيب(٣). وقيل: جحودا وتكذيبا لديننا(٤).

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي: «أسرع محَالا بكم، واستدراجًا لكم وعقوبةً، منكم، من المكر في آيات الله»(٥).

وقيل: «أشد استدراجا وإمهالا حتى يظن الظانّ من المجرمين أنه ليس بمعذَّب، وإنما هو في مهلة، ثم يؤخذُ على غرة منه»(٦).

وقيل: «أعجل عقوبة وأشدُّ أخذًا وأقدر على الجزاء، يريد عذابه في إهلاككم أسرع

---

(١) المصدر السابق (١٣/ ٥٠٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣/ ٤٩١-٤٩٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٨).

(٣) جامع البيان للطبري (١٥/ ٤٩). وينظر: الهداية لمكي بن أبي طالب (٥/ ٣٢٤٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ٣٥٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٨).

(٤) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٤٩).

(٥) جامع البيان للطبري (١٥/ ٤٩). وينظر: الهداية لمكي بن أبي طالب (٥/ ٣٢٤٢)، وتفسير ابن كثير كثير (٤/ ٢٥٨).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٨-٢٥٩)

إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق»(١).

وأما قوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾. «برسلهم، وأرادوا إخراجهم من بلادهم، فمكر الله بهم، وجعل العاقبة للمتقين»(٢).

وأما قوله ﷻ: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗا ﴾. أي: «فلله أسبابُ المكر جميعًا، وبيده وإليه، لا يضرُّ مكرُ من مَكَر منهم أحدًا إلا من أراد ضرَّه به، يقول: فلم يضرَّ الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضرَّه ذلك، وإنما ضرُّوا به أنفسهم لأنهم أسخطوا ربَّهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم، ونجَّى رُسُلَه. يقول: فكذلك هؤلاء المشركون من قريش يمكرون بك، يا محمد، والله منَجّيك من مكرهم، ومُلْحِقٌ ضُرَّ مكرهم بهم دونك»(٣).

وتقديم المجرور في قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ ﴾ للاختصاص، أي له لا لغيره، لأن مكره لا يدفعه دافع، فمكر غيره كلاَ مكرٍ بقرينة أنه أثبت لهم مكراً بقوله: ﴿ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾. وأكد مدلول الاختصاص بقوله: ﴿جَمِيعٗاۖ ﴾ وهو حال من المكر(٤).

وقوله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا ﴾. أي: «غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح والفتك به»(٥)، و «سمَّى الله تآمرهم مكراً لأنه كان تدبير ضُرّ في خفاءٍ.

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٣٥٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٣).

(٣) جامع البيان للطبري (١٦/ ٤٩٩). وينظر: الهداية لمكي ابن أب طالب (٥/ ٣٧٦٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ٥٤١).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/ ١٧٤).

(٥) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٠٨).

وأكد مكرهم بالمفعول المطلق للدلالة على قوته في جنس المكر، وتنوينه للتعظيم»[١].

وقوله: ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ أي: «جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم»[٢].

«وأُكِّدَ مكرُ الله وعُظّم كما أُكِّدَ مكرُهم وعُظّم، وذلك بما يناسب جنسه، فإن عذاب الله لا يدانيه عذاب الناس فعظيمه أعظم من كل ما يقدره الناس»[٣].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٢٨٤).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٠٨).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٢٨٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الأدلة.

وبعد الوقوف على ما سلف من تفاسير أهل العلم نخلص إلى إثبات أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل مكر الماكرين بأوليائه ورسله بأن يمكر بهم جزاء وعقوبة لهم، والمكر المضاف إلى الله تعالى من صفاته الفعلية الصادرة منه ﷻ. والمكر« منه سبحانه في أعلى مراتب الحسن وإن كان من العبد قبيحا سيئا؛ لأنه ظالم فيه وموقعه بمن لا يستحقه، والربُّ تعالى عادلٌ فيه موقعه بأهله ومن يستحقه»[(١)].

يقول **شيخ الإسلام** رَحِمَهُٱللَّهُ: «وأما الاستهزاء والمكر بأن يظهر الإنسان الخير والمراد شر فهذا إذا كان على وجه جحد الحق وظلم الخلق فهو ذنب محرم، وأما إذا كان جزاء على مَن فَعَل ذلك بمثل فعله كان عدلا حسنا »[(٢)].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: « بل تسميته ذلك حقيقة على بابه، فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة؛ ولكنه نوعان: قبيح: وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه. وحسن: وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له. فالأول: مذموم، والثاني: ممدوح. والربُّ تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلا منه وحكمة، وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده»[(٣)].

وقال ابن كثيررَحِمَهُٱللَّهُ: «لأن المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث منتف عن اللهﷻ، بالإجماع، وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك»[(٤)].

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ص (٦٠٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٧٠)، و(٧/ ١١١).

(٣) إعلام الموقعين (٥/ ٢٥٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٤).

وقد أضاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فعل المكر لنفسه من غير مقابلة في اللفظ فقال تعالىٰ: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف: ٩٩].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنىٰ الآية: فلا يعصي ويأمن مقابلة الله له علىٰ مكر السيئات بمكره به إلا القوم الخاسرون، والذي يخافه العارفون بالله من مكره أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال فيحصل منهم نوع اغترار فيأنسوا بالذنوب فيجيئهم العذاب علىٰ غرة وفترة»[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾[الرعد: ١٣]. وقد فُسِّرَ: شديد المحال بشديد المكر والكيد[٢].

و(المحال): مصدر من قول القائل: مَاحَلْتُ فلانًا فأنا أُمَاحِلُهُ مُمَاحَلَةً ومِحَالا. و(فعلت) منه: «مَحَلتُ أمحَلُ محْلا إذا عرّضَ رجلٌ رجلا لما يهلكه»[٣].

وجاء في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو: «ربِّ أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، **وامكر لي ولا تمكر عليَّ**، واهدني ويسر هداي إليَّ، وانصرني علىٰ من بغىٰ عليَّ، اللهم اجعلني لك شاكرا، لك ذاكرا، لك راهبا، لك مطواعا، إليك مخبتا، أو منيبا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي»[٤].

---

(١) الفوائد(١/ ١٦٤).

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٣٥٠)، و الهداية لمكي ابن أبي طالب (٥/ ٣٧٠٧)، ومعالم التنزيل للبغوي(٢/ ٥٢٠).

(٣) جامع البيان للطبري (١٦/ ٣٩٤).

(٤) سبق تخريجه ص(١٧٠).

المبحث الثالث: من خدع الله خدعه الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢].

وجه مطابقة الآية للترجمة واضح في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل مخادعة المنافقين للمؤمنين بأن يخدعهم جزاء وعقوبة لهم.

والخداع مصدر خَدَعَ، فالخاء والدال والعين أصل واحد وهو إخفاء الشيء، ومنه خدعتُ الرجلَ خَتَلْتُه[١]، ومنه المَخْدَعُ للبيت الذي يخفى فيه المتاع[٢].

وقيل: الخدع معناه في كلام العرب الفساد، والخادع الفاسد من الطعام وغيره.

قال الشاعر:

أبيضُ اللون لذيذُ طعمه ... طيِّبُ الريق إذا الريقُ خَدع[٣]

معناه: فسد[٤].

والمخادعة: هي الاحتيال والمراوغة بإظهار الخير وإبطان خلافه لتحصيل المقصود[٥].

وقيل: أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئا، ويبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممن

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٦١).

(٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١/ ١٨-١٩)، وتفسير العز ابن عبد السلام (١/ ١٠٣).

(٣) البيت أنشده ابن الأعرابي. ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٤٠).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/ ١١١)، و معالم التنزيل للبغوي (١/ ١٨-١٩).

(٥) بيان الدليل على إبطال التحليل لابن تيمية ص(٣٤).

يخادع[1].

فلفظ الخداع ينقسم إلى محمود ومذموم؛ فإن كان بحق فهو محمود وإن كان بباطل فهو مذموم[2].

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾. قيل: «يظهرون لا إله إلا الله، يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم، وفي أنفسهم غير ذلك»[3].

«ولا شك أن الله تعالى لا يُخادَع، فإنه العالم بالسرائر والضمائر، ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم، يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس وجَرَت عليهم أحكامُ الشريعة ظاهرا، فكذلك يكون حكمهم يوم القيامة عند الله، وأن أمرهم يروج عنده، كما أخبر عنهم تعالى أنهم يوم القيامة يحلفون له: أنهم كانوا على الاستقامة والسداد، ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده»[4].

وقيل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: يفسدون ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون من الكفر[5].

وأما قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ قيل: أي «يفسد عليهم نعمهم في الدنيا بما يصيرهم إليه من عذاب الآخرة»[6].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن السعدي (١/ ٤٨).

(٢) ينظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ص(٤٧٥).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٧).

(٥) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/ ١١١-١١٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ١٨-١٩).

(٦) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/ ١١٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ١٨-١٩).

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمنافقون لم يخدَعوا غيرَ أنفسهم، لأنّ ما كان لهم من مال وأهلٍ، فلم يكن المسلمون مَلَكوه عليهم – في حال خِداعهم إياهم عنه بنفاقهم وَلا قَبْلها – فيستنقِذُوه بخداعهم منهم، وإنما دافعوا عنه بكذبهم وإظهارهم بألسنتهم غيرَ الذي في ضمائرهم، ويحكُم الله لهم في أموالهم وأنفسهم وذراريهم في ظاهر أمورِهم بحُكْم ما انتسبوا إليه من الملّة، والله بما يُخْفون من أمورِهم عالم. وإنما الخادع من خَتَل غيرَهُ عن شيئِه، والمخدوعُ غير عالم بموضع خديعةِ خادعِهِ. فأما والمخادَع عارفٌ بخداعِ صاحبه إياه غير لاحقِه من خداعه إيّاه مكروهٌ، بل إنما يَتجافىٰ للظَّانّ به أنه له مُخادع، استدراجًا، ليبلغ غايةً يتكامل له عليه الحُجَّةُ للعقوبة التي هو بها مُوقع عند بلوغه إياها، والمُسْتَدرَج غيرُ عالم بحال نفسه عند مستدرِجِه، ولا عارف باطِّلاعه علىٰ ضميره، وأنّ إمهالَ مستدرِجِه إياه، تركه معاقبته علىٰ جرمه ليبلغ المخاتِل المخادِعُ من استحقاقه عقوبةَ مستدرِجِه بكثرة إساءته، وطولِ عِصيانه إياه، وكثرة صفح المستدرِج، وطول عفوه عنه أقصىٰ غايةٍ؛ فإنما هو خادع نفسه لا شك، دون من حدّثته نفسه أنه له مخادعٌ. ولذلك نَفىٰ الله جل ثناؤه عن المنافق أن يكونَ خدَعَ غيرَ نفسه، إذ كانت الصِّفةُ التي وَصَفنا صفتَه»[(١)].

وانظر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي مر في بيان صفة الاستهزاء وغيرها فإنه مهم جدا[(٢)].

---

(١) جامع البيان (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

(٢) ينظر: جامع البيان (١/ ٣٠٠، ٣٠٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٨٣-١٨٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآية.

وبعد بيان تفسير الآية نخلص إلى إثبات أن الله تعالى يقابل مخادعة المنافقين للمؤمنين بأن يخدعهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عقوبة وجزاء لهم.

وخَدْعُ الله للمخادعين هو أن يظهر لهم سبحانه ما يظن أنه كرامة وفيه عذاب أليم[١]، فيفسد عليهم آخرتهم بذلك. وهو من صفاته الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهي تضاف إليه مقيدة من دون إطلاق فتقول: «إن الله تعالى يخدع المنافقين، أو خادع المنافقين، أو خادع من يخادعه؛ لأنها في هذه الحال تكون صفة كمال، ولا يجوز أن تصفه بها على سبيل الإطلاق، لأنها تحتمل معنىً صحيحاً ومعنىً فاسداً»[٢].

يقول ابن الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بل تسميته ذلك حقيقة على بابه، فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة»[٣].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض رَدِّه على دعواهم أنها مجاز: «والحق خلاف هذا الظن وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمنا للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود، فإن المخادع إذا خدع بباطل وظلم حسن من المجازي له أن يخدعه بحق وعدل»[٤].

---

(١) بيان الدليل على إبطال التحليل لابن تيمية ص(٣٥).

(٢) شرح العقيدة السفارينية للشيخ ابن عثيمين ص (١٦٠).

(٣) إعلام الموقعين (٥/ ٢٥٧).

(٤) مختصر الصواعق (٢/ ٧٤٠).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن المكر والخداع والسخرية علىٰ وجه اللعب والعبث منتف عن الله عَزَّوَجَلَّ بالإجماع، وأما علىٰ وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك»(١).

وقد أضاف بعض الصحابة هذه الصفة علىٰ سبيل المقابلة في كلامهم من ذلك قول الزبير بن العوام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه كانت عنده أم كلثوم بنت عقبة ڤ فقالت له وهي حامل: طيِّبْ نفسي بتطليقة، فطلقها تطليقة ثم خرج إلىٰ الصلاة، فرجع وقد وضعت فقال: **ما لها؟ خدعتني، خدعها الله!** ، ثم أتىٰ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «سَبَقَ الكتابُ أجلَه اخْطُبها إلىٰ نفسِها»(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٨٤).

(٢) رواه ابن ماجه برقم (٢٠٢٦). كتاب الطلاق. باب: المطلقة الحامل إذا وضعت ذا بطن بانت، وعبد الرزاق في المصنف (٦/ ٤٧٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢٠١)، وابن راهويه في المسند برقم (٢٣٣٦)، والبيهقي في الكبرىٰ (٧/ ٤٢١)، وصححه الألباني. ينظر: الإرواء رقم (٢١١٧).

المبحث الرابع: من يسخر بالمؤمنين يسخر الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة: ٧٩].

وجه مطابقة الآية للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقابل من يسخر بعباده بأن يسخر منه عقابا له.

ومادة (**سخر**): من السين والخاء والراء أصل مطّرد مستقيم يدلّ على احتقارٍ واستذلالٍ. من ذلك قولنا سخَّر الله عَزَّوَجَلَّ الشيءَ، وذلك إذا ذلَّله لأمره وإرادته. ومن الباب: سَخِرْتُ منه، إذا هزئتَ به. ولا يزالون يقولون: سخرت به(١).

فقوله تعالى: ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾. أي «يلمزون الذين لا يجدون ما يتصدَّقون به إلا جهدهم، وذلك طاقتهم، فينتقصونهم ويقولون: لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيًّا! سخريةً منهم بهم»(٢).

وقوله تعالى: ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾. أي: أن الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام المُدْخِلِة لهم في عِداد من يشمله اسمُ الإسلام، معَ علم الله عَزَّوَجَلَّ بكذبهم، واطلاعِه على خُبث اعتقادهم، وشكِّهم فيما ادَّعوا بألسنتهم أنهم به مصدِّقون، حتى ظنُّوا في الآخرة إذْ حشروا في عِداد من كانوا في عِدادهم في الدنيا، أنَّهم وارِدُون موْرِدَهم. وداخلون مدخلهم. والله جَلَّجَلَالُهُ معدٌّ لهم من أليم عقابه ونكال عذابه، ما أعدّ منه لأعدى أعدائه وشر عباده، حتى ميَّز بينهم وبين أوليائه، فألحقهم من طبقات جحيمه بالدَّرك

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٤٤).

(٢) جامع البيان للطبري (١٤/ ٣٨٢).

الأسفل، كان ذلك من فعلِه بهم مستهزئًا، **وبهم ساخرًا**، ولهم خادعًا، وبهم ماكرًا. إذ كان معنى الاستهزاء **والسخرية** والمكر والخديعة ما وصفنا قبل، دون أن يكون ذلك معناه في حالٍ فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم، أو عليه فيها غير عادل، بل ذلك معناه في كل أحواله، إذا وُجدت الصفات التي قدَّمنا ذكرها في معنى الاستهزاء وما أشبهه من نظائره[1].

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١/ ٣٠٠، ٣٠٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٨٣-١٨٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآية.

وبعد الوقوف على كلام السلف في تفسير هذه الآية نخلص إلى إثبات أن الله تعالى يقابل سخرية المنافقين بالمؤمنين بأن يسخر منهم عقابا لهم.

والسخرية من الله تعالى هي أن يظهر لهم من المعاملة في الدنيا ما يظنون معها أنهم في عِداد المؤمنين مع أنه قد أعدَّ لهم في الآخرة العذاب الأليم، وهي من الصفات الفعلية الصادرة منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المتعلقة بمشيئته وإرادته، ويضاف له منها ما كان كمالا مقيدا على سبيل المقابلة لفعل المخلوقين.

وهي صفة تقوم به حقيقة كما قرر السلف ذلك كما مرَّ في كلام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يقول **التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض بيان رفعة الله تعالى لأقدار المؤمنين قال: «وتولى الذبَّ عنهم حين قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ فقال: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وقال: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ﴾ وأجاب عنهم فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[البقرة: ١٣]. فأجلَّ أقدارَهم أن يُوصَفُوا بصفة عيبٍ، وتولى المجازاة لهم فقال: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وقال: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ لأن هاتين الصفتين إذا كانت من الله لم تكن سفهاً؛ لأن الله حكيم، والحكيم لا يفعل السفه، بل ما يكون منه يكون صواباً وحكمة»[(١)].

وقال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض رَدِّه على مدعي المجاز في القرآن، فقال: «وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ (المكر)، و(الاستهزاء)، و(السخرية) المضاف إلى الله وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز، وليس كذلك؛ بل مسميات هذه الأسماء إذا فُعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلما له، وأما إذا فُعلت بمن فعلها

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٨١).

بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلا»[(١)].

وقال ابن كثير: «لأن المكر والخداع **والسخرية** علىٰ وجه اللعب والعبث منتف عن الله، عز وجل، بالإجماع، وأما علىٰ وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١١١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٤).

المبحث الخامس: من يكيد بالمؤمنين يكيد الله به. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

وجه مطابقة الآية للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل كيد الكفار بالمؤمنين بأن يكيدهم جزاء وعقوبة لهم على كيدهم.

والكيد: مأخوذ من المَكِيدَة يقال: كادَهُ مكيدة. وهو التدبير بباطل أو حق[(١)].

فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: «إن هؤلاء المكذّبين بالله ورسوله، والوعد والوعيد يمكرون مكرًا»[(٢)]. و«يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن»[(٣)].

وقيل: يُخَاتِلون النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويظهرون ما هم خلافه[(٤)].

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ٣٢٧).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٣٦٣). وينظر: النكت والعيون للماوردي (٦/ ٢٤٩-٢٥٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢/ ٢١٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٦).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣١٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤/ ٥٩٥)، وفتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٦١).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ أي: «وأمكر مكرًا، ومكره جلّ ثناؤه بهم: إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به» (١)، و استدراجهم من حيث لا يعلمون(٢).

قال **أبو إسحاق الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكيد من الله خلافه من الناس»(٣).

(١) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٣٦٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥/ ٣١٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤/ ٥٩٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢/٢١٧)، وتفسير أبي السعود (٩/١٤٢)، وفتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٦١).

(٣) غريب الحديث (١/ ٩٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الآية.

وبعد تقرير ما سلف من بيان تفسير الآية نخلص إلى إثبات أن الله ﷻ يقابل كيد الكافرين بأن يكيدهم عقابا لهم. وكيده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو ما يدبره ويخفيه من النكال والعقاب ليمكر به في مقابل كيد أعدائه وأعداء المؤمنين، وهو من الصفات الفعلية الصادرة منه، والمتعلقة بمشيئته وإرادته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهي تطلق عليه على سبيل المقابلة لأفعال المخلوقين لا مطلقا، لأن ألفاظها تحتمل المدح والذم، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يضيف لنفسه منها إلا ما هو مدح وكمال.

قال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض بيان أقوال الناس في مثل هذه الصفات: «وقال آخرون: وهو الصواب بل تسميته مكرا **وكيدا** واستهزاء وسيئة وعقوبة على بابه؛ فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي وكذلك الكيد، فإن كان ذلك الغير يستحق ذلك الشر كان مكرا حسنا، وإلا كان مكرا سيئا. بل إن كان ذلك الشر الواصل حقا لمظلوم كان ذلك المكر واجبا في الشرع على الخلق، وواجبا من الله بحكم الوعيد إن لم يعف المستحق، والله سبحانه إنما يمكر ويستهزئ بمن يستوجب ذلك، فيأخذه من حيث لا يحتسب، كما فعل ذلك الظالم بالمؤمنين»(١).

وقال ابن الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أن هذه الألفاظ منقسمة إلى محمود ومذموم. قال: «والحق خلاف هذا الظن، وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمناً للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود -[إلى أن قال]-إذا عرف ذلك فنقول: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع

---

(١) بيان الدليل في بطلان التحليل (١٩١-١٩٢). وينظر: مجموع الفتاوى له (٧/ ١١١)، و(٢٠/ ٤٧١).

والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنىٰ -[إلىٰ أن قال]- أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا علىٰ وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد عُلِم أن المجازاة علىٰ ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه؟ »[(١)].

وقد أضاف الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فعل الكيد إلىٰ نفسه من غير مقابلة في اللفظ فقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴾[الأعراف: ١٨٣]. و[القلم: ٤٥]. وقال جلَّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾[يوسف: ٧٦].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكاد له كما كادت إخوته لما قاله له أبوه: ﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ ﴾[يوسف: ٥] »[(٢)]. وهذا فيه تقرير لمعنىٰ المقابلة فهم لما كادوه عليه السلام بأنواع من المكايد كادهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عقابا لهم.

وقال **ابن الموصلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كاد الله سبحانه ليوسف حين أظهر لأخوته ما أبطن خلافه جزاء لهم علىٰ كيدهم له مع أبيه حيث أظهروا له أمرا وأبطنوا خلافة، وكان هذا من أعدل الكيد، فإن إخوته فعلوا به مثل ذلك حتىٰ فرَّقوا بينه وبين أبيه وادعوا أن الذئب أكله، ففرَّق بينهم وبين أخيهم بإظهار أنه سرق الصواع، ولم يكن ظالما لهم بذلك الكيد، حيث كان مقابلة ومجازاة، ولم يكن أيضا ظالما لأخيه الذي لم يكده، بل كان إحسانا إليه وإكراما له في الباطن»[(٣)].

---

(١) مختصر الصواعق (٢/ ٧٣٩، ٧٤٦). وينظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٤٧٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٧/ ١١١).

(٣) مختصر الصواعق (٢/ ٧٤٣-٧٤٤).

وكيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يخرج عن نوعين:

أحدهما: هو الأغلب أن يفعل سبحانه فعلا خارجا عن قدرة العبد الذي كاد له، فيكون الفعل قدرا محضا ليس هو من باب الشرع، كما كاد الذين كفروا بأن انتقم منهم بأنواع العقوبات، وكذلك كانت قصة يوسف؛ فإن يوسف أكثر ما قدر أن يفعل أن ألقى الصواع في رحل أخيه وأذن المؤذن بسرقتهم، فلما أنكروا: ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾[يوسف: ٧٤]. أي جزاء السارق: ﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ ﴾[يوسف: ٧٥]. أي جزاؤه نفسُ نفسِ السارق يستعبده المسروق، إما مطلقا أو إلى مدة، وهذه كانت شريعة آل يعقوب.

النوع الثاني: من كيده لعبده هو أن يلهمه سبحانه أمرا مباحا، أو مستحبا، أو واجبا يوصله به إلى المقصود الحسن، فيكون هذا على إلهامه ليوسف أن يفعل ما فعل هو من كيده سبحانه أيضا(١).

---

(١) ينظر: بيان الدليل على بطلان التحليل لابن تيمية (١٩٣، ١٩٥)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٥/ ١٥٨ وما بعدها)، وإغاثة اللهفان له ص(٦١٣، ٦١٦).

الفصل السابع

ما جاء في باب:

الكراهية

البغض

السخط

اللعن

الاحتجاب

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: من كره لقاء الله كره الله لقاءه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي موسىٰ رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «...، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»[1].

وجه مطابقة الحديث للترجمة واضح في الدلالة علىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ يقابل كراهية العبد للقائه بأن يكره لقاءه عقوبة له.

وقد جاء هذا مفسرا في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت، فقال: ليس كذلك؛ ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»[2].

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ومن كره لقاء الله).** فـ«الكاف والراء والهاء أصل صحيح واحد يدل علىٰ خلاف الرضا والمحبة»[3].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٠٧)كتاب الرِّقاق. باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومسلم برقم (٢٦٨٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٠٧). كتاب الرقاق. باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، مسلم برقم (٢٦٨٣). كتب الذكر والدعاء. باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. واللفظ له.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٧٢).

قال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الحديث يحمله أكثر الناس على كراهة الموت ولو كان الأمر هكذا لكان الأمر ضيقا شديدا؛ لأنه بلغنا عن غير واحد من الأنبياء عليهم السلام أنه كرهه حين نزل به، وكذلك كثير من الصالحين؛ وليس وجهه عندي أن يكون يكره عَلَز[١] الموت وشدته، هذا لا يكاد يخلو منه أحد، ولكن المكروه من ذلك الإيثار للدنيا والركون إليها، والكراهة أن يصير إلى الله وإلى الدار الآخرة ويؤثر المقام في الدنيا.

ومما يُبيِّن ذلك أن الله جلَّ ثناؤه قد عاب قوما في كتابه بحبِّ الحياة الدنيا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾[يونس: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[البقرة: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[الجمعة: ٧]. في آيٍ كثير فهذا الدليل على أن الكراهة للقاء الله ﷻ ليس بكراهة الموت؛ إنما هو الكراهة للنقلة عن الدنيا إلى الآخرة، ومخافة العقوبة لما قدمت أيديهم»[٢].

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الحديث معناه عند أهل العلم فيما يعانيه المرء عند حضور أجله؛ فإذا رأى ما يكره لم يحب الخروج من الدنيا، ولا لقاء الله لسوء ما عاين مما يصير إليه»[٣].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلما كان اللقاء نوعين – وإنما يميز أحدهما عن الآخر في الإخبار بما يوصف به هذا اللقاء وهذا اللقاء – وصف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ اللقاء المحبوب

(١) قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العين واللام والزاي أُصَيل يدل على اضطراب من مرض. من ذلك: العَلَز: كالرعدة تأخذ المريض». مقاييس اللغة (٤/ ١٢٣).

(٢) غريب الحديث (٢/ ٢٠٢، ٢٠٤). وينظر: أعلام الحديث للخطابي (٣٣/ ١١٨٩)، وشرح السنة للبغوي (٥/ ٢٦٥).

(٣) التمهيد (١٨/ ٢٥).

بما تتقدمه البشرى بالخير وما يقترن به من الإكرام، و اللقاء المكروه بما يتقدمه من البشرى بالسوء، وما يقترن به من الإهانة؛ فصار المؤمن مخبرا بأن لقاءه لله لقاء محبوب، والكافر مخبرا بأن لقاءه لله مكروه: فصار المؤمن يحب لقاء الله، وصار الكافر يكره لقاء الله؛ فأحب الله لقاء هذا وكره لقاء هذا، جزاء وفاقا. فإن الجزاء بذلك من جنس العمل»[1].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**كره الله لقاءه**). جزاء وعقوبة له.

(١) الفتاوى (٦/ ٤٨٢).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد بيان شرح الحديث نخلص إلى إثبات أن الله تبارك وتعالى يقابل كراهية العبد للقائه بأن يكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لقاءه عقوبة له وجزاء من جنس عمله.

والكراهية المضافة إلى الله تعالى هي ضد الرضا والمحبة، وهي من الصفات الفعلية القائمة به الصادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المتعلقة بمشيئته وإرادته. فمن كرهه الله عَزَّ وَجَلَّ عاقبه بإبعاده من رحمته وما أعده لأوليائه من الخير والنعيم.

ومما ورد في إثبات صفة الكراهية لله تعالى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾[التوبة: ٤٦]

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فكما أن المكروه قد يُراد وقوعُه لأنه وسيلة إلى المحبوب، فالمحبوب لا يراد وقوعه لأنه وسيلة إلى مكروه، وإن كان لو تجرد عن تلك السيئة كان محبوبًا، كما قد يُقال في قوله: ﴿ وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾، وإن كان ذلك الانبعاث هو المأمور به، وإلا فيكون مكروهًا لنفسه إذا لم يكن على الوجه المأمور به.

لكن قوله: ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ هو دليل على أنه كره وقوعه كونًا، لما فيه من الشرّ بالمؤمنين، وذلك يقتضي أنه لو تجرد عن هذه العاقبة لم يكن وقوعه مكروهًا له كونًا، ولم يكن يثبط عنه، بل غايته أن يكون بمنزلة ما يقع من المعاصي المكروهة، فإنه قد لا يثبط عنها إذا كانت مُفضِيةً إلى ما يحبه. وأما هذا فثبط عنه لإفضائه إلى ما يكرهه بالمؤمنين»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي

(١) جامع المسائل (٦/ ١٠٧-١٠٨). وينظر: جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٧٧).

يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، **يكره** الموت **وأنا أكره** مساءته»[(١)].

وعنه أيضا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله يرضى لكم ثلاثا، **ويكره لكم ثلاثا**، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، **ويكره لكم** قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»[(٢)].

وقد أثبت السلف رحمهم الله تعالى هذه الصفة لله تعالى على ما يليق به جلّ وعز.

يقول **حرب الكرماني** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله تبارك...، ويفرح ويحب، **ويكره**، ويبغض، ويرضى، ويسخط، ويغضب، ويرحم، ويعفو...»[(٣)].

ويقول **الدارمي** رَحِمَهُ اللَّهُ بعد حديث الباب: «فذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكراهيتين معا من الخالق والمخلوق»[(٤)].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته[(٥)]:

ولـــه الإرادة والكراهـــة والرضـــا ولـــه المحبـــة وهـــو ذو إحســـان

---

(١) سبق تخريجه ص(٢٤٣).

(٢) سبق تخريجه ص(٢٤٩).

(٣) كتاب السنة ص (٤٠-٤١).

(٤) الرد على المريسي (٢٠١).

(٥) ص (٦٦).

يقول الهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعتقد أهل السنة كذلك: أنه سبحانه متصف بصفة **الكراهة** التي هي ضد المحبة، فهو يكره الكفر والفسوق وأهلهما»[١].

(١) شرح النونية (١/ ١٠٤).

المبحث الثاني: من أبغض الأنصار أبغضه الله. وفيه مطلبان.

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، **وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله**»(١).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومن يبغض عمارا يبغضه الله**»(٢).

وجه مطابقة الحديثين للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يقابل بغض العبد للصحابة بأن يبغضه عقوبة له.

و(**بغض**): الباء والغين والضاد أصل واحد يدل على خلاف الحب(٣).

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ**) أي: من جهة نصرتهم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤).

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٨٣) كتاب مناقب الأنصار. باب: حب الأنصار من الإيمان، ومسلم برقم (٧٥) كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن حب الأنصار وعليٍّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته.

(٢) رواه الطيالسي برقم (١٢٥٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٧/ ٢٠٢)، وأحمد برقم (١٦٨١٤)، والنسائي في الكبرى(٧/ ٣٥٦-٣٥٧)، والطبراني في الكبير (٤/ ١١٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٩٠-٣٩١) وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين».

وقال الأرنؤوط على حديث أحمد: «حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عبد الرحمن- وهو ابن يزيد النخعي-، فقد روى له البخاري في (الأدب المفرد) وأصحاب السنن، وهو ثقة» ينظر: المسند (٢٨/ ٢٤).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢٧٣).

(٤) إرشاد الساري للقسطلاني (٦/ ١٥٠).

«ومعنى هذه الأحاديث أن من عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام، والسعي في إظهاره، وإيواء المسلمين، وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام، وحبهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحبه إياهم، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثارا للإسلام..، ثم أحب الأنصار وعليا لهذا كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضى الله سبحانه وتعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أبغضهم كان بضد ذلك واستدل به على نفاقه وفساد سريرته»[١].

«فمن وقع له بغض في أحد منهم لشيء من ذلك[٢]، فهو عاصٍ يجب عليه التوبة من ذلك، ومجاهدة نفسه في زوال ما وقع له من ذلك، بأن يتذكر فضائلهم وسوابقهم، وما لهم على كل من بعدهم من الحقوق الدينية والدنيوية؛ إذ لم يصل أحد ممن بعدهم لشيء من الدنيا ولا الدين إلا بهم وبسببهم؛ وإذ بهم وصلت لنا كل النعم، واندفعت عنا الجهالات والنقم، ومن حصلت به مصالح الدنيا والآخرة فبغضه كفران للنعم، وصفقته خاسره»[٣].

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أبغضه الله**) بغضه لهم هو ضد محبته لمن أحبهم.

يقول **ابن الموصلي** رَحِمَهُ اللهُ: «والإهانة والطرد والإبعاد والحرمان دال على المقت والبغض كدلالة ضده على الحب والرضى»[٤].

وقد أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بغضهم ﷺ من علامات النفاق: قال: «وَلاَ يُبْغِضُهُمْ

(١) شرح مسلم للنووي (٢/ ٦٤).

(٢) أي مما وقع بينهم ﷺ من الخصومات.

(٣) المفهم للقرطبي (١/ ٢٦٥-٢٦٦).

(٤) مختصر الصواعق (١/ ٤٥).

إِلاَّ مُنَافِقٌ».

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن سبَّهم فقد زاد على بغضهم فيجب أن يكون منافقا، لا يؤمن بالله و لا باليوم الآخر، و إنما خص الأنصار ـ و الله أعلم ـ لأنهم هم الذين تبوؤوا الدار و الإيمان من قبل المهاجرين، وآووا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ و نصروه و منعوه، وبذلوا في إقامة الدين النفوس والأموال، وعادوا الأحمر والأسود من أجله، وآووا المهاجرين و واسوهم في الأموال، وكان المهاجرون إذ ذاك قليلا غرباء فقراء مستضعفين، ومن عرف السيرة و أيام رسول الله عليه الصلاة و السلام و ما قاموا به من الأمر، ثم كان مؤمنا يحب الله و رسوله، لم يملك أن لا يحبهم، كما أن المنافق لا يملك أن لا يبغضهم، وأراد بذلك ـ و الله أعلم ـ أن يعرف الناس قدر الأنصار لعلمه بأن الناس يكثرون والأنصار يقلون وأن الأمر سيكون في المهاجرين، فمن شارك الأنصار في نصر الله ورسوله بما أمكنه فهو شريكهم في الحقيقة كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾[الصف: ١٤]. فبغض من نصر الله و رسوله من أصحابه نفاق »[1].

(١) الصارم المسلول (٢/ ١٠٩٢-١٠٩٣).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديثين.

وبعد تبيان ما سبق من شرح الحديثين نخلص إلى إثبات أن الله تبارك وتقدَّس يقابل بغض العبد للصحابة ﷺ بأن يبغضه عقوبة له.

والبغض المضاف إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو ضد الحب، وهو من الصفات الفعلية القائمة به الصادرة منه بما يليق بجلالة وعظمته، وقد أثبت السلف رحمهم الله تعالى هذه الصفة لله تعالى على ما يليق به.

ومن الأدلة التي تثبت صفة البغض لله تعالى من غير مقابلة ما يلي:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا **أبغض** عبدا دعا جبريل فيقول: **إني أبغض فلانا** فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن **الله يبغض** فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»(١).

وعنه رضي الله عنه أن قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أربعة **يبغضهم الله** عَزَّ وَجَلَّ: البيَّاع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر»(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٨٥). كتاب التوحيد. باب: كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة. بدون ذكر البغض، ومسلم برقم (٢٦٣٧). كتاب البر والصلة والآداب. باب: إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده. واللفظ له.

(٢) رواه النسائي برقم (٢٥٧٦). كتاب الزكاة. باب: الفقير المحتال. وابن حبان في الصحيح برقم (٥٥٥٨). وقال الألباني: «وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم». ينظر الصحيحة (٣٦٣).

وعن عائشة ﭬ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن **أبغض** الرجال إلى الله الألد الخصم»(١).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ **يبغض** البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة(٢) بلسانها »(٣).

ومن أقوال السلف في إثبات البغض صفة لله تعالى ما يلي:

كتب أبو الدرداء ﭬ إلى مسلمة بن مخلد: سلام عليك، أما بعد: «فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حبَّبَه إلى عباده، وإن العبد إذا عمل بمعصية الله **أبغضه الله**، فإذا **أبغضه الله بغَّضَه** إلى عباده»(٤).

قال **ابن عبد البر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا كلام خرج على العموم ومعناه الخصوص، أي حبب أهل الطاعة إلى أهل الإيمان، وبغض إليهم أهل النفاق والعصيان»(٥).

ويقول **حرب الكرماني** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله تبارك...، ويفرح ويحب، ويكره، **ويبغض**،

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٥٧) كتاب المظالم. باب: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. ومسلم برقم (٢٦٦٨). كتاب العلم. باب: في الألد الخصم.

(٢) أي البقرة. ينظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٥٢٨).

(٣) رواه أبو داود برقم (٥٠٠٥). كتاب الأدب. باب: ما جاء في المتشدق في الكلام، والترمذي برقم (٢٨٥٣). كتاب الأدب. باب: ما جاء في الفصاحة والبيان. قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٤٠٨)، وأحمد برقم (٦٥٤٣). وحسنه الألباني في الصحيحة (٨٨٠).

(٤) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٥٩). وقال محققه: إسناده صحيح، وابن عبد البر في التمهيد (٢١/ ٢٤٠)، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٥٦).

(٥) التمهيد (٢١/ ٢٤٠).

ويرضى، ويسخط، ويغضب، ويرحم، ويعفو...»(١).

ويقول **أبو عثمان الصابوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معرضه لعقيدة السلف بإثبات ما ورد في القرآن والأخبار الصحاح من صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين. . . و الرضى، والسخط، والحب و**البغض**...»(٢).

ويقول **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة والرضى والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال»(٣).

وقال **ابن أبي العز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، **والبغض**، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنعوا التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى. كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات»(٤).

ومما ورد في القرآن من النصوص التي تدل على معنى صفة البغض ما ورد في صفة **(المقت)**: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾[فاطر: ٣٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف: ٣].

وقال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ

(١) كتاب السنة ص (٤٠-٤١).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص(١٦٥).

(٣) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٥١).

(٤) شرح الطحاوية ص(٤٧٢).

﴿تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾[غافر: ١٠].

قال **الزجاج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المقت: «أشد البغض(١)، أو الإبغاض»(٢).

قال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾. وليس المقت مثل المقت»(٣).

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «...، وإن الله نظر إلىٰ أهل الأرض **فمقتهم** عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب...»(٤) الحديث.

قال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل، فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ، فبعثه رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة علىٰ الخلائق أجمعين، وافترض علىٰ العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بأداء حقوقه»(٥).

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢). وينظر: الاستقامة لابن تيمية ص (٤٤).

(٢) نفس المصدر (٤/ ٢٧٢).

(٣) التدمرية ص(٢٦).

(٤) رواه مسلم برقم (٢٨٦٥). كتاب الجنة. باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٥) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ١٠١-١٠٢).

المبحث الثالث: من سَخِط فله السخط. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أنس بن مالكﷺ، عن رسول اللهّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللهَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ...، **وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السخط**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «...، وسخط الرب في سخط الوالد»(٢).

وجه مطابقة الحديث للترجمة واضح في الدلالة على أن الله تعالى يقابل سخط العبد مما ابتلاه الله به بأن يسخط عليه عقابا له.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣٩٦). كتاب: الزهد. باب: في الصبر على البلاء. وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه برقم (٤٠٣١). كتاب: الفتن. باب: الصبر على البلاء، والقضاعي في الشهاب برقم (١١٢١)، والبيهقي في الشعب (١٢/ ٢٣٤)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٤٥)، وحسنه الألباني. ينظر الصحيحة (١٤٦)، وصحيح الجامع (٢١١٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٣١)، والمشكاة (١٥٦٦).

(٢) رواه الترمذي برقم (١٨٩٩). كتاب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. باب: ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، والبخاري في الأدب المفرد برقم(٠٢)، والبزار في المسند (٦/ ٣٧٦)، وابن حبان (٢٠٢٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ١٢٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٢)، والبيهقي في الشعب (١٠/ ٢٤٧)، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ١١).

وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وصححه الألباني. ينظر: الصحيحة (٥١٦)، وصحيح الجامع (٣٥٠٦)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٥٨).

والسخط: «هو نقيض الرضا. يقال: كلما عملتُ له عملا تسخَّطه. أي لم يرضه»[١].
وقيل: «هو الكراهة للشيء وعدم الرضا به»[٢].

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**وَمَنْ سَخِطَ**) أي: «كره بلاء الله وفزع ولم يرضَ بقضائه»[٣].

ثم إنَّ الرضا والسخط حالان متعلقان بالقلب فكثير ممن له أنين من وجع وشدة مرض وقلبه مشحون من الرضا والتسليم لأمر الله[٤].

ويجب على العبد أن يعلم أن حظَّهُ من المقدور ما يتلقاه به من رضى وسخط، فلا بد له منه، فإن رضي فله الرضى، وإن سخط فله السخط، فإن رضي انقلب في حقه نعمة ومنحة وخف عليه حمله، وأُعِين عليه، وإذا سخطه تضاعف عليه ثقله، وكَلُّهُ، ولم يزدد إلا شدة، فلو أن السخط يجدي عليه شيئا؛ لكان له فيه راحة أنفع له من الرضى به[٥].

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**فَلَهُ السخط**) من الله تعالى، وهو عدم رضاه عنه.

فمن سخِط الله عليه ألحق به العذاب الأليم وغضب عليه، فالسخط سبب لهما، كما أن سخطهم هو سبب لسخط الله تعالى.

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (٧/ ١٥٩).

(٢) مشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/ ٢١٠). وينظر: عارضة الأحوذي لابن العربي (٩/ ٢٤٣).

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٤/ ٣٧)، وفيض القدير للمناوي (٢/ ٤٥٩)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ١٠٣).

(٤) مرقاة المفاتيح للقاري (٤/ ٣٧).

(٥) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٥٣).

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد قوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٨]. قال: «فإنه يدل علىٰ أن أعمالهم أسخطته، فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال»[١].

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٢٢٦).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد بيان شرح الحديث نخلص إلى إثبات أن الله تبارك و تعالى يقابل سخط العبد وعدم رضاه بقضاء الله وقدره بأن يسخط عليه، ولا يرضى عنه عقوبة له.

والسخط المضاف إلى الله تعالى معناه ضد الرضا، وهو صفة فعلية صادرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يليق بجلاله وعظمته، متعلقة بإرادته ومشيئته، وقد أثبت السلف رحمهم الله تعالى هذه الصفة لله كما دلت عليها النصوص.

يقول **حرب الكرماني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله تبارك... يفرح ويحب، ويكره، ويبغض، ويرضى، **ويسخط**، ويغضب، ويرحم، ويعفو...»[(١)].

ويقول **ابن أبي زيد القيرواني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الله تبارك اسمه له الأسماء الحسنى والصفات العلى...، وأنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين، **ويسخط** على من كفر به ويغضب، فلا يقوم شيء لغضبه»[(٢)].

يقول **أبو عثمان الصابوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معرضه لعقيدة السلف بإثبات ما ورد في القرآن والأخبار الصحاح من صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين...والرضى، والسخط، والحب والبغض...»[(٣)].

---

(١) كتاب السنة ص (٤٠-٤١).

(٢) كتاب الجامع ص(١٠٧-١٠٨).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص(١٦٥).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة والرضى والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال»[(١)].

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده»[(٢)].

ومن الأدلة التي وردت فيها صفة السخط مضافة إلى الله تعالى من غير مقابلة في اللفظ قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾[المائدة: ٨٠].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[محمد: ٢٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: «يا أهل الجنة، فيقولون لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟. فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا **أسخط عليكم** بعده أبدا»[(٣)].

وكذلك ما جاء في حديث أبي هريرة الطويل وفيه: «... ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصليت، وصمت، وتصدقت ويثني

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٥١).

(٢) شرح الطحاوية ص (٤٧٢).

(٣) سبق تخريجه ص(٢٤٦).

بخير ما استطاع، فيقول ها هنا إذاً. قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه، من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه أنطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي **يسخط الله عليه**»[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خلال شرحه للحديث: «وفي هذا الحديث: إثبات صفة الرضى والسخط لله، وأن ذلك متعلق بمحابه ومراضيه. فالله تعالى يحب أوليائه وأصفياءه ويحب من قام بطاعته وطاعة رسوله، وهذا من كماله وحكمته وحمده، ورحمته ورضاه وسخطه، من صفاته المتعلقة بمشيئته وقدرته»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٦٨) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) بهجة قلوب الأبرار ص(١٨٢).

المبحث الرابع: لعن الله من لعن والديه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما جاء من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: قلنا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أخبرنا بشيء أسرَّه إليك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ما أسرَّ إلي شيئا كتمَه الناس، ولكني سمعته يقول: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله** من آوى محدثا، **ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله** من غير المنار»(١).

وجه مطابقة الحديث للترجمة ظاهر في الدلالة على أن الله جل جلاله يقابل لعن الرجل لوالديه بأن يلعنه عقوبة له.

وأما معنى (**اللعن**): فهو الإبعاد والطرد. **يقول ابن فارس** رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللام والعين والنون أصل صحيح يدل على إبعادٍ وإطرادٍ. ولعنَ الله الشيطانَ: أبعده عن الخير والجنة»(٢).

و«**اللعنة**: البعد عن مظان الرحمة ومواطنها. واللعين والملعون من حقت عليه اللعنة أَوْ دُعي عليه»(٣).

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لعن الله**). «فلعنة الله تعالى هي: إبعاده للملعون عن رحمته، وإحلاله في وبيل عقوبته»(٤).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**من لعن والديه**). أي: «سبَّهما وشتمهما، فاللعن من الإنسان

(١) رواه مسلم برقم (١٩٧٨) كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذبحِ لغير الله تعالى، ولعنِ فاعله.

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٢٥٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ص(١٥٤).

(٤) المفهم للقرطبي (٤/ ٣٤١).

السب والشتم، فإذا سبَبْتَ إنساناً أو شتمتَه، فهذا لعنه»[١]؛ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما قال: «إن من أكبر الكبائر أن **يلعن الرجل** والديه». قيل يا رسول الله: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يَسبُّ الرجلُ أبا الرجلِ فيسبُّ أباه ويسبُّ أمَّه»[٢].

وفي لفظٍ لمسلم. أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «من الكبائر **شتم الرجل والديه**». قالوا: يا رسول الله**!** وهل **يشتم الرجل والديه؟** قال: «نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمَّه»[٣].

ففي لفظ البخاري جاء تفسير اللعن بالسبِّ، وفي لفظ مسلم ورد بدل اللعن الشتم وفسر كذلك بالسبِّ، فدل على أن معنى اللعن من الإنسان هو الشتم.

وهذا النوع من اللعن يكون الرجل قد تسبب فيه من غير أن يلعن أبويه هو مباشرة،

«ولعل وجه تفسيره بذلك استبعاده أن يسب الرجل والديه بالمباشرة؛ فإن وقع سَبُّهما يكون واقعا بالتسبب، فإذا استحق من تسبب لسبهما اللعنة فكيف حال المباشر؟ »[٤].

وقد يكون اللعن على بابه وهو الطرد والإبعاد، فيكون من الإنسان دعاء عليه بأن يطرده الله من رحمته ويبعده.

يقول القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ: «فلعنة الله تعالى هي: إبعاده للملعون عن رحمته، وإحلاله في وبيل عقوبته. ولعنة الملائكة والناس هي: دعاؤهم عليه بذلك وذمهم له وطرده عنهم»[٥].

---

(١) القول المفيد للشيخ ابن عثيمين (١/ ٢٢٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٩٧٣). كتاب الأدب. باب: لا يسب الرجل والديه.

(٣) رواه مسلم برقم (٩٠). كتاب الإيمان. باب: بيان الكبائر وأكبرها.

(٤) فيض القدير للمناوي (٥/ ٢٧٥).

(٥) المفهم (٤/ ٣٤١).

ويقول **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[البقرة: ١٥٩]. قال: «فلعنة الله تعالى لهم تتضمن ذمه وإبعاده وبغضه لهم، ولعنة العبد تتضمن سؤال الله تعالى أن يفعل ذلك بمن هو أهل اللعنة »(١).

ويقول **الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولعن الرجل للرجل له معنيان:

الأول: الدعاء عليه باللعن.

الثاني: سبه وشتمه، لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فسره بقوله: يسبّ أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه» (٢).

(١) جلاء الأفهام ص (٢٦٣).

(٢) القول المفيد (١/ ٢٢٦).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد الوقوف على شرح الحديث نخلص إلى إثبات أن الله ﷻ يقابل لعن الرجل لوالديه بأن يلعنه ويطرده من رحمته عقوبة له.

ولعن الله تعالى لعباده هو إبعادهم وطردهم من رحمته، وهو من الصفات الفعلية التي تصدر منه متى ما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو ﷻ يلعن الكفار والعصاة من المسلمين. مقابلة كما في حديث الباب، وابتداء من غير مقابلة في اللفظ كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[البقرة: ٨٨].

وقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾[النساء: ٥٢].

وقول ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[الأحزاب: ٥٧].

وقول ﷯: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾[الأحزاب: ٦٤].

وقول جلّ شأنه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾[محمد: ٢٣].

وعن عائشة ڤ قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى** اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(١)].

إلى غير ذلك من الآيات والاحاديث التي تدل على لعن الله تعالى للكافرين.

أما ما ورد من لعن العصاة من المسلمين:

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٩٠). كتاب الجنائز. باب: ما جاء في قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومسلم برقم (٥٢٩). كتاب المساجد. باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد.

فعن ابن عمر ‬ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لعنَ الله الواصلةَ والمستوصلة**، والواشمة والمستوشمة»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَعَنَ الله السارق**، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»[(٢)].

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ عليه حمار قد وُسم في وجهه فقال: «**لَعَنَ الله الذي وَسَمَهُ**»[(٣)].

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على إثبات صفة اللعن لله تعالى.

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٩٣٧). كتاب اللباس. باب: وصل الشعر، ومسلم برقم (٢١٢٤). كتاب اللباس والزينة. باب: تحريم الواصلة والمستوصلة. . .،

(٢) رواه البخاري برقم (٦٧٨٣). كتاب الحدود. باب: لعن السارق إذا لم يسم، ومسلم برقم (١٦٨٧). كتاب الحدود. باب: حد السرقة ونصابها.

(٣) رواه مسلم برقم (٢١١٦). كتاب اللباس والزينة. باب: النهي عن ضرب الحيوان في وجهه، ووسمه فيه.

المبحث الخامس: من احتجب عن رعيته دون حاجتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وفقره. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد من النصوص في ذلك، وبيان معناها.

عن أبي مريم الأزدي[١] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ وَلَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ شيئًا مِنْ أَمْرِ المسلمينَ **فَاحْتَجَبَ دُونَ** حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، **احْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ** دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ»[٢].

وجه مطابقة الحديث للترجمة واضح في الدلالة على أن الله جل جلاله يقابل احتجاب والي المسلمين عن رعيته، بأن يحتجب عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عقابا له.

---

(١) أبو مريم الفلسطيني الأزدي. قيل: هو عمرو بن مرة الجهني، وقيل: غيره. صحابي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدم دمشقا على معاوية رضي الله عنه، وحدثه بالحديث. انظر: الإصابة لابن حجر (٧٣٧٣).

(٢) رواه أبو داود برقم (٢٩٤٨) كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب: فيما يلزم الإمام من أمر الرعية والحجبة عنهم، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٢٩٦)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٣١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٩٣-٩٤) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وإسناده شامي صحيح»، ووافقه الذهبي.

وقال ابن الملقن في البدر المنير (٩/ ٥٦٨): «ورجال إسناده كلهم ثقات».

وصححه الألباني. ينظر: الصحيحة (٦٢٩)، وصحيح الجامع رقم(٦٥٩٥)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٢٧).

ورواه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الإمام أحمد برقم(٢٢٠٧٦)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٥٢).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢١٠): «رجال أحمد ثقات».

وجوَّد أسنادَه المنذريُ. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٢٧). والبوصيري في إتحاف المهرة (٥/ ٣٨٣). وصححه الألباني ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٥٧)، والصحيحة (٦٢٩).

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم)**. أي: امتنع من الخروج أو من الإمضاء عند احتياجهم إليه، وعرض شكايتهم عليه، ومسائلتهم لديه احتقارا بهم وعدم مبالاة بشأنهم[(١)].

وقيل: أن يمنع أرباب الحوائج والمهمات أن يدخلوا عليه فيعرضوها له ويعسر عليهم إنهاؤها[(٢)].

والفرق بين الحاجة والخلة والفقر[(٣)]:

أن **الحاجة:** ما يهتم به الإنسان وإن لم يبلغ حد الضرورة بحيث لو لم يحصل لاختل أمره.

والخلة: ما كان كذلك مأخوذ من الخلل لكن ربما يبلغ حد الاضطرار بحيث لو فقد لامتنع التعيش.

والفقر: هو الاضطرار إلى ما لا يمكن التعيش دونه. مأخوذ من الفقار. كأنه كسر فقاره ولذلك فسر الفقير بأنه الذي لا شيء له.

وقيل: الأظهر أنها ألفاظ متقاربة، وإنما ذكرها للتأكيد والمبالغة[(٤)].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(احتجب الله عنه)** فيه دليل على أنه تَعَالَى، إذا احتجب عن بعضهم

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٧/ ٢٧٥).

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري(٧/ ٢٧٥)، دليل الفالحين للصديقي(٥/ ١٢١)، وعون المعبود للعظيم أبادي (٨/ ١٦٥)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٤/ ٤٦٧).

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٧/ ٢٧٥)، وفيض القدير للمناوي (٥/ ٤٧٠)، دليل الفالحين للصديقي(٥/ ١٢٠-١٢١).

(٤) مرقاة المفاتيح للقاري (٧/ ٢٧٥). وينظر: تحفة الأحوذي للمباركفوري (٤/ ٤٦٦).

لم يحتجب عن بعض[١].

والحجاب في احق الله تعالى هو أن يحجب العباد عن أن يروه[٢]، فهو مانع عن الرؤية[٣].

«وفي الحديث وعيد شديد لمن كان حاكما بين الناس فاحتجب عنهم لغير عذر لما في ذلك من تأخير إيصال الحقوق أو تضييعها.

واتفق العلماء على أنه يستحب تقديم الأسبق فالأسبق، والمسافر على المقيم، ولا سيما إن خشي فوات الرفقة. وأن من اتخذ بوابا أو حاجبا أن يتخذه ثقة عفيفا أمينا، عارفا حسن الأخلاق، عارفا بمقادير الناس»[٤].

---

(١) ينظر: الرد على الجهمية للدارمي ص(٨٨).

(٢) ينظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية(٨/ ١٥٣-١٥٤)..

(٣) ينظر: نفس المصدر(٨/ ١٢٥).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٣٣). وينظر: سبل السلام للصنعاني (٤/ ٣٩٤).

المطلب الثاني: ما يستفاد من الحديث.

وبعد بيان ما سبق من شرح الحديث نخلص إلى إثبات أن الله تعالى يقابل احتجاب الوالي عن رعيته بأن يحتجب الله عنه عقوبة له.

واحتجاب الله تعالى عمن احتجب دون رعيته، في الآخرة هو احتجابُ عقوبة، والجزاء من جنس العمل، فكما احتجب عن رعيته بذاته يحتجب الله تعالى عنه بذاته في الآخرة، ولا يراه كما يرى المؤمنون ربهم، ويحرمه لذة النظر إليه، فهو احتجاب خاص بمن عصى الله تعالى باحتجابه عن رعيته حتى لا يقضي حوائجهم.

وهذا نظير قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة»[١]. فلا يجمع الله للعبد لذة شرب الخمر في الدنيا ولذة التمتع بذلك في الآخرة، وليتخير العبد لنفسه إحدى اللذتين وليطب نفسا عن إحداهما بالأخرى فلن يجعل الله من أذهب طيباته في حياته الدنيا واستمتع بها كمن صام عنها ليوم فطره من الدنيا إذا لقي الله[٢].

وفيه دليل على عقيدة أهل السنة والجماعة في أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وذلك أنه لو لم يكن الأمر كذلك لما كان في احتجاب الله تعالى عن مثل هذا أي عقوبة له؛ لأنه يكون مع سائر المؤمنين سواء. والحال خلاف ذلك لأن المؤمنين لم يعطوا نعيما أعظم من النظر إلى وجه الله تعالى.

فعن صهيب رضي الله عنه عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ. قال: يقول

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٥٧٥). كتال الأشربة. باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. ومسلم برقم (٢٠٠٣). كتاب الأشربة. باب: عقوبة من شرب الخمر في الدنيا إذا لم يتب منها، بمنعه إياها في الآخرة.

(٢) ينظر: روضة المحبين لابن القيم ص(٤٧٥).

الله تبارك وتعالى: «تريدون شيئا أزيدكم»؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ »[١].

فيكون هو ممن عوقب باحتجاب الله عنه كسائر من احتجب الله عنهم يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[المطففين: ١٥]. فهذا حجاب خاص يحجب الله عَزَّ وَجَلَّ به الكفار حين يتجلى للأبرار[٢]. والعصاة من الموحدين ممن هذا حالهم ووصفهم يلحقهم من هذا الوعيد بقدر ذنوبهم ومعاصيهم.

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨١). كتاب الإيمان باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(٢) ينظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية(٨/ ١٣١).

الباب الثالث

الرد على المخالفين

وقد اشتمل على ثلاثة فصول:

تمهيد

قبل الشروع في بيان كلام المخالفين في هذه الصفات والردِّ عليهم قدمت ذلك بفصلٍ ذكرت فيه:

مبحثا يتضمن معتقد أهل السنة والجماعة في الصفات الاختيارية.

ومبحثا فيه النقول عن المخالفين من كتبهم لعقيدتهم في الصفات الاختيارية.

ثم مبحثا فيهما الأصلان اللذان اعتمدوا عليهما في تقرير عقيدتهم في هذه الصفات، مع الرد عليهما.

وانطلاقا من تلك الأصول التي قرروها أَوَّلُوا هذه الصفات الواردة على سبيل المقابلة بأنها على سبيل المجاز أو المشاكلة اللفظية فأفردت لكل واحدٍ منهما مطلبا.

ثم ذكرت في الفصل الثاني الصفات التي أولوها في الباب الأول، وفي الفصل الثالث الصفات التي أولوها في الباب الثاني مع الرد عليهم.

الفصل الأول

مذهب أهل السنة والجماعة في
الصفات الاختيارية
ومذهب المخالفين فيها
والأصول التي اعتمدوا عليها
في دعوى المجاز والمشاكلة
والرد عليهم

المبحث الأول: مذهب أهل السنة والجماعة في الصفات الاختيارية.

إن من صفات الله ﷻ القائمة به نوع متعلق بإرادته ومشيئته، يفعله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ متىٰ ما شاء بحسب ما تقتضيه حكمته البالغة، وهي ما يسميه أهل العلم **بالصفات الاختيارية**.

وقد عرَّفها **شيخ الإسلام** رَحِمَهُٱللَّهُ حيث قال: «**الصفات الاختيارية**: وهي الأمور التي يتصف بها الرب ﷻ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته؛ مثل: كلامه وسمعه وبصره وإرادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه؛ ومثل: خلقه وإحسانه وعدله؛ ومثل: استوائه ومجيئه وإتيانه ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة»[1].

ومن هنا يمكننا أن نستخلص من كلامه هذا أربعة ضوابط:

الأول: أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ متصف بها وقد أضافها لنفسه حقيقة.

الثاني: أنها تقوم بذاته؛ ولا تكون منفصلة عنه.

الثالث: أنها متعلقة بمشيئته وإرادته.

الرابع: أنها الواردة في الكتاب والسنة، فلا مجال للعقل فيها.

ومذهب أهل السنة والجماعة وسلف الأمة وأئمتها أنهم يثبتونها لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بما يليق بجلاله وعظمته كغيرها من الصفات الأخرىٰ، ولا يخوضون فيها بتأويل ولا تحريف، كما أنهم لا يعطلونها عن المتصف بها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأنها تحدث في أوقات مختلفة؛ إذ هي أفراد حادثة بعد أن لم تكن، بحسب ما تقتضيه الإرادة والمشيئة الإلهية.

وإليك بعض الأدلة علىٰ إثبات هذه الصفات.

---

(١) جامع الرسائل (٢/ ٣)، ومجموع الفتاوىٰ (٦/ ٢١٧).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[الأعراف: ١١]. فهذا بَيِّنٌ في أنه جَلَّ جَلَالُهُ إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم؛ ولم يأمرهم في الأزل.

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[القصص: ٦٢]. وقوله ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[القصص: ٦٥]. فجعل النداء في يوم معين وذلك اليوم حادث كائن بعد أن لم يكن وهو حينئذ يناديهم؛ لم ينادهم قبل ذلك.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[آل عمران: ٣١]. فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله؛ فإنه جزم قوله: «يحببكم» به فجزمه جوابا للأمر وهو في معنى الشرط فتقديره: إن تتبعوني يحببكم الله. ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله؛ فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[محمد: ٢٨]. فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته؛ فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال لا قبلها.

وكذلك قوله: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ ﴾[الزمر: ٧]. فعلق الرضا بشكرهم وجعله مجزوما جزاء له وجزاء الشرط لا يكون إلا بعده.

وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[البقرة: ٢٢٢]. وقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: ٧٦]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[المائدة: ٤٢]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾[الصف: ٤]. ونحو ذلك فإنه يدل على أن المحبة بسبب هذه الأعمال وهي جزاء لها، والجزاء إنما يكون بعد العمل والمسبب.

وكذلك ما جاء في حديث الشفاعة الطويل حيث يقول كلُّ رسولٍ أتوا إليه «**فيقول: ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله**»[(١)].

فهذا فيه بيان أن الغضب حصل في يوم القيامة لا قبل ذلك[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا** حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[(٣)]. فهذا قول وفعل في وقت معين.

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الربّ من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفيه نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل. والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم.

فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصف لنا كيفيه النزول.

وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا أنه ينزل إليه إذ محال في لغة العرب أن يقول نزل من أسفل إلى أعلى ومفهوم في الخطاب

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٤٠). كتاب أحاديث الأنبياء. باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ إلى آخر السورة. ومسلم برقم (١٩٤). كتاب الإيمان. باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: مجمل هذه التعليقات على الآيات في مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٤).

(٣) رواه البخاري برقم (١١٤٥). كتاب التهجد. باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل. ومسلم برقم (٧٥٨). كتاب الصلاة. باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه.

أن النزول من أعلى إلى أسفل»[١].

وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، فكما قبل العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث، يحذرونه ويحذرون منه»[٢].

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول (ينزل)[٣] عن مكانه فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء»[٤].

فقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحا كلام الفضيل: «أراد الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ مخالفة الجهمي الذي يقول إنه لا تقوم به الأفعال الاختيارية فلا يتصور منه إتيان ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من الأفعال الاختيارية القائمة به. فقال الفضيل: إذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما شاء. فأمره أن يؤمن بالرب الذي يفعل ما يشاء من الأفعال القائمة بذاته التي يشاؤها، لم يرد من المفعولات المنفصلة عنه»[٥].

---

(١) التوحيد (١/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٢) الشريعة (١/ ٦٧٣-٦٧٤).

(٣) بهذا اللفظ عند اللالكائي والتيمي.

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص (١٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٠٢)، والتيمي في الحجة (١/ ٤٧٦).

(٥) شرح حديث النزول ص(١٥٤).

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: « **يضحك الله إلى رجلين** يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد»[(١)].

يقول ابن خزيمة ﵀ في كتابه التوحيد: «باب ذكر إثبات ضحك ربنا ﷻ بلا صفة تصف ضحكه، جل ثناؤه، لا ولا يشبّه ضحكه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك كما أعلم النبي ﷺ ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا، إذ الله ﷻ استأثر بصفة ضحكه، لم يطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ مصدقون بذلك بقلوبنا منصتون عما لم يبين لنا، مما استأثر الله بعلمه»[(٢)].

وقال الآجري ﵀: «اعلموا وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه ﷻ، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة ﷺ، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له، والإيمان به أن الله ﷻ يضحك، كذا روي عن النبي ﷺ، وعن صحابته، ولا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق»[(٣)].

وعن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٨٥٦). كتاب الجهاد والسير. باب: الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، ومسلم برقم (١٨٩٠). كتاب الإمارة. باب: بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة.

(٢) التوحيد (٢/ ٥٦٣).

(٣) الشريعة (١/ ٦٢٨).

(٤) رواه البخاري برقم (٦٣٠٩) كتاب: الدعوات. باب: التوبة، ومسلم برقم (٢٧٤٧). كتاب: =

إلىٰ غير ذلك من الأدلة الدالة علىٰ إثبات الصفات الفعلية الاختيارية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولهذا قال أبو معمر الهذلي(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من زعم أن الله تعالىٰ لا يتكلم ولا يبصر ولا يسمع ولا يعجب ولا يضحك ولا يغضب، ذكر أحاديث الصفات فهو كافر بالله، ومن رأيتموه علىٰ بئر واقفاً فألقوه فيها»(٢).

وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنه حكيم عليم، عزيز قدير، ودود رؤوف، رحيم، يسمع ويرىٰ، وهو بالمنظر الأعلىٰ، يقبض ويبسط، ويأخذ ويعطي، وهو علىٰ عرشه، بائن من خلقه، يميت ويحيي، ويفقر ويغني، ويغضب ويرضى، ويتكلم، ويضحك»(٣).

فتأمل في كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث جمع فيه نوعين مما يضاف إلىٰ الله تعالىٰ من أسماءٍ حسنىٰ وصفاتٍ عليا، وهذه الصفات كلها صفات فعلية ولم يفرق بينها وبين الأسماء بل أثبتها جميعا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يليق به إذ الموصوف بها واحد وهو الله ﷻ، وطريق الدليل عليها واحد. وهو كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما قيام الأفعال الاختيارية، وقيام الصفات بالله تعالىٰ فهو قول سلف الأمة وأئمتها، الذين نقلوه عن الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو القول الذي جاء به التوراة والإنجيل، وهو القول الذي يدل عليه صريح المعقول مطابقا لصحيح

=

التوبة. باب: في الحض علىٰ التوبة والفرح بها. بلفظ (استيقظ) بدلا من (سقط).

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم بن معمر بن الحسن الهذلي، الهروي، ثم البغدادي، القطيعي. الإمام، الحافظ الكبير، الثبت ولد: سنة نيف وخمسين ومائة. قال عنه عبيد بن شريك البزار: كان أبو معمر القطيعي من شدة إدلاله بالسنة يقول: لو تكلمت بغلتي، لقالت: إنها سنية. مات سنة ست وثلاثين ومائتين، وكان من أبناء الثمانين. ينظر السير للذهبي (١١/ ٦٩، ٧١).

(٢) ينظر: الحجة للتيمي (١/ ٤٧٧).

(٣) الشرح والإبانة ص(١٣٠).

المنقول»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتسلسل الواجب: ما دل عليه العقل والشرع، من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لا نفاد له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته، فإن كل حي فعال»[٢].

وقال **ابن أبي العز الحنفي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحا قول الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته، كما كان بصفاته أزليا، كذلك لا يزال عليها أبديا).

قال: «أي: أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل. ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده. ولا يرد على هذا صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها، كالخلق والتصوير، والإحياء والإماتة، والقبض والبسط والطي، والاستواء والإتيان والمجيء والنزول، والغضب والرضا، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا »[٣].

---

(١) الصفدية لابن تيمية ص(١٥٤-١٥٥).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٨٩٠). وينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٨٦).

(٣) شرح الطحاوية (٧٩-٨٠).

وهذه الأفعال القائمة بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نوعان(١):

الأول: لازم: وهو ما كان قائما بذات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وليس له مفعول. مثل: الاستواء والنزول والمجيء والإتيان.

والثاني: متعد: هو ما كان قائما بذات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وله تعلق وأثر على المخلوق. مثل: الخلق والرزق والإعطاء ونحو ذلك.

وقد جمع الله جل وعلا بين النوعين في مثل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[السجدة: ٤]. وغيرها من الآيات كثير.

وعليه فإن الله «سبحانه يحمد على أفعاله كما حمد نفسه عليها في كتابه، وحمده عليها رسله وأنبياؤه وملائكته والمؤمنون من عباده، فمن لا فعل له البتة كيف يحمد على ذلك؟ فالأفعال هي المقتضية للحمد، ولهذا تجده مقرونا بها كقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[الأنعام: ١]. ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾[الأعراف: ٤٣]، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[الكهف: ١]»(٢).

فهذه بعض الأدلة وبعض النقول عن السلف في تقرير مذهبهم في الصفات الاختيارية، وأنهم يثبتونها بما يليق بجلال الله وعظمته كغيرها من الصفات الذاتية.

---

(١) ينظر: توضيح الكافية الشافية للسعدي (٣/ ٣٩٠-٣٩١). ضمن المجموعة.

(٢) مختصر الصواعق لابن الموصلي (٢/ ٤٩٧).

المبحث الثاني: أقوال المخالفين في الصفات الاختيارية.

إن مذهب المخالفين للسلف في أفعال الله تعالى القائمة به المتعلقة بمشيئته وإرادته أنها لا تقوم به، ويعبرون عن ذلك بأنه لا تحله الحوادث وهم في ذلك على أحد قولين:

إما أن يجعلوها كلها مخلوقات منفصلة عنه. فيقولون: كلام الله مخلوق بائن عنه؛ لا يقوم به كلام. وكذلك رضاه وغضبه وفرحه ومجيئه وإتيانه ونزوله وغير ذلك هو مخلوق منفصل عنه لا يتصف الرب بشيء يقوم به عندهم. وإذا قالوا هذه الأمور من صفات الفعل: فمعناه أنها منفصلة عن الله بائنة وهي مضافة إليه؛ لا أنها صفات قائمة.

وإما أن يجعلوا جميع هذه المعاني قديمة أزلية ويقولون نزوله ومجيئه وإتيانه وفرحه وغضبه ورضاه؛ ونحو ذلك: قديم أزلي كما يقولون: إن القرآن قديم أزلي(1).

وإليك تفصيل قول كل طائفة نقلا من كلامهم، أو من يحكي عنهم ذلك. مفرِدا قول كل طائفة في مطلب مستقل.

---

(١) ينظر: شرح حديث النزول لابن تيمية ص(٢٢٦-٢٢٧)، ومجموع الفتاوى له (٥/ ٤١١-٤١٢).

المطلب الأول: قول الجهمية[١] والمعتزلة[٢].

الجهمية والمعتزلة ينفون الصفات مطلقا وحجتهم علىٰ نفي قيام الأفعال به من جنس حجتهم علىٰ نفي قيام الصفات به، وهم يسوون في النفي بين هذا وهذا كما صرحوا بذلك وليس لهم حجة تختص بنفس قيام الحوادث.

قال الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنكرت المعتزلة بأسرها أن يكون الله لم يزل متكلما راضيا ساخطا محبا مبغضا منعما رحيما مواليا معاديا جوادا حليما عادلا محسنا صادقا خالقا رازقا بارئا مصورا محييا مميتا آمرا ناهيا مادحا ذاما، وزعموا بأجمعهم أن ذلك أجمع من صفات الله

---

(١) الجهمية: هم اتباع الجهم بن صفوان، أنكروا أن يكون الله علىٰ العرش، أو يكون له كرسي، كما نفوا صفاته كلها كاليد والسمع والبصر والاستواء والعلو النزول، وأنكروا أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلا أو كلم موسىٰ تكليما، ولم يثبتوا إلا كونه خالقا قادرا، كما نفوا عذاب القبر والميزان والصراط، والرؤية، وأن الجنة والنار لم تخلقا بعد، وأنهما تفنيان يوم القيامة، وأن أهلهما يخرجون منهما بعد دخولهما. ينظر: التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي ص(٩٩، ١٤٤).

(٢) المعتزلة: فرقة كلامية، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية. وفي سبب تسميتهم خلاف بين أرباب المقالات. والأقرب أنهم أتباع واصل بن عطاء الغزال لما اعتزل حلقة الحسن البصري. والأصول التي هم عليها هم خمسة: وهي العدل، والتوحيد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم كلهم متمسكون بالقول بذلك ويجادلون عليه. ونفوا الصفات كلها. واتفقوا علىٰ أن كلامه محدث مخلوق في محل. واتفقوا علىٰ نفي رؤية الله تعالىٰ بالأبصار في دار القرار، واتفقوا علىٰ أن العبد خالق لأفعاله. إلىٰ غير ذلك من المسائل. ينظر: التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي ص(٣٦، ٤١). والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٢، وما بعدها). والموسوعة الميسرة (١/ ٦٤ وما بعدها).

التي يوصف بها لفعله »[(١)].

وقال: «والمعتزلة تفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال: بأن صفات الذات لا يجوز أن يوصف الباريء بأضدادها ولا بالقدرة على أضدادها، كالقول: عالم لا يوصف بالجهل ولا بالقدرة على أن يجهل، وصفات الأفعال يجوز أن يوصف الباري سبحانه بأضدادها وبالقدرة على أضدادها، كالإرادة يوصف الباري بضدها من الكراهة وبالقدرة على أن يكره، وكذلك الحب يوصف الباري بضده من البغض وكذلك الرضى والسخط والأمر والنهي والصدق قد يوصف الباريء بالقدرة على ضده من الكذب وإن لم يوصف بالكذب، وقد يوصف بالمتضاد من كلامه كالأمر والنهي وكل اسم اشتق للباري من فعله كالقول متفضل منعم محسن خالق رازق عادل جواد وما أشبه ذلك فهو من صفات الفعل وكذلك كل اسم مشتق للباري من فعل غيره كالقول معبود من العبادة وكالقول مدعو من دعاء غيره إياه فليس من صفات الذات، وكل ما جاز أن يرغب إلى الباري فيه ليس من صفات الذات»[(٢)].

(١) مقالات الإسلاميين (١٨٥-١٨٦).

(٢) نفس المصدر (٥٠٨-٥٠٩).

المطلب الثاني: قول الكلابية[1].

ظهر مذهب الكلابية بعد مذهب المعتزلة والجهمية بل ظهر ليرد عليهم إلا أنه تجرَّع بعض أصولهم ولم يستطع لفظها، حيث أراد أن يوفق بين كلام السلف وكلامهم فوقع في التناقض الظاهر والواضح، حيث إنه أثبت الصفات الذاتية والتي يسمونها صفات المعاني السبعة ونفى كل ما يقوم بالله تعالى من الأفعال المتعلقة بمشيئته وإرادته، وذلك لالتزامهم أصل المعتزلة وهو نفي حلول الحوادث بالله تعالى.

قال الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال عبد الله بن كلاب[2]: إن الله سبحانه لم يزل قديما بأسمائه وصفاته، وأنه لم يزل عالما قادرا حيا سميعا بصيرا عزيزا جليلا كبيرا عظيما جوادا متكبرا واحدا أحدا صمدا فردا باقيا أولا سيدا مالكا ربا رحمانا مريدا كارها محبا مبغضا راضيا ساخطا مواليا معاديا قائلا متكلما، بعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر وعزة وجلال وعظمة

(١) الكلابية: هم فرقة كلامية. ينتسبون لعبد الله بن سعيد القطان المعروف بابن كلاب. وهم من مثبتة الصفات ويجعلون كل الصفات صفات ذاتية. وأن الله تعالى لم يزل راضيا عمن يعلم أنه يموت مؤمنا، ساخطا على من يعلم أنه يموت كافرا، وهم أول من قال بالكلام النفسي، لكنها تلاشت واضمحلت وخلفتها الأشعرية. ينظر: مقالات الاسلاميين للأشعري (٢٩٨-٢٩٩).

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، البصري، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، وكان يلقب: كلابا؛ لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته. وأصحابه هم الكلابية، لحق بعضهم أبو الحسن الأشعري، وكان يرد على الجهمية. وله كتاب (الصفات)، وكتاب (خلق الأفعال)، وكتاب (الرد على المعتزلة). قال الذهبي: «والرجل أقرب المتكلمين إلى السنة، بل هو في مناظريهم، وكان يقول: بأن القرآن قائم بالذات بلا قدرة ولا مشيئة. وهذا ما سبق إليه أبدا، قاله في معارضة من يقول بخلق القرآن. وقد كان باقيا قبل الأربعين ومائتين. ينظر السير للذهبي (١١/ ١٧٤، ١٧٦).

وكبرياء وكرم وجود وبقاء وإلهية ورحمة وإرادة وكراهة وحب وبغض ورضى وسخط وولاية وعداوة وكلام وأن ذلك من صفات الذات»(١).

فكلام ابن كلاب هذا جعل فيه كل الصفات الفعلية صفات ذاتية.

فهم «يقولون: هو متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة ولا تكون بمشيئته؛ فأما ما يكون بمشيئته فإنه حادث، والرب تعالى لا تقوم به الحوادث...»(٢).

فـ«يثبتون ما يثبتون من ذلك: إما قديما بعينه لازما لذات الله، وإما مخلوقا منفصلا عنه»(٣).

---

(١) مقالات الإسلاميين ص(٥٤٦).

(٢) الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٢٢٠-٢٢١). وينظر: جامع الرسائل (٢/ ٧-٨).

(٣) درء التعارض لابن تيمية (١/ ٤٦١).

المطلب الثالث: قول الأشعرية[1].

أما الأشاعرة فقد أخذوا مذهبهم عن الكلابية. والمتقدمون منهم يرجعون هذه الصفات إلى الإرادة، وأما متأخروهم فهم يجعلونها منفصلة عن الله تعالى غير قائمة به.

يقول الباقلاني[2]: «وأن صفات أفعاله هي التي سبقها وكان موجودا في الأزل قبلها.

ونعتقد أن مشيئة الله تعالى ومحبته ورضاه ورحمته وكراهيته وسخطه وولايته وعداوته كلها راجع إلى إرادته، وأن الإرادة صفة لذاته غير مخلوقة»[3].

---

(١) الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية التي خرج فيها على المعتزلة، ودعا فيها إلى التمسك بالكتاب والسنة، على طريقة ابن كلاب، وهي تثبت بالعقل الصفات العقلية السبع فقط لله تعالى، (الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام) واختلفوا في صفة البقاء، أما الصفات الاختيارية والمتعلقة بالمشيئة من الرضا والغضب والفرح والمجيء والنزول فقد نفوها، بينما يؤلون الصفات الخبرية لله تعالى أو يفوضون معناها. ويؤمن متأخرو الأشاعرة ببعض الأفكار المنحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة. ينظر: الموسوعة الميسرة (١/ ٨٣ وما بعدها).

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، إمام المتكلمين، ومقدم الأصوليين صاحب التصانيف كالإنصاف، والتمهيد. صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق. مات في ذي القعدة، سنة (٤٠٣هـ). ينظر: السير للذهبي (١٧/ ١٨٨- ١٨٩).

(٣) الإنصاف ص (٢٥).

ويقول ابن فورك[١]: «وأفعاله ﷻ لا تحله ولا تحدث في ذاته؛ بل تحدث في غيره»[٢].

وقال الجويني[٣]: «والقديم سبحانه وتعالى لا تقوم أفعاله بذاته؛ بل يفعلها غير قائمة به، فيحدثها متى شاء، ولا يحدثها إذا لم يرد إحداثها»[٤].

وقال الغزالي[٥]: « إن الخلق والإيجاد هو تعلق قدرة الله بوجود المقدور، هذه التعلقات

---

(١) هو شيخ المتكلمين، أبو بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني. صاحب التصانيف الكثيرة بلغت قريبا من مئة مصنف منها(مشكل الحديث وبيانه). قال الذهبي: كان أشعريا، رأسا في فن الكلام. توفي سنة (٤٠٦هـ). ينظر السير للذهبي (١٧/ ٢١٤، ٢١٦).

(٢) مشكل الحديث وبيانه ص (٢٩٤).

(٣) هو إمام الحرمين أبو المعالي، عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، ثم النيسابوري، ولد في أول سنة (٤١٩هـ). وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في طوره الثاني. قال الذهبي: كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته لا يدري الحديث كما يليق به لا متنا ولا إسنادا. وقال أبو الفتح الطبري: دخلت على أبي المعالي في مرضه، فقال: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور». وله من التصانيف (نهاية المطلب في المذهب)، و(الإرشاد في أصول الدين)، و (الرسالة النظامية)، و(الشامل في أصول الدين)، و(البرهان في أصول الفقه)، وغيرها. توفي سنة (٤٧٨هـ). ينظر السير للذهبي (١٨/ ٤٦٨-٤٧٧).

(٤) الشامل في أصول الدين (٢٥١).

(٥) هو زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، مولده سنة (٤٥٠هـ). صاحب التصانيف والذكاء المفرط، أدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام، ومزال الأقدام، قال أبو بكر بن العربي: «شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم، فما استطاع». وقال أبو بكر الطرطوشي: شحن أبو حامد «الاحياء» بالكذب على رسول الله =

هي المسماة بصفات الأفعال، وهي حادثة لأنها عبارة عن التعلق التنجيزي[(١)] للقدرة وهو حادث»[(٢)].

وقال البيجوري[(٣)]: «وصفات الأفعال كالإحياء والإماتة فإنها غَيْرٌ أيضا بمعنى أنها منفكة؛ لأنها هي تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة»[(٤)].

=

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلا أعلم كتابا على بسيط الأرض أكثر كذبا منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفا، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق. ومن مصنفاته: (الإحياء)، و(الأربعين)، و(القسطاس)، و(محك النظر)، و(المستصفى)، و(المنخول)، و(تهافت الفلاسفة)، وغيرها. توفي سنة (٥٠٥هـ). ينظر السير للذهبي (١٩/ ٣٢٢، ٣٤٦).

(١) للقدرة عندهم تعلقان: تعلق صلوحي قديم: وهو صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام فيما لا يزال. وتنجيزي حادث: وهو الإيجاد والإعدام بها بالفعل. ينظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (٩٤).

(٢) الاقتصاد ص (١٠٧).

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري: شيخ الجامع الأزهر. من فقهاء الشافعية. نسبته إلى الباجور (من قرى المنوفية، بمصر) ولد سنة (١١٩٨هـ). وكان أشعري العقيدة، وكتب حواشي كثيرة منها (حاشية على مختصر السنوسي) في المنطق، و(التحفة الخيرية) حاشية على الشنشورية في الفرائض، و(تحفة المريد على جوهرة التوحيد)، و(حاشية على أم البراهين والعقائد للسنوسي). تقلد مشيخة الأزهر سنة(١٢٦٣ هـ) واستمر إلى أن توفي بالقاهرة سنة(١٢٧٧هـ). ينظر الأعلام للزركلي (١/ ٧١).

(٤) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص (٩٢).

المطلب الرابع: قول الماتريدية[١].

أما هؤلاء فقد التزموا قولا واحدا حيث أرجعوا الصفات الفعلية كلها إلى صفات ذاتية أزلية. وإليك بعض النقول عنهم تبين ذلك.

يقول أبو منصور الماتريدي[٢]: «والأصل أن الله إذا أطلق الوصف له، وصف بما يوصف من الفعل والعلم ونحوه، يلزم الوصف به في الأزل.

وإذا ذكر معه الذي هو تحت وصفه من المعلوم المقدور عليه والمراد المكون يذكر في أوقات تلك الأشياء لئلا يتوهم قدم تلك الأشياء»[٣].

وقال: «فتثبت أن صفته التي هي الفعل هي صفة ذاته»[٤].

وقال: «ولا يجوز أن يوصف الله بحادث، ولو جاز ذلك لجاز الوصف بمصلح

---

(١) الماتريدية: فرقة كلامية بدعية، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي، مرت بمراحل. الأولى مرحلة التأسيس (٠٠٠-٣٣٣هـ)، ومرحلة التكوين (٣٣٣هـ-٥٠٠هـ)، ومرحلة التأليف والتأصيل للعقيدة الماتريدية (٥٠٠هـ-٧٠٠)، ومرحلة التوسع والانتشار (٧٠٠هـ ١٣٠٠هـ). ويثبتون ثماني صفات فقط، على خلاف بينهم وهي: الحياة، القدرة، العلم، الإرادة، السمع، البصر، الكلام، التكوين. وعلى أن جميع الأفعال المتعدية ترجع إلى التكوين، ويقولون بالكلام النفسي، وهم مرجئة في الإيمان. ينظر: الموسوعة الميسرة (١/ ٩٥ وما بعدها).

(٢) محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، تنتسب إليه الطائفة الماتريدية، وله تصانيف منها: (كتاب التوحيد)، و(المقالات)، و(تمهيد الأوائل)، و(بيان وهم المعتزلة)، و(تأويلات القرآن). مات بسمرقند سنة (٣٣٣هـ). ينظر تاج التراجم لابن قطلوبغا (٢/ ٢٤٩-٢٥٠).

(٣) التوحيد (٣٩).

(٤) التوحيد (٤٢).

ومفسد وخيِّر وشرير وذلك باطل»[١].

وقال النسفي[٢]: «أما صفات الفعل: كالخلق والترزيق والإفضال والإنعام والإحسان والرحمة والمغفرة و الهداية فكلها قديمات أزليات؛ لأنها لو لم تكن قائمة بذات الله في الأزل لكانت ذات الباري محلا للحوادث وهذا ممتنع»[٣].

وقال الملا علي[٤]: «وكل ما يجوز أن يوصف به وبضده فهو من صفات الفعل. كالرأفة والرحمة والسخط والغضب»[٥].

---

(١) التوحيد (٤٢).

(٢) هو ميمون بن محمد بن محمد بن معبد بن مكحول، أبو المعين النسفي الحنفي: عالم بالأصول والكلام. ولد سنة (٤١٨). ومن كتبه (بحر الكلام)، و(تبصرة الأدلة)، و(التمهيد لقواعد التوحيد)، و(العمدة في أصول الدين)، و(العالم والمتعلم)، و(إيضاح المحجة لكون العقل حجة)، و(شرح الجامع الكبير للشيباني) في فروع الحنفية، و(مناهج الأئمة) في الفروع، وهو على مذهب الماتريدي في الاعتقاد. توفي سنة (٥٠٨هـ). ينظر الجواهر المضية في طبقات الحنفية لابن أبي الوفاء الحنفي (٣/ ٥٢٧)، وتاج التراجم لابن قطلوبغا(٢/ ٣٠٨)، والأعلام للزركلي (٧/ ٣٤١).

(٣) بحر الكلام ص (٩١-٩٢).

(٤) هو علي بن سلطان محمد، نور الدين الملا الهروي القاري: فقيه حنفي، ولد في هراة وسكن مكة، وتوفي بها. وصنف كتبا كثيرة، منها (تفسير القرآن)، و(الأثمار الجنية في أسماء الحنفية)، و (شرح مشكاة المصابيح)، وغيرها. توفي سنة (١٠١٤هـ). بمكة. ينظر الأعلام للزركلي (٥/ ١٢-١٣).

(٥) شرح الفقه الأكبر ص (٦٣).

المطلب الخامس: قول الكرامية[(١)].

أما هؤلاء فيثبتون قيام الأفعال بالله تعالى وأنها بمشيئته وقدرته لكنهم يجعلون نوعها حادثا بعد أن لم يكن لا أفرادها [(٢)]. أي أن ابتداءها في ذاته بمعنى أنه لم يكن فاعلا ثم فعل.

وقالوا الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإن قامت به الحوادث فليس يتصف بها، فزعموا أن القول يقوم به وهو ليس بقائل لذلك القول؛ بل هو قائل عندهم بالقائلية[(٣)].

«وقالوا: كل وصف حدث قائم بذات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجب بقاؤه ويستحيل عدمه»[(٤)].

وهذا القول يلزم منه أن الله تعالى كان معطلا عن الفعل في الأزل، ثم حدث له ذلك بلا سبب، وكذلك يلزمهم انتفاء صفة الكمال عنه. و أن ذاته صارت محلا لنوع الحوادث بعد أن لم تكن وهذا باطل[(٥)]. فيقال لهم: إذا كان الفعل ممتنعا في الأزل؛ فما الذي صيره ممكنا مع أنه لم يتجدد في ذاته شيء يقتضي هذا الانقلاب من الامتناع إلى الإمكان؟. وهذا

---

(١) الكرامية: فرقة كلامية، هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني، كانوا ممن يثبت الصفات إلا أنهم ينتهون فيها إلى التجسيم والتشبيه. وقالوا: الإيمان هو الإقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب، ودون سائر الأعمال. والمنافق عندهم: مؤمن في الدنيا على الحقيقة مستحق للعقاب الأبدي في الآخرة. لكنهم انقرضوا ولا وجود لهم. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٩ وما بعدها).

(٢) ينظر: الدرء لابن تيمية (١/ ٤٦١).

(٣) ينظر: الشامل في أصول الدين للجويني (٥٣٠).

(٤) نفس المصدر(٥٣١).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٣٢٥).

الإلزام لا مخلص لهم منه(١).

وبعد وقوفك على عقائد هؤلاء في صفات الله الاختيارية، سنبين بإذن الله تعالى الأصلين اللَّذَيْن أوجبا لهم هذا الكلام وهو نفي قيام الصفات الاختيارية بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في المبحثين التاليين مع الرد عليهما.

(١) ينظر: شرح نونية ابن القيم للهراس (١/ ١٥٥).

المبحث الثالث: الأصول التي اعتمدوا عليها في التأويل. وفيه مطالب:

المطلب الأول: في بيان الأصل الأول من الأصول التي اعتمدوا عليها في التأويل، وهو امتناع حلول الحوادث بالرب تعالى. والرد عليه. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تقريرهم لهذا الأصل.

اعتمد نفاة قيام الصفات الاختيارية بالله تعالى في تقرير هذا الأصل على حجج ذكروها في كتبهم(١)، إلا أن بعض منظِّريهم رأوا أنها ضعيفة وتَرِدُ عليها إرادات كثيرة، فأتوا بحجة أخرى رأوا أنها أقوى منها، ومن هنا فسأكتفي بذكر هذه الحجة، والرد عليها من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الرازي(٢): «إن الصفة التي حدثت في ذات الله تعالى، إما أن تكون من صفات

---

(١) ينظر: المطالب العالية للرازي (٢/ ١٠٨، ١١١)، والأبكار للآمدي (٢/ ٢٢، ٢٦)، وينظر الرد عليها من كلام شيخ الإسلام في درء تعارض والعقل والنقل (١/ ٤٨١، وما بعدها)، وشرح الأصبهانية له (٥٠٤-٥٠٥)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٢٤٧، ٢٨٧).

وللاستزادة في الموضوع ينظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام رحمه الله للدكتور عبد القادر بن عطا صوفي- حفظه الله-.

(٢) هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الأصولي، من متأخري الأشاعرة ومنظريهم. ولد سنة(٥٤٤هـ)، وقد اعترف في آخر عمره حيث يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الاثبات: (الرحمن على العرش استوى)، و(إليه يصعد الكلم)، وأقرأ في النفي (ليس كمثله شيء)، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. وله تصانيف كثيرة منها (المطالب العالية)، و(أساس التقديس)، و(مفاتيح الغيب)، وغيرها. مات بهراة سنة (٦٠٦هـ). =

الكمال، وإما أن لا تكون من صفات الكمال. فإن كانت من صفات الكمال: كانت تلك الذات قبل حدوث تلك الصفة فيها خالية عن صفة الكمال. والخلو عن صفة الكمال نقصان. فيلزم كون تلك الذات ناقصة، والنقصان على الله محال. وإن كانت تلك الصفة ليست من صفات الكمال، كان إثباتها في حق الله تعالى محالا، لحصول الاتفاق على أن صفات الله تعالى بأسرها يجب أن تكون من صفات الكمال والمدح»(١).

فهذه هي الحجة الأساسية التي اعتمد عليها متأخرو المتكلمين وعليه سنلخص الرد عليها من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المطلب التالي.

=

ينظر السير للذهبي (٢١/ ٥٠٠-٥٠١)

(١) المطالب العالية (٢/ ١١٠). وينظر: الأربعين في أصول الدين له (١/ ١٧١-١٧٢)، والأبكار للآمدي (٢/ ٢٧).

المسألة الثانية: الرد عليه.

قال **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الحجة الأخيرة وهي ما يعرف بحجة الكمال والنقصان. قال: وهذه الحجة ضعيفة ولعلها أضعف مما ضعفوه. والرد عليها من عدة أوجه:

الأول: أن يقال: «لا ريب أن الحوادث مشهودة وأن لها محدثا أحدثها، فالمحدِث لها: إما أن يحدثها بفعل اختياري يقوم به، وإما أن تحدث عنه شيئا بعد شيء من غير فعل يقوم به ولا حدوث شيء منه، ومعلوم أن اتصافه بالأول أولى لو كان الثاني ممكنا، فإن الأول فيه وصفه بصفة الكمال بخلاف الثاني، فكيف والثاني ممتنع؛ لأن حدوث الحوادث من غير سبب حادث ممتنع، وإذا كان حال الفاعل قبل حدوثها كحاله مع حدوثها وبعد حدوثها وهي في الحالين حادثة لم يكن الفاعل قد فعل شيئا ولا أحدث شيئا بل حدثت بذاتها»[(١)].

الثاني: «الكمال الذي يجب اتصافه به هو الممكن الوجود، وأما الممتنع فليس من الكمال الذي يتصف به موجود، والحوادث المتعلقة بقدرته ومشيئته يمتنع وجودها جميعا في الأزل؛ فلا يكون انتفاؤها في الأزل نقصا؛ لأن انتفاء الممتنع ليس بنقص» [(٢)].

الثالث: «إذا قُدِّر ذات تفعل شيئا بعد شيء وهي قادرة على الفعل بنفسها، وذات لا يمكنها أن تفعل بنفسها شيئا؛ بل هي كالجماد الذي لا يمكنه أن يتحرك كانت الأُولى أكمل من الثانية. فعدم هذه الأفعال نقص بالضرورة. وأما وجودها بحسب الإمكان فهو الكمال»[(٣)].

---

(١) الدرء لابن تيمية (٢/ ٣١٨).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٠٧)، و (٦/ ٢٤١-٢٤٢).

(٣) المصدر السابق (٦/ ١٠٧)، و(٦/ ٢٤٢). والدرء له (٢/ ٣١٥-٣١٦).

الرابع: «لا نسلم أن عدم هذه مطلقا نقص ولا كمال، ولا وجودها مطلقا نقص ولا كمال؛ بل وجودها في الوقت الذي اقتضته مشيئته وقدرته وحكمته هو الكمال، ووجودها بدون ذلك نقص، وعدمها مع اقتضاء الحكمة عدمها كمال، ووجودها حيث اقتضت الحكمة وجودها هو الكمال»(١).

الخامس: «الحوادث التي يمتنع أن يكون كل منها أزليا ولا يمكن وجودها إلا شيئا فشيئا إذا قيل: أيهما أكمل أن يَقْدِرَ على فعلها شيئا فشيئا أو لا يقدر على ذلك؟ كان معلوما - بصريح العقل - أن القادر على فعلها شيئا فشيئا أكمل ممن لا يقدر على ذلك»(٢).

السادس: أن يقال: لا يكون عدم الشيء نقصا إلا بشرطين: بأن يكون عدمه ممكنا، ويكون وجوده خيرا من عدمه. فإذا كان عدمه ممتنعا: كعدم الشريك والولد، فهذا مدح وصفة كمال، وإذا كان عدمه ممكنا فالأولى عدمه: كالأشياء التي لم يخلقها، فإنه كان أن لا يخلقها أكمل من أن يخلقها، كما أن ما خلقه كان أن يخلقه أكمل من أن لا يخلقه(٣).

فهذه بعض الأوجه في الرد على هذا الأصل بشيء من الاختصار.

---

(١) نفس المصدر (٦/ ١٠٧-١٠٨)، و(٦/ ٢٤١)، والدرء له (٢/ ٣١٧).

(٢) نفس المصدر (٦/ ٢٤٢). وينظر منهاج السنة له (١/ ٢٣٣).

(٣) ينظر: نفس المصدر (٦/ ٢٢٦).

المطلب الثاني: في بيان الأصل الثاني وهو: أن الفعل عندهم هو المفعول، والخلق هو المخلوق، والرد عليه. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تقريرهم لهذا الأصل.

قالوا: لو كان الفعل غيره لكان إما قديما وإما حادثا، فإن كان قديما لزم قدم المخلوق لأنهما متضايفان؛ وإن كان حادثا لزم أن تقوم به الحوادث، ثم ذلك المخلوق يفتقر إلىٰ خلق آخر ويلزم التسلسل(١).

فهم يفسرون أفعاله المتعدية مثل قوله تعالىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[الأنعام: ١]. وأمثاله: أن ذلك وجد بقدرته من غير أن يكون منه فعل قام بذاته؛ بل حاله قبل أن يخلق وبعد ما خلق سواء، لم يتجدد عندهم إلا إضافة ونسبة، كقولهم في الاستواء مثلا: إن الله خلق العرش بصفة التحت فصار مستويا عليه، وأنه يكشف الحجب التي بينه وبين خلقه فيصير جائيا إليهم ونحو ذلك(٢).

قال ابن فورك في نقله لمقالات الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان يُخَطِّئ قول من قال من أصحابنا: إن قوله للشيء (كن) خلق له أو فعل له، وكان يقول: إن خلق الشيء هو الشيء المخلوق، وفعله هو الشيء المفعول، وإن القول غيره»(٣).

وقال: «وكان ينكر قول من قال من أصحابنا: إن المحبة والرضا من الله تعالىٰ فعل، وكذلك السخط والعداوة»(٤).

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٦/ ٢٣١). وينظر: جامع الرسائل له (٢/ ٢١)، ومنهاج السنة له (٣/ ٤٦٢)، وشرح الأصبهانية له (٢٦٢).

(٢) ينظر: شرح حديث النزول لابن تيمية ص(١٥٦-١٥٧)، ومجموع الفتاوىٰ له (٦/ ١٤٩).

(٣) مقالات أبي الحسن الأشعري لابن فورك (٦٧).

(٤) المصدر السابق (٤٦).

وقال أيضا في كتابه بيان مشكل الحديث: «وأفعاله ﷻ لا تحله ولا تحدث في ذاته؛ بل تحدث في غيره»(١).

وقال البيهقي: «وأما الإتيان والمجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري ﷺ يُحدث الله تعالى يوم القيامة فعلا يسميه إتيانا ومجيئا، لا بأن يتحرك أو ينتقل، فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام، والله تعالى أحدٌ صمدٌ ليس كمثله شيء»(٢).

وقال **ابن حزم**: «فهذا كله على ما بيَّنا من أن المجيء والإتيان يوم القيامة فعل يفعله الله ﷻ في ذلك اليوم يسمي ذلك الفعل مجيئا وإتيانا»(٣).

وقال الجويني: «والقديم سبحانه وتعالى لا تقوم أفعاله بذاته؛ بل يفعلها غير قائمة به، فيحدثها متى شاء، ولا يحدثها إذا لم يرد إحداثها»(٤).

وقال: «في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[الفجر: ٢٢]. أنه فعَل فعلا سمى به نفسه جائيا، كما سمى نفسه بالخلق والرزق خالقا ورازقا»(٥).

---

(١) مشكل الحديث وبيانه ص (٢٩٤).

(٢) الأسماء والصفات (٢/ ٣٧١).

(٣) الفِصَل (٢/ ٣٥٨).

(٤) الشامل في أصول الدين (٢٥١).

(٥) نفس المصدر (٥٤٩).

المسألة الثانية: الرد عليه.

وقبل أن نورد شيئا من الردود على هذا الأصل ينبغي أن ننبه إلى أن جمهور السلف والأئمة مجمعون[١] على التفريق بين الفعل والمفعول وأن الخلق غير المخلوق.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالفعل إنما هو إحداث الشيء، والمفعول هو الحدث، لقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[الأنعام: ١]. فالسموات والأرض مفعوله، وكل شيء سوى الله بقضائه فهو مفعول، فتخليق السماوات فعله لأنه لا يمكن أن تقوم سماء بنفسها من غير فعل الفاعل، وإنما تنسب السماء إليه لحال فعله، ففعله من ربوبيته حيث يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ولكن من صنعته وهو الموصوف به كذلك قال: رب السماوات ورب الأشياء وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (رب كل شيء ومليكه)»[٢].

وقال: «وقال أهل العلم: التخليق فعل الله، وأفاعيلنا مخلوقة... ففعل الله صفة الله، والمفعول غيره من الخلق»[٣].

وقال التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخلق غير المخلوق، فالخلق صفة قائمة بذاته، والمخلوق هو الموجود المخترع لا يقوم بذاته، وأن الصفات الصادرة عن الأفعال موصوف بها في القدم، وإن كانت المفعولات محدثة»[٤].

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا مذهب جمهور المسلمين، أن الخلق غير المخلوق، وهو المنقول عن السلف والأئمة، كما ذكره البخاري في خلق أفعال العباد، وهو الذي ذكره البغوي صاحب شرح السنة، وهو الذي ذكره الكلاباذي أنه اعتقاد الصوفية...» الاستغاثة ص(١٤٦-١٤٧).

(٢) خلق أفعال العباد ص(١١٠).

(٣) نفس المصدر ص(١١٢).

(٤) الحجة (١/ ٣٢٧-٣٢٨). وينظر (١/ ٤٥٧).

وقال **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف أن الخلق غير المخلوق؛ فالخلق فعل الله، والمخلوق مفعوله، ولهذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بأفعال الرب وصفاته»[1].

وبعد هذا التقرير إليك بعضا من الردود على أصلهم هذا.

الأول: كل موصوف لا يوصف إلا بما قام به لا بما هو مباين له صفة لغيره. وإلا لزمهم أن لا يكون له صفة لا ذاتية ولا فعلية[2].

الثاني: تفسيرهم الفعل بالمفعول مستلزم لنفيه، وتعطيل الخالق عنه، وأنه ليس هناك إلا المفعول[3]؛ لأن عِلْمَنا بالمخلوق المفعول بلا فعل ولا خلق أعظم امتناعا في العقل من علمنا بامتناع قيام الأفعال به وإن سماها المسمي حوادث[4].

الثالث: «إثبات هؤلاء فاعلا لا يقوم به فعل، كإثبات متقدميهم من الجهمية والمعتزلة متكلما لا يقوم به كلام، ومريدا لا تقوم به إرادة، وعالما لا يقوم به علم، وقادرا لا تقوم به قدرة، وهذا كله باطل»[5].

الرابع: أن المعنى إذا قام بمحل عاد حكمه على ذلك المحل؛ واشتق لذلك المحل منه اسم؛ ولم يشتق لغيره منه اسم وعاد حكمه على ذلك المحل؛ ولم يعد على غيره؛ كما أن الحركة والسواد والبياض والحرارة والبرودة إذا قامت بمحل كان هو المتحرك الأسود

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٢٩).

(٢) ينظر: نفس المصدر (٦/ ٣١٨).

(٣) ينظر: مختصر الصواعق لابن الموصلي (٢/ ٤٦٧)، وشرح النونية للهراس (١/ ١٥١).

(٤) ينظر: الدرء لابن تيمية (١/ ٥٤٣)، ومنهاج السنة له (٣/ ٤٦٢).

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٤٨٣-٤٨٤).

الأبيض الحار البارد دون غيره. قالوا: فكذلك الكلام والإرادة إذا قاما بمحل كان ذلك المحل هو المتكلم المريد دون غيره[١].

الخامس: أن «هذا منقوض على أصلكم فإنكم تقولون: إنه يريد بإرادة قديمة والمرادات كلها حادثة، فإن كان هذا جائزا فلماذا لا يجوز أن يكون الخلق قديما والمخلوق حادثا، وإن كان هذا غير جائز بل الإرادة تقارن المراد لزم جواز قيام الحوادث به، وحينئذ فيجوز أن يقوم به خلق مقارن للمخلوق فلزم فساد قولكم على التقديرين»[٢].

السادس: لو كان الفعل هو المفعول لجاز أن ينسب الشر إلى الله تعالى لأن الشر في مفعولاته لا في فعله، فلا يضاف إليه فعلا ولا وصفا[٣].

السابع: «أن الأفعال على ضربين: لازم ومتعد، فاللازم: ما لا مفعول له، والمتعدي: ما له مفعول، فلو كان الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق، لم يكن اللازم فعلاً، إذ لا مفعول له»[٤].

الثامن: وعلى قولكم: إن فعل العبد مخلوق لله لزمكم أن تقولوا: إن فعل العبد فعل الله، وإذا كان فعله فعلا لله لم يكن فعلا له، لأن الفعل الواحد لا يكون فعلا لفاعلين[٥].

---

(١) نفس المصدر (٨/ ٤٨٣-٤٨٤)، وينظر: شرح الأصبهانية له (٤٨٤-٤٨٥)، والتسعينية له (٢/ ٤٤٣)، والاستغاثة له (١٤٥)، والمنتقى للذهبي ص (٥١).

(٢) منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ٤٦٢). وينظر: مجموع الفتاوى له (٦/ ٢٣١).

(٣) ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢١٤-٢١٥)، والحجة للتيمي (١/ ٤٥٧).

(٤) الحجة للتيمي (١/ ٣٢٨).

(٥) ينظر: الصفدية لابن تيمية (١٧٣)، ومنهاج السنة النبوية له (٢/ ١١-١٢)، مجموع الفتاوى له (٨/ ٤٨٣)، والمنتقى للذهبي ص (٥١-٥٢).

التاسع: يلزم على قولهم الفعل هو المفعول، حصول مفعول بلا فعل، ومخلوق بلا خلق، وهذا مكابرة لصريح العقل[(١)].

فهذه بعض الأوجه في الرد على هذا الأصل ومن أراد الاستزادة فعليه بالرجوع إلى المراجع المحال عليها.

وفي الأخير يمكن القول: إن «مسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود البتة، ولا أنه رب العالمين، فإن الحمد ضد الذم، والحمد: هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له.

والذم: هو الإخبار بمساوئ المذموم مع البغض له، وجماع المساوئ فعل الشر، كما أن جماع المحاسن فعل الخير.

فإذا كان يفعل الخير بمشيئته وقدرته استحق الحمد. فمن لم يكن له فعل اختياري يقوم به؛ بل ولا يقدر على ذلك لا يكون خالقا ولا ربا للعالمين »[(٢)].

بل ما قدر الله حق قدره من نفى رحمته ورضاه ومحبته وغضبه وحكمته مطلقا وحقيقة فعله، ولم يجعل له فعلا اختياريا، بل أفعاله مفعولات منفصله عنه[(٣)].

ولما اعتقد المتكلمون امتناع قيام الصفات الاختيارية بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وجمعوا حججا عقلية يستندون إليها في نفي ذلك، قاموا بتأويل الصفات الواردة في الكتاب والسنة وردها تحت دعوى أنها مجاز ليست على حقيقتها، ومن هنا سنقف على مرادهم بالمجاز والرد عليه بشيء من الاختصار في المبحث التالي.

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٧٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٢٥٩). .

(٣) ينظر: تجريد التوحيد للمقريزي ص(٧٠).

المطلب الثالث: دعواهم المجاز، والرد عليه. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تعريف المجاز وضابطه.

المجاز في اللغة. مصدر على وزن مفْعَل، وأصله مَجْوَز، فنقلت حركة الواو إلى الجيم فسكنت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا على القاعدة الصرفية. وهو من (جاز) الموضعَ إذا سلكَه وسارَ فيه(١)، والجواز هو العبور؛ لأنه: أي اللفظ المجازي عبر عن معناها إلى غيره(٢).

وقبل أن نُعرِّف المجاز في الاصطلاح ينبغي أن نعرف حدَّ الحقيقة أولا؛ لأن المجاز لا يذكر إلا معها وهو فرع عنها، فلكل مجاز حقيقة ولا عكس.

فالحقيقة: «هي اللفظ المستعمل في موضعه الموضوع في اللغة»(٣)، وتعقب هذا التعريف بأنه خاص بنوع واحد من الحقيقة وهي اللغوية فقط، دون الشرعية والعرفية.

وقيل: الحقيقة «هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولا في الاصطلاح الذي به التخاطب»(٤). فقوله: (في الاصطلاح الذي به التخاطب) يشمل جميع أنواع الحقيقة: اللغوية والعرفية والشرعية.

وأما المجاز: فـ«هو اللفظ المعدول به عن حقيقته، والمستعمل في غير موضعه

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٩٤)، ومختار الصحاح للرازي (٨١).

(٢) ينظر: الفوائد الغياثية للكرماني (٢/ ٦٨٦).

(٣) الفصول للجصاص (١/ ٤٦).

(٤) الإحكام للآمدي (١/ ٤٧). وينظر: المحصول للرازي (١/ ٢٨٦)، وشرح تنقيح الفصول للقرافي ص (٤٠)، ومفتاح الوصول للتلمساني (٤٧١)، ونهاية الوصول لابن الساعاتي (١/ ٣٢).

الموضوع له في أصل اللغة»(١). وتعقب هذا التعريف أيضا لأنه خاص بالمجاز اللغوي فقط.

وقيل: «هو اللفظ المتواضع على استعماله أو المستعمل في غير ما وضع له أولا في الاصطلاح الذي به المخاطبة لما بينهما من التعلق»(٢) أي: لعلاقة بينه وبين الأول. كإطلاق اسم الأسد على الإنسان لاشتراكهما في صفة الشجاعة.

والصارف عن الحقيقة إلى المجاز هو القرينة، إذ هي التي تدل على المراد، وعلى امتناع إرادة معناها الحقيقي(٣)، «وقرائن المجاز وإن كانت كثيرة لكن يجمعها أمر واحد وهو ما دل على تعذر حمله على معناه الحقيقي»(٤).

ضابط المجاز.

أما ضابط معرفة المجاز من الحقيقة هو تنصيص أهل اللغة على ذلك، وهذا في حقيقة الأمر متعذر. أو صحة توجه النفي إليه.

---

(١) الفصول للجصاص (١/ ٤٦).

(٢) الإحكام للآمدي (١/ ٤٨). وينظر: أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (٥٩١)، والمحصول للرازي (١/ ٢٨٦)، و شرح تنقيح الفصول للقرافي ص (٤٢)، ومفتاح الوصول للتلمساني (٤٧١)، ونهاية الوصول لابن الساعاتي (١/ ٣٣)، والفوائد الغياثية للكرماني (٢/ ٦٨٠)، والإيضاح للقزويني (٢٠٤)، والإشارات والتنبيهات للجرجاني (١٦٢)، والمطول للتفتازاني (٥٧٢)..

(٣) ينظر: الفوائد الغياثية للكرماني (٢/ ٦٨٠-٦٨١).

(٤) الإشارات والتنبيهات للجرجاني (١٦٣).

يقول الآمدي[(١)]: «وإذا عرف معنى الحقيقة والمجاز فمهما ورد لفظ في معنىً، وتردد بين القسمين فقد يعرف كونه حقيقة ومجازا بالنقل عن أهل اللغة، وإن لم يكن نقل فقد يعرف كونه مجازا بصحة نفيه في نفس الأمر ويعرف كونه حقيقة بعدم ذلك.

ولهذا فإنه يصح أن يقال لمن سُمي من الناس حمارا لبلادته إنه ليس بحمار ولا يصح أن يقال: إنه ليس بإنسان في نفس الأمر لما كان حقيقة فيه»[(٢)].

فهذا باختصار بعض ما قرره أهل البلاغة والأصول في هذا الباب، والذي يهمنا هنا هو أن ألفاظ الصفات التي أطلق عليها بأنها مجاز، هي مما استعمل في غير موضعه فتكون غير حقيقية، ومن ثم ينسحب عليها ضابط النفي المتوجه إلى المجاز بأن يصح نفيها وهذا هو المقصد من كل هذه التأصيلات. وعليه سيكون الرد على هذا الطاغوت كما سماه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بشيء من الاختصار. في المطلب التالي.

---

(١) هو سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد ابن سالم التغلبي الآمدي الحنبلي ثم الشافعي. من كبار متأخري الأشاعرة. وله كتاب (أبكار الافكار) في الكلام، و(منتهى السول في الأصول). قال الذهبي: قال لي شيخنا ابن تيمية: يغلب على الآمدي الحيرة والوقف، حتى إنه أورد على نفسه سؤالا في تسلسل العلل، وزعم أنه لا يعرف عنه جوابا، وبنى إثبات الصانع على ذلك، فلا يقرر في كتبه إثبات الصانع، ولا حدوث العالم، ولا وحدانية الله، ولا النبوات، ولا شيئا من الأصول الكبار. توفي سنة (٦٣١هـ). ينظر السير للذهبي (٢٢/ ٣٦٤، ٣٦٧).

(٢) الإحكام للآمدي (١/ ٥٠).

المسألة الثانية: الرد على دعوى المجاز.

يتلخص الرد في الأوجه التالية:

الأول: إن «هذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري و الأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم»(١).

الثاني: «هذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في (أصول الفقه) لم يقسم هذا التقسيم، ولا تكلم بلفظ (الحقيقة والمجاز)»(٢).

الثالث: هذا التقسيم لا حقيقة له؛ وليس لمن فرق بينهما حد صحيح يميز به بين هذا وهذا فعلم أن هذا التقسيم باطل، وحينئذ فكل لفظ موجود في كتاب الله وسنة رسوله فإنه مقيد بما يبين معناه، فليس في شيء من ذلك مجاز بل كله حقيقة(٣).

الرابع: يقال لهم: ما تعنون بالوضع؟.

أتعنون به جعل اللفظ دليلا على المعنى؟.

أو تعنون به غلبة استعمال اللفظ في المعنى حتى تصير فيه أشهر من غيره؟.

أم تعنون به مطلق الاستعمال ولو مرة واحدة؟.

فهذا كله إنما يصح إذا علم أن الألفاظ العربية وضعت أولا لمعان ثم استعملت فيها،

---

(١) الإيمان الكبير لابن تيمية (٧٣-٧٤). وينظر: مختصر الصواعق لابن الموصلي (٢/ ٦٩٢-٦٩٣).

(٢) نفس المصدر (٧٤).

(٣) ينظر: نفس المصدر (٩٠)، ومختصر الصواعق لابن الموصلي (٢/ ٧٠٨).

ثم وضعت لمعان أخر بعد الوضع الأول والاستعمال بعده، والوضع الثاني والاستعمال بعده. فهذه دعوى بلا علم فمن يمكنه إثبات ذلك؟ (١).

الخامس: أنه ليس معكم إلا الاستعمال، وقد استعمل اللفظ في هذا وهذا، فمن أين لكم أن وضعه لأحدهما سابق على وضعه للآخر؟ ، ولو ادعى أخر أن الأمر بالعكس كانت دعواه من جنس دعواكم(٢).

السادس: قولهم بأن المجاز ما يصح نفيه بخلاف الحقيقة، يقال لهم: إن هذا يلزم منه الدور، وذلك أن صحة النفي وامتناعه يتوقف على معرفة الحقيقة والمجاز، فلو عرفناهما بصحة النفي وامتناعه للزم الدور(٣).

السابع: أن النفي الذي جعلتم صحته عيارا على المجاز وفرقا بينه وبين الحقيقة، هو الصحة عند أهل اللسان، أو أهل الاصطلاح على التقسيم إلى الحقيقة والمجاز، أو أهل العرف؟ فمن هم الذين يستدل بصحة نفيهم ويجعل عيارا على كلام الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤).

الثامن: أنه إن كان كل ما دل بالقرينة دلالته غير دلالته عند التجرد منها مجازا لزم أن تكون اللغة كلها مجازا، وجمهور القائلين بالمجاز معترفون بأن كل مجاز لابد له من حقيقة، فالحقيقة عندهم أسبق وأعم وأكثر استعمالا لأنها هي الأصل، ولو كانت اللغة أو أكثرها

(١) ينظر: مختصر الصواعق لابن الموصلي (٢/ ٧٠١-٧٠٢).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٧٠٨).

(٣) ينظر: نفس المصدر (٢/ ٧١٤-٧١٥).

(٤) ينظر: نفس المصدر (٢/ ٧١٨).

مجازا كان المجاز هو الأصل وكان الحمل عليه متعينا(١).

فهذه بعض الأوجه في الرد على هذا الطاغوت.

ومما يدخل كذلك في المجاز، واتخذه المخالفون ذريعة في نفي بعض الصفات هو إطلاقهم عليها أنها من قبيل المشاكلة اللفظية فقط لورودها في صحبة اللفظ المشاكل له، ومن هنا فسنقف وقفة لبيان معنى هذه المشاكلة وأنواعها وهل هي من المجاز أو لا في المبحث التالي.

(١) ينظر: نفس المصدر (٢/ ٧٢٦-٧٢٧)، والإيمان الكبير لابن تيمية (٩٥-٩٦).

المطلب الرابع: دعوى المشاكلة، وبيان أنواعها. وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريفها.

المشاكلة: في اللغة مفاعلة بمعنى المماثلة[١] من (شكل). يقول ابن فارس: «الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة. تقول: هذا شكل هذا، أي مثله»[٢].

وهي نوع من أنواع علم البديع، حيث يعرفها البلاغيون بقولهم:

اصطلاحا: المشاكلة: وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا[٣].

«فخرج بقوله(بلفظ غيره) الذكر المتعلق بالحقيقة، ودخل فيه جميع أنواع المجاز؛ لأن الذكر فيها واقع في معانيها في ألفاظ غيرها»[٤].

فمن خلال التعريف يتبن لنا أن المشاكلة نوعان: تحقيقية وتقديرية:

وسيتم بيان كل منهما في المطلب التالي.

---

(١) الهوامل والشوامل لمسكويه ص(١٢٠).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٠٤).

(٣) المصباح لابن الناظم ص (٢٠٣). وينظر: مفتاح العلوم للسكاكي (٤٢٤)، والإشارات والتنبيهات لركن الدين الجرجاني (٢١٣)، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٢٦٣)، خزانة الأدب لابن حجة (٢/ ٢٥٢-٢٥٣)، وطيب المذاق له (٣٤٩)، وعروس الأفراح للسبكي (٣٣٩)، والفوائد الغياثية للكرماني (٢/ ٧٩٤).

(٤) مواهب الفتاح لأبي يعقوب المغربي (٢/ ٤٩٠-٤٩١).

المسألة الثانية: أنواعها.

يقسم البلاغيون المشاكلة إلى نوعين:

الأولى: مشاكلة **تحقيقية**: وهي ما تكون فيه المشاكلة **تحقيقا**: وهو ما يسمى بالمشاكلة اللفظية.

وهو أن يأتي المتكلم في كلامه باسم من الأسماء المشتركة في موضعين فتشاكل إحدى المشاكلتين اللفظتين الأخرى في الخط واللفظ ومفهومهما مختلف(١).

مثاله قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه   قلت اطبخوا لي جبة وقميصا(٢)

«كأنه قيل: خيطوا لي؛ فذكر الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعهما في صحبة (نجد لك طبخه)»(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[البقرة: ١٩٤].

فإنّ مقابلة الاعتداء بمثله لا يسمَّى في الأصل اعتداء، ولكن سوغ هذا الإطلاق داعي المشاكلة، وليعطي اللفظ معنى المماثلة في تطبيق العقوبة دون زيادة، لأنّ معنى كلمة (اعتدى) في الأصل تجاوز حُدُود الحقّ، ومن العدل أن يُقابَل التجاوز بمماثل له(٤).

الثانية: المشاكلة التقديرية:

وهي عدم ذكر اللفظ المشاكل له وإنما يقدر بقرينة الحال، وقد مثل له البلاغيون بأمثلة

---

(١) ينظر: خزانة الأدب لابن حجة (٢/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٢) البيت من الكامل لأبي الرقعمق الأنطاكي ت(٣٩٩). ينظر: المصباح لابن الناظم (٢٠٣).

(٣) الفوائد الغياثية للكرماني (٢/ ٧٩٤).

(٤) البلاغة العربية لحبنكة (٢/ ٤٣٨).

منها قوله تعالىٰ: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[البقرة: ١٣٨].

فقوله تعالىٰ: (صبغة الله) معناها تطهير الله؛ لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارىٰ كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون: هو تطهير لهم، فأُمِر المسلمون بأن يقولوا لهم: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾[البقرة: ١٣٦]. وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا، وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا، أو يقول المسلمون: صبغنا الله بالإيمان صبغة ولم يصبغ صبغتكم، وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ؛ لأن قرينة الحال التي هي سبب النزول من غمس النصارىٰ أولادهم في الماء الأصفر دلت علىٰ ذلك (١).

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٢٦٤).

المسألة الثالثة: هل المشاكلة من قبيل الحقيقة أو المجاز؟.

اختلف البلاغيون في ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها حقيقة: وذلك لعدم وجود العلاقة المعتبرة والمصححة؛ لأن الوقوع في الصحبة ليس من العلاقة ولا يعتبر من المجاورة المعتبرة(١).

الثاني: أنها من المجاز: لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له(٢)، وأن العلاقة الحاصلة بينهما هي بالصحبة الذكرية والتقديرية(٣).

يقول السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقوله ذكر الشيء بلفظ غيره صريح في أنها من باب المجاز. وقوله: وقوعه في صحبته إشارة إلى العلاقة وهي الصحبة والمجاورة في اللفظ كما سميت القربة راوية لمجاورتها للجمل المسمى بها حقيقة فهذه هي علاقة أصل المشاكلة»(٤).

وقيل أن العلاقة بينهما ليست الصحبة وإنما هي المقارنة.

يقول أبو البقاء(٥) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا شك أن المشاكلة من قبيل المجاز والعلاقة فيها التقارن في الخيال لا الوقوع في الصحبة، كما هو المشهور؛ لأن العلاقة مصححة للاستعمال الذي به الوقوع في الصحبة ومقدمة عليها»(٦).

---

(١) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر السعد (٤/ ١٢٩).

(٢) ينظر: حاشية الدسوقي (٤/ ١٢٩).

(٣) ينظر: الإتقان للسيوطي (٣/ ١٢٧)، ومواهب الفتاح لأبي يعقوب (٢/ ٤٩١).

(٤) الحاوي للسيوطي(٢/ ٣٣٧). وينظر: الإتقان له (٣/ ١٢٧).

(٥) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد وله كتاب (الكليات)، وله كتب أخرى بالتركية. توفي سنة (١٠٩٤هـ) باستانبول. ينظر الأعلام للزركلي (٢/ ٣٨).

(٦) الكليات ص(٨٤٤).

الثالث: أنها واسطة بين الحقيقة والمجاز.

لأنّ اللفظ لم يوضع لما استعمل فيه، فليس حقيقة، ولا علاقة معتبرة فليس مجازا[(١)]، فهي مجرد ذكر المصاحب بلفظ غيره لاصطحابهما[(٢)].

وعلى أية حال فإن المشاكلة سواء قيل: إنها مجاز واستعارة، أو قيل إنها حقيقة، أو قيل إنها واسطة بينهما، لا تعني إلا أن الكلمة التي ادعي أنها من باب المشاكلة لا يراد بها حقيقتها، وهذه هي الثمرة من ذكر اختلاف البلاغيين؛ لأن هذه الأقوال الثلاثة مؤداها إلى القول بأن هذه الكلمة التي ادعي أنها من باب المشاكلة يصح نفيها، فإذا قال القائل:

اطبخوا لي جبة وقميصا، فإن لقائل أن يقول: الجبة والقميص لا يطبخان[(٣)] فهذا مجمل ما ذكره البلاغيون في معنى المشاكلة وأنواعها، وأنها من قبيل المجاز أو لا.

وبعد هذا العرض لبيان عقيدة السلف في الصفات الاختيارية وأدلتهم على ذلك، وبيان عقيدة المخالفين في ذلك والشبه التي اعتمدوا عليها في نفي هذه الصفات وتأويلهم لها، سنبين – بحول الله وقوته– في الفصلين التاليين الصفات التي مرت دراستها في البابين وتأويلهم لها مع الرد عليهم.

---

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي (٣/ ١٢٧)، وحاشية الدسوقي (٤/ ١٢٩).

(٢) ينظر: مواهب الفتاح لأبي يعقوب المغربي (٢/ ٤٩١-٤٩٢).

(٣) ينظر: دراسة عقدية لبعض الصفات التي يدعى أنها من باب المشاكلة لـ د/ يوسف السعيد ص (٢٤).

الفصل الثاني

موقف المخالفين من بعض الصفات

التي سبقت دراستها في الباب الأول

والرد عليهم

المبحث الأول: قولهم في الإقالة. والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

فسَّر بعض شرَّاح الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أقاله الله). بقولهم:

إذا صَفح عنه، وتَرك عقوبته[١].

وقيل: أي يزيل ذنبه ويغفر له خطيئته[٢].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري(٩/ ٢٣٣). ، و جامع الأصول لابن الأثير (١/ ٤٤١).

(٢) ينظر: حاشية السندي على ابن ماجه(٣/ ٣٦-٣٧)، و عون المعبود لمحمد آبادي (٧/ ٤٥١).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

هذا التفسير الذي ذهبوا إليه يمكن الرد عليه من أوجه:

الأول: أن الإقالة في اللغة هي: رفع الساقط: أي رفعه من سقوطه[١]. فدل على أن تفسيرهم بعيد حتى من جهة اللغة.

الثاني: أن يقال: إن هذا التفسير للإقالة من الله تعالى هو تفسير لها بلازمها وليس بمعناها الحقيقي. فإن من أقاله الله يوم القيامة لزم من ذلك الصفح عنه ومغفرة ذنوبه، والتجاوز عن سيئاته.

الثالث: أن التفسير باللازم يكون صحيحا إذا أُثبت معه أصل المعنى، أما إذا أثبت اللازم ونفي المعنى الحقيقي فهذا يعتبر ممتنعا.

وهنا قاعدة ينبغي أن تقرر وهي أن ثبوت لازم الحقيقة مع انتفائها ممتنع، فالحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمها [٢].

وهذه القاعدة اسطحبها معك دائما، وخاصة في هذا البحث لأن كثيرا من الصفات التي مرت في الباب فُسرت باللازم.

---

(١) المصباح المنير للفيومي (٢/ ٧١٦).

(٢) ينظر: الدرء لابن تيمية (٣/ ٣٨٥)، ومختصر الصواعق لابن الموصلي (٣/ ٨٧٩).

المبحث الثاني: قولهم في التقرب و الدنو، والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

ملخص ما ذهب إليه أهل التعطيل في تأويل صفة القرب لله تعالى أنه قرب رحمته(١)، ولطفه وعفوه(٢) وفضله وإكرامه لأوليائه(٣)، و هدايته بشرح صدر من تقرب إليه(٤).

وزادوا في حديث الباب أنهم قالوا هو مجاز على سبيل المشاكلة اللفظية(٥).

قال ابن بطال(٦): «وصف سبحانه نفسه **بأنه يتقرب** إلى عبده ووصف العبد بالتقرب

---

(١) ينظر: مشكل الحديث لابن فورك ص(١٧٩)، وشرح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٢٩)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٨٤)، والشامل في أصول الدين للجويني (٥٥٩)، وأساس التقديس للرازي (١٣٤)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/ ٢٦٨)، وشرح مسلم للنووي (١٧/ ٣)، ورياض الصالحين له ص (١٦٧-١٦ ٨)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥١٣)، والديباج للسيوطي (٦/ ٤٣)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٥/ ١٤١)، وفيض القدير للمناوي (٤/ ٤٨٢)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (١٠/ ٥٢).

(٢) ينظر: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي (١٨٦).

(٣) ينظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص(١٧٩)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٥٢٦-٥٢٧).

(٤) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٥/ ١٤١).

(٥) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥١٤)، وعمدة القاري للعيني (٢٥/ ١٥٢)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٥/ ١٤١).

(٦) هو أبو الحسن، علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف بابن اللجام، وكان أشعريا من كبار المالكية. قال ابن بشكوال: « كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة، شرح(الصحيح) في عدة أسفار». توفي سنة(٤٤٩هـ). ينظر السير للذهبي (١٨/ ٤٧-٤٨).

إليه ووصفه بالإتيان والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وتداني الأجسام وذلك في حقه تعالى محال فلما استحالت الحقيقة تعين المجاز لشهرته في كلام العرب فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبرا وذراعا واتيانه ومشيه معناه التقرب إليه بطاعته وأداء مفترضاته ونوافله ويكون تقربه سبحانه من عبده واتيانه والمشي عبارة عن إثابته على طاعته وتقربه من رحمته ويكون قوله أتيته هرولة أي أتاه ثوابي مسرعا»(١).

قال الملا علي الماتريدي: «وسمى الثواب تقربا على سبيل المقابلة والمشاكلة »(٢).

وعللوا ذلك بقولهم: إن هذه الإطلاقات ليست إلا على سبيل التجوز إذ البراهين العقلية القاطعة قائمة على استحالتها على الله تعالى(٣).

وفسروه كذلك كما فسره السلف من أنه مثل لحسن قبول العمل والمضاعفة عليه.

قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «(إذا تقرب العبد إلي شبرا تقربت إليه ذراعا)، هذا مثل ومعناه حسن القبول ومضاعفة الثواب على قدر العمل الذي يتقرب به العبد إلى ربه، حتى يكون ذلك ممثلا بفعل من أقبل نحو صاحبه قدر شبر فاستقبله صاحبه ذراعا، وكمن مشى إليه فهرول إليه صاحبه قبولا له، وزيادة في إكرامه، وقد يكون معناه التوفيق

---

(١) شرح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٢٩). وينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥١٣).

(٢) مرقاة المفاتيح للقاري (٥/ ١٤١). وينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥١٤)، وعمدة القاري للعيني (٢٥/ ١٥٢)، وإرشاد الساري للقسطلاني(١٠/ ٤٦٤)، ودليل الفالحين للصديقي (٢/ ٣١٣).

(٣) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٧/ ٣)، ورياض الصالحين له ص (١٦٧-١٦٨)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥١٤)، وعمدة القاري للعيني (٢٥/ ١٥٢)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٥/ ١٤١)، ودليل الفالحين للصديقي (٢/ ٣١٣)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (١٠/ ٥٢).

له، والتيسير للعمل الذي يقربه منه والله أعلم»[(١)].

لكن منزعهم في تفسير الحديث غير منزع السلف -رحمهم الله- كما سبق وأن عرفت موقفهم عموما من الصفات الفعلية.

فهم وإن وافق قولُهم قولَ السلف في الظاهر إلا أن حقيقة ذلك تختلف عنهم كما هو شأنهم في غيرها من المسائل. وقد مر معك في مبحث تقرير معنى هذه الصفة بيان أن هذا الذي قاله السلف هو مقتضى ظاهر الحديث، وليس هو تأويلا، مع إثباتهم للاستواء والنزول والرحمة والمحبة وغيرها من الصفات، بخلاف أهل التعطيل فالباب عندهم واحد وهو استحالة قيام هذه الأفعال بالله تعالى. كما سبق بيانه.

وهذا الذي قرروه في صفة القرب قرروه كذلك في صفة الدنو لله تعالى.

فقالوا: «فإنما المراد من دنا مني بالطاعة، دنوت منه بالإثابة، وكنت بالإثابة أسرع منه بالطاعة»[(٢)].

وقالوا في قرب العبد ودنوه من ربه لا يكون إلا بالطاعة والعبودية[(٣)].

كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا...»[(٤)] الحديث

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٥٢٦-٥٢٧). وينظر: شرح مسلم للنووي (١٧/ ٣)، ورياض الصالحين له ص (١٦٧-١٦٨)، وإيضاح الدليل لابن جماعة ص (١٧٧)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٥/ ١٤١).

(٢) المعلم للمازري (٣/ ٣٢٤).

(٣) ينظر: الشامل في أصول الدين للجويني (٥٦٩-٥٧٠)، وأساس التقديس للرازي (١٠٦)، والمنتقى للباجي (٢/ ٤٣٢)، والمعلم للمازري (٣/ ٣٢٤)،

(٤) سبق تخريجه ص(١٢١).

قال ابن فورك: «أما قوله عليه الصلاة والسلام يدنى العبد من ربه يوم القيامة فمعناه أنه يقرب من رحمته وكراماته وعطفه ولطفه »[١]، وهو «مجاز عن القرب المعنوي لإظهار عظيم منزلته عند ربه تعالى»[٢].

(١) مشكل الحديث وبيانه (٧٥). وينظر: أساس التقديس للرازي (١٣٤)، وإيضاح الدليل لابن جماعة (١٧٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٨٤).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

الأول: اعلم أن كل قرب ذكر في النصوص الشرعية له معنى معين يحمل عليه، فليس كل قربٍ هو قرب بذاته في كل النصوص، أو بإجابته، أو إثابته. بل كل قرب يفسر بحسب السياق والقرائن المحتفّة به الدالة على مراد الله تعالى.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة وينظر في النص الوارد، فإن دلَّ على هذا حمل عليه، وإن دل على هذا حمل عليه»[(١)].

وعليه فتفسير قربه عموما بقرب رحمته تحكُّم ترده النصوص الأخرى الدالة على قربه بذاته كنزوله إلى سماء الدنيا كل ليلة، وقربه من أهل الموقف عشية عرفة، وغير ذلك.

الثاني: «يقال: قوله (من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً) إما أن يراد بكل واحد من القربين قرب رحمته ودنوها من العبد، أو يراد بأحدهما غير ذلك.

والأول ممتنع لأن أحد التقربين لو كان هو الآخر لكان جزاء العمل هو العمل، وهذا باطل فلابد أن يكون أحدهما غير المعنى الذي ذكره؛ ولأنه قال من تقرب إليَّ شبرا تقربت منه ذراعاً فجعل الثاني ضعف الأول فيمتنع أن يكون إياه »[(٢)].

الثالث: ما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قربه نجيا، فناداه وناجاه، وذلك المنادي له هو الله رب العالمين، وقد ناداه من موضع معين وقربه إليه؛ دلَّ ذلك على ما قاله السلف من قربه ودنوه من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أن هذا قرب مما دون السماء[(٣)]. وليست الرحمة

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤).

(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨/ ١٩٦).

(٣) ينظر: شرح حديث النزول لابن تيمية (٣١٤).

هي من نادته وناجته في ذلك الموطن.

أما قصرهم قرب العبد من ربه هو بالطاعة والعبودية واستدلالهم بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره»[(١)] وأن معناه أنه يقرب من رحمته وكراماته وعطفه ولطفه، فهو حصر له في نوع واحد فقط، من أنواع تقرب العبد إلى ربه عَزَّ وَجَلَّ وذلك: أن أهل السنة والجماعة الذين يثبتون أن الله على العرش، يقولون: إن حملة العرش أقرب إليه ممن دونهم، وأن ملائكة السماء العليا أقرب إلى الله من ملائكة السماء الثانية، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عرج به إلى السماء صار يزداد قربا إلى ربه بعروجه وصعوده، وكان عروجه إلى الله لا إلى مجرد خلق من خلقه، وأن روح المصلي تقرب إلى الله في السجود وإن كان بدنه متواضعا. فهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب[(٢)].

ويقال في حديث النجوى:

أولا: «أن ما يدني إليه العبد من الرحمة والإيمان وغير ذلك إما أن تكون أعيانا قائمة بأنفسها، أو صفات قائمة بغيرها، فإن كانت صفات فمعلوم أن القرب إلى الصفة لا يكون إلا بالقرب إلى الموصوف نفسه فلا يمكن أن يقرب العبد إلى ما يقوم بالله من رحمة وإيمان إلا إذا قرب من نفسه، فأما قربه من صفته القائمة به دون قربه من نفسه فظاهر البطلان والفساد»[(٣)].

الثاني: «من المعلوم أنه حين الحساب في عرصات القيامة لا يكون هناك أجسام مخلوقة يرحم بها العباد، فإن ذلك إنما يكون في الجنة، وإذا لم يكن في عرصة الحساب أجسام مخلوقة

---

(١) سبق تخريجه ص(١٢١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٧).

(٣) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨/ ١٩٧).

من الرحمة أعدها الله ﷻ لعباده- ولكن هو يحكم بالعفو والمغفرة ثم ينقلبون إلى دار الرحمة- امتنع أن يكون أحد حال المحاسبة مقرباً إلى أجسام هي رحمة قبل أن يؤذن لهم في دخول الجنة»[١].

الثالث: إذا كان العبد حين هذا الدنو من الله والمخاطبة والتقرير بذنوبه، يرى أنه: قد هلك قبل أن يذكر له الربّ أنه غفر له، امتنع أن يكون ما ذُكر من دنوه من الله، هو الدنو من رحمته وأمانه وتعطفه[٢].

الرابع: «أنه في العرصة يظهر له من الأهوال والشدة ما يكون أعظم عليه، وأشد لرعبه وألمه من كل ما كان قبل ذلك وبعده، فكيف يجوز تخصيص أشد الأحوال عليه بأنه تقرب فيه مما يرحم به مع أن ما قبلها وما بعدها كان ما يرحمه به إليه أقرب، وهو له أعظم مباشرة ونيلا؟ »[٣].

الخامس: «أن هذا الذي ذكره لا ريب أنه من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه حيث قال: قوله فيدنيه منه أي من رحمته وأمانه وتعطفه، ومن المعلوم بالاضطرار من لغة العرب أن هذا لا يجوز عندهم، إلا إذا كان قد اقترن بالكلام ما يبين المضاف والمحذوف، إذ لا يقولون جاء زيد. يعنون: ابنه أو غلامه أو رسوله إلا بقرينة.

ومن المعلوم أن الحديث نصٌ في أن الله تعالى هو الذي يدنيه من نفسه فضلاً عن أن يقال: إن هناك قرينة تبين أنه إنما أدناه من بعض الأمور المضافة إلى الله تعالى، ولهذا لا يسمع أحد هذا الكلام فيفهم أن الله تعالى يدنيه من شيء آخر، ولا يخطر هذا ببال المستمع، فكيف

---

(١) نفس المصدر (٨/ ٢٠٠-٢٠١).

(٢) ينظر: نفس المصدر (٨/ ٢٠٠).

(٣) نفس المصدر (٨/ ٢٠٢).

يجوز أن يكون النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أراد هذا»(١).

السادس: «أن قوله (فيدنيه منه، فيضع عليه كنفه، ثم يقرره بذنوبه) جمعٌ بين الإدناء، ووضع الكنف عليه قرينة في: أنه هو الذي يدنيه إليه، ويضع كنفه عليه ويستره من الناس، كما جاء ذلك في ألفاظ الحديث»(٢).

السابع: «أنه من المعلوم أن هذا الحديث هو من جنس ما دلَّ عليه القرآن من وقوف العباد على ربهم، وخطابه لهم، ومن المعلوم بالاضطرار من رسالات الرسل ودين الإسلام: أن هذا إنما يكون يوم القيامة، وأن أحوال العباد مع الله ﷻ يوم القيامة بخلاف أحوالهم في الدنيا»(٣).

الثامن: «أن المؤمن مازال في رحمة الله في الدنيا والآخرة، فكيف يجوز تخصيص حال السؤال بقربه من رحمته دون ما قبل ذلك وما بعده؟.

التاسع: أن يقال: هو مازال مباشراً لما يرحمه الله به قبل وبعد، فأي فائدة في أن يوصف بالقرب من شيء مازال مباشراً له لا ينفصل عنه»(٤).

أما دعواهم أن التقرب هنا والدنو هو من قبيل المشاكلة اللفظية لا غير، فهو مردود

بورود هذه الصفة مطلقة من غير مقابلة كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا ﴾[البقرة: ١٨٦]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ

(١) نفس المصدر (٨/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٢) نفس المصدر (٨/ ٢٠٣).

(٣) نفس المصدر (٨/ ٢٠٣).

(٤) نفسه المصدر (٨/ ٢٠٢).

مُّجِيبٌ﴾[هود: ٦١].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر، أو قال: لما توجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ارْبَعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا **قريبا** وهو معكم»(١).

وعن عائشة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه **ليدنو** ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء»(٢).

فهذه بعض الأوجه في الرد عليهم في تأويلهم لصفة القرب والدنو لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«والذي يسهل عليك فهم هذا، معرفة عظمة الرب، وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرى ثم يهزهن. فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه ويقرب من خلقه كيف يشاء وهو على العرش»(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٢٠٥). كتاب المغازي. باب: غزوة خيبر. ومسلم برقم (٢٧٠٤). كتاب الذكر والدعاء. باب: استحباب خفض الصوت بالذكر.

(٢) سبق تخريجه ص(١٠٣).

(٣) مختصر الصواعق لابن الموصلي (٣/ ١٢٥٧).

المبحث الثالث: قولهم في صفة الإتيان، والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

إن صفة الإتيان في مبحثنا هذا دليلها هو جزء من الحديث السابق دراسته في صفة التقرب، وعليه فكلامهم واحد على تفسير الحديث.

وقال النووي: « فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة: أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه»(١).

فهذا الكلام وإن وافق تفسير السلف في الظّاهر كما سبق بيانه إلا أنهم يخالفون السلف في منزع هذا القول، ولذلك يقول **البيهقي**: «وأما الإتيان والمجيء فعلى قول أبي الحسن الأشعري ﷺ يحدث الله تعالى يوم القيامة فعلا يسميه إتيانا ومجيئا، لا بأن يتحرك أو ينتقل، فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام، والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء»(٢).

وقال ابن فورك: «واعلم أنه لا فرق بين الإتيان والمجيء والنزول إذا أضيف جميع ذلك إلى الأجسام التي تتحرك وتنتقل وتحازي مكانا. فإن جميع ذلك يعقل من ظاهرها.

والمعنى الذي هو الحركة والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل مكان.

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٧/ ٣)، ورياض الصالحين ص (١٦٧-١٦٨). وينظر: شرح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٢٩)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٨٥)، والديباج للسيوطي (٦/ ٤٣-٤٤)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١٠/ ٣٨٢)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٥/ ١٤١)، وفيض القدير للمناوي (٤/ ٤٨٢)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (١٠/ ٥٢).

(٢) الأسماء والصفات (٢/ ٣٧١).

وإذا أضيف إلىٰ ما لا يليق به الانتقال من مكان إلىٰ مكان لاستحالة وصفه كان معنىٰ ما يضاف إليه من الإتيان والمجيء علىٰ حسب ما يليق بنعمته وصفته إذا ورد به الكتاب»[(١)].

وقال القاضي عياض[(٢)]: «ومعناه في حق الله تعالىٰ الذي لا تجوز عليه الحركة والانتقال، سرعة إجابته لعبده وقرب تقريبه من هدايته ورحمته»[(٣)].

وقال الرازي: في استدلاله لنفي صفة الإتيان وما يلحق بها كالمجيء قال: «فالذي يدل علىٰ امتناع المجيء والذهاب علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجوه:

الأول: ما ثبت في علم الأصول أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب فإنه لا ينفك عن الحدث، وما لا ينفك عن الحدث فهو محدث، فلزم أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب وجب أن يكون محدثا مخلوقا، والإله القديم يستحيل أن يكون كذلك»[(٤)].

فهذا هو تعليلهم لنفي صفة الإتيان علىٰ الله تعالىٰ وذلك أنه لا يتصور إتيان إلا بنقلة

---

(١) مشكل الحديث وبيانه (٢٠١).

(٢) هو أبو الفضل عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرو بن موسىٰ بن عياض اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي المالكي. ولد سنة (٤٧٦هـ). ومن تصانيفه: (الشفا في شرف المصطفىٰ)، و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك)، و(جامع التاريخ)، و(مشارق الانوار في اقتفاء صحيح الآثار)، و(الإكمال في شرح صحيح مسلم). قال الذهبي: « تواليفه نفيسة، وأجلها وأشرفها كتاب (الشفا) لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة، عمل إمام لا نقد له في فن الحديث ولا ذوق، والله يثيبه علىٰ حسن قصده، وينفع بـ (شفائه)، وقد فعل، وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان». توفي سنة(٥٤٤هـ) بمراكش. ينظر السير للذهبي (٢٠/ ٢١٢، ٢١٩)

(٣) مشارق الأنوار (٢/ ٢٦٨).

(٤) أساس التقديس (١٣٦).

والله تعالى منزه عن ذلك فوجب نفيه عنه. وهذا هو منزعهم في هذه الصفة كما سبق وأن أشرت إليه.

وفسروا كذلك لفظ الهرولة بأنه مجاز[١] على سبيل المشاكلة أو على طريق الاستعارة، أو على قصد إرادة لوازمها[٢].

وقالوا: «والهرولة كناية عن سرعة الرحمة إليه ورضا الله عن العبد وتضعيف الأجر»[٣].

ويمكن تلخيص ما ذهبوا إليه من تأويل صفة الإتيان لله تعالى في ما يلي:

الأول: تفسيرهم الفعل بالمفعول كما هو ظاهرٌ من نقلهم كلام الأشعري في قوله: «يحدث الله تعالى يوم القيامة فعلا يسميه إتيانا ومجيئا».

الثاني: أنه كناية عن إتيان رحمته.

الثالث: أنه من قبيل المشاكلة.

الرابع: أنه من إرادة اللازم.

---

(١) ينظر: المعلم للمازري(٣/ ٣٢٤).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥١٤)، وعمدة القاري للعيني (٢٥/ ١٥٢)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١٠/ ٣٨٢)، و(١٠/ ٤٦٤)، ودليل الفالحين للصديقي (٢/ ٣١٣).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥١٣).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

إن ما استندوا إليه في نفي صفة الإتيان عن الله تعالى وهو الحركة والانتقال وأنهما محال على الله تعالى، لأنهما من صفات المخلوقين هو فرع عن مسألة امتناع قيام الحوادث بالله تعالى، وأن المحدَث لا يقوم إلا بمحدَث والله تعالى لا تقوم به الحوادث فوجب نفي ذلك عنه، وهذا الأصل سبق الرد عليه في مبحث الرد على الأصل الأول في دعواهم امتناع قيام الحوادث الله تعالى فليراجع هناك.

وأما تفسيرهم للإتيان بأن الله تعالى يحدث يوم القيامة فعلا يسميه إتيانا ومجيئا، فهو تفسير للفعل اللازم بالمفعول المخلوق، وهذا الأصل سبق الرد عليه في مبحث دعوى أن الفعل هو المفعول، إذ يلزم عليه إثبات مفعول بلا فعل قائم بالله تعالى، وحقيقة الأمر هو نفي فعل الإتيان عن الله تعالى ولذلك فسره بعضهم بإتيان رحمته أو أمره [١].

وأما قولهم: المراد بالإتيان هو كناية عن إتيان رحمته. فيقال:

أولا: إن إرادة الكناية أو الاستعارة من الكلام لا ينافي إرادة الحقيقة بلفظها فلا يتمنع في قولك فلان طويل النجاد أن تريد طول نجاده من غير ارتكاب تأويل مع إرادة طول قامته[٢]. وعليه فدعواهم الكناية عن إتيان رحمته لا ينافي إرادة إتيانه حقيقة وهو المقصود.

ثانيا: أن يقال: إن جاز لكم ادّعاء الكناية في هذا الحديث، فهناك نصوص أخرى لا مجال للكناية فيها، كقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[البقرة: ٢١٠]. وقوله سبحانه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾[الأنعام: ١٥٨]. «ففرق بين إتيان الملائكة، وإتيان

(١) ينظر: أساس التقديس للرازي (١٣٨)

(٢) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي (٤٠٣).

الرب وإتيان بعض آياته، فقسَّم ونوَّع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدا»[١].

وأما دعواهم أن الهرولة هنا من قبيل المشاكلة فهذا مدفوع بأنه لا توجد مشاكلة في الكلام أصلا، فالهرولة إنما ذكرت في الحديث في إتيان الله تعالى فقط. أما في إتيان المخلوق فقال: (من أتاني يمشي) والفرق بين مطلق المشي والهرولة ظاهر وحينئذ فلا مشاكلة[٢].

وأما قولهم في الهرولة أنها من إرادة اللازم، فنقول: قد سبق وأن بينا أن إثبات اللازم لابد أن يكون معه إرادة المعنى الحقيقي وإلا كان ممتنعا، لأن الحقيقة لا تنفك عن لوازمها[٣].

وقالوا في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾[البقرة: ٢١٠]. أنه على تقدير حذف المضاف والمعنى إلا أن يأتيهم أمر الله[٤].

فالجواب عليه من أوجه[٥]:

الأول: أنه إضمار ما لا يدل اللفظ عليه بمطابقة ولا تضمن ولا لزوم، وادعاء حذف ما لا دليل عليه يرفع الوثوق من الخطاب، ويُطرِّق كل مبطل على ادعاء إضمار ما يصحح

(١) مختصر الصواعق لابن الموصلي (٣/ ٨٥٧). وينظر (١/ ١٤١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن عثيمين (١/ ١٨٦).

(٣) ينظر: مختصر الصواعق لابن الموصلي (٣/ ٨٧٩).

(٤) ينظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (٢٠٧)، والشامل في أصول الدين للجويني (٥٤٨-٥٤٩)، وأساس التقديس للرازي (١٣٨). وقد ذكر تأويلات أخرى للآية فلتنظر في أساس التقديس (١٣٧، ١٤٣).

(٥) ينظر: مجمل هذه الأوجه مختصر الصواعق لابن الموصلي (٣/ ٨٥٦) وما بعدها.

باطله.

الثاني: أن الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضمارٍ، فإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز.

الثالث: أنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين المحذوف كان تعيينه قولا على المتكلم بلا علم، وإخبارا عنه بإرادة ما لم يقم دليل على إرادته، وذلك كذب عليه.

الرابع: أن اطراد نسبة المجيء والإتيان إليه سبحانه دليل الحقيقة، وقد صرحتم بأن من علامات الحقيقة الاطراد.

الخامس: أن هذا الذي ادعوا حذفه وإضماره يلزمهم فيه كما لزمهم فيما أنكروه، فإنهم إذا قدروا (ويأتي أمره)، فأمره هو كلامه وهو حقيقة، فكيف تجيء الصفة وتأتي دون موصوفها.

وادعوا[1] أن معنى الآية السابقة هو كمعنى قوله تعالى: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾[النحل: ٢٦]. وقوله: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾[الحشر: ٢].

فيقال لهم: قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سماواته، وأنه لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لعقوبة أحد من خلقه، ولم يشكُّوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ويحاسبهم ويثيبهم، وتشقق السموات يومئذ لنزوله، وتنزل الملائكة تنزيلا، ويحمل عرش ربك فوقهم ثمانية، كما قال الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا، علموا يقينا أن

---

(١) ينظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (٢٠٧)، والشامل في أصول الدين للجويني (٥٤٨-٥٤٩)، وأساس التقديس للرازي (١٤٠).

ما يأتي الناس من العقوبات إنما هو أمره وعذابه، فقوله: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ يعني مكره من قبل قواعد بنيانهم ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾[النحل: ٢٦]. فتفسير هذا الإتيان خرور السقف من فوقهم.

وقوله: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾ مكر بهم فقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.

فتفسير الإتيان مقرون بهما خرور السقف والرعب، وتفسير إتيان الله يوم القيامة منصوص في الكتاب مفسر. قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ إلى قوله ﴿ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴾[الحاقة: ١٣، ٢٩].

فقد فسر الله تعالى المعنيين تفسيرا لا لبس فيه ولا يشتبه على ذي عقل، فقال فيما يصيب به من العقوبات في الدنيا ﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾[يونس: ٢٤]. فحين قال ﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا ﴾ علم أهل العلم أن أمره ينزل من عنده من السماء وهو على عرشه، ولما قال: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ الآيات التي ذكرنا، وقال أيضا: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[الفرقان: ٢٥]. و ﴿ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾، و ﴿ دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[الفجر: ٢١-٢٢]. علم بما قص الله من الدليل وبما حد لنزول الملائكة يومئذ أن هذا إتيان الله بنفسه يوم القيامة؛ ليلي محاسبة خلقه بنفسه، لا يلي ذلك أحد غيره، وأن معناه مخالف لمعنى إتيان القواعد لاختلاف القضيتين(١).

---

(١) ينظر: رد الإمام الدارمي على بشر المريسي (٥٠-٥١).

وكذلك إتيانه المضاف إليه كما في آية البقرة فهو إتيان مطلق، فهو لا يكون إلا إتيانه سبحانه، هذا إذا كان مطلقا فكيف إذا قيد بما يجعله صريحا في إتيانه نفسه، كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام: ١٥٨]. فعطف إتيانه علىٰ إتيان ملائكته، ثم عطف إتيان آياته علىٰ إتيانه.

أما قوله تعالىٰ: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾[الحشر: ٢]. فهذا إتيان مقيد لقوم مخصوصين قد أوقع بهم بأسه، وعلم السامعون أن جنوده من الملائكة والمسلمين أتوهم، فكان في السياق ما يدل علىٰ المراد[1].

(١) ينظر: مختصر الصواعق لابن الموصلي (٣/ ١١١٩-١١٢٠).

المبحث الرابع: قولهم في الإيواء. والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

يمكننا تلخيص ما قاله شراح الحديث في إيواء الله لعبده في النقاط التالية:

الأولى: أن يكون هذا الإيواء في الدنيا، وذلك بأن يؤويه إلى مجلس رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويجعل له مكانا فيه، ويقربه من نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول القاضي عياض: «ومعنى (آواه الله) في الحديث ظاهره أنه لما انضم إلى المجلس وقصده جعل الله له فيه مكانا وفسحة، وقيل قربه إلى موضع نبيه »(١).

الثانية: يكون هذا الإيواء في الآخرة بأن يضمه إلى رحمته، وينزله في جنته(٢)، أو يؤويه في ظل عرشه(٣).

الثالثة: إن إيواء الله لعبده هنا مجاز على سبيل المشاكلة، حيث سمى مجازاته باسم فعله بطريق المجاز. وعللوا ذلك بقولهم: لأن الإيواء هو الإنزال عندك، وهو لا يتصور في حق الله تعالى، فهو محال(٤).

---

(١) مشارق الأنوار (١/ ٥٢). وينظر: عمدة القاري للعيني (٢/ ٤٨-٤٩)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥).

(٢) ينظر: إكمال المعلم للقاضي (٧/ ٣٢)، والمفهم للقرطبي (٥/ ٥٠٧)، وشرح مسلم للنووي (١٤/ ١٥٩)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٥٧)، وعمدة القاري(٢/ ٥٠)، وتنوير الحوالك للسيوطي (١/ ٢٣٩). وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٤٧١).

(٣) ينظر: مشارق الأنوار (١/ ٥٢)، عمدة القاري للعيني (٢/ ٤٨-٤٩)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥).

(٤) ينظر: عمدة القاري(٢/ ٥٠)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥).

الرابعة: أنه مجازٌ عن لازمه وهو إرادة إيصال الخير ونحوه، فيكون من ذكر الملزوم وإرادة اللازم[(١)].

---

(١) ينظر: عمدة القاري(٢/ ٥٠)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

أما النقطة الأولى: وهي إيواؤه إلىٰ مجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فيقال: العبد قد آوىٰ إلىٰ مجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتخذ مكانا فيه، والله وعده بمقابلة هذا منه بجزاء يثيبه به عليه. فكيف يكون الجزاء هو ذات العمل الذي يجازىٰ عليه؟ [1].

وأما النقطة الثانية: وهي دعواهم أنه يضمه إلىٰ رحمته، وينزله في جنته، فهذه كلها ثمرات عن الإيواء وليست حقيقة له، فمن آواه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقد رحمه ومن رحمته له أن يدخله الجنة. أما قوله يؤويه في ظل عرشه، فهذه دعوىٰ عارية عن الدليل، إذ قد ثبتت أنواعٌ ممن يظلهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ظل عرشه يوم القيامة وهم سبعة[2]، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفىٰ حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[3] ولم يذكر معهم من آوىٰ إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ.

وأما النقطة الثالثة: وهي دعواهم أن الإيواء المضاف إلىٰ الله هو مجاز علىٰ سبيل المشاكلة فمردود بورود هذه الصفة مطلقة غير مقيدة كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾[الضحىٰ: ٦]. وقد جاء في تفسير هذه الآية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:

---

(١) بحثت عن جواب لهذا ولم أجد فسألت شيخنا. أ. د محمد أبوسيف فأجابني بهذا.

(٢) هؤلاء ذكروا في حديث واحد، وورد آخرون في أحاديث متفرقة أغلبها فيه ضعف إلا أنه ليس من بينها من آوىٰ إلىٰ الله.

(٣) رواه البخاري. برقم (٦٦٠) كتاب الصلاة. باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ومسلم برقم (١٠٣١). كتاب الزكاة. باب: فضل إخفاء الصدقة. بلفظ « حتىٰ لا تعلم يمينه ما تنفق شماله» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته، فقلت: قد كانت قبلي الأنبياء، منهم من سخرت له الريح، ومنهم من كان يحيي الموتى، فقال تعالى: يا محمد ألم أجدك يتيماً **فآويتك**؟...»[١]. الحديث.

وأما النقطة الرابعة: وهي دعواهم أنه مجازٌ عن لازمه وهو إرادة إيصال الخير ونحوه، فهذا حجة عليهم، وذلك أنه من أثبت اللازم لزمه إثبات حقيقة الصفة، وإلا وقع في التناقض، لأن الحقيقة لا تكون منفكة عن لوازمها أبدا، فمن آواه الله جلّ وعلا حصل له من الخير والنعيم والرحمة والكرامة بقدر إيوائه إلى الله تعالى، فالخير والرحمة والنعيم ثمرة وأثر الإيواء وليس هو الإيواء.

---

(١) سبق تخريجه ص(١١٦).

المبحث الخامس: موقفهم من صفة اللقاء. والرد عليهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

يقول الرازي: «واللقاء من صفات الأجسام، يقال: التقى الجيشان إذا قرب أحدهما من الآخر في المكان.

واعلم أنه لما ثبت بالدليل أنه تعالى ليس بجسم وجب حمل هذا اللفظ على أحد معنيين:

أحدهما: أن من لقي إنسانا فقد أدركه وأبصره، فكان المراد من اللقاء هو الرؤية، إطلاقا لاسم السبب على المسبب.

الثاني: أن الرجل إذا حضر عند ملك ولقيه دخل هناك تحت حكمه وقهره دخولا لا حيلة له في دفعه، فكان ذلك اللقاء سببا لظهور قدرة الملك عليه على هذا الوجه.

فلما ظهرت قدرته وقوته وقهره وشدة بأسه في ذلك اليوم عبر عن تلك الحالة باللقاء»(١).

وقالوا: المراد بلقاء الله تعالى لقاء جزائه(٢).

ولنا أن نلخص كلامهم هذا في نقاط:

الأولى: أن اللقاء من صفات الأجسام والله تعالى ليس بجسم.

---

(١) أساس التقديس (١٢٧-١٢٨). وينظر: متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص(٣٤٢)، وإيضاح الدليل لابن جماعة (١٤١).

(٢) ينظر: متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص(٣٤١-٣٤٢)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٦٠)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٤٦١).

الثانية: أن المراد باللقاء هو الرؤية.

الثالثة: أن المراد باللقاء هو الدخول تحت قهر الله تعالى لظهور قدرته وقوته وقهره وشدة بأسه في ذلك اليوم.

الرابعة: المراد باللقاء هو لقاء جزائه، لا لقاء الله تعالى.

وعليه فسيكون الرد على هذه النقاط الأربع.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

أما **النقطة الأولى**: وهي قولهم: إن اللقاء من صفات الأجسام والله تعالى ليس بجسم. فالجواب عليه من أوجه:

الأول: أن لفظ الجسم لفظ مجمل، ولا يؤثر عن أحد من السلف والأئمة، ولا لذلك أصل في الكتاب، وأن الواجب أحد أمرين: إما ترك إطلاق هذا الاسم نفياً وإثباتاً، وإما التفصيل[(١)].

الثاني: الاستفصال، وهو أن يقال: لفظ الجسم «قد يراد به المركب الذي كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت، أو ما يقبل التفريق والانفصال، أو المركب من مادة و صورة، أو المركب من الأجزاء المفردة التي تسمى الجواهر الفردة، والله تعالى منزه عن ذلك كله، أو كان متفرقا فاجتمع، أو أن يقبل التفريق والتجزئة التي هي مفارقة بعض الشيء بعضا وانفصاله عنه، أو غير ذلك من التركيب الممتنع عليه.

وقد يراد بالجسم ما يشار إليه، أو ما يُرى، أو ما تقوم به الصفات، والله تعالى يُرى في الآخرة، وتقوم به الصفات، ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم، فإن أراد بقوله: ليس بجسم هذا المعنى، قيل له: هذا المعنى الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ معنىً ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأنت لم تقم دليلا على نفيه، وأما اللفظ فبدعة نفيا وإثباتا»[(٢)].

---

(١) ينظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨/ ١٨).

(٢) نفس المصدر (٢/ ٥٥٠). تحقيق محمد بن قاسم. وينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٣/ ٩٣٩، ٩٤٣).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن كان تجسيما ثبوت استوائه	على عرشه إني إذا لمجسم
وإن كان تشبيها ثبوت صفاته	فمن ذلك التشبيه لا أتكتم
وإن كان تنزيها جحود استوائه	وأوصافه أو كونه يتكلم
فعن ذلك التنزيه نزهت ربنا	بتوفيقه والله أعلى وأعلم[(١)]

الثالث: قوله «هذا من صفات الأجسام وارد في كل اسم وصفة لله تعالى، مثل كونه موجوداً، وقائماً بنفسه، وموصوفاً، ومبايناً لغيره، ومثل كونه حيًّا، عالماً، قديراً، سميعاً، وبصيراً، ورؤوفاً، ورحيماً، فإن هذا جميعه لا يعترف الناس أنه يسمى ويوصف به إلا الجسم، فإن كان مثل هذا موجباً لصرف الأسماء والصفات عن ظاهرها، وجب أن يُصرف الجميع»[(٢)].

الرابع: «من المعلوم أنه إذا صرف شيء منها فلابد أن يصرف إلى معنى آخر يعبر عنه بلفظ آخر، وذلك اللفظ الثاني يَرِدُ عليه مثل ما ورد على الأول، فإنه لا يعرف إطلاقه إلا على الجسم، وإذا كان كذلك علم أن جميع هذه التأويلات باطلة لأنه يلزم من رفعها إثباتها، وما استلزم عدمه وجوده كان عدمه ممتنعاً»[(٣)].

يقول **ابن الموصلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن المتأول إما أن يذكر معنى ثبوتيا أو يتأوّل اللفظ بما هو عدم محض، فإن تأوله بمعنى ثبوتي كائنا ما كان لزمه فيه نظير ما فرَّ منه»[(٤)].

---

(١) الصواعق المرسلة لابن الموصلي (٣/ ٩٤٠).

(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨/ ١٥). وينظر: التدمرية له (٣٥).

(٣) نفس المصدر (٨/ ١٥-١٦).

(٤) مختصر الصواعق (١/ ٥٢).

الخامس: أن يقال: إن الآيات المذكورة في اللقاء من قرأها علم بالاضطرار أن مضمونها إخبار الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن العبد يلقى الله اللقاء الذي هو اللقاء.

كما أن سائر النصوص تخبر بما هو من جنس ذلك وإذا كان هذا معلوماً بالاضطرار من إخبار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقال: إن كان ذلك مستلزماً لأن الملقي جسم كان ذلك حجة قاطعة في إثبات جسم، وليس في نفي ذلك حجة تعارض هذا لا سمعية ولا عقلية، أما الحجج الشرعية فظاهرة لم يَدَّع أحد من العقلاء أن الكتاب والسنة دلالتهما على نفي الجسم أظهر من دلالتهما على ثبوته، بل عامة الفضلاء المنصفين يعلمون أنه ليس في الكتاب والسنة ما يدل على أن الله تعالى ليس بجسم، وجميع الطوائف من نفاة الجسم ومثبتته متفقون على أن ظواهر الكتاب والسنة تدل على إثبات الجسم وإنما ينازعون في كون الدلالة محتملة التأويل أم لا، فعلم اتفاق الطوائف على أن الأدلة الشرعية الثبوتية لا تدل على قول نفاة الجسم؛ بل إنما تدل على قول المثبتين[(١)].

وأما النقطة الثانية: وهي دعواهم أن المراد باللقاء الرؤية فالجواب عليه من وجوه:

الأول: لا ريب أن من السلف والأئمة من جعل اللقاء يتضمن الرؤية واستدلوا بآيات لقاء الله عَزَّوَجَلَّ على رؤيته قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٤].

قال **البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي يرون الله»[(٢)].

(١) ينظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨/ ٣٠-٣١).

(٢) معالم التنزيل (٣/ ٥٧١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير؛ وقالوا: إن لقاء الله يتضمن رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ »(١).

ومنهم من جعل اللقاء غير الرؤية بل هي أمر زائد عنه، لأنه قد يحصل لقاء و لا تكون هناك رؤية.

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واللقاء غير الرؤية والنظر»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ ، قال: « هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ »، قالوا: لا، قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ »، قالوا: لا، قال: «فو الذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: **فيلقى العبد** فيقول: أي فلُ ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟، فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك **ملاقي**؟ ، فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني **ثم يلقى** الثاني...»(٣) الحديث.

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا الخبر دال: أن قوله: (فيلقى العبد) وهو لقاء غير الرؤية»(٤).

الثاني: أن القرآن والأحاديث تصرح بأن الكفار يلاقون الله ﷻ وبأن من أنكر ذلك فهو كافر كقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾[الأنعام: ٣١]. وقوله ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ

(١) مجموع الفتاوى(٦/ ٤٦٢).

(٢) كتاب التوحيد(٢/ ٤٣٣).

(٣) سبق تخريجه ص(١٢٠). .

(٤) كتاب التوحيد(٢/ ٤٣٣).

يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[يونس: ٤٥]. وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾[الكهف: ١٠٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[العنكبوت: ٢٣]. إلى غير ذلك من الآيات، وإذا كان كذلك فمذهب الرازي ومذهب أصحابه وغيرهم أن الكفار لا يرون الله ﷻ. فكيف يفسر لقاؤهم لله ﷻ بأنهم يرونه؟ [(١)].

الثالث: أن القرآن قد كفَّر من أنكر لقاء الله ﷻ، فإذا فُسِّر اللقاء بمجرد الرؤية، وجب أن يجعل القرآن مخبراً بكفر من أنكر الرؤية في هذه الآيات، وهم لا يقولون بذلك[(٢)].

وأما النقطة الثالثة: وهي دعواهم أن المراد باللقاء الدخول تحت قهر الله تعالى لظهور قدرته وقوته وشدة بأسه في ذلك اليوم. فالجواب عليه من أوجه[(٣)]:

الأول: يقال له: تفسير اللقاء بظهور قدرة الملاقي على الملاقى هو تفسير للفظ بما لا أصل له في لغة العرب أصلاً؛ بل يُعلم بالاضطرار من لغتهم أن هذا ليس معنى اللقاء في لغتهم وإن كان هذا قد يقع في بعض صور اللقاء كما قد يقع الإكرام تارة والعقوبة أخرى لكن ليس لفظ اللقاء دالاً على مجرد هذه المعاني التي يقترن وجودها بوجود المعنى المعروف من لفظ اللقاء وقد لا يقترن.

الثاني: قوله تعالى مخبرا عن حال المؤمنين في الجنة عند لقائهم ربهم: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾[الأحزاب: ٤٤].

فهنا لقاء المؤمنين ربهم اقترن به الإكرام والتحية بالسلام، فامتنع أن يكون معنى اللفظ

(١) ينظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨/ ٥٣-٥٤).

(٢) نفس المصدر (٨/ ٥٤).

(٣) ينظر: مجمل هذه الردود في بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨/ ٥٥، ٦١).

ظهور القدرة، والقهر، والبأس، لأن المؤمنين لم يظهر في لقائهم إياه إلا الرحمة والخير، دون البأس والشدة.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف:١١٠]. فلو كان المراد باللقاء ظهور القهر والبأس، لم يكن ذلك مما يُرجى، بل مما يخاف، فكان ينبغي أن يقال فمن كان يخاف لقاء ربه.

الرابع: قوله: (إن الرجل إذا حضر عند ملك ولقيه دخل هناك تحت قهره وحكمه دخولاً لا حيلة له في دفعه فكان اللقاء سبباً لظهور قدرة الملك عليه على هذا الوجه) يقال له: من المعلوم أن من عادة الملوك إذا أرادوا تعذيب إنسان، وشدة عقوبته فإنهم يبعدونه عن حضوره عندهم أكثر مما يحضرون من يكون كذلك، وأن الذين يريدون الإحسان إليهم يقربونهم إلى حضرتهم أكثر مما يبعدونهم، هذا أمر معلوم باستقراء العادات، وأن اقتران الكرامة بالتقريب إلى الحضرة أكثر من اقتراب الناس، فكيف يجعل لفظ اللقاء دالاً على قهر الملوك، دون إحسانهم الذي يقترن بلقائهم.

الخامس: أن الملوك إذا أظهروا قدرتهم، وقهرهم، وبأسهم لمن لم يكن بحضرتهم لم يسم ذلك لقاءً لا حقيقة، ولا مجازاً، ولا يقول الملك لمن أمر بعقابه وهو غائب عنه: قد لقيني فلان، ولا لقيته، فعلم أن الذي ذكره افتراء على اللغة، كما هو افتراء على الرحمن، والقرآن.

السادس: أن المشركين ما كانوا يكذبون بأن الله يقدر عليهم قدرة، ولا يمكنهم دفع ذلك عن أنفسهم، والله ﷻ قد أخبر أنهم يكذّبون بلقاء الله ﷻ وجعل ذلك بعد الموت، فلو كان المراد به ظهور مقدوره وبأسه لم يكونوا مكذبين بلقاء الله ﷻ.

وأما النقطة الرابعة: الذين يجعلون المراد باللقاء لقاء الجزاء دون لقاء الله، فكلامهم فاسد من وجوه[(١)]:

الأول: أن حذف المضاف إليه يقارنه قرائن، ولا بد أن يكون مع الكلام قرينة تبيِّن ذلك، ولقاء الله قد ذكر في كتاب الله وسنة رسوله في مواضع كثيرة مطلقا غير مقترن بما يدل علىٰ أنه أريد بلقاء الله لقاء بعض مخلوقاته من جزاء أو غيره.

يقول ابن الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد صرح أئمة العربية بأن الشيء إنما يجوز حذفه إذا كان الموضع الذي ادعي فيه حذفه قد استعمل فيه ثبوته أكثر من حذفه، فلا بد أن يكون موضع ادعاء الحذف قد استعمل فيه ثبوته أكثر من حذفه، حتىٰ إذا جاء ذلك محذوفا في موضع علم بكثرة ذكره في نظائره أنه قد أزيل من هذا الموضع فحمل عليه، فهذا شأن من يقصد البيان، وأما من يقصد التلبيس والتعمية فله شأن آخر»[(٢)].

الثاني: أن قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيِّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق **ولقاؤك حق** والجنة حق والنار حق،...»[(٣)] الحديث. ففي الحديث فرَّق بين لقائه وبين الجنة والنار. والجنة والنار تتضمن جزاء المطيعين و العصاة فعلم أن لقاءه ليس هو لقاء جزائه.

---

(١) ينظر: مجمل هذه الأوجه في مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٦/ ٤٧١، ٤٧٥).

(٢) مختصر الصواعق (١/ ١٣١-١٣٢).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٣١٧). كتاب الدعوات. باب: الدعاء إذا انتبه من الليل، ومسلم برقم (٧٦٩). كتاب الصلاة. باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

الثالث: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر في غير حديث ما يبين لقاء العبد ربَّه كما قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان»[١] إلى أمثال ذلك من الأحاديث.

الرابع: أنه لو أريد بلقاء الله بعض المخلوقات - إما جزاء وإما غير جزاء - لكان ذلك واقعا في الدنيا والآخرة، فكان العبد لا يزال ملاقيا لربه، ولما عَلِم المسلمون بالاضطرار من دين الإسلام أن لقاء الله لا يكون إلا بعد الموت: عُلِم بطلان أن اللقاء لقاء بعض المخلوقات.

الخامس: أن قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»[٢] أخبر فيه أن الله يحب لقاء عبد ويكره لقاء عبد وهذا يمتنع حمله على الجزاء؛ لأن الله لا يكره جزاء أحد ولأن الجزاء لا يلقاه الله؛ ولأنه إن جاز أن يلقى بعض المخلوق كالجزاء أو غيره جاز أن يلقى العبد فالمحذور الذي يذكر في لقاء العبد موجود في لقائه سائر المخلوقات.

(١) سبق تخريجه ص(١٢١).

(٢) سبق تخريجه ص(٢٣٦).

المبحث السادس: موقفهم من صفة الوصل. في قوله تعالى للرحم «ألا ترضين أن أصل من وصلك». والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم:

مجمل ما قاله شراح الحديث يدور حول ثلاث نقاط:

الأولى: هو تفسير الوصل بلازمه. فقالوا: «صلة الله سبحانه وتعالى عبارة عن لطفه بهم، ورحمته إياهم، وعطفه بإحسانه ونعمه، وزيادة بره، ورفع درجتهم في منازل الأبرار ومواطن الأخيار. أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى، وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته»(١).

الثانية: تفسيره بإرادة تلك اللوازم(٢).

الثالثة: أنه كناية عن الإحسان. **فقالوا**: « الوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه، وإنما خاطب الناس بما يفهمون، ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال وهو القرب منه وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه، وكانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى، عرف أن ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده»(٣).

---

(١) إكمال المعلم للقاضي (٨/ ١٩). وينظر: شرح البخاري لابن بطال (٩/ ٢٠٥)، وشرح مسلم للنووي (١٦/ ١١٢-١١٣)، وشرح سنن أبي داود للعيني (٦/ ٤٥٢)، وعمدة القاري له (١٩/ ٢٤٨)، والديباج للسيوطي (٥/ ٥٠٢)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٩/ ١٢)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٣/ ١٦٢)، و(٥/ ٣١)، و(٩/ ١٤٢)، وفيض القدير للمناوي (٢/ ٧٥)، و(٦/ ٣٠٦)، ودليل الفالحين للصديقي (٣/ ١٤٨)، وعون المعبود للعظيم آبادي (٢/ ٣٦٦).

(٢) ينظر: دليل الفالحين للصديقي (٣/ ١٤٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤١٨). وينظر: إرشاد الساري للقسطلاني (٩/ ١٢)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٩/ ١٤٢).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

وهذه التفاسير التي ذكرت لهذه الصفة في النقطة الأولى كلها تفاسير لها بلازمها وثمراتها. وإثبات اللوازم من دون إثبات حقيقة الصفة ممتنع. فلابد لهم لمَّا أثبتوا اللوازم أن يثبتوا حقيقة ما أدى إلى هذه اللوازم. وإلا يلزمهم نفي الجميع الحقيقة ولوازمها.

أما قولهم أو إرادة ذلك، أي إرادة هذه اللوازم، فهذا تفسير لهذه الصفة بصفة أخرى وهي الإرادة، وعليه فما فروا منه من إثبات صفة الوصل لزمهم في إثباتهم للإرادة، لأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر. فهم فرقوا بين بعض الصفات وبعض، فيقال لهم فيما نفوه، ما قالوا هم فيما أثبتوه[1].

أما قولهم أن الوصل كناية عن عظيم الإحسان، فقد سبق وأن بينا أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة، وعليه لزمهم أنه يراد به حقيقة الوصل، وهو المطلوب.

---

(١) ينظر: التدمرية لابن تيمية (٣١، وما بعدها).

المبحث السابع: موقفهم من صفة الاستحياء. والرد عليهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

يمكننا أن نجمل القول في تفسيرهم لصفة للاستحياء في النقاط التالية:

النقطة الأولى: أن الاستحياء من الله تعالى هو الرحمة والعطف والمغفرة والثواب.

قالوا فقوله: (فاستحيا الله منه) أي: رحمه وغفر له، وجازاه بالثواب[١]، أي: أثابه عليه فسمي جزاءه به[٢].

النقطة الثانية: أنه من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم[٣].

النقطة الثالثة: أن الاستحياء من الله هو ترك عقوبة من استحى منه[٤]. لأن الحياء

---

(١) ينظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (٢٩٥)، والتمهيد لابن عبد البر (١/ ٣١٧)، والمنتقى للباجي (٩/ ٤٢٧)، وإكمال المعلم للقاضي (٧/ ٣٢)، وشرح مسلم للنووي (١٤/ ١٥٩)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٥٧)، وعمدة القاري للعيني (٢/ ٥٠)، والديباج للسيوطي (٥/ ١٩٥)، تنوير الحوالك له (١/ ٢٣٩)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥)، و(١/ ٤٥٧)، وشرح الزرقاني على الموطأ(٤/ ١٩٨)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٤٧١).

(٢) ينظر: مشارق الأنوار للقاضي (١/ ٢١٩).

(٣) ينظر: عمدة القاري للعيني (٢/ ٥٠)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥)، و (١/ ٤٥٧)، وشرح الزرقاني على الموطأ(٤/ ١٩٨).

(٤) ينظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (٢٩٥)، وشرح البخاري لابن بطال (١/ ١٤٩)، والمنتقى للباجي (٩/ ٤٢٧)، وإكمال المعلم للقاضي (٧/ ٣٢)، وشرح مسلم للنووي (١٤/ ١٥٩)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٥٧)، وعمدة القاري للعيني (٢/ ٥٠)، وتنوير الحوالك للسيوطي (١/ ٢٣٩)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥)، و(١/ ٤٥٧)، وشرح الزرقاني على الموطأ =

سبب للترك[1].

النقطة الرابعة: أن الله عامل هذا الرجل معاملة من يستحيٰ منه من المغفرة والكرامة[2].

النقطة الخامسة: أنه مجاز عن ترك العقوبة، علىٰ سبيل المشاكلة اللفظية لا غير.

فقالوا: هذا من قبيل المشاكلة لأن الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يذم به، وهذا مُحال علىٰ الله تعالىٰ فيكون مجازًا عن ترك العقاب[3].

والذي يبين لكم منزع هذه التفسيرات هذا القانون الكلي الذي أسسه لهم منظرهم الرازي يحث يقول: «القانون الكلي في أمثال هذه الصفات: أن كل صفة تثبت للعبد مما يختص بالأجسام، إذا وصف الله تعالىٰ بذلك فهو محمول علىٰ نهايات الأعراض لا علىٰ بدايات الأعراض. مثال ذلك: الحياء حالة تحصل للإنسان ولها مبدأ ونهاية. أما البداية فيها: فهو التغير الجسماني الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إلىٰ القبيح. وأما النهاية: فهي أن يترك الإنسان ذلك الفعل، فإذا ورد الحياء في وصف الله تعالىٰ فليس المراد منه ذلك اللحوق الذي هو مبدأ الحياء وتقدمته؛ بل المراد هو ترك الفعل الذي هو منتهاه وغايته»[4].

=

(٤/ ١٩٨)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٤٧١).

(١) شرح السنة للبغوي (١٢/ ٢٩٩).

(٢) المفهم للقرطبي (٥/ ٥٠٨)

(٣) ينظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (٢٩٦)، وعمدة القاري للعيني (٢/ ٥٠)، وتنوير الحوالك للسيوطي (١/ ٢٣٩)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥)، و(١/ ٤٥٧)، وشرح الزرقاني علىٰ الموطأ(٤/ ١٩٨)، وأقاويل الثقات للكرمي (٧١-٧٢).

(٤) أساس التقديس ص (١٩١-١٩٢).

وقال في تفسيره: «لكن هاهنا قاعدة كلية وهي: أن جميع الأعراض النفسانية - أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والغيرة والمكر والخداع والتكبر والاستهزاء - لها أوائل ولها غايات ومثاله... الحياء له أول وهو انكسار يحصل في النفس وله غرض وهو ترك الفعل، فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس، وهذه قاعدة شريفة في هذا الباب»[1]!.

(١) مفاتيح الغيب (١/ ٢١١).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

بعد إجمال تفسيراتهم في النقاط السابقة فإن الرد سيكون عليها كما هي مرتبة.

أما النقطة الأولى: وهي تفسيرهم للاستحياء من الله بأنه الرحمة والمغفرة والثواب، فهذا تفسير لها بلازمها، وقد سبق وأن بينا امتناع ذلك مع منع الحقيقة، وهم قد صرحوا بإرادة اللازم كما هو في النقطة الثانية. وهو كذلك تفسير لصفة بصفة أخرى، وهي قولهم «رحمه»، فالرحمة هنا هي صفة فعلية، لكن هم مرادهم بها غير ذلك، إذ مرادهم من الرحمة – كما سيأتي هو إرادة الإنعام والإحسان أو الإنعام المخلوق، وسيأتي بيان ذلك في تأويلهم لصفة الرحمة – إن شاء الله –.

فهم ركَّبوا مجازا على مجاز، فالاستحياء عندهم هو الرحمة، والرحمة هي الأنعام، أو إرادته، فلزم أن يكون الاستحياء هو إرادة الإنعام أو الإنعام. وعليه يكون تفسير الصفة بشيء مخلوق وهو الانعام، فيلزم منه قيام المخلوقات بالله تعالى، وهو ما فروا منه. على أصلهم في نفي قيام الحوادث بالله تعالى وهو لازم لهم لا محيد لهم عنه.

أو تفسير الصفة بصفة أخرى، فيلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فروا منه.

أما النقطة الثالثة: وهي قولهم أن الاستحياء هو ترك العقوبة، أو هو سبب لترك العقوبة. فيقال: كيف يكون الشيء سبباً لنفسه؟ ، فلا بد أن يكون التفسير واحدا وهو إما الترك، أو أنه سبب للترك.

وعلى الأول: يكون الترك كذلك فعلا لله تعالى فيلزمهم فيه، ويرد عليهم فيه نظير ما فروا منه. وعلى الثاني: يكون الكلام مستقيما وهو أن الاستحياء سبب للترك مع إثبات معنى الحياء، والاستحياء من الله تعالى بما يليق بجلاله.

وأما النقطة الرابعة: وهي أن الله عامل هذا الرجل معاملة من يستحي منه، فهذه المعاملة هي ذاتها الاستحياء، فهو فرَّ من إثبات لفظ الصفة وأثبت ما يقوم بالعبد من معناها.

وأما النقطة الخامسة: وهي دعوى المجاز وأنه على سبيل المشاكلة، فمردود

وذلك أن دعوى المشاكلة هو تعطيل لحقيقة الصفة ونفي لها.

وكذلك كيف يضيف الله تعالى لنفسه صفة وهي نقص في زعمكم لمجرد المشاكلة اللفظية. فالله ﷻ أجل وأعظم من أن يضيف إلى نفسه ما هو نقص، ولو لمجرد المشاكلة.

وكذلك قد وردت هذه الصفة من غير مشاكلة في اللفظ. فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً»[(١)]. فجمع هذا الحديث بين نوعين من الصفات: الأولى صفة ذاتية وهي الحياء. والأخرى صفة فعلية وهي الاستحياء.

وأما تعليلهم بأن الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يذم به، فهذا بالنسبة للمخلوق، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا تشبه صفاته صفات خلقه، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخبرنا بأنه حيي كريم يستحيي، فوجب إثبات ذلك مع استحضار بيانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١].

(١) سبق تخريجه ص(١٥٦).

المبحث الثامن: قولهم في الإنفاق والإعتاق. والرد عليهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

قالوا في قوله تعالى: (أُنفق عليك): هو من باب المشاكلة لأن إنفاق الله تعالى لا ينقص من خزائنه شيئًا[١].

وقالوا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أعتق الله) أي: أنجى، وذكر بلفظ الإعتاق للمشاكلة[٢].

---

(١) ينظر: عمدة القاري للعيني (١٨/ ٤٠٠)، و إرشاد الساري للقسطلاني (٨/ ١٩٧)، وفيض القدير للمناوي (٤/ ٤٨٠)، ودليل الفالحين للصديقي (٤/ ٥٣١)

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري(٦/ ٤٩٨)، وفيض القدير له(٦/ ٧٤)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٥/ ١٠٤).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

أما الرد عليهم في دعوى المشاكلة في الإنفاق فواضح بطلانه بالأدلة التالية: حيث أضيفت هذه الصفة إلى الله تعالى من غير مشاكلة في اللفظ كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾[المائدة: ٦٤]. أي: «يرزق كيف يشاء»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما **أنفق** منذ خلق السموات والأرض؛ فإنه لم يغض ما في يده. وقال: عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[(٢)]. فهذه نصوص تصف الله تعالى بالإنفاق عموما من غير مشاكلة لنفقة العبد.

أما قولهم «لأن إنفاق الله تعالى لا ينقص من خزائنه شيئًا»، فهذا الكلام لا يُدرى وجه احتمال إيراده إلا على ملاحظتهم المعنى اللغوي في الإنفاق، وهو أن العبد إذا أنفق فقد خرج بعض ماله من يده ونقص من ملكه، وإلاَّ فأنه لا يوجد من يقول إن الإنفاق ينقص من خزائن الله تعالى، فإذا كان الإنفاق في حق المخلوق لا يلزم منه النقص مما عنده فما بالك بمالك الملك!.

ثم هذا الكلام يعود على الصفة بالنفي مطلقا، لأنه لما قال هي على سبيل المشاكلة اللفظية، فهو أثبت اللفظ دون حقيقة المعنى، فبان بأن تعليله هذا في تقرير المشاكلة عاد على الصفة بالنفي.

أما دعوى المشاكلة في الإعتاق فمردود بورود الصفة من عير مشاكلة في اللفظ في

---

(١) جامع البيان للطبري (١٠/ ٤٥٣). وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٨).

(٢) سبق تخريجه ص(١٨٧).

أحاديث كثيرة. منها:

عن عائشة أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «ما من يوم أكثر من أن **يعتق الله** فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء»(١).

وعنها أيضا أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو **أعتقها** بها من النار»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «من قال: اللهم إني أشهدك، و أشهد ملائكتك، و حملة عرشك، و أشهد من في السموات و من في الأرض أنك أنت الله، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، و أشهد أن محمدا عبدك و رسولك، من قالها مرة **أعتق الله** ثلثه من النار، و من قالها مرتين **أعتق الله** ثلثيه من النار، و من قالها ثلاثا أعتق الله كله من النار »(٣).

وكذلك ما ورد في الحديث الطويل الذي يصف أهوال يوم القيامة. وفيه «. . . فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء **عتقاء الله** الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه...»(٤).

---

(١) سبق تخريجه ص(١٠٣).

(٢) سبق تخريجه ص(١٨٤).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٦٠٦٢). والحاكم (١/ ٥٢٣). و قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و وافقه الذهبي، وقال الألباني: هو كما قالا. ينظر الصحيحة (٢٦٧).

(٤) سبق تخريجه ص(١٨٣).

المبحث التاسع: قولهم في صفة البناء، والرد عليهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

قالوا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بنى الله له) إسناد البناء إليه سبحانه مجاز[1].

---

(١) ينظر: حاشية السيوطي والسندي على النسائي (٢/ ٣٦١)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ٤٤٣)، وفيض القدير للمناوي (١/ ٨٥)، و(٦/ ٩٥).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

يمكن الرد على تأويلهم هذا من أوجه:

الأول: دعواهم المجاز لا دليل عليه، وما المانع من حمله على حقيقته؟ ، «ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا، إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم.

ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع، ما ثبت شيء من العبارات، وجلَّ الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين»(١).

الثاني: القول في البناء هو نظير القول في الخلق، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: قال في البناء: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[الذاريات: ٤٧]. وقال ﷻ: ﴿ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴾[النبأ: ١٢]. وقال: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴾[النازعات: ٢٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الخلق: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾[إبراهيم: ٣٢]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[الأنبياء: ١٦]. وقال ﷻ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾[لقمان: ١٠]. وقال: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ﴾[ص: ٢٧].

فما هو قولكم في الخلق؟ ، فإن قلتم أن خلقه للسموات مجاز، فقد نفيتم ما أجمعت الأمم على إثباته، وإن قلتم خلقها حقيقة لزمكم في البناء ذلك؛ لأن البناء والخلق كلاهما أضيف إلى الله تعالى وتعلق بالسموات والأرض وما بينهما، فلماذا فرقتم بين المتماثلات. ولأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فلا فرق بينهما، لأن المتصف بها

(١) تهذيب السنن لابن الموصلي (٤/ ٢١٨٩-٢١٩٠).

واحد وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلا من الخلق والبناء صدر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمحض إرادته ومشيئته.

الثالث: قد قررتم أن ضابط المجاز هو أن يصح نفيه، فادعاؤكم المجاز في البناء يصح فيه أن يقال أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يَبْنِ السماء، وهذا يلزمكم فيه سؤال. وهو من بنى السماء؟، فضلا عن أن نفيه تكذيب لله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المبحث العاشر: موقفهم من قوله تعالى: (ذكرته في نفسي). والذكر عموما. والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

قال شراح الحديث وغيرهم في بيان قوله تعالى في الحديث القدسي(ذكرته في نفسي): أي أخفيت ثوابه فلا يطلع عليه أحد[١]. وأما ذكر الله للعبد فإنما المراد به رحمته له وإنعامه وكرامته ومغفرته[٢].

وبينوا أنه: سمى الثواب المترتب على ذلك ذكرا على سبيل المشاكلة، لما كان نتيجة الذكر وناشئا عنه سماه ذكرا [٣].

وعلَّل منظرهم الرازي ذلك بقوله: «لأن الذكر في النفس عبارة عن الكلام الخفي والذكر الكامن في النفس. وذلك على الله تعالى محال»[٤].

---

(١) ينظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (٣٢٠)، وشرح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٣٠)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٥٣-٥٤)، والمعلم للمازري (٣/ ٣٢٤)، وشرح مسلم للنووي (١٧/ ٢-٣)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٨٦)، وعمدة القاري للعيني (٢٥/ ١٥٢)، والديباج للسيوطي (٦/ ٤٣)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٥/ ١٤٠)، وفيض القدير للمناوي (٤/ ٤٩٤)، وتحفة الذاكرين للشوكاني ص (١١-١٢).

(٢) ينظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (٣٢٢)، والمفهم للقرطبي (٧/ ٧)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٨٦)، و(١٣/ ٤٩٠)، وعمدة القاري للعيني (٢٥/ ١٥٢)، و إرشاد الساري للقسطلاني (١٠/ ٣٨٢)، وفيض القدير للمناوي (٤/ ٤٩٤)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (١٠/ ٥٢).

(٣) التفسير المحيط لأبي حيان (١/ ٦١٩-٦٢٠).

(٤) أساس التقديس للرازي (١٢٤). وينظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٧/ ٤٢٦).

وقالوا كذلك في قوله: (أذكركم) «هو مجاز، أي أعاملكم معاملة من ليس بمغفول عنه بزيادة النعم والنصر والعناية في الدنيا، وبالثواب ورفع الدرجات في الآخرة، أو أخلق ما يفهم منه الناس في الملأ الأعلى وفي الأرض فضلكم والرضى عنكم»[1].

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢/ ٥٠).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

من المعلوم أن تأويلهم لصفة الذكر لله تعالى هو تابع لتأويل صفة الكلام له سبحانه، فلما كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عندهم لا يتكلم حقيقة بكلام يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب، ولا يتكلم عندهم بحرف وصوت، قالوا في الذكر أنه ثوابه أو رحمته وغير ذلك. لأن الكلام عندهم «هو الكلام النفساني؛ لكن لا يجوز عندهم التفريق بين الإعلان والإسرار، فإنَّ المعنى القائم بالذات لا ينقسم إلى سر وعلانية، ولا يكون منه شيء في نفس الربّ وشيء من الملائكة عندهم. أكثر ما يقوله بعضهم: أنَّه قد يُسمِع الملائكة ما يسمِعهم إيّاه فيكون التخصيص في خلق الإدراك للملائكة»[(١)]، وعليه فقد علل الرازي تأويلهم ذلك بقوله: «لأن الذكر في النفس عبارة عن الكلام الخفي والذكر الكامن في النفس. وذلك على الله تعالى محال».

و«أما حملهم النفس عَلَىٰ إخفاء الثواب فلا يصح، لأَنَّهُ لا فائدة فِي إخفاء الثواب، بل الفائدة فِي إظهاره لأَنَّهُ يحصل به الترغيب فِي الطاعات، والحث عليها، ولهذا عدد الجنة وأنهارها وثمارها، كل ذلك حثا عَلَىٰ الترغيب فِي الطاعات، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[السجدة: ١٧]. فإنه لَمْ يخف ذكر الثواب، أَلا ترى أَنَّه قال تعالى: ﴿ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾. فأثبت أن هناك مَا تقر به العين، وإنما أخفى تفصيل الثواب»[(٢)].

وكذلك الثواب الذي فسر به الذكر هو مخلوق، فكيف ساغ لكم تفسيره بالمخلوق وأنتم نظَّرتم أن الله تعالى لا يقوم به شيء من المخلوقات، فهذا تناقض. إلا إذا ادعيتم أن كلامه مخلوق. وهذا مردود باستعاذة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلام الله تعالى، ولو كان الكلام

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٧/ ٤٨٤).

(٢) إبطال التأويلات لأبي يعلى (٢/ ٤٤٧).

مخلوقا لما جازت الاستعاذة به. فعن ابن عباس ﷺ قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: « إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق. **أعوذ بكلمات الله** التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»[(١)].

وقال ﷺ: «من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتىٰ يرتحل من منزله ذلك»[(٢)].

وأما تفسيره بالرحمة والمغفرة فهذا تفسير له بصفة أخرىٰ، فيلزمكم فيها ما فررتم منه في صفة الذكر. فما عليكم إلا أن تثبتوا الجميع أو تنفوا الجميع. وأما التفريق بلا دليل شرعي فمردود.

أما قولكم: هو مجاز. فما الصارف له من حقيقته إلىٰ مجازه؟. فحمله علىٰ الحقيقة هنا غير متعذر. «فقد أخبر رسول الله ﷺ أن الله يخفي ذكر العبد في نفسه إذا أخفىٰ ذكره، ويعلنه إذا أعلن هو ذكره، ففرق بين علم الظاهر والباطن والجهر »[(٣)].

وقد قرَّر أهل الأصول أنه «متىٰ تناول اللفظ معنيين: هو في أحدهما مجاز وفي الآخر حقيقة، فالواجب حمله علىٰ الحقيقة، ولا يصرف إلىٰ المجاز إلا بدلالة»[(٤)]، وهنا لا توجد دلالة ولم يتعذر الحمل علىٰ الحقيقة، فوجب حمله علىٰ ظاهره وحقيقته وهو المطلوب.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٧١). كتاب أحاديث الأنبياء.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٧٠٨). كتاب الذكر والدعاء. باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره. من حديث خولة بنت حكيم السلمية. رضي الله عنها.

(٣) رد الدارمي علىٰ المريسي ص (١٩٦). وينظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٧/ ٤٤٠).

(٤) الفصول في الأصول للجصاص (١/ ٤٦).

أما دعوى المشاكلة في قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[البقرة: ١٥٢]. فمردود بإضافة الذكر لله تعالى من غير مشاكلة في اللفظ قال تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٥]. فقد جاء في تفسيرها «عن عبد الله بن ربيعة قال: قال ابن عباس رضي الله عنه: ما تقول في قول الله: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ قال: هو الذي يذكر الله، عند المعاصي.

فقال ابن عباس رضي الله عنه: لقد قلت وما هو كما قلت، ولكن ذكر الله العبدَ أكبر من ذكر العبد لربه»[1].

وفي الحديث عن الأغر أبي مسلم أنه قال أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، **وذكرهم الله فيمن عنده**»[2].

---

(١) سبق تخريجه ص(٢٠٥).

(٢) سبق تخريجه ص(٢٠٣).

المبحث الحادي عشر: قولهم في التغيير. والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[الرعد: ١١].

قال الرازي: «قال القاضي: معنى الآية. أنه تعالى أنعم عليهم بالعقل والقدرة، وإزالة الموانع، وتسهيل السبل، والمقصود أن يشتغلوا بالعبادة والشكر، ويعدلوا عن الكفر، فإذا صرفوا هذه الأحوال إلى الفسق والكفر فقد غيروا نعمة الله تعالى على أنفسهم، فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم، والمنح بالمحن، قال: وهذا من أوكد ما يدل على أنه تعالى لا يبتدئ أحداً بالعذاب والمضرة، والذي يفعله لا يكون إلاَّ جزاء على معاص سلفت، ولو كان تعالى خلقهم وخلق جسمانهم وعقولهم ابتداء للنار كما يقوله القوم لما صح ذلك.

قال أصحابنا: ظاهر الآية مشعر بما قاله القاضي الإمام؛ إلا أنا لو حملنا الآية عليه لزم أن يكون صفة الله تعالى معللة بفعل الإنسان، وذلك لأن حكم الله بذلك التغيير وإرادته لمَّا كان لا يحصل إلا عند إتيان الإنسان بذلك الفعل، فلو لم يصدر عنه ذلك الفعل لم يحصل لله تعالى ذلك الحكم وتلك الإرادة، فحينئذ يكون فعل الإنسان مؤثراً في حدوث صفة في ذات الله تعالى، ويكون الإنسان مغيِّراً صفة الله ومؤثراً فيها، وذلك محال في بديهة العقل. فثبت أنه لا يمكن حمل هذا الكلام على ظاهره؛ بل الحق أن صفة الله غالبة على صفات المحدثات، فلولا حكمه وقضاؤه أولاً لما أمكن للعبد أن يأتي بشيء من الأفعال والأقوال»[١].

(١) مفاتيح الغيب (١٥/ ١٨٧).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

كلام الرازي هذا مبني على أصلهم في الصفات الاختيارية وأنها أزلية لا يحدث فيها تجدد ولا حدوث في أفرادها.

وفساد هذا القول ظاهر من أوجه:

الأول: أن لفظ التأثير فيه اشتباه وإجمال، أتريد به أن غيره لا يعطيه كمالا لم يكن له ولا يوجد فيه صفة كان فاقدها؟ فهذا معلوم بالضرورة. أم تريد أن غيره لا يسخطه ولا يغضبه ولا يفعل ما يفرح به أو يحبه أو يكرهه أو نحو ذلك فهذا غير ممتنع.

الثاني: أن هذا يبطل محبته لطاعة المؤمنين وبغضه لمعاصي المخالفين.

الثالث: أن هذا ينتقض بإجابة دعواتهم وسماع أصواتهم ورؤية أفعالهم وحركاتهم، فإن هذه كلها أمور متعلقة بأفعالهم، فما كان جوابك عنها فهو جوابنا في محل الإلزام.

الرابع: أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إذا كان يحب أمورا، وتلك الأمور المحبوبة لها لوازم يمتنع وجودها بدونها، كان وجود تلك الأمور مستلزما للوازمها التي لا توجد بدونها. مثاله: محبته للعفو والمغفرة والتوبة، فهذه المحبوبات تستلزم وجود ما يعفو عنه ويغفره ويتوب إليه العبد منه. ووجود الملزوم بدون لازمه محال، فلا يمكن حصول محبوباته سبحانه من التوبة والعفو والمغفرة بدون الذي يتاب منه ويغفره ويعفو عنه[(١)].

الخامس: أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، فما أثر فيه شيء من المخلوقات، بل هو

---

(١) ينظر: مجمل هذه الأوجه في الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٤٦٣، ١٤٦٦)، ومختصر الصواعق لابن الموصلي (٢/ ٥٤١، ٥٤٣).

جعل ما يفعله سببا لما يفعله(١).

وفي الأخير إليك جملة من النصوص تبين أن بعض أفعال العباد جعلها الله أسبابا لحدوث أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]. فإن هذا يدل على أنهم إذا اتبعوه أحبهم الله؛ فإنه جزم قوله: (يحببكم) به فجزمه جوابا للأمر وهو في معنى الشرط فتقديره: إن تتبعوني يحببكم الله. ومعلوم أن جواب الشرط والأمر إنما يكون بعده لا قبله؛ فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[محمد: ٢٨]. فإنه يدل على أن أعمالهم أسخطته؛ فهي سبب لسخطه، وسخطه عليهم بعد الأعمال لا قبلها.

وكذلك قوله: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ ﴾[الزمر: ٧]. فعلق الرضا بشكرهم وجعله مجزوما جزاء له وجزاء الشرط لا يكون إلا بعده.

وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[البقرة: ٢٢٢]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾[الصف: ٤]. ونحو ذلك فإنه يدل على أن محبة الله لهم كانت بسبب هذه الأعمال وهي جزاء لها، والجزاء إنما يكون بعد العمل والمسبب.

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث القدسي: «قال الله: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا

(١) ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ص(٤٦٩).

ذكرني؛ إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملإ خير منهم»[(١)].

وحرف (إن) حرف الشرط؛ والجزاء يكون بعد الشرط، فهذا يبين أنه يذكر العبد بعد أن يذكره العبد، إن ذكره في نفسه ذكره في نفسه، وإن ذكره في ملإ ذكره في ملإ خير منهم[(٢)].

فكذلك القول في هذه الآية فإن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يكون التغير منهم ابتداء، فتغير الله عليهم هنا هو جزاء لتغييرهم هم، و الجزاء لا يكون إلا بعد العمل لا قبله.

---

(١) سبق تخريجه ص(٢٠٣).

(٢) ينظر: مجمل هذه التفسيرات في مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٥).

المبحث الثاني عشر: قولهم في الصلاة من الله، والرد عليهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم:

فسر بعض شراح الحديث والمفسرين الصلاة من الله تعالى بأنها رحمته(١)، أو مغفرته(٢).

وعلّلوا ذلك بقولهم: «وحقيقة الصلاة في كلام العرب أنها أقوال تنبئ عن محبة الخير لأحد، ولذلك كان أشهر معانيها هو الدعاء. . . ولأجل ذلك كان إسناد هذا الفعل لمن لا يُطلب الخير إلاّ منه متعيناً للمجاز في لازم المعنى، وهو حصول الخير، فكانت الصلاة إذا أسندت إلى الله أو أضيفت إليه دالةً على الرحمة وإيصال ما به النفع من رحمة أو مغفرة أو

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص (٤٢٦)، وتفسير ابن أبي زمنين (٣/ ٤٠٥)، ومشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص (٣٤٤)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٤١٠)، ومعالم التنزيل للبغوي(٣/ ٥٨٢)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٢/ ٣٠١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٧٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٣٩٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ١٦٩)، والمفهم له (٢/ ٤٠)، وشرح مسلم للنووي (٤/ ١٢٨)، وشرح أبي داود للعيني (٥/ ٤٤٠)، وعمدة القاري له (٨/ ١٤٥)، والديباج للسيوطي (٢/ ١٣٩)، والحاوي للفتاوى له (٢/ ١٥٤)، وروح البيان لإسماعيل حقي (٧/ ١٣١-١٣٢)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٤/ ٦)، وفيض القدير للمناوي (٦/ ١٦٨)، ودليل الفالحين للصديقي (٦/ ٥٢٦)، وروح المعاني للألوسي (٢٢/ ٧٦-٧٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢/ ٥٧-٥٨)، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب (١١/ ٧٢٩).

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص (٤٢٦)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٤١٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٣٩٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٦٨)، وشرح أبي داود للعيني (٥/ ٤٤٠)، وعمدة القاري له(٨/ ١٤٥)، وتفسير أبي السعود (١/ ١٨١).

تزكية»[١].

وقالوا: «إن كانت بمعنى الغفران فيكون من باب المشاكلة من حيث اللفظ»[٢].

وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٦].

فقالوا: في تفسير الآية: أن الصلاة من الله تعالى على نبيه هي رحمته له، ومن الملائكة الاستغفار، أو الدعاء، ومن المؤمنين كذلك الاستغفار أو الدعاء[٣].

وذكر بعضهم أن هذا من استعمال اللفظ المشترك في جميع معانيه[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٥٧-٥٨).

(٢) ينظر: شرح مسلم للنووي (٤/ ١٢٨)، والديباج على مسلم للسيوطي (٢/ ١٣٩)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٤/ ٨)، وفيض القدير للمناوي (٦/ ١٦٨)، وتحفة الاحوذي للمباركفوري (٢/ ٥٢١).

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٣/ ٣٣)، ومشكل الحديث وبيانه ص (٣٤٤)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ٤٢١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ١٦) و(٣/ ٥٨٢). وشرح السنة له (٣/ ١٨٩)، والتسهيل لابن جزي (٢/ ١٩١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٧٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٣٩٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٢١٤)، وتفسير الثعالبي (٤/ ٣٥٧)، واللباب لابن عادل الحنبلي (١/ ٢٩٠)، وتاج العروس للزبيدي (٣٨/ ٤٣٧-٤٣٨)، وتفسير أبي السعود (٧/ ١١٣).

(٤) ينظر: التسهيل لابن جزي (٢/ ١٥٩). و(٢/ ١٩١)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٢) مادة (صلا)، ومختار الصحاح للرازي (٢٢٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٢٢٩)، واللباب لابن عادل (٥/ ٩٥)، والمصباح المنير للرافعي (١/ ٤٧٣)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/ ٢٢١)، وتاج العروس للزبيدي (٣٨/ ٤٣٩)، والسراج المنير للشربيني (٣/ ٣٢٠)، ولباب التأويل للخازن (٥/ ٢٦٦).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

يمكن الرد عليهم من بأجوبة:

الجواب الأول: تفسيرهم الصلاة بالرحمة ضعيف لأوجه[(١)].

أحدها: أن الله سبحانه فرَّق بين صلاته على عباده ورحمته فقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[البقرة: ١٥٧]. فعطَفَ الرحمةَ على الصلاة فاقتضى ذلك تغايرهما.

الثاني: أن صلاة الله سبحانه خاصة بأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، وأما رحمته فوسعت كل شيء فليست الصلاة مرادفة للرحمة، لكن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها وثمراتها فمن فسرها بالرحمة فقد فسرها ببعض ثمرتها.

الثالث: أنه لا خلاف في جواز الترحم على المؤمنين، واختلف السلف والخلف في جواز الصلاة على غير الأنبياء، فعلم أنهما ليستا بمترادفتين.

الرابع: أنه لو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقامت مقامها في امتثال الأمر وأسقطت الوجوب عند من أوجبها إذا قال: اللهم ارحم محمدا وآل محمد وليس الأمر كذلك.

الخامس: أنه لا يقال لمن رحم غيره فأطعمه أو سقاه أو كساه إنه صلى عليه ويقال إنه قد رحمه.

السادس: أن الراحم قد يرحم من يبغضه ويعاديه، ولا يصلي عليه.

السابع: أن الله سبحانه أمر بالصلاة عليه عقب إخباره بأنه وملائكته يصلون عليه.

---

(١) ينظر: مجمل هذه الأوجه في جلاء الأفهام لابن القيم (٢٥٧، ٢٧٢)، وبدائع الفوائد له (٣٧-٣٨). ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٤٦ وما بعدها).

والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله فصلوا أنتم عليه، فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليما، لما نالكم ببركة رسالته ويمن سفارته من شرف الدنيا والآخرة، ومن المعلوم أنه لو عبّر عن هذا المعنى بالرحمة لم يحسن موقعه ولم يحسن النظم فينقض اللفظ والمعنى؛ فإن التقدير يصير إلى أن الله وملائكته ترحم ويستغفرون لنبيه فادعوا أنتم له وسلموا وهذا ليس مراد الآية قطعا.

وإذا ثبت هذا فمن المعلوم أنه لو كانت الصلاة هي الرحمة لم يصح أن يقال: لطالبها من الله مصليا، وإنما يقال: له مسترحما له كما يقال: لطالب المغفرة، مستغفرا له، ولطالب العطف مستعطفا ونظائره، ولهذا لا يقال: لمن سأل الله المغفرة لغيره قد غفر له فهو غافر، ولا لمن سأله العفو عنه قد عفا عنه، وهنا قد سمي العبد مصليا فلو كانت الصلاة هي الرحمة لكان العبد راحما لمن صلى عليه، وكان قد رحمه برحمة، ومن رحم النبي مرة رحمه الله بها عشرا وهذا معلوم البطلان.

الثامن: أن أحدا لو قال عن رسول الله: رحمه الله، أو قال رسول الله رحمه الله، بدل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبادرت الأمة إلى الإنكار عليه وسموه مبتدعا غيرَ موقرٍ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا مصلٍ عليه، ولا مثنٍ عليه بما يستحقه، ولا يستحق أن يصلي الله عليه بذلك عشر صلوات، ولو كانت الصلاة من الله الرحمة لم يمتنع شيء من ذلك.

التاسع: أنه يسوغ بل يستحب لكل أحد أن يسأل الله تعالى أن يرحمه، فيقول: اللهم ارحمني، ومعلوم أنه لا يسوغ لأحد أن يقول اللهم صل عليَّ، بل الداعي بهذا معتدٍ في دعائه والله لا يحب المعتدين، بخلاف سؤال الرحمة فإن الله تعالى يحب أن يسأله عبده مغفرته ورحمته، فعلم أنه ليس معناهما واحدا.

العاشر: أن أكثر المواضع التي تستعمل فيها الرحمة لا يحسن أن تقع فيها الصلاة كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ﴾[الأعراف: ١٥٦].

وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: ٥٦].

وقوله ﷺ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[١].

وقوله ﷺ: «والشاة إن رحمتها رحمك الله»[٢].

فهذه جملة من الأوجه التي تبيِّن مرجوحية تفسير الصلاة بالرحمة.

الجواب الثاني: قولهم: إن كانت بمعنىٰ الغفران فيكون من باب المشاكلة من حيث اللفظ. فمردود بورود الصلاة من الله تعالىٰ من غير مشاكلة في اللفظ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٣]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته **يُصَلُّون** علىٰ الذين يَصِلون الصفوف»[٣].

وعن عبد الله بن أبي أوفىٰ قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم **صل** علىٰ آل فلان» فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم **صل** علىٰ آل أبي أوفىٰ»[٤].

وعن أبي حميد الساعدي[٥] رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله. كيف نصلي عليك؟ فقال

(١) سبق تخريجه ص(٢٢٩).

(٢) سبق تخريجه ص(٢٢٩).

(٣) سبق تخريجه ص(٢٢٥).

(٤) سبق تخريجه ص(٢٢٦).

(٥) هو عبد الرحمن بن سعد، ويقال: عبد الرحمن بن عمرو بن سعد، وقيل: المنذر بن سعد بن المنذر، شهد أحدا وما بعده، توفي في آخر خلافة معاوية أو أول خلافة يزيد بن معاوية. ينظر: الإصابة =

رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما **صليت** على آل إبراهيم، و**بارك** على محمد وأزواجه وذريته كما **باركت** على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[(١)].

الجواب الثالث: قولهم: إن لفظ الصلاة هو من قبيل اللفظ المشترك المستعمل في معنيَيْهِ أو معانيه معا فهو مردود لأمور منها:

أحدها: أن الاشتراك خلاف الأصل، بل لا يعلم أنه وقع في اللغة من واضع واحد كما نص على ذلك أئمة اللغة، وإنما يقع وقوعا عارضا اتفاقيا بسبب تعدد الواضعين ثم تختلط اللغة فيقع الاشتراك[(٢)].

الثاني: أنه لو قُدِّرَ أنه موضوع لهما منفردين، ولكل واحد منهما مجتمعين، فإنه يكون له حينئذ ثلاثةُ مفاهيم، فالحمل على أحد مفاهيمه دونَ غيره بغير موجب ممتنع.

الثالث: أنه حينئذ يستحيلُ حملُه على جميع معانيه، إذ حملُه على هذا وحدَه، وعليهما معاً مستلزم للجمع بين النقيضين، فيستحيلُ حملُه على جميع معانيه، وحملُه عليهما معاً حملٌ له على بعض مفهوماته، فحملُه على جميعها يُبطِلُ حمله على جميعها.

الرابع: أنه لو وجب حملُه على المعنيين جميعاً لصار من صيغ العموم، لأن حكم الاسم العام وجوبُ حمله على جميع مفرداته عند التجرد مِن التخصيص، ولو كان كذلك، لجاز استثناء أحدِ المعنيين منه، ولسبق إلى الذهن منه عند الإطلاق العموم، وكان المستعمِلُ له في أحد معنييه بمنزلة المستعملِ للاسم العام في بعض معانيه، فيكون متجوزاً في خطابه غير

=

لابن حجر (٤/ ٢١٩٩-٢٢٠٠)

(١) سبق تخريجه ص(٢٢١).

(٢) ينظر: جلاء الأفهام لابن القيم (٢٦٠).

متكلم بالحقيقة، وأن يكون من استعمله في معنييه غيرَ محتاج إلى دليل، وإنما يحتاج إليه من نفى المعنى الآخر، ولوجب أن يفهم منه الشمول قبل البحث عن التخصيص عند من يقول بذلك في صيغ العموم، ولا ينفى الإجمال عنه، إذ يصيرُ بمنزلة سائر الألفاظ العامة. وهذا باطل قطعاً، وأحكام الأسماء المشتركة لا تُفارق أحكام الأسماء العامة، وهذا مما يعلم بالاضطرار من اللغة[١].

الخامس: «إذا كان معنى الصلاة هو الثناء على الرسول والعناية به وإظهار شرفه وفضله وحرمته كما هو المعروف من هذه اللفظة، لم يكن لفظ الصلاة في الآية مشتركا محمولا على معنييه بل قد يكون مستعملا في معنى واحد وهذا هو الأصل»[٢].

قال الشوكاني: «وأجيب: بأن هذه الآية ليس فيها استعمال الاسم المشترك في أكثر من معنى واحد؛ لأن سياق الآية لإيجاب اقتداء المؤمنين بالله، وملائكته في الصلاة على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلا بد من اتحاد معنى الصلاة في الجميع؛ لأنه لو قيل: إن الله يرحم النبي، والملائكة يستغفرون له، يا أيها الذين آمنوا ادعوا له، لكان هذا الكلام في غاية الركاكة، فعلم أنه لا بد من اتحاد معنى الصلاة»[٣].

(١) ينظر: زاد المعاد لابن الموصلي (٥/ ٦٠٦، ٦٠٨).

(٢) نفس المصدر (٢٦١-٢٦٢).

(٣) إرشاد الفحول ص (١/ ١٣١-١٣٢). وينظر: البحر المحيط للزركشي (٢/ ١٤٥)، وشرح التلويح على التوضيح لسعد الدين التفتازاني (١/ ١٢٤).

المبحث الثالث عشر: موقفهم من الرحمة والمحبة والرضا، والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

فسر المتكلمون وغيرهم من بعض شراح الحديث وبعض المفسرين رحمة الله تعالى ورضاه ومحبته لعباده بإرادة إثابتهم والإحسان إليهم، أو هي الثواب والإحسان نفسه[(١)]، وأحيانا يفسرون المحبة بالرضا[(٢)]. أو أن الرضا يستلزم الرحمة[(٣)]. أو يفسرون الرحمة

---

(١) ينظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (٢٤٠)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٩/ ٥٩١)، والإنصاف للباقلاني ص (٢٥)، و(٣٨-٣٩) والتمهيد له (٢٢)، ومشكل الحديث وبيانه لابن فورك (١٩٩)، و(٢١٩)، والهداية لمكي ابن أبي طالب (١١/ ٧٤٣٨)، وشرح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٠٣-٤٠٤، ٤٧١)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤٧٩)، و(٢/ ٤٥٦)، و(٢/ ٤٦٩-٤٧٠)، و(٢/ ٤٧٧-٤٧٨)، والاعتقاد له ص(٥٩)، والإرشاد للجويني (١٤٥)، والمقصد الأسنى للغزالي (١٤١)، والمعلم للمازري(١/ ٤٦٢)، والمفهم للقرطبي (٦/ ٦٤٣)، وبحر الكلام للنسفي (٢٢٢)، مصباح الأرواح للبيضاوي (١١٦)، إيضاح الدليل لابن جماعة ص (١٣٩)، و(١٤٤)، والدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٣١)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٠٢)، و(١١/ ٤٠٤)، و(١٣/ ٣٥٨)، و عمدة القاري للعيني (٢٣/ ١٤٢)، و(٢٢/ ١٦١)، و(٢٥/ ٢٠٤)، و إرشاد الساري للقسطلاني (٩/ ٢٩٥)، و(١٠/ ٣٦١)، وفيض القدير للمناوي (١/ ١٦٥)، و(٦/ ٢٩-٣٠)، و(٦/ ٢٣٩)، ودليل الفالحين للصديقي (٢/ ٣٨٥)، و(٣/ ١٢)، و(٣/ ٢٦٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (١١/ ٧٤٣٨)، واللباب لابن عادل (١/ ١٤٧)، والمفردات للراغب (١٩١)، روح المعاني للألوسي (١/ ٦٠)، و(٢٣/ ٢٤٢)، وشرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٤٤٤)، وأقاويل الثقات للكرمي (٧١)، و(٧٧).

(٢) ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٤٤٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٣٣).

بالرضا[١]. ويقولون كذلك: المحبة والرضا أزليتان بمعنى أنه يحب ويرضى عمن علم منه أنه يموت على الإيمان ولو كان في الحال كافرا.

قال عبد الله بن كلاب: «إن الله سبحانه لم يزل قديما بأسمائه وصفاته، وأنه لم يزل عالما قادرا حيا سميعا بصيرا عزيزا جليلا كبيرا عظيما جوادا متكبرا واحدا أحدا صمدا فردا باقيا أولا سيدا مالكا ربا رحمانا مريدا كارها محبا مبغضا راضيا ساخطا مواليا معاديا قائلا متكلما، بعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر وعزة وجلال وعظمة وكبرياء وكرم وجود وبقاء وإلهية ورحمة وإرادة وكراهة وحب وبغض ورضى وسخط وولاية وعداوة وكلام وأن ذلك من صفات الذات»[٢].

ويقول الباقلاني: «فإن قيل: فما الدليل على أن غضب الله سبحانه ورضاه، ورحمته، وسخطه، وحبه وعداوته، وموالاته وبغضه إنما هو إرادته لإثابة من رضي عنه وأحبه ووالاه ونفعه،...

قيل له: الدليل على ذلك: أن الغضب والرضا ونحو ذلك لا يخلو؛ إما أن يكون المراد به إرادته النفع والضرر فقط، أو يكون المراد به نفور الطبع وتغيره عند الغضب، ورقته وميله وسكونه عند الرضا، فلما لم يجز أن يكون الباري جلت قدرته ذا طبع يتغير وينفر، ولا ذا طبع يسكن ويرق، وأن هذه من صفات المخلوقين، وهو يتعالى عن جميع ذلك: ثبت أن المراد بغضه، ورضاه، ورحمته، وسخطه إنما هو إرادته وقصده إلى نفع من كان في معلومه أنه

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٩/ ١٦١)، وفيض القدير للمناوي(٦/ ٢٣٩)، دليل الفالحين للصديقي (٣/ ١١-١٢).

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري (٥٤٦).

ينفعه، وضرر من سبق في علمه وخبره أنه يضره لا غير ذلك»[(١)].

وقال بعد ذلك: « واعلم أنه لا فرق بين الإرادة والمشيئة والاختيار والرضا والمحبة على ما قدمنا، واعلم أن الاعتبار في ذلك كله بالمآل لا بالحال. فمن رضي سبحانه عنه لم يزل راضيا عنه ولا يسخط عليه أبدا وإن كان في الحال عاصيا. ومن سخط عليه فلا يزال ساخطا عليه ولا يرضى عنه أبدا وإن كان في الحال مطيعا.

مثال ذلك: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يزل راضيا عن سحرة فرعون وإن كانوا في حال طاعة فرعون على الكفر والضلال؛ لكن لما آمنوا في المآل بان بأنه تعالى لم يزل راضيا عنهم، وكذلك الصديق والفروق رضي الله عنهما لم يزل راضيا عنهما في حال عبادة الأصنام لعلمه بمآل أمرهما وما يصيران إليه من التوحيد ونصر الرسول والجهاد في سبيل الله تعالى.

وكذلك لم يزل ساخطا على إبليس وبلعم وبرصيص في حال عبادتهم لعلمه بمآلهم وما يصير إليه حالهم»[(٢)].

وشبهتهم في ذلك هي قولهم:

أن «معنى الرضا: سكون النفس إلى الشيء والارتياح إليه وذلك على الله تعالى محال»[(٣)].

و«المحبة: إنما هي ميل القلب إلى المحبوب وذلك في حق الباري تعالى محال »[(٤)].

---

(١) الإنصاف ص (٣٨-٣٩) و ص(٢٥)، وينظر: التمهيد له (٢٢).

(٢) نفس المصدر ص (٤٣). وينظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٩٨)، و(٥٤٧)، ومشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص(١٨٨)، والفصل لابن حزم (٤/ ١٠١).

(٣) ينظر: الإنصاف للباقلاني ص (٣٨-٣٩)، والتمهيد له (٢٢)، وبحر الكلام للنسفي (٢٢٢)، وإيضاح الدليل لابن جماعة ص (١٤٣-١٤٤).

(٤) ينظر: المعلم للمازري (١/ ٤٦٢)، والمفهم للقرطبي (٦/ ٦٤٣)، وإيضاح الدليل لابن جماعة ص =

وهي إنما تكون لمناسبة بين المحب والمحبوب ولا مناسبة بين القديم والمحدث [١].

و الرحمة: رقة القلب وانعطافه وذلك من الكيفيات التابعة للمزاج والله منزه عنها[٢].

وكذلك قالوا في أحاديث الدراسة في هذه الصفات أن الرحمة[٣] والرضا[٤] والمحبة[٥] هي من قبيل **المشاكلة** اللفظية فقط.

وبتأويلهم للمحبة بالإرادة، وأن الإرادة لا تتعلق إلا بالمحدث المقدور، والقديم يستحيل أن يراد: أنكروا محبة العباد والملائكة والأنبياء والرسل له. وقالوا لا معنى لها إلا إرادة التقرب إليه والتعظيم له وإرادة عبادته [٦]، وإرادتهم أن ينعم ويحسن إليهم[٧].

=

(١٣٩)، وفيض القدير للمناوي (١/ ١٦٥)، وأقاويل الثقات للكرمي (٧٧).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٦٦)، والصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٤٩٠)، ومختصر الصواعق لابن الموصلي (٢/ ٤٦٥)، وأقاويل الثقات للكرمي (٧٧)، وشرح الواسطية للهراس (١٠٠).

(٢) ينظر: شرح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٠٤)، والدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٣١)، واللباب لابن عادل (١/ ١٤٧)، والمفردات للراغب (١٩١)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١٠/ ٣٦١)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٩/ ١٦١)، وفيض القدير للمناوي (٦/ ٢٣٩) ودليل الفالحين للصديقي (٣/ ١١-١٢)، وأقاويل الثقات لمرعي الكرمي (٧١).

(٣) ينظر: عمدة القاري للعيني (٢٢/ ١٦٨)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٣٠).

(٤) ينظر: روح المعاني للألوسي(٢٣/ ٢٤٢).

(٥) ينظر: المفهم للقرطبي (١/ ٢٦٦). وهو عبَّر عليها بالمقابلة اللفظ بالفظ.

(٦) ينظر: شرح الأصفهانية لابن تيمية (٣٩)، وجامع الرسائل له (٢/ ٢٣٧-٢٣٨)، ومدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٥).

(٧) ينظر: المعلم للمازري (١/ ٤٦٢).

ومن هنا يمكن تلخيص ما قالوه في هذه الصفات في النقاط التالية:

النقطة الأولى: أن الرحمة والرضا والمحبة صفات ذاتية أزلية وأن الله لم يزل راضيا ومحبا لمن سبق في علمه أنه يموت على الإيمان وإن كان في الحال كافرا.

النقطة الثانية: أن المراد منها الإرادة وليس حقيقة هذه الصفات.

النقطة الثالثة: المراد منها صفات الفعل عندهم التي تقوم بالغير وهي الإحسان والإثابة والنعيم.

النقطة الرابعة: أولوا هذه الصفات الواردة على سبيل المقابلة بالمشاكلة اللفظية فقط.

النقطة الخامسة: نفوا محبة العباد لله تعالى وقالوا هي مجرد إرادة التقرب والعبادة لا غير.

وعليه فسيكون الرد عليهم وفق هذه النقاط الخمسة.

المطلب الثاني: الرد عليهم.

أما النقطة الأولى: وهي دعواهم أن هذه الصفات أزلية وأن الله لم يزل راضيا ومحبا لمن سبق في علمه أنه يموت علىٰ الإيمان وإن كان في الحال كافرا.

فالرد عليها من وجوه:

الأول: «إن علم الله القديم الأزلي وما يتبعه من محبته، ورضاه، وبغضه، وسخطه، وولايته، وعداوته لا يتغير. فمن علم الله منه أنه يوافي حين موته بالإيمان والتقوىٰ، فقد تعلقت به محبة الله وولايته ورضاه عنه أزلا وأبدا، وكذلك من علم الله منه أنه يوافي حين موته بالكفر، فقد تعلق به بغض الله وعداوته وسخطه أزلا وأبدا، لكن مع ذلك فإن الله تعالىٰ يبغض ما قام بالأول من كفر وفسوق قبل موته.

وقد يقال: إنه يبغضه ويمقته علىٰ ذلك كما ينهاه عن ذلك وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يأمر بما فعله الثاني من الإيمان والتقوىٰ، ويحب ما يأمر به ويرضاه.

وقد يقال: إنه يواليه حينئذ علىٰ ذلك»[(١)].

الثاني: وأما قولهم أن الله تعالىٰ لا يسخط ما رضي ولا يرضى ما سخط فباطل. فإن المؤمن يموت مرتدا والكافر يموت مسلما، والله تعالىٰ لم يزل يعلم أنه سيسخطه فعل الكافر ما دام كافرا، ثم أنه يرضى عنه إذا أسلم، وأن الله تعالىٰ لم يزل يعلم أنه يرضى عن أفعال المسلم وأفعال البر ثم أنه يسخط أفعاله إذا ارتد أو فسق.

الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ ﴾ [البقرة:٢١٧]. فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم أنه لا يمكن أن يحبط عمل إلا وقد كان غير حابط، ومن المحال أن يحبط عمل لم يكن محسوبا قط، فصح أن عمل المؤمن الذي ارتد

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١١/ ٦٣-٦٤).

ثم مات كافرا أنه كان محسوبا ثم حبط إذا ارتد.

الرابع: يقال لهم: أفي الكافر كفر إذا كان كافرا قبل أن يؤمن، وفي الفاسق فسق قبل أن يتوب، وفي المؤمن إيمان قبل أن يرتد أم لا؟ فإن قالوا: لا، كابروا وأحالوا، وإن قالوا: نعم، قلنا لهم: فهل يسخط الله الكفر والفسق أو يرضى عنهما؟ ، فإن قالوا: بل يسخطهما تركوا قولهم، وإن قالوا: بل يرضى عن الكفر والفسق كفروا(١).

الخامس: قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[آل عمران: ٣١]. فمحبة الله لهم إنما تكون بعد اتباعهم للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾[الصف: ٤]. فمحبة الله لهم سببها القتال في سبيل الله، وهي جزاء له، والجزاء إنما يكون بعد العمل والمسبب. وهذا يدل على أن هذه الصفات ليست أزلية.

وأما النقطة الثانية: وهي تأويلهم للمحبة والرحمة والرضا بالإرادة فهذا باطل من أوجه:

الأول: أن الإرادة عامة في كل ما وجد من محبوب ومكروه، والمحبة خاصة(٢).

الثاني: أن «الإرادة غير المحبة والرضا، فقد يريد ما لا يحبه ولا يرضاه، بل يكرهه ويسخطه ويبغضه»(٣).

---

(١) الأوجه ٢، ٣، ٤ ينظر: الفصل لابن حزم (٤/ ١٠١، ١٠٤).

(٢) ينظر: شرح النونية للهراس(١/ ١٠٤).

(٣) الحجة في بيان المحجة للتيمي(١/ ٤٥٩). وينظر: شرح الأصبهانية لابن تيمية (٤٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٤٧٢).

الثالث: أن يقال له: « لِمَ أثبت له إرادة وأنه مريد حقيقة ونفيت حقيقة الحب والرحمة ونحو ذلك.

فإن قال: لأن إثبات هذا تشبيه؛ لأن الرحمة رقة تلحق المخلوق والربّ ينزه عن مثل صفات المخلوقين.

قيل له: وكذلك يقول من ينازع في الإرادة، إن الإرادة المعروفة ميل الإنسان إلى ما ينفعه وما يضره، والله تعالى منزه عن أن يحتاج إلى عباده وهم لا يبلغون ضره ولا نفعه بل هو الغني عن خلقه كلهم.

فإن قلت: الإرادة التي نثبتها لله ليست مثل إرادة المخلوقين؛ كما أنا قد اتفقنا وسائر المسلمين على أنه حي، عليم، قدير، وليس هو مثل سائر الأحياء العلماء القادرين.

قال لك أهل الإثبات: وكذلك الرحمة والمحبة التي نثبتها لله ليست مثل رحمة المخلوق ومحبة المخلوق.

فإن قلت: لا أعقل من الرحمة والمحبة إلا هذا.

قال لك النفاة ونحن لا نعقل من الإرادة إلا هذا.

ومعلوم عند كل عاقل أن إرادتنا ومحبتنا ورحمتنا بالنسبة إلينا كإرادته ورحمته ومحبته بالنسبة إليه، فلا يجوز التفريق بين المتماثلين؛ فتثبت له إحدى الصفتين وتنفي الأخرى، وليس في العقل ولا في السمع ما يوجب التفريق»[1].

الرابع: «أن وصفه تعالى بكونه رحمانا رحيما حقيقة أولى من وصفه بالإرادة، وذلك أن

---

(١) شرح الأصفهانية لابن تيمية ص(٣٦-٣٧). وينظر: التدمرية له (٣١-٣٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٤٧٣)، والصفات الإلهية للجامي (٣٧٧).

من أسمائه الحسنىٰ الرحمن الرحيم، وليس من أسمائه المريد»(١).

الخامس: أن إرادة الإحسان هي من لوازم الرحمة، والمحبة والرضا، فإذا انتفت حقيقة هذه الصفات، انتفىٰ لازمها وهو إرادة الإحسان «لأن ثبوت لازم الحقيقة مع انتفائها ممتنع، فالحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمها»(٢).

السادس: قوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إن الله لما قضىٰ الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن **رحمتي** سبقت غضبي»(٣) فلو كانت رحمته هي الإرادة، امتنع أن يكون له غضب مسبوق برحمة، لأنهم يفسرون الغضب بالإرادة. فتكون الإرادة تسبق نفسها(٤).

وأما النقطة الثالثة: وهي تفسيرهم للرحمة والرضا والمحبة بالإحسان والإنعام والثواب فهذا باطل من وجوه:

الأول: «أن الله تعالىٰ فرق بين رحمته ورضوانه وثوابه المنفصل. فقال تعالىٰ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[التوبة: ٢١]. فالرحمة والرضوان صفته والجنة ثوابه»(٥).

الثاني: «محبة الربّ لأوليائه وأنبيائه ورسله صفة زائدة علىٰ رحمته وإحسانه وعطائه فإن ذلك أثر المحبة وموجبها، فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم

(١) مختصر الصواعق لابن الموصلي (٣/ ٨٧٢).

(٢) نفس المصدر (٣/ ٨٧٩).

(٣) سبق تخريجه ص(٢٣٥).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٦/ ٢٦١).

(٥) مختصر الصواعق لابن الموصلي (٣/ ٨٧٨).

نصيب»[(١)].

الثالث: أن هذه التفسيرات يلزمهم فيها ما فروا منه، «فان الفعل المعقول لا بد أن يقوم أولا بالفاعل، والثواب والعقاب المفعول إنما يكون على فعل ما يحبه ويرضاه، ويسخطه ويبغضه المثيب المعاقب، فهم إن أثبتوا الفعل على مثل الوجه المعقول في الشاهد للعبد مثلوا، وإن أثبتوه على خلاف ذلك، فكذلك سائر الصفات»[(٢)].

أما النقطة الرابعة: وهي دعوى المشاكلة في الرحمة والرضا والمحبة، فهذا مردود بورود هذه الصفات من غير مشاكلة في اللفظ؛ فمما وردت فيه **الرحمة** من غير مشاكلة: قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦]. وقال سبحانه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[الأنعام: ١٤٧].

وقال رسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن **رحمتي** سبقت غضبي»[(٣)].

وأما ورود **المحبة** من غير مشاكلة في اللفظ فكثير جدا إليك بعضا منه: قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩]. وقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٧]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله **يحب** فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن **الله يحب** فلانا

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٤-١٥)

(٢) التدمرية لابن تيمية ص (٤٦).

(٣) سبق تخريجه ص(٢٣٥).

فأحبوه؛ فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»(١).

وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح علىٰ يديه، يحب الله ورسوله، و**يحبه الله** ورسوله»(٢).

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله قال« من عادىٰ لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل **حتىٰ أحبه؛** فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها »(٣).

وعن عائشة أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث رجلا علىٰ سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ » فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **أخبروه أن الله يحبه**»(٤). إلىٰ غير ذلك من النصوص التي تدفع دعوىٰ المشاكلة.

أما **صفة الرضا** فهي الأخرىٰ وردت كثيرا في النصوص من غير مشاكلة في اللفظ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح: ١٨].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره

(١) سبق تخريجه ص(٢٤٢).

(٢) سبق تخريجه ص(٢٤٢).

(٣) سبق تخريجه ص(٢٤٣).

(٤) سبق تخريجه ص(٢٣٨).

لكم ثلاثا، **فيرضى** لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»(١).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»(٢).

فهذه جملة من النصوص تدفع دعواهم المشاكلة في هذه الصفات.

وأما النقطة الخامسة: وهي قولهم: إن محبة العباد لله تعالى إنما هي إرادة التقرب إليه فقط فمردود من وجوه(٣):

الأول: إن محبة المتقرِب إلى المتقرَب إليه تابع لمحبته وفرع عليه، فمن لا يحب الشيء لا يمكن أن يحب التقرب إليه، إذ التقرُّب وسيلة، ومحبة الوسيلة تبع لمحبة المقصود، فيمتنع أن تكون الوسيلة إلى الشيء المحبوب هي المحبوب دون الشيء المقصود بالوسيلة.

الثاني: أن ما وصف الله به عباده المؤمنين من أنهم يحبونه، يمتنع ألا يكون معناه إلا مجرد محبة العمل الذي ينالون به بعض الأغراض المخلوقة من غير أن يكون ربهم محبوبا أصلا.

الثالث: ليس في كتاب الله وسنة رسوله ما ينفي أن يكون الله محبوبا وأن لا يكون المحبوب إلا الأعمال؛ لا في الدلالة المتصلة ولا المنفصلة بل ولا في العقل أيضا.

الرابع: قد فرق الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ بين محبته ومحبة العمل له في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ

---

(١) سبق تخريجه ص(٢٤٩).

(٢) سبق تخريجه ص(٢٥٠).

(٣) ينظر: مجمل هذه الوجوه في مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٦٩، ٧٣).

ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤].

فلو كان المراد بمحبته ليس إلا محبة العمل لكان هذا تكرارا، أو من باب عطف الخاص على العام، وكلاهما على خلاف ظاهر الكلام الذي لا يجوز المصير إليه إلا بدلالة تبيِّن المراد.

الخامس: وكذلك التعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة طاعته لا عن محبة نفسه أمر لا يعرف في اللغة لا حقيقة ولا مجازا؛ فحمل الكلام عليه تحريف محض أيضا.

السادس: كل ما فطرت القلوب على محبته من نعوت الكمال فالله هو المستحق له على الكمال، وكل ما في غيره من محبوب فهو منه سبحانه وتعالى، فهو المستحق لأن يحب على الحقيقة والكمال.

السابع: إنكار محبة العبد لربه هو في الحقيقة إنكار لكونه إلها معبودا، كما أن إنكار محبته لعبده يستلزم إنكار مشيئته، وهو يستلزم إنكار كونه ربا خالقا، فصار إنكارها مستلزما لإنكار كونه رب العالمين. ولكونه إله العالمين.

أما قولهم: المحبة: هي ميل القلب إلى المحبوب وذلك في حق الباري تعالى محال لأنه لا مناسبة بين الخالق والمخلوق. توجب محبته له وتمتعه بالنظر إليه، فيقال لهم:

أولا: هذا الكلام مجمل: فإن أرادوا بالمناسبة أنه ليس بينهما توالد فهذا حق.

وإن أرادوا أنه ليس بينهما من المناسبة ما بين الناكح والمنكوح، والآكل والمأكول، أو نحو ذلك، فهذا أيضا حق.

وإن أرادوا أنه لا مناسبة بينهما توجب أن يكون أحدهما محبا عابدا، والآخر معبودا محبوبا فهذا هو رأس المسألة فالاحتجاج به مصادرة على المطلوب ويكفي في ذلك المنع.

ثانيا: يقال: بل لا مناسبة تقتضي المحبة الكاملة إلا المناسبة التي بين المخلوق والخالق الذي لا إله غيره. الذي هو في السماء إله وفي الأرض إله، وله المثل الأعلى في السموات والأرض(١).

ثالثا: «إن أردتم بالمناسبة أن يكون المحبوب متصفا بمعنىً يحبه المحب، فهذا لازم للمحبة، والرب متصف بكل صفة تحَب، وكل ما يحَب فإنما هو منه، فهو أحق بالمحبة من كل محبوب»(٢).

رابعا: يقال لهم: «فإذا كنتم نفيتم حقيقة الحب والرضى لأن ذلك يستلزم اللذة بحصول المحبوب، قيل لكم: إن كان هذا لازما فلازم الحق حق، وإن لم يكن لازما بطل نفيكم»(٣).

أما قولهم: إن الرحمة في المخلوق رقَّةٌ وتعَطُّفٌ وضعف وخور وتألم للمرحوم، فهذا باطل لأوجه:

الأول: يقال لهم ماذا تريدون بهذا الكلام. رحمة المخلوق أم رحمة الخالق أم كل ما يسمى رحمة شاهدا أو غائبا؟ فإن قلتم بالأول صدقتم ولم ينفعكم ذلك شيئا، وإن قلتم بالثاني والثالث كنتم قائلين غير الحق، فإن الرحمة صفة الرحيم وهي في كل موصوف بحسبه. فإذا اتصف الله تعالى بالرحمة لم يلزم أن تكون رحمته من جنس رحمة المخلوق.

الثاني: «الرحمة إنما تكون من الأقوياء للضعفاء، فلا تستلزم ضعفا ولا خورا؛ بل قد

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٧٤).

(٢) النبوات لابن تيمية (١/ ٣٥٢).

(٣) نفس المصدر (١/ ٤٤٨).

تكون مع غاية العزة والقدرة، فالإنسان القوي يرحم ولده الصغير وأبويه الكبيرين ومن هو أضعف منه، وأين الضعف والخور ـ وهما من أذم الصفات ـ من الرحمة التي وصف الله نفسه بها، وأثنى على أوليائه المتصفين بها وأمرهم أن يتواصوا بها»(١).

الثالث: أن الضعف والخور مذموم من الآدميين، والرحمة ممدوحة؛ وقد قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[البلد: ١٧]. وقد نهى الله عباده عن الوهن والحزن؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٩]. وندبهم إلى الرحمة.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»(٢).

ومحال أن يقول: لا ينزع الضعف والخور إلا من شقي.

الرابع: إذا فرضنا موجودين أحدهما يرحم غيره فيجلب له المنفعة ويدفع عنه المضرة، والآخر قد استوى عنده هذا وهذا، وليس عنده ما يقتضي جلب منفعة ولا دفع مضرة، كان الأول أكمل.

الخامس: كذلك الرحمة وغيرها إذا قدر أنها في حقنا ملازمة للحاجة والضعف؛ لم

---

(١) ينظر: شرح الواسطية للهراس ص (١٠٧).

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٩٤٢). كتاب الأدب. باب: في الرحمة. والترمذي برقم (١٩٢٣). كتاب البر والصلة. باب: ما جاء في رحمة الناس. وقال: «حسن». والطيالسي في المسند (٢٦٥٢)، وأحمد في المسند (٨٠٠١)، وأبو يعلى في المسند (٦١٤١) والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٩)، وقال: «صحيح الإسناد». وقال الذهبي: «صحيح»، وابن حبان في الصحيح (٤٦٢)، والطبراني في الأوسط (٢٤٥٣)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٦١)، وحسنه الألباني في المشكاة (٤٩٦٨)، وصحيح الجامع برقم (٧٤٦٧)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٠).

يجب أن تكون في حق الله ملازمة لذلك[١].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما لزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله كما يلزم حياة العبد من النوم والسنة والحاجة إلى الغذاء ونحو ذلك...

كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى، وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالى بها، فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه، كعلمه الذي يلزمه القدم والوجوب والإحاطة بكل معلوم، وقدرته وإرادته وسائر صفاته، فإن ما يختص به منها لا يمكن إثباته للمخلوق»[٢].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١١٧-١١٨).

(٢) بدائع الفوائد (٢١٧). وينظر: إيثار الحق لابن الوزير (١/ ٢١٦). والصفات الإلهية للجامي (٣٧٦).

الفصل الثالث

موقف المخالفين من بعض الصفات

التي سبقت دراستها في الباب الثاني

والرد عليهم

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: تأويل صفة الملل. والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم:

قالوا: الملال على الله تعالى محال، وهو استثقال الشيء و النفور منه؛ لأن ذلك يقتضي تغيّرَه وحلول الحوادث فيه، وذلك غير جائز في وصفه [1]، وإذا أسند إليه شيء من ذلك يجب أن يؤول ويحمل على منتهاه وغاية منتهاه، كإسناد الرحمة والغضب والحياء إليه سبحانه[2].

---

(١) ينظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (١٤٣-١٤٤)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٣١-٤٣٢)، والمعلم للمازري (١/ ٤٥٧-٤٥٨)، وإكمال المعلم للقاضي (٣/ ٨٤). ومشارق الأنوار له (١/ ٣٨٠)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤/ ٢٧٧-٢٧٨). ودفع شبه التشبيه بأكف التنزيه له (٢٢٠)، والمفهم للقرطبي (٤١٣-٤١٤)، وشرح مسلم للنووي (٦/ ٧١)، وإيضاح الدليل لابن جماعة ص(١٨٣-١٨٤)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٠٢)، وعمدة القاري للعيني (١/ ٤٠٢-٤٠٣)، والديباج للسيوطي (٢/ ٣٨٦)، وتنوير الحوالك له(١/ ١٠٧)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٢٩)، و(٢/ ٣٢٧-٣٢٨)، و(٣/ ٤٠٢-٤٠٣)، وجمع الوسائل للقاري (٢/ ٢٣٥-٢٣٦)، ومرقاة المفاتيح له (٣/ ٢٨٦)، وفيض القدير للمناوي(٣/ ١٦٠)، و(٣/ ٤٣٤)، و(٤/ ٣٥٤)، ودليل الفالحين للصديقي(٢/ ٣٨٤-٣٨٥)، وشرح الزرقاني(١/ ٣١٩)، وعون المعبود للعظيم أبادي (٤/ ٢٤٢-٢٤٣).

(٢) فيض القدير للمناوي(٣/ ٤٣٤).

وقالوا: إسناد الملال إلى الله تعالى إنما هو على سبيل المشاكلة وتحسين المقابلة، والازدواج في الكلام[1]، كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ ﴾[البقرة: ١٩٤]. فجازاه على اعتدائه فسماه اعتداء وهو عدل لتزدوج اللفظة الثانية مع الأولى.

(١) ينظر: شرح البخاري لابن بطال (٣/ ١٢٣). و(٤/ ١١٦- ١١٧)، والسنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٢٧-٢٨)، والمنتقى للباجي (٢/ ١٥٧)، والمعلم للمازري (١/ ٤٥٧-٤٥٨)، وإكمال المعلم للقاضي (٣/ ٨٤)، ومشارق الأنوار له (١/ ٣٨٠)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤/ ٢٧٧-٢٧٨)، والمفهم للقرطبي (٤١٣-٤١٤)، وجامع الأصول لابن الأثير (١/ ٣٠٦)، وغريب الحديث له (٢/ ٦٨٠)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٠٢)، و(١٠/ ٣١٤)، وشرح أبي داود للعيني (٥/ ٢٧١)، وعمدة القاري له(١/ ٤٠٢-٤٠٣)، وشرح الزرقاني (١/ ٣١٩)، وتنوير الحوالك للسيوطي (١/ ١٠٧)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٢٩)، و(٢/ ٣٢٧-٣٢٨)، تاج العروس للزبيدي (٣٠/ ٤١٩)، وجمع الوسائل للقاري (٢/ ٢٣٥-٢٣٦)، ومرقاة المفاتيح له (٣/ ٢٨٦)، وفيض القدير للمناوي(٣/ ١٦٠)، و(٣/ ٤٣٤)، و(٤/ ٣٥٤)، ودليل الفالحين للصديقي (٢/ ٣٨٤-٣٨٥)، وعون المعبود للعظيم أبادي (٤/ ٢٤٢-٢٤٣).

المطلب الثاني: الرد عليهم:

أما قولهم: الملال وهو استثقال الشيء و النفور منه؛ لأن ذلك يقتضي تغيره وحلول الحوادث فيه. **فهذا باطل من أوجه:**

الأول: أن هذا الذي ذكرتموه إنما هو ملل المخلوق، اللائق بذاته، أما ملل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو بما يليق بجلاله، كما أن ذاته لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات.

الثاني: أن إثبات الملل يقتضي تغيره وحلول الحوادث، فهذا لازم ملل المخلوق، أمَّا ما يلزم من صفات الله تعالى فهو بما يليق به ﷻ.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما لزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله كما يلزم حياة العبد من النوم والسنة والحاجة إلى الغذاء ونحو ذلك. . .

كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى، وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالى بها، فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه، كعلمه الذي يلزمه القدم والوجوب والإحاطة بكل معلوم، وقدرته وإرادته وسائر صفاته، فإن ما يختص به منها لا يمكن إثباته للمخلوق»[(١)].

الثالث: أن هذه الصفة تثبت على ظاهرها كبقية الصفات المضافة إلى الله تعالى كالكراهية والبغض والسخط والغضب ونحوها. وقد سبق في دراسة هذه الصفة ذكر النقول عن الأئمة في إثباتها على ظاهرها، وفق منهج السلف الصالح.

---

(١) بدائع الفوائد (٢١٧). وينظر: إيثار الحق لابن الوزير (١/٢١٦)، والصفات الإلهية للجامي (٣٧٦).

الرابع: أن الملل من الله هنا على سبيل الجزاء لا للابتداء، وهو بهذا صفة كمال، نظير المكر والاستهزاء، والخداع.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(فإن الله لا يمل حتى تملوا)

من نصوص الصفات، وهذا على وجه يليق بالباري لا نقص فيه، كنصوص الاستهزاءِ والخداع فيما يتبادر»[١]

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « لأن المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث منتف عن الله، عز وجل، بالإجماع، وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك»[٢].

---

(١) الفتاوى (١/ ٢٠٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٤).

المبحث الثاني: قول المخالفين في صفة الإعراض، والرد عليهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

قالوا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فأعرض الله). أي: ترك رحمته فلم يرحمه[(١)].

وقيل: جازاه على إعراضه[(٢)].

وقيل: سخط عليه [(٣)] «لأن الإعراض هو الالتفات إلى جهة أخرى وذلك لا يليق في حق الله تعالى فيكون مجازا عن السخط أو الغضب المجاز عن إرادة الانتقام، والقاعدة في مثل هذه الإطلاقات التي لا يمكن حملها على ظواهرها أن يراد به غاياتها ولوازمها، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي اللزوم، والقرينة الصارفة عن إرادة الحقيقة هو العقل إذا لا يتصور العقل صدور هذه الأشياء من الله تعالى»[(٤)].

---

(١) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي(٢/ ٩٠)، ومشارق الأنوار للقاضي (٢/ ٧٥)، وإكمال المعلم له (٧/ ٣٢)، وشرح مسلم للنووي (١٤/ ١٥٩)، وعمدة القاري للعيني (٢/ ٥٠)، والديباج للسيوطي (٥/ ١٩٥)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٤٧١).

(٢) مشارق الأنوار للقاضي (٢/ ٧٥).

(٣) ينظر: شرح البخاري لابن بطال (١/ ١٤٩)، والتمهيد لابن عبد البر (١/ ٣١٧)، والمنتقى للباجي (٩/ ٤٢٧)، وشرح مسلم للنووي (١٤/ ١٥٩)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٥٧)، وعمدة القاري للعيني (٢/ ٥٠)، وتنوير الحوالك للسيوطي (١/ ٢٣٩)، والديباج له (٥/ ١٩٥)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥)، وشرح الزرقاني (٤/ ١٩٨)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٤٧١).

(٤) عمدة القاري للعيني (٢/ ٥٠). وينظر: إرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥)، و(١/ ٤٥٧)، وشرح الزرقاني (٤/ ١٩٨).

قال النووي: «فقال العلماء الإعراض والغضب والسخط من الله تعالى هو إرادته إبعاد ذلك المغضوب عليه من رحمته وتعذيبه وإنكار فعله وذمه»(١).

وقيل: هو من باب المشاكلة(٢).

---

(١) شرح مسلم (٢/ ١٦٢).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ١٥٧)، وعمدة القاري للعيني (٢/ ٥٠)، وتنوير الحوالك للسيوطي (١/ ٢٣٩)، وإرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٦٥)، وشرح الزرقاني (٤/ ١٩٨)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ٤٧١).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

من خلال هذا الكلام يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

الأولى: تفسير الإعراض بالثواب.

الثانية: تفسيره بصفة أخرىٰ كالسخط والغضب وعدم الرحمة.

الثالثة: تفسيره بالإرادة.

الرابعة: أنه من باب المشاكلة.

وعليه سيكون الرد مرتبا علىٰ وفق هذه النقاط: وقد سبق في مبحث الرد علىٰ تأويلهم لصفة المحبة والرحمة والرضا نظائر من جنس هذا الرد، مدعما بكلام العلماء فليراجع هناك، وحسبنا في هذا المقام الإشارة إلىٰ بعض الأوجه علىٰ هذه النقاط:

النقطة الأولى: تفسيرهم للإعراض بالثواب هو تفسير له بمخلوق، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفاته غير مخلوقة فكيف يفسر بها.

الثانية والثالثة: تفسيره بصفة أخرىٰ، وعليه فيلزمهم في هذه الصفة التي أثبتوها ما ادعوه في الصفة التي نفوها، فإما أن يثبتوا الجميع كما هو وراد في النصوص، أو ينفوا الجميع، أما التفريق بين المتماثلات فتناقض.

أما قولهم: لأن الإعراض هو الالتفات إلىٰ جهة أخرىٰ، وذلك لا يليق في حق الله تعالىٰ. فيقال هذا إعراض المخلوق، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفاته كذاته، فكما أن ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات؛ لأن القول في الصفات فرع عن القول في الذات.

النقطة الرابعة: دعوىٰ المشاكلة مردودة بورود الصفة من غير مقابلة في اللفظ، فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحضرمي لما أدبر الكندي ذاهبا: «أما لئن حلف علىٰ ماله ليأكله ظلما

ليلقين الله وهو عنه معرض»[١].

وعن جابر رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجدنا هذا وفي يده عرجون ابن طاب، فرأىٰ في قبلة المسجد نخامة فحكها بالعرجون، ثم أقبل علينا فقال: « أيكم يحب أن **يعرض الله عنه؟** » قال: فخشعنا، ثم قال: « أيكم يحب أن **يعرض الله عنه**؟» قال: فخشعنا، ثم قال: « أيكم يحب أن **يعرض الله عنه**؟» قلنا: لا أينا، يا رسول الله**!** قال: «فإن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تبارك وتعالىٰ قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه ولا عن يمينه وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرىٰ...»[٢].

---

(١) سبق تخريجه ص(٢٧٦).

(٢) سبق تخريجه ص(٢٧٦).

المبحث الثالث: موقفهم من صفات الإحصاء، والإيعاء، والإيكاء، والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

قالوا في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فيحصي الله عليك) هو من قبيل المشاكلة والمقابلة باللفظ(١)، وأنه مجاز(٢).

وقالوا في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فيوكي عليك) هذا من باب مقابلة اللفظ باللفظ والمشاكلة(٣).

وقالوا في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فيوعي الله عليك) هو من قبيل المشاكلة والمقابلة باللفظ(٤).

وقالوا: إسناد الوعي إلى الله مجاز عن الإمساك(٥).

---

(١) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٣/ ٤٨٧)، و(٣/ ٥٥٩)، وشرح مسلم للنووي (٧/ ١١٩)، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٠٠)، وعمدة القاري للعيني(٨/ ٤٣١)، و(١٣/ ٢١٦)، والديباج للسيوطي (٣/ ١٠٥)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٣/ ٣٣)، مرقاة المفاتيح للقاري (٤/ ٣١٨)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٦٨).

(٢) إرشاد الساري للقسطلاني (٤/ ٣٤٧).

(٣) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٣/ ٤٨٧)، و(٣/ ٥٥٩)، المفهم للقرطبي(٣/ ٧٤)، و فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٠٠)، وعمدة القاري للعيني(٨/ ٤٣١).

(٤) ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٣/ ٤٨٧)، و(٣/ ٥٥٩)، والمفهم للقرطبي (٣/ ٧٤)، وعمدة القاري للعيني (٨/ ٤٣١)، و(١٣/ ٢١٥-٢١٦)، وفيض القدير للمناوي (٣/ ٦١).

(٥) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٠٠)، وعمدة القاري للعيني (٨/ ٤٣٢)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٣/ ٣٣).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

ويكون ذلك من أوجه:

الأول: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو من أخبرنا بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحصي، ويوعي، ويوكي، ولو كان ذلك يحتمل معنىً باطلا لما أضافه له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذ هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم بالله وبما يليق به وما يمتنع عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الثاني: أن الاحصاء ثبت مضافا إلى الله من غير مشاكلة في اللفظ مما يدل على جواز إضافته لله تعالى ابتداء، كما قال تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾[الجن: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[المجادلة: ٦]. وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[يس: ١٢].

الثالث: أن الايعاء قد ورد معناه، وما يدل عليه مضافا إلى الله تعالى من غير أن يكون محتملا للنقص، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[الطلاق: ٧]. أي: «ومن ضيق عليه رزقه فلم يوسع عليه، فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله، وما أعطى منه»[(١)].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾[الفجر: ١٦]. أي: «فضيَّق عليه رزقه و قتَّره، فلم يكثر ماله، ولم يوسع عليه»[(٢)].

---

(١) جامع البيان للطبري (٢٣/ ٤٦٢).

(٢) نفس المصدر (٢٤/ ٤١٢).

الرابع: أنه على العبد أن يؤمن بكل ما أضافه الله تعالى لنفسه، ويعتقده فيه ما قرره السلف – رحمهم الله تعالى –.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على فتح الباري، متعقبا الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قال: «وإسناد الوعي إلى الله مجاز عن الإمساك» قال: «هذا خطأ لا يليق بالشارح. والصواب إثبات وصف الله بذلك حقيقة، على الوجه اللائق به – سبحانه- كسائر الصفات. وهو سبحانه يجازي العامل بمثل عمله؛ فمن مكر: مكر به، ومن خادع: خدعه، ومن أوعى: أوعى الله عليه، وهذا قول أهل السنة والجماعة، فالزمه تفز بالنجاة والسلامة. والله الموفق»[1].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٠٠).

المبحث الرابع: قول المخالفين في الرياء. والإضرار والتتبع. والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

قالوا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يرائي الله به، ويسمع الله به)** إنه من قبيل المشاكلة والمقابلة باللفظ[١].

وقالوا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ضار الله به)**أي «جازاه بعمله وعامله معاملته ففيه نوع من المشاكلة والمقابلة»[٢].

وقالوا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يتبع الله عورته)** إنه على سبيل المشاكلة[٣].

---

(١) ينظر: المفهم للقرطبي (٦/ ٦١٦)، وعمدة القاري للعيني (٢٣/ ١٣٣).

(٢) مرقاة المفاتيح للملا علي (٧/ ٢٤٤).

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح للملا علي (٧/ ٢٤٥)، وعون المعبود للعظيم أبادي (١٣/ ٢٢٤)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ١٤٤-١٤٥).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

أما دعوى المشاكلة في هذه الصفات فقد سبق وأن بينا أن المشاكلة نوع من أنواع المجاز، وحاصل هذه الدعوى هو نفي قيام هذه الصفات بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهذا معارضة ومحادة لله ورسوله، لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو من أخبر عن نفسه بذلك على لسان رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد أخبرنا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن رسوله لا ينطق عن الهوى قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤]، فهو أعلم بالله منا وبما يجوز في حقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وما يمتنع عليه.

وقد نقل العلماء الإجماع على أن صفات الله تعالى تثبت له كما أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، على الحقيقة.

قال **ابن عبد البر** رَحِمَهُٱللَّهُ: « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز »(١).

(١) التمهيد (٧/ ١٤٥).

المبحث الخامس: موقف المخالفين من صفة القطع، والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

قالوا: القطع عبارة عن الغضب عليه [١].

وقالوا: هو كناية عن حرمان الإحسان[٢].

وقالوا في قوله (**يسبُّه الله**) أي يجازه بسبِّه، أو يرد عليه سبَّه [٣].

(١) مرقاة المفاتيح للقاري(٩/ ١٤٢).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤١٨)، وفيض القدير للمناوي (٢/ ٢٣٤).

(٣) حاشية السندي على المسند (١٠/ ١٠).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

قولهم: إن القطع عبارة عن الغضب هذا تفسير للصفة بصفة أخرى، وعليه يلزمهم في صفة الغضب التي فسروا بها، ما فروا منه في صفة القطع، لأن الجميع صفات فعلية صادرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، كما هو مقرر.

أما قولهم: إن القطع كناية عن حرمان الإحسان، قد سبق وأن بينا أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها[(١)] الذي هو القطع حقيقة، وهو ضد الوصل، ومن آثاره حرمان الإحسان.

وأما قوله (**يسبُّه الله**) يجازه بسبِّه، أو يرد عليه سبَّه، فهذا فيه نفي أن يكون من الله تعالى عقاب من جنس فعله وإنما هو إثباتٌ لمطلق الجزاء.

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي ص(٤٠٣).

المبحث السادس: موقف المخالفين من صفتي الصرف والإزاغة، والرد على عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

قالوا: في قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾[التوبة: ١٢٧].

«فلما انصرفوا عاقبهم الله علىٰ انصرافهم، فسمىٰ العقوبة عليه باسمه، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[الشورىٰ: ٤٠]. وقالت العرب: الجزاء بالجزاء، والأول ليس بجزاء.

وقوله: ﴿ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ يدل علىٰ أنه صرف قلوبهم بالعقوبة التي استحقوها بالإعراض وترك التفقه والنظر فيما أنزله من السورة وسائر الدلائل، وهذا بين»[١].

وقالوا: « ظاهر الآية يدل علىٰ أن هذا الصرف عقوبة لهم علىٰ انصرافهم، والصرف عن الإيمان لا يكون عقوبة، لأنه لو كان كذلك، لكان كما يجوز أن يأمر أنبياءه بإقامة الحدود، يجوز أن يأمرهم بصرف الناس عن الإيمان. وتجويز ذلك يؤدي أن لا يوثق بما جاء به الرسول. ثم قال: هذا الصرف يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه تعالىٰ صرف قلوبهم بما أورثهم من الغم والكيد.

الثاني: صرفهم عن الألطاف التي يختص بها من آمن واهتدىٰ»[٢].

وقالوا في قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[الصف: ٥]. «فالمراد أنه يعاقبهم علىٰ ذلك، والكلام فيه كالكلام في قوله: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ

---

(١) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص (٣٥٠).

(٢) التفسير الكبير أو «المحيط» للقاضي عبد الجبار ص(٢١٩-٢٢٠)، وينظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٦/ ١٧٦).

قُلُوبَهُم ﴾، وقد بينا الكلام في ذلك»[١].

وقالوا في قوله تعالى: ﴿ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ «بأن منع ألطافه عنهم»[٢].

واعلم أن كلامهم هذا مبني على عقيدتهم في أن الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لم يخلق أفعال العباد وأنها خلق لهم.

فقالوا: « وتفسير ذلك أن تعلم أن أفعال العباد من الظلم والجور وغيرها لا يجوز أن يكون من خلقه، ومن أضاف ذلك إليه فقد نسب إليه الظلم والسفه، وخرج من القول بالعدل، وتعلم أن الله ﷻ لا يكلف الكافر الإيمان، ولم يعطه القدرة عليه،. . . وإنما أتي الكافر في اختياره الكفر من قبل نفسه لا من قبل الله عزَّ وعلا، وتعلم تعالى أنه لا يريد المعاصي ولا يشاؤها ولا يختارها ولا يرضاها، بل يكرهها ويسخطها، وإنما يريد الطاعات ويرضاها ويحبها ويختارها»[٣].

---

(١) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص (٦٥٣).

(٢) الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٢٤).

(٣) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص (٦٩).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

إن دعوى المعتزلة في عدم خلق الله تعالى لأفعال العباد مردودة من أوجه كثيرة مبثوثة في كتب العلماء، وحسبنا هنا أن نشير إلى طرف منها:

الأول: قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر: ٤٩]. وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾[الأنعام: ١٠٢]. وأفعال العباد أشياء فوجب أن تكون داخلة في جميع المخلوقات.

الثاني: أن أعمال العباد تسمى شيئا لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾[الكهف: ٧٤]. وقوله: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ [مريم: ٨٩]. وقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[يس: ١٢]. وأعمال العباد محصاة، وإذا سميت أشياء كانت داخلة في عموم الأشياء التي امتدح الله بخلقها ولا يخرج شيء عما مدح به نفسه.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات: ٩٦]. وحركات العباد داخلة في العمل، وآثار عملهم في الأعيان المعمول فيها تسمى أعمالا لهم فثبت أنها خلق لله.

الرابع: أن أفعالهم صفات لهم كألوانهم، فلما كانت ألوانهم خلقا لله كانت أفعالهم خلقا له[(١)].

لكن سلَّم بعضهم واعترف أن الله قد يخلق في العبد كفرا وفسوقا على سبيل الجزاء، وعللوا ذلك بأن هذا يحسن من الله تعالى لكونه جزاء للعبد وذلك لا يحسن منه لكونه ابتداء للعبد بما يضره[(٢)]، لكنهم لم يذكروا دليلا صحيحا يفرق بين ما كان جزاء وما كان

(١) ينظر: هذه الأوجه الانتصار للعمراني (١/ ١٦٨-١٦٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ١٢٤-١٢٥)، و شفاء العليل لابن القيم (٢/ ٦٠٠، ٦٠١).

ابتداء منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فيقال لهم في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ ﴾، أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نسب الزيغ الأول إليهم لكونه كسبا لهم ووقوعه بمشيئتهم، ومشيئتهم متعلقة بمشيئة الله لقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾[الإنسان: ٣٠]. ونسب الزيغ الثاني إلى نفسه ونسبه إليه لكونه خالقا له، والزيغ الواحد لا يجوز أن يكون بعضه خلقا لهم وبعضه خلقا لله، لأنهم لا يقدرون على تمييز ما خلقوا من الزيغ عما خلقه الله فيهم منه(١).

أما دعوى المشاكلة فقد ورد إضافة الصرف لله تعالى من غير مشاكلة في اللفظ فقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[الأعراف: ١٤٦].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[يوسف: ٢٤].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد **يصرفه** حيث يشاء» ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم مصرف القلوب **صرِّف** قلوبنا على طاعتك»(٢)

ومن ورود الإزاغة مضافة إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ من غير مشاكلة في اللفظ قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[آل عمران: ٨]. فأمر الله الخلق أن يسألوه بأن لا يزيغ قلوبهم، ولا يجوز أن يسأل العبد من الله إلا ما يجوز وقوع ضده منه، كما أمرهم أن يسألوه المغفرة والرحمة والرزق لأنه يجوز وقوع ضد ذلك منه(٣).

---

(١) ينظر: الانتصار للعمراني (٢/ ٤٣٩).

(٢) سبق تخريجه ص(٣٦٣).

(٣) ينظر: الانتصار للعمراني (٢/ ٤٣٧).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قالت: قلت: يا رسول الله، وإن القلوب لتتقلب؟ قال: « نعم، ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، إن شاء أقامه وإن شاء **أزاغه**، فنسأل الله ربنا أن **لا يزيغ** قلوبنا بعد إذا هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب»(١).

وعن النواس بن سمعان الكلابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن. أن شاء أقامه وإن شاء **أزاغه**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « اللهم زدني علما ولا **تزغ** قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »(٣).

---

(١) سبق تخريجه ص(٣٦٧).

(٢) سبق تخريجه ص(٣٦٨).

(٣) سبق تخريجه ص(٣٦٨).

المبحث السابع: موقفهم من: الاستهزاء، والمكر، والخداع، والسخرية، والنسيان. والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

قالوا في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[البقرة: ١٥]. هو من قبيل المشاكلة ومقابلة اللفظ باللفظ ليزدوج الكلام(١).

وعللوا ذلك بأن الاستهزاء من باب العبث والله تعالى منزه عن ذلك (٢)، وأنه« لا ينفك عن التلبيس، وهو على الله محال، ولأنه لا ينفك عن الجهل، لقوله: ﴿ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[البقرة: ٦٧]. والجهل على الله محال»(٣).

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١/ ٣٨٦-٣٨٧)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٩٠)، و(١/ ٤١٩)، و(٣/ ٤٣٥)، ومشكل الحديث وبيانه ص(٣٢٧)، والكشف والبيان للثعلبي (١/ ١٥٨)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٧٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ٢١)، والكشاف للزمخشري (١/ ١٨٤-١٨٥)، زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٥-٣٦)، ومفاتيح الغيب للرازي (١/ ٣٠٨)، و(٤/ ٧٣)، وجامع الأحكام للقرطبي (١/ ٣١٤)، وتفسير العز ابن عبد السلام (١/ ١٠٤-١٠٥)، وتفسير النسفي (١/ ٥٣)، و(٤/ ٥٠٨)، وجامع البيان للإيجي (١/ ٢٩)، والبحر المديد لابن عجيبة (١/ ٣٢٢)، والتفسير المحيط لأبي حيان(٤/ ٣٩٥)، والموافقات للشاطبي (٢/ ٢٥٧)، واللباب لابن عادل (١/ ٣٦٤)، وتفسير ابن عرفة المالكي (١/ ٣٢٣)، وتفسير أبي السعود (١/ ٤٧)، وأقاويل الثقات للكرمي (٧٥)، وروح البيان لإسماعيل حقي (١/ ٦١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٢٩٤).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (١/ ٥٣)، وأقاويل الثقات للكرمي (٧٥).

(٣) مفاتيح الغيب للرازي (١/ ٣٠٨)، وينظر: الكشاف للزمخشري (١/ ١٨٤-١٨٥).

وقالوا في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ ﴾[الأنفال: ٣٠]. وأمثالها مما أضيف فيها المكر لله تعالى، إنه من قبيل المشاكلة ومقابلة اللفظ باللفظ(١).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾[النساء: ١٤٢]. إنه من قبيل المشاكلة(٢).

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١/ ٣٨٦-٣٨٧). و(٥/ ١٠٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٩٠)، و(١/ ٢٦٥)، و(١/ ٤١٩)، و(٣/ ٤٣٥)، ومعاني القرآن لأبي جعفر النحاس (١/ ٤٠٨)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٣٩٦)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٣٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢١٦)، ومفاتيح الغيب للرازي (١/ ٣٠٨)، (٤/ ٧٣)، و(٣١/ ١٣٠)، وجامع الأحكام للقرطبي (١/ ٣١٥)، والبحر المديد لابن عجيبة (١/ ٣٢٢)، و(٨/ ٢٨٣)، وتفسير ابن عرفة المالكي (١/ ٣٢٣)، والتفسير المحيط لأبي حيان(٤/ ٣٩٥)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٢١٢)، و(٥/ ٣٩٣)، الموافقات للشاطبي (٢/ ٢٥٧)، واللباب لابن عادل (١/ ٣٦٤). و(٥/ ٢٦٣)، (٩/ ٢٣٧)، و(٢٠/ ٢٧٠). والإتقان للسيوطي (٣/ ١٢٧). وروح البيان اسماعيل حقي (٤/ ٢٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣/ ٢٥٦)، و(١١/ ١٣٤).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١/ ٣٨٦-٣٨٧)، و(٣/ ٣٩٤-٣٩٥)، و(٥/ ١٠٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١/ ٩٠)، وبحر العلوم للسمرقندي (١/ ٣٧٥)، وتفسير ابن أبي زمنين (١/ ٤١٥)، والنكت والعيون للماوردي (١/ ٥٣٨)، والتسهيل لابن جزي (١/ ٢١٥)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ٦١٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (١/ ٣٠٨)، و(٤/ ٧٣)، (٣١/ ١٣٠)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ١٢٧)، وجامع الأحكام للقرطبي (١/ ٣١٥)، والبحر المديد لابن عجيبة (١/ ٣٢٢)، و(٢/ ١١٧)، و(٨/ ٢٨٣)، وتفسير النسفي (١/ ٣٧٥)، و(٤/ ٥٠٨)، وجامع البيان للإيجي (١/ ٤٢٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٣٩٢)، واللباب لابن عادل (١/ ٣٦٤)، وفيض القدير للمناوي (٣/ ٤٣٤)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣/ ١٥٩-١٦٠)، و(٥/ ٢٣٩).

وقالوا في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ ﴾[التوبة: ٦٧]. هو من ازدواج الكلام والمشاكلة في اللفظ(١).

وقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: (أنساك كما نسيتني) أنه «على طريق المقابلة في الكلام أي أجازيك على نسيانك »(٢).

وكذلك قالوا في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ ﴾[التوبة: ٧٩]. هو من قبيل المشاكلة ومقابلة(٣).

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٤/ ٤٣٦)، و(٥/ ٤٢٢-٤٢٣)، و(١٠/ ٤٩٨-٤٩٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٧٨)، و (٤/ ٣٤٩)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٣٩)، والمحرر لابن عطية (٢/ ٤٠٧)، والكشاف للزمخشري (٥/ ٣٢)، ومفاتيح الغيب للرازي (٣١/ ١٣٠)، وتفسير النسفي (٤/ ٥٠٨)، واللباب لابن عادل (٤/ ٥٣٧)، و(١٠/ ١٤١)، و(٢٠/ ٢٦٩-٢٧٠)، وإيضاح الدليل لابن جماعة ص(١٨٤)، ولباب التأويل للخازن (٢/ ٢٣٥)، وفيض القدير للمناوي (٣/ ٤٣٤)، وروح المعاني للألوسي (٢١/ ١٣٠)، وإعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش(٤/ ١٣٠).

(٢) مشارق الأنوار للقاضي (٢/ ٢٧)، وينظر: مرقاة المفاتيح للقاري (١٠/ ٢١٤).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٦٥)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٤٣٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٣٧-٢٣٨)، ومشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص(٣٢٧)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٣٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٦٣)، ومفاتيح الغيب للرازي (٤/ ٧٣)، وجامع الأحكام للقرطبي (١/ ٣١٥)، التسهيل لابن جزي (١/ ٣٦٥)، والتفسير المحيط لأبي حيان(٥/ ٧٧)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٥٥)، واللباب لابن عادل (١٠/ ١٥٧)، وتفسير أبي السعود (٤/ ٨٧)، وروح البيان لإسماعيل حقي(٣/ ٤٧٠)، وروح المعاني للألوسي (١٠/ ١٤٧)، وفيض القدير للمناوي (٣/ ٤٣٤)، وفتح البيان لمحمد صديق خان (٥/ ٣٥٦)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/ ٢٧٥).

وقالوا في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾[الطارق: ١٥-١٦]. هو من قبيل المشاكلة ومقابلة اللفظ باللفظ[(١)].

و لا يجوز إضافة المكر والخداع والاستهزاءِ مبتدأ إلى اللهِ؛ لأَنه محتمل للقبح وللذم[(٢)].

وقالوا: إن الله تعالى يعاملهم معاملة المستهزئ في الدنيا وفي الآخرة[(٣)]، ويعاملهم معاملة المخادع[(٤)]، ويعاملهم معاملة من نَسيهم؛ فيتركهم في النار[(٥)]، ويعاملهم معاملة من

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٠/ ٤٩٨-٤٩٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٩/ ٨٥)، وجامع الأحكام للقرطبي (١/ ٣١٥)، و(٢٢/ ٢١٦-٢١٧)، والتسهيل لابن جزي(٢/ ٥٦١)، والبحر المديد لابن عجيبة (٨/ ٢٨٣)، وتفسير النسفي (٤/ ٥٠٨)، والتفسير المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٥١)، ونظم الدرر للبقاعي (٨/ ٣٩١)، والموافقات للشاطبي (٢/ ٢٥٧)، وتفسير الثعالبي (٥/ ٥٧٦)، واللباب لابن عادل (٢٠/ ٢٦٩-٢٧٠)، وروح البيان لإسماعيل حقي(١٠/ ٣٩٥)، وفتح القدير للشوكاني (١/ ١٢٧)، و(٥/ ٥٦١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/ ٧٨)، و(٣٠/ ٢٦٨).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١/ ٣٨٦-٣٨٧)، ومتشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص(٥٦)، وروح البيان اسماعيل حقي (١٠/ ٣٩٥).

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي (١/ ٧٧)، ومفاتيح الغيب للرازي (١/ ٣٠٨)، والبحر المديد لابن عجيبة (١/ ٦٠)، واللباب لابن عادل (١/ ٣٦٥)، وتفسير أبي السعود (١/ ٤٧)، وجامع البيان للإيجي (١/ ٢٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٢٩٤).

(٤) تفسير الإيجي (١/ ٤٢٢).

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٤٢٢-٤٢٣)، و(٧/ ٣١٨-٣١٩)، و(١٠/ ٤٦٠)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٤٤٨)، ومفاتيح الغيب للرازي(١٤/ ٧٧)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٣٠٨)، وتفسير أبي السعود (٣/ ٢٣١)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٤)، و(٥/ ٣٢٤)، و(٦/ ٣١٦)، و(٦/ ٣٦٢)، و(٧/ ٢٧٢)، وجامع البيان للإيجي (١/ ٦١٨)، ولباب التأويل =

سخر بهم، انتصارا للمؤمنين في الدنيا[(١)].

وقيل: إنها على الجواب، كقول الرجل لمن كان يَخْدَعه إذا ظفر به: أنا الذي خدعتُك، ولم تكن منه خديعة، ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه. وكذلك المكر والاستهزاء، والله لا يكونُ منه المكر ولا الهُزْء، والمعنى أن المكر والهُزْءَ حاق بهم[(٢)].

وقد جعل الرازي قاعدة كلية يُرجع إليها في تفسير مثل هذه الصفات، فقال: « لكن ههنا قاعدة كلية وهي أن جميع الإعراض النفسانية - أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والغيرة والمكر والخداع والتكبر والاستهزاء - لها أوائل ولها غايات»[(٣)].

وقال: «وقد ذكرنا أن القانون في هذا الباب أن هذه الألفاظ محمولة على نهايات الإعراض لا على بدايات الإعراض»[(٤)].

=

للخازن (٢/ ٢٣٥)، واللباب لابن عادل (٩/ ١٣٦)، وروح المعاني للألوسي (٨/ ١٢٧)، والتفسير المنير للزحيلي (٨/ ٢٢٤).

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٨)، و(٧/ ٢٥٠)، و(١١/ ٩٥)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/ ٢٧٥)، وزهرة التفاسير لأبي زهرة (٧/ ٣٣٨٩).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١/ ٣٠١).

(٣) مفاتيح الغيب (١/ ٢١١).

(٤) نفس المصدر (٢٦/ ١١١).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

فيقال أولا: دعواهم المشاكلة في هذه الصفات، مردودة من أوجه.

الأول: قد سبق وأن بينا في مبحث المشاكلة أنها تعتبر من قبيل المجاز، وقد قرر أهل العلم أن صفات الله تعالى لا يدخلها المجاز، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خاطب العرب بما تعهد من كلامها، فوجب حملها على حقيقتها المعهودة عندهم.

يقول **التيمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من حمل اللفظ على ظاهره، وعلى مقتضى اللغة حمله على حقيقته، ومن تأوَّله عَدَل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفات الله وتعالى» [(١)].

الثاني: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي أخبرنا أنه استهزأ بهم ومكر بهم وخدعهم، فوجب علينا الإيمان به، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم بنفسه منَّا، ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أخبرنا بذلك لم يبين لنا أنه لا يحمل عل ظاهره، ولابد أن يؤول؛ بل نقله لنا مقررا له، في كتاب يتلى إلى يوم القيامة، فهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم بالله وبما يليق به منا، فوجب أن لا يكون إلا حقا، ووجب علينا التسليم له والقبول به.

الثالث: شبهتهم أن هذه الصفات هي صفات مذمومة في المخلوقين، فليس على إطلاقه. فإنها إذا كانت على وجه الظلم والعدوان كانت كذلك، وأما إذا كانت على وجه الحق فهي عدل بمن يستحق ذلك، فكيف بصدورها من الله تعالى على سبيل الجزاء بمن يستحقها.

يقول **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض رده على مدعي المجاز في القرآن، فقال: «وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ (المكر) و (الاستهزاء) و(السخرية) المضاف إلى

---

(١) الحجة (١/ ٤٨٢).

الله وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز، وليس كذلك؛ بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلما له وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلا »[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « لأن المكر والخداع **والسخرية** على وجه اللعب والعبث منتف عن الله، ﷻ، بالإجماع، وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك»[(٢)].

الرابع: قد سبق وأن بينا أن هذه الصفات لا تثبت لله مطلقا بل تثبت مقابلة مقيدة كما وردت في النصوص، لأن ألفاظها محتملة للمدح والذم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يضاف له مطلقا إلا ما كان كمالا مطلقا في ذاته.

يقول ابن الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أن هذه الألفاظ منقسمة إلى محمود ومذموم. قال: «والحق خلاف هذا الظن، وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمناً للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود -إلى أن قال-إذا عرف ذلك فنقول: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى -إلى أن قال- أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد عُلِم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه؟»[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١١١)، وينظر: (٢٠/ ٤٧١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٤).

(٣) مختصر الصواعق (٢/ ٧٣٩، ٧٤٦). وينظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٤٧٦).

الخامس: أن ادعاء المشاكلة في المكر والكيد رُدَّ بوردهما من غير مشاكلة في اللفظ.

فقال ﷻ: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[الأعراف: ١٨٣]. و[القلم: ٤٥].

وقال جلَّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾[يوسف: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف: ٩٩].

وجاء في الحديث: « **وامكر لي ولا تمكر عليَّ**»(١).

وأما ادعاء المشاكلة في النسيان، فيقال: ما هو المانع من حمله على حقيقته، لأن المعنى المشهور والغالب من استعماله عند العرب هو بمعنى الترك(٢)، ولفظ الترك لا نقص فيه بوجه، وقد أضافه الله ﷻ لنفسه. قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[البقرة: ١٧]. ، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[النحل: ٦١]. «واستعمال النسيان في مثل ذلك لا يستلزم عدم العلم. يقول القائل لمن أعطى الناس أو مدحهم، أو أكرمهم، أو والاهم نسيتني فلم تفعل ما فعلت بفلان، ولا يكون غافلاً، بل يكون ذاكراً له، لكن تركه على عمد، لأنه لا يستحق ذلك.

ويقال لمن عاقب غيره فجعله في السجن، ونحوه: نسيت فلانا وهو يخطر بقلبه، ويشعر به، لكنه لا يذكره بخير، كما يذكره غيره، فإن النسيان ضد الذكر كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[الكهف: ٢٤]. ويقال إذا نسي ذكره: أتذكر كذا أم نسيته؟ والذكر

---

(١) سبق تخريجه ص(١٦٩).

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٢٧٨)، و(٤/ ٣٤٩)، ومشارق الأنوار للقاضي (٢/ ٢٧). وتاج العروس للزبيدي (٤٠/ ٧٤-٧٥).

المطلوب من الغير لا يراد به مطلق الذكر، بل يراد به: تذكره بخير ثناءً عليه وإما إحسانا إليه»[(١)].

وأما المعنى الثاني للنسيان والذي هو الذهول عن الشيء فهذا قد تكفل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنفيه عن نفسه ولم يتركه لكم، لما فيه من النقص، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم: ٦٤]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[طه: ٥٢]. فلم يبقى هناك احتمال للنقص.

أما قولهم: إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعاملهم معاملة المستهزئ والماكر والمخادع، فهذا لا يتصور أن يعاملهم هذا المعاملة من غير أن تقوم به هذه الأوصاف، إلا إن ادعوا التأدب مع الله تعالى في عدم نسبة هذه الأوصاف إليه، وهذا أشد من سابقه إذ الله ﷻ هو من وصف نفسه بهذا في مقابلة من يستحق ذلك، وهو أعلم بنفسه منهم وبما يليق به ﷻ.

وأما قولهم: إنما هي على وجه الجواب، فقد أجاب عنه ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره: (الله يَسْتَهْزِئ بِهِمْ)، إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكرٌ ولا خديعة، فنافُون على الله ﷻ ما قد أثبته الله ﷻ لنفسه، وأوجبه لها. وسواءٌ قال قائل: لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخريةٌ بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به، أو قال: لم يخسف الله بمن أخبر أنه خَسَف به من الأمم، ولم يُغرق من أخبر أنه أغرقه منهم.

ويقال لقائل ذلك: إن الله جل ثناؤه أخبرنا أنه مكرَ بقوم مضَوْا قبلنا لم نَرَهُم، وأخبر عن آخرين أنه خَسَف بهم، وعن آخرين أنه أغرقهم، فصدَّقْنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نُفَرِّق بين شيء منه. فما بُرهانُك على تفريقك ما فَرَّقت بينه، بزعمك: أنه قد أغرقَ وخَسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به، ولم يمكُرْ بمن أخبر أنه قد مكر به؟.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨/ ٤٣٠-٤٣١).

ثم نعكس القول عليه في ذلك، فلن يقول في أحدهما شيئًا إلا أُلزِم في الآخَر مثله»[١].

وأما تعليله بأن الاستهزاء عبث ولعب والله منزه عنه. فيقال لهم: «إن كان الأمر عندك علىٰ ما وصفتَ من معنىٰ الاستهزاء، أفلست تقول: (الله يستهزئ بهم)، و (سخر الله منهم) و(مكر الله بهم)، وإن لم يكنْ من الله عندك هزء ولا سخرية؟

فإن قال: لا، كذَّب بالقرآن، وخرج عن ملة الإسلام.

وإن قال: بلىٰ. قيل له: أفنقول من الوجه الذي قلت: (الله يستهزئ بهم) و(سخر الله منهم)-(يلعب الله بهم) و(يعبث)- ولا لعبَ من الله ولا عبث؟.

فإن قال: نعم! ، وَصَف الله بما قد أجمع المسلمون علىٰ نفيه عنه، وعلىٰ تخطئة واصفه به، وأضاف إليه ما قد قامت الحجة من العقول علىٰ ضلال مضيفه إليه.

وإن قال: لا أقول: (يلعب الله بهم) ولا (يعبث)، وقد أقول: (يستهزئ بهم) و(يسخر منهم).

قيل: فقد فرَّقت بين معنىٰ اللعب والعبث، والهزء والسخرية، والمكر والخديعة. ومن الوجه الذي جازَ قِيلُ هذا، ولم يَجُزْ قِيلُ هذا، افترق معنياهُما. فعُلم أن لكل واحد منهما معنىٰ غير معنىٰ الآخر»[٢].

أما القاعدة التي ذكرها الرازي فهي قاعدة في صفات المخلوقين، وقد أجمعت الأمة علىٰ أن صفات الله تعالىٰ لا تشبه صفات المخلوقين، وما لزم صفات المخلوقين قد تنزه الله عنه، إذ كما أن صفاته علىٰ ما تليق به كذلك لوازمها علىٰ ما تليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) جامع البيان (١/ ٣٠٤).

(٢) نفس المصدر (١/ ٣٠٤،٣٠٦).

المبحث الثامن: قول المخالفين في معنى كراهية الله تعالى وبغضه وسخطه، والرد عليهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان قولهم.

قالوا: **كراهية الله له** معناها: إبعاده من رحمته[(١)]، أو إرادة إبعاده من رحمته وكرامته[(٢)]، أو هي بمعنى الذم له بإرادته إهانته[(٣)]، وعقابه[(٤)].

وقالوا: **(أبغضه الله)** أي: عذبه[(٥)]، أو أراد عقوبته وشقاوته[(٦)]، أو أراد إهانته وخذلانه[(٧)]. أو لا يرحمه[(٨)].

وقالوا: إطلاق البغض على الله من قبيل المشاكلة والمقابلة باللفظ[(٩)].

وقالوا: **معنى السخط** فهو بمعنى الغضب وهو إرادة العقوبة عليها[(١)].

---

(١) ينظر: شرح مسلم للنووي (١٢/ ١٠-١١)، و(١٧/ ٩-١٠)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٤/ ٦١)، وفيض القدير للمناوي (٦/ ٢٩)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٤/ ١٢٦).

(٢) ينظر: المعلم للمازري (٣/ ٣٢٩)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٨/ ١٨١)، وشرح مسلم للنووي (١٧/ ٩-١٠)، وشرح البخاري للكرماني (٢٣/ ٢٥٠٢٦)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٨)، وعمدة القاري للعيني (٢٣/ ١٤٢)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٩/ ٢٩٥)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٤/ ٦١).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٧٠).

(٤) شرح مسلم للنووي (١٢/ ١٠-١١)، و (٢/ ١٦٢).

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٢١)، وفيض القدري للمناوي (٦/ ٢٩-٣٠).

(٦) مرقاة المفاتيح للقاري (٩/ ٢١٠).

(٧) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٦٩-٤٧٠).

(٨) معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٢١).

(٩) المفهم للقرطبي (١/ ٢٦٦).

ويقول الباقلاني: «وأن غضبه، وسخطه، وبغضه، وعداوته إنما هو إرادة عقاب من غضب عليه وسخط وعادى وإيلامه وضرره»[٢]، و «أن الاعتبار في ذلك كله بالمآل لا بالحال. فمن رضي سبحانه عنه لم يزل راضيا عنه ولا يسخط عليه أبدا وإن كان في الحال عاصيا. ومن سخط عليه فلا يزال ساخطا عليه ولا يرضى عنه أبدا وإن كان في الحال مطيعا»[٣].

=

(١) ينظر: مشكل الحديث لابن فورك (٢٩٧)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٧٧-٤٧٨)، وعارضة الأحوذي لابن العربي (٩/ ٢٤٣)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/ ٢١٠)، وشرح مسلم للنووي (١٢/ ١٠-١١)، و(٢/ ١٦٢)، وفتح الباري لابن حجر(١١/ ٤٠٤).

(٢) ينظر: الإنصاف ص (٣٨-٣٩).

(٣) نفس المصدر ص (٤٣)، وينظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص(١٨٨)، وشرح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٠٣-٤٠٤)، والتوضيح لابن الملقن (٢٩/ ٥٩٠).

المطلب الثاني: الرد عليهم.

اعلم أن الرد عليهم في هذه الصفات هو شبيه بالرد عليهم في تأويلهم للرحمة والمحبة والرضا، لكن نوجز الرد في أسطر، وليراجع البقية هناك[١].

ويقال: إن تفسيرهم للكراهية والسخط والبغض بإرادة العقاب هي تفسير لها بصفة أخرى وهي الإرادة، ثم إن إرادة العقاب هي من لوازم السخط والبغض والكراهية.

يقول ابن الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك لفظ اللعنة والغضب والمقت هي أمور مستلزمة للعقوبة، فإذا انتفت حقائق هذه الصفات انتفى لازمها، فإن ثبوت لازم الحقيقة مع انتفائها ممتنع، فالحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمها»[٢].

وإليك بعض النقول عن الأئمة في بيان أن الكراهة والبغض والسخط، غير الإرادة.

قال **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله يحب ويكره، ويبغض ويرضى، ويغضب ويسخط، ويرحم ويعفو، ويغفر ويعطي ويمنع»[٣].

قال التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد نقله هذا الكلام: «وهذا كلام يمنع أن يكون الإرادة كراهة في نفسها؛ لأنه فرَّق بينهما خلافاً لأهل الكلام أن الإرادة كراهة في نفسها، فعندنا يريد الله ما لا يحبه ولا يرضاه، بل يكرهه ويسخطه ويبغضه»[٤].

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ«وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن

---

(١) ينظر: ص(٥٥٨).

(٢) مختصر الصواعق (٣/ ٨٧٩).

(٣) رسالة السنة من رواية الاصطخري. ينظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٦٢).

(٤) الحجة (١/ ٤٦٣-٤٦٤).

كان قد شاءه وأراده. فقد يحب عندهم ويرضى ما لا يريده، ويكره ويسخط ويغضب لما أراده»[١].

ثم دعوى المشاكلة في البغض مردودة بإضافة البغض لله تعالى من غير مشاكلة في اللفظ:

فعن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا **أبغض** عبدا دعا جبريل فيقول: **إني أبغض فلانا** فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن **الله يبغض** فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»[٢].

وعنه رضي الله عنه أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعة **يبغضهم** الله عز وجل: البياع الحلاف، و الفقير المختال، والشيخ الزاني، و الإمام الجائر»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل **يبغض** البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها »[٤].

أما كلام الباقلاني فقد سبق الرد عليه في مبحث الرد على تأويلهم لصفة الرحمة والمحبة الرضا، فليراجع هناك.

---

(١) شرح الطحاوية ص(٤٧٢).

(٢) سبق تخريجه ص(٤١١).

(٣) سبق تخريجه ص(٤١١).

(٤) سبق تخريجه ص(٤١١).

الخاتمة

وأهم النتائج

والتوصيات

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وبمعونته وتوفيقة يبلغ المرء ما يرومه في تحصيل المبتغيات، فله من كل حمد أكمله، في ذاته وصفاته وأفعاله جلَّ وعلا ربُّ البريات.

وبعد هذا العرض لهذه الصفات، والتقرير لمدلولاتها، والتدليل على ثبوتها، نخلص إلى جملة من النتائج:

١) ضابط ما أوردته من الصفات الواردة على سبيل المقابلة في هذه الرسالة هو: «كل نصٍ ورد في كتاب الله و سنة رسوله ﷺ؛ مما تضمن فعلا من الرب ﷻ في مقابل فعل العبد، مما اتفقا في اللفظ والمعنى العام».

٢) تعريف الصفات الواردة على سبيل المقابلة المبحوثة في الرسالة هو: «كل فعل صدر من الله ﷻ في مقابل فعل العبد مما هو على سبيل الجزاء مما اتفق لفظهما واشتركا في المعنى العام».

٣) يمكن تقسيم الصفات الواردة على سبيل المقابلة في الرسالة من حيث عموم الجزاء: إلى صفات متضمنة معنى الثواب، وصفات متضمنة معنى العقاب.

٤) أما تقسيمها من ناحية ورود ألفاظها فتنقسم إلى:

صفاتٍ لا تطلق على الله تعالى إلا مقابلة(كالاستهزاء، والخديعة، والتسميع، والرياء)، وإلى صفات تطلق على الله ﷻ مقابلة، ومن غير مقابلة (كالرحمة والرضا، والمحبة...)، وإلى صفات واردة على سبيل المقابلة للجزاء بقبول العمل بفعلٍ هو من جنس الفعل الذي صدر عن العبد. كـ(إيواء من آوى إليه وتوبة الله تعالى على من تاب).

٥) ما أطلقه المخالفون من ألفاظ المجاز على هذه الصفات مرادهم أنها مما استعملت في غير موضعها فتكون غير حقيقية، ومن ثم ينسحب عليها ضابط

النفي المتوجه إلىٰ المجاز بأن يصح نفيها، وهذا هو المقصد من قولهم بالمجاز فيها.

٦) ادعاء المخالفين أن هذه الصفات من باب المشاكلة غرضهم هو نفي حقيقتها، وذلك بأن الكلمة التي ادعي أنها من باب المشاكلة يصح نفيها، فإذا قال القائل: اطبخوا لي جبة وقميصا، فإن لقائل أن يقول: الجبة والقميص لا يطبخان. وهكذا في باب الصفات.

٧) ينبغي الاعتناء بدراسة بلاغة أهل السنة وتحرير مسائلها علىٰ وفق منهج السلف الصالح، من غير إدخالٍ للمسائل العقدية في التمثيل بها في أبواب المجاز والكناية والمشاكلة، وبيان أن ما جرىٰ عليه البلاغيون من التمثيل في هذه الأبواب بالآيات التي فيها ذكر لصفات الله تعالىٰ، إنما هو نتيجة لعقائدهم، علما أن جلَّ من اعتنىٰ بباب اللغة والغريب والبلاغة كانت عقائدهم مخالفة لمذهب السلف الصالح وخاصة في باب الأسماء والصفات.

٨) ينبغي الاعتناء بدراسة ما أضيف إلىٰ الله ﷻ من الأفعال، وبيان أنواعها وأحكامها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

الفهارس العلمية

وهي كالتالي:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الغريب

فهرس الأعلام

فهرس الفرق

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾			
﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾	البقرة	٥٠	٣٢٧
﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾	البقرة	١٣	٣٩٣
﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾	البقرة	٢٠٤	٤١١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾	البقرة	١٥٩	٤٢٢
﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾	البقرة	٨٨	٤٢٣
﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ (١٤) ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	البقرة	١٤-١٥	٥٥، ٣٧٤
﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾	البقرة	١٣٦	٤٧١
﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾	البقرة	١٣٨	٤٧١
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾	البقرة	١٥٧	٥٣٢
﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ ﴾	البقرة	٢١٧	٥٤٢
﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾	البقرة	١٥	٣٧٤، ٥٧٤
﴿ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾	البقرة	٦٧	٥٧٤

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾	البقرة	١٧	٥٨١
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾	البقرة	١٨٦	١٠٢، ٤٨٤
﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾	البقرة	٩٦	٤٠٢
﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾	البقرة	١٥٢	٥٤، ٢٠٣، ٥٢٥
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾	البقرة	٢١٠	١١٢، ٤٨٩، ٤٩٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	البقرة	٢٢٢	٢٤١، ٤٣٤، ٥٢٨
﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾	البقرة	١٩٤	٤٧٠، ٥٥٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	آل عمران	١٠٢	٤
﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾	آل عمران	٤	٤٥
﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	آل عمران	٢٦	٥٢
﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	آل عمران	١٨٢	٦٠
﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾	آل عمران	٩٥	١٦٠
﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ ﴾	آل عمران	١٥٢	١٦٠
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	آل عمران	١٢٣، ١٢٦	١٦٩

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾	آل عمران	٣٧	١٨٨
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾	آل عمران	١٨٧	٢٥٧
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾	آل عمران	١٢٨	٣٧٢
﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ﴾	آل عمران	١٧٨	٣٧٥
﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾	آل عمران	٥٤	٣٧٩
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾	آل عمران	٢٨	٩٧، ١٠٦، ٢٠٣
﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	آل عمران	٧٦	٤٣٤
﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	آل عمران	١٣٩	٥٥١
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾	آل عمران	٨	٣٦٧، ٥٧٣
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾	آل عمران	٣١	٢٤١، ٤٣٤، ٥٢٨، ٥٤٣
﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾	النساء	٤٥	١٧٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	النساء	١	٤
﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾	النساء	١٦٤	٣٥
﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	النساء	١٧	٦٩
﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ	النساء	٢٧	٧٥

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴾			
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾	النساء	٤٨	١١٧
﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ ﴾	النساء	١٣٠	١٤٦
﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾	النساء	٨٧	١٥٩
﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾	النساء	١٢٢	١٥٩
﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾	النساء	١٢٥	٢٢٣
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	النساء	١١٥	٥٧، ٢٧٥
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾	النساء	٥٢	٤٢٣
﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾	النساء	١٤٢	٥٤، ٥٥، ٢٦١، ٣٨٦، ٥٧٥
﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾	المائدة	٣٨	٤٥
﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾	المائدة	٥٤	٥٤
﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾	المائدة	٣٩	٦٩
﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾	المائدة	٧١	٧٥
﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾	المائدة	٢	١٧٨
﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾	المائدة	١١٦	٢٠٣
﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾	المائدة	١١٩	٣٥، ٥٤، ٢٤٩
﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ ﴾	المائدة	٤٠	٣٧١

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾	المائدة	٨٠	٤١٨
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾	المائدة	٤٢	٤٣٤
﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	المائدة	١٢	٢٥٦، ٢٥٧
﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾	المائدة	٦٤	١٨٧، ٥١٦
﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾	الأنعام	١٦٠	١٠٨
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾	الأنعام	١١٥	١٥٩
﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾	الأنعام	٨٠	١٩١
﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	الأنعام	١١٠	٣٦٥
﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾	الأنعام	٣١	١٢٣، ٥٠٣
﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾	الأنعام	١٠٢	١٩٥، ٥٧١
﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾	الأنعام	١٤٧	٦٦، ٢٣٣، ٥٤٦
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾	الأنعام	١٥٨	١١١، ٤٨٩، ٤٩٣
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	الأنعام	١	٤٤٠، ٤٥٧، ٤٥٩
﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾	الأعراف	١٨٠	٣٩
﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾	الأعراف	١٤٢	١٢٠
﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾	الأعراف	٢٠٥	٢٠٦

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾	الأنفال	٢٣	٣٦٢
﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾	الأنفال	٣٤	٣٧٢
﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾	الأنفال	٣٠	٥٥، ٣٧٩، ٥٧٥
﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ﴾	التوبة	١١٧	٧٣
﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾	التوبة	١١٨	٧٣
﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	التوبة	٢٧	٧٥
﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾	التوبة	١٠٦	٧٦
﴿ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ ﴾	التوبة	٦٠	١٤٦
﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾	التوبة	١٠٢	٧٦، ٨٠
﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	التوبة	٢٦	١٦٩
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾	التوبة	٤٠	١٧٠
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾	التوبة	٥٩	٢٤٦
﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾	التوبة	٦٢	٢٤٦
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم ﴾	التوبة	١٠٠	٢٤٨
﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾	التوبة	١١١	٢٥٨
﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾	التوبة	١٤	٣٧٢

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ﴾	التوبة	٨٥	٣٧٢
﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾	التوبة	٤٦	٤٠٤
﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾	التوبة	٧٤	١٤٦، ٣٧٢
﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾	التوبة	٢١	٥٤٥
﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾	التوبة	٢٤	٥٤٩
﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾	التوبة	٦٧	٥٤، ٢٧٩، ٥٧٦
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾	التوبة	١٢٧	٣٦٠، ٥٦٩
﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾	التوبة	٧٩	٣٩١، ٥٧٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	يونس	٤٤	٦٠
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾	يونس	١٢	٣١٥
﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾	يونس	٩٨	٣١٥
﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾	يونس	٢١	٣٧٩
﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾	يونس	٢٤	٤٩٢
﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾	يونس	٤٥	١٢٣، ٥٠٤

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
أَقْرَبُ ﴾			
﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾	الإسراء	٦	١٧٤
﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾	الإسراء	١١١	٢١٩
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ﴾	الإسراء	١١٠	٢٢٨
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾	الإسراء	٧٠	٢٥٤
﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾	الإسراء	١٠٦	٣٢٧
﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾	الإسراء	٥٩	٣٣٧
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾	الإسراء	٦٠	٣٣٨
﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾	الإسراء	٨	٣٣٩
﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾	الكهف	١٠	١١٤
﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ ﴾	الكهف	٦٣	١١٤
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	الكهف	١	٤٤٠
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾	الكهف	١٠٥	٥٠٤
﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾	الكهف	٧٤	٥٧١
﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾	الكهف	٢٤	٥٨١
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾	الكهف	١١٠	١١٨، ٥٠٥
﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾	مريم	٦٥	٣٥

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾	مريم	١٢، ١٥	٢١٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾	مريم	٩٦	٢٤١
﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾	مريم	٨٩	٥٧١
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	مريم	٦٤	٣٠١، ٥٨٢
﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾	طه	١١٠	٣٥
﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾	طه	١٢٢	٧٥
﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	طه	٥٠	١٣٩
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾	طه	١٢٤	٢٧٥
﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾	طه	١٢٦	٢٧٩
﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾	طه	٥٢	٢٨٤، ٥٨٢
﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾	الأنبياء	٨٧	٨٥
﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾	الأنبياء	٩	١٦٠
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾	الأنبياء	١٦	٥١٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾	الحج	٣٨	١٣٩
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾	الحج	٤٠	١٦٦
﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾	الحج	١٥	١٧٠
﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾	الحج	١٨	٣٤٨
﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ ﴾	المؤمنون	٥٠	١١٤، ١١٦

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
وَمَعِينٍ ﴾			
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	النور	١٩	١٣٥
﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾	النور	٣٢	١٤٦
﴿ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ ﴾	النور	٢٥	٢٥٨
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ ﴾	النور	٣٩	٢٥٨
﴿ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾	الفرقان	٦٧	٣٠١
﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾	الفرقان	٢٥	٤٩٢
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	الشعراء	٢٢٧	٨٦
﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴾	الشعراء	٢٢٤، ٢٢٦	٨٦
﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾	النمل	٨	١٠٤
﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾	النمل	٥٠	٣٧٩
﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ ﴾	القصص	١٣	١٧٤
﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾	القصص	٦٢	٤٣٤
﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	القصص	٦٥	٤٣٤
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾	العنكبوت	٢٣	٥٠٤
﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴾	العنكبوت	٤٥	٢٠٥، ٥٢٥
﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾	الروم	٥٤	٣٤
﴿ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ ﴾	الروم	٥	١٧٠
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	الروم	٤٧	١٧٠

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾	لقمان	١٠	٥١٩
﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	السجدة	١٤	٢٧٩
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾	السجدة	٤	٤٤٠
﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾	السجدة	١٧	٥٢٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾	الأحزاب	٧٠-٧١	٤
﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ ﴾	الأحزاب	٢٤	٧٦
﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ ﴾	الأحزاب	٤٣-٤٤	١١٩
﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ﴾	الأحزاب	٢٦	٣٤١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾	الأحزاب	٥٧	٤٢٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴾	الأحزاب	٦٤	٤٢٣
﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴾	الأحزاب	٤٤	٢١٦، ٥٠٢، ٥٠٤
﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾	الأحزاب	٤٣	٤٦، ٢٢٥، ٥٣٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾	الأحزاب	٥٦	٢١١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٥٣١، ٥٣٤
﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ ﴾	سبأ	٣٩	١٨٥
﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ ﴾	سبأ	٣٩	١٨٨
﴿ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ	سبأ	٢٦	٢٩٣

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
ٱلْعَلِيمُ ﴾			
﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾	فاطر	٣٠	٤٦
﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾	فاطر	٤٣	٢٦١
﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	فاطر	٢	٢٩٤
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾	فاطر	٣٩	٤١٢
﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾	يس	٥٥، ٥٧	٢١٦
﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾	يس	٨٢	٤٥٩
﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾	يس	١٢	٢٩٨، ٥٦٣، ٥٧١
﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الصافات	٧٩	٢١٥
﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	الصافات	١٠٩	٢١٥
﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾	الصافات	١٢٠	٢١٥
﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾	الصافات	١٣٠	٢١٥
﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	الصافات	١٨٠-١٨١	٢١٢، ٢١٥
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾	الصافات	٦٩	٥٧١
﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾	ص	٣٥	١٧٤
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ﴾	ص	٢٧	٥١٩

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	الحديد	٣	٣٤
﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾	الحديد	١٣-١٤	٣٧٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾	المجادلة	١١	١٨٩
﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	المجادلة	٦	٢٩٨، ٥٦٣
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾	الحشر	١٩	٢٨٥
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	الحشر	٢٢، ٢٤	٣٥، ٤٦، ٢١٧
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ ﴾	الحشر	٢-٣	٣٤١، ٤٩١، ٤٩٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾	الصف	١٤	٤٠٩
﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	الصف	٣	٤١٢
﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾	الصف	٥	٣٦٤، ٥٦٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾	الصف	٤	٥٤، ٢٤١، ٤٣٤، ٥٢٨، ٥٤٣، ٥٤٦
﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾	الجمعة	٧	٤٠٢
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾	التغابن	٦	٢٧٨
﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾	الطلاق	٧	٣٠١، ٥٦٣

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾	الملك	١٤	٢٠٠
﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾	القلم	٤٢	٣١٥
﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾	القلم	٤٥	٣٩٨، ٥٨١
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾	الحاقة	١٣، ٢٦	٤٩٢
﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾	الجن	٢٨	٢٩٨، ٥٦٣
﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾	المدثر	٩-١٠	٩٣
﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾	الإنسان	٣٠	٥٧٢
﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾	النبأ	٢٩	٢٩٨
﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾	النبأ	١٢	١٩٦، ٥١٩
﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾	النازعات	٢٧	١٩٦، ٥١٩
﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴾	عبس	٥	٢٧٧
﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾	المطففين	١٥	٤٢٩
﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾	المطففين	١	٢٥٩
﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ ﴾	المطففين	٣٤، ٣٦	٣٧٧
﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾	الطارق	١٥-١٦	٥، ٥٥، ٣٩٥، ٥٧٧
﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾	الفجر	١٥	٢٥٤

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴾	الفجر	١٦	٣٠١، ٥٦٣
﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾	الفجر	٢٢	١١٢، ٤٥٨، ٤٩٢
﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾	البلد	١٣	١٨٢
﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾	البلد	١٧	٥٥١
﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾	الشمس	٥	١٩٦
﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴾	الضحى	٦	١١٤، ١١٦، ٤٩٦
﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾	التين	٥	١٧٤
﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾	العلق	٣	٢٥٤
﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾	البيِّنة	٨	٢٤٩
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾	البيِّنة	٥	٣٢٠
﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾	الإخلاص	٤	٣٥
﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾	الإخلاص	١–٢	٣٤، ٤٥

فهرس الحديث

فهرس الآثار

فهرس الغريب

فهرس الأعلام

فهرس الفرق

فهرس المصادر والمراجع

١) **الإبانة الكبرى.** لأبي عبد الله عبد الله بن محمد بن حمدان العكبري ت (٣٨٧هـ) تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري. دار الراية. الرياض. الطبعة الأولى. (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٢) **إبطال التأويلات لأخبار الصفات.** للقاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء ت(٤٥٨هـ). تحقيق محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية، الكويت.

٣) **أبكار الأفكار في أصول الدين.** للإمام سيف الدين الآمدي ت(٦٣١هـ). تحقيق أحمد محمد المهدي. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة. الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).

٤) **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة.** للإمام شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري. ت (٨٤٠هـ). تقديم د/ أحمد معبد. دار الوطن. الرياض. الطبعة الأولى. (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٥) **الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية.** لمحمد منير بن عبده أغا النقلي الدمشقي الأزهري ت (١٣٦٧هـ). دار ابن كثير دمشق.

٦) **الإتقان في علوم القرآن** للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة دار التراث. القاهرة.

٧) **الآحاد والمثاني.** لابن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني ت(٢٨٧هـ). تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة. دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

٨) **الأحاديث المختارة.** للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي المشهور بالضياء المقدسي ت(٦٤٣هـ). تحقيق أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. مكتبة النهضة الحديثة. مكة المكرمة. الطبعة الرابعة(١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٩) **أحكام الجنائز وبدعها.** للمحدث محمد ناصر الدين الألباني ت(١٤٢٠هـ). المكتب الإسلامي. دمشق. الطبعة الرابعة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

١٠) **أحكام القرآن** للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ت (٣٧٠هـ). تحقيق محمد الصادق قمحاوي. دار التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي. بيروت لبنان. (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

١١) **الإحكام في أصول الأحكام** لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي ت(٦٣١هـ). تحقيق العلامة عبد الرزاق عفيفي. دار الصميعي بالرياض. الطبعة الأولى، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

١٢) **الآداب.** للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. ت (٤٥٨هـ). اعتنى به وعلق عليه أبو عبد الله السعيد المندوه. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. الطبعة الأولى. (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

١٣) **آداب البحث والمناظرة.** للشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ت(١٣٩٣هـ). تحقيق سعود بن عبد العزيز العريفي. دار عالم الفوائد. مكة المكرمة. الطبعة الأولى. (١٤٢٦هـ).

١٤) **الأدب المفرد** للإمام لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت(٢٥٦هـ). تخريجات وتعليقات المحدث محمد ناصر الدين الألباني ت (١٤٢٠هـ). طبع دار الدليل الأثرية، ومؤسسة الريان. بيروت. الطبعة الثالثة (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

١٥) **أدلة صفات الله ووجوه دلالتها وأحكامها**. الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن أبوسيف الجهني. الطبعة الأولى (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

١٦) **الأربعين في أصول الدين** لفخر الدين الرازي ت (٦٠٦هـ). تقديم وتحقيق وتعليق د/ أحمد حجازي السقا. دار التضامن القاهرة. الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ).

١٧) **الأربعين في دلائل التوحيد** لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الهروي ت (٤٨١هـ). تحقيق د/ علي بن محمد ناصر فقيهي. الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ).

١٨) **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني ت(٩٢٣ هـ). المطبعة الكبرى الأميرية. مصرة (١٣٢٣هـ).

١٩) **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول** للعلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت(١٢٥٠هـ)، تحقيق أبي حفص سامي بن العربي. دار الفضيلة. السعودية. الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٢٠) **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** للمحدث محمد ناصر الدين الألباني ت(١٤٢٠هـ) بإشراف محمد زهير الشاويش. المكتب الإسلامي بيروت. الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ-١٩٨٥).

٢١) **أساس التقديس.** لفخر الدين الرازي ت (٦٠٦هـ). تقديم وتحقيق د/ أحمد حجازي السقا. مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة. (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٢٢) **الاستغاثة في الرد على البكري** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). دراسة وتحقيق د. عبدالله بن دجين السهلي. طبع مكتبة دار المنهاج. الرياض. الطبعة الثالثة (١٤٣١هـ).

٢٣) **الاستقامة.** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم. دار الفضيلة الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).

٢٤) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النميري القرطبي. ت(٤٦٣هـ). صححه وخرج أحاديثه عادل مرشد. دار الإعلام بالأردن. الطبعة الأولى. (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

٢٥) **أسرار البلاغة** لعبد القاهر الجرجاني ت (٤٧١هـ)دراسة وتحقيق د/ علي رمضان الجربي منشورات (ELGA) فاليتا مالطا. (٢٠٠١م).

٢٦) **الأسماء والصفات** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت(٤٥٨هـ) تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي. تقديم الشيخ مقبل بن هادي الوادعي. طبع مكتبة السوادي. جده. الطبعة الثانية (٢٠٠٧م).

٢٧) **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة** تأليف ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني ت (٧٢٩هـ). علق عليه إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

٢٨) **الإصابة في تمييز الصحابة** للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ت (٨٥٢هـ). تحقيق خليل مأمون شيحا. دار المعرفة، بيروت. الطبعة الثانية (١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

٢٩) **الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية** للدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي. طبع أضواء السلف بالرياض. الطبعة الثانية (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٣٠) **الأصول الخمسة** المنسوب للقاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي ت (٤١٥هـ) حققه د/ فيصل بدير عون. مطبوعات جامعة الكويت. الطبعة الأولى (١٩٩٨م).

٣١) **أصول السنة** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين ت(٣٩٩هـ) تحقيق وتخريج وتعليق د/ عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسن البخاري. مكتبة الغرباء الأثرية المدينة النبوية، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

٣٢) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** تأليف العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ت(١٣٩٢هـ) إشراف بكر أبو زيد. دار علم الفوائد. بمكة المكرمة. الطبعة الثالثة (١٤٣٣هـ).

٣٣) **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للإمام** الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. ت (٤٥٨هـ). حققه وعلق عليه أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم أبو العينين. طبع دار الفضيلة بالرياض. الطبعة الثانية (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٣٤) **إعراب القرآن وبيانه**. محيي الدين أحمد مصطفى درويش ت(١٤٠٣هـ). دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الرابعة، (١٤١٥ هـ).

٣٥) **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري** للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ت (٣٨٨هـ)تحقيق ودراسة محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. رسالة دكتوراه بإشراف أحمد محمد نور سيف جامعة أم القرى مكة المكرمة (١٤٠٥هـ-١٤٠٦هـ).

٣٦) **أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة**. للشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي. خرج أحاديثه وعلق عليه مصطفى أبو النصر الشلبي. مكتبة السوادي للتوزيع. جده. الطبعة الخامسة. (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٣٧) **إعلام الموقعين عن رب العالمين** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ). تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن الجوزي السعودية. الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

٣٨) **الأعلام**. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت لبنان. الطبعة الخامسة عشر. (٢٠٠٢م).

٣٩) **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ)، تحقيق محمد بن عبد اللطيف الطالبي. قدم له سيد بن عباس الجليمي. دار طيبة. الرياض. الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٤٠) **أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات**. لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي ت(١٠٣٣هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).

٤١) **الاقتصاد في الاعتقاد** لأبي حامد الغزالي ت(٥٠٥هـ)، شرح وتعليق د/ انصاف رمضان. دار قتيبة. دمشق. الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

٤٢) **إكمال المعلم بفوائد مسلم** للإمام القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي المالكي ت(٥٤٤هـ). تحقيق د/ يحيى إسماعيل. دار الوفاء بالمنصورة. الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

٤٣) **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار** للشيخ يحيى بن أبي الشيخ العمراني ت (٥٥٨هـ). دراسة وتحقيق أ. د. سعود بن عب العزيز الخلف. عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة الثالثة (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٤٤) **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به.** للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني ت (٤٠٣هـ). تحقيق محمد زاهد الكوثري. المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة. الطبعة الثانية (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٤٥) **الأوسط في السنن الإجماع والاختلاف** لأبي بكر بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ت(٣١٨هـ). تحقيق د/ أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنين. دار طيبة الرياض. الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٤٦) **إيثار الحق على الخلق** للإمام محمد بن إبراهيم الوزير ت (٨٤٠هـ). تحقيق أبو عبد الرحمن نبيل صلاح عبد المجيد سليم. طبع مكتبة ابن عباس. مصر، الطبعة الأولى (١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

٤٧) **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل** لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، ت(٧٣٣هـ). تحقيق وهبي سليمان غاوجي الألباني. دار السلام. مصر، الطبعة الأولى(١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٤٨) **الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)** للخطيب القزويني. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد ت (٧٣٩هـ)وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٤٩) **الإيمان الكبير** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. طبع المكتب الإسلامي، بيروت. الطبعة الخامسة (١٤١٦هـ-١٩٩٦).

٥٠) **البحر الزخار المعروف بمسند البزار**. للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتيكي البزار. ت (٢٩٢هـ). تحقيق د/ محفوظ الرحمن زين الله. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م).

٥١) **البحر الزخار المعروف بمسند البزار**. للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتيكي البزار. ت (٢٩٢هـ). تحقيق عادل بن سعد. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٥٢) **بحر العلوم** لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ت (٣٧٥هـ) تحقيق د/ محمود مطرجي. دار الفكر بيروت.

٥٣) **بحر الكلام** تأليف ميمون بن محمد النسفي ت (٥٠٨هـ). دراسة وتحقيق د/ ولي الدين محمد صالح الفرفور. مكتبة دار الفرفور. الطبعة الثانية (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٥٤) **البحر المحيط في أصول الفقه**. لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ت(٧٩٤هـ). تحرير الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، وراجعه د/ سليمان الأشقر. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالكويت. الطبعة الثانية (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

٥٥) **البحر المحيط** لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ت (٧٤٥هـ)دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٥٦) **البحر المديد** لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

٥٧) **بدائع الفوائد** لابن القيم، تحقيق صالح اللحام وخلدون خالد، دار ابن حزم ببيروت، الدار العثمانية عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.

٥٨) **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير** للإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن ت (٨٠٤هـ) تحقيق أحمد بن سليمان بن أيوب. دار الهجرة بالرياض. الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٥٩) **بذل المجهود في حل أبي داود** تأليف المحدث خليل أحمد السهارنفوري ت (١٣٤٦هـ) تعليق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٦٠) **البرهان في علوم القرآن**. لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت(٧٩٤هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. الطبعة الأولى(١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م).

٦١) **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد**. تأليف عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني. دار العلم. دمشق. الدار الشامية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

٦٢) **بهجة المجالس وأُنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**. للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النميري القرطبي. ت(٤٦٣هـ). تحقيق محمد موسى الخولي. دار الكتب العلمية. بيروت.

٦٣) **بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار** تأليف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت (١٣٧٦هـ). طبع مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة. الطبعة الثانية (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٦٤) **بيان الدليل على بطلان التحليل** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت(٧٢٨هـ). حققه مخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي. المكتب الإسلامي. الرياض الطبعة الأولى (١٩٩٨م).

٦٥) **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**. لابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ت(٦٢٨هـ). تحقيق: د/ الحسين آيت سعيد. دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى(١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٦٦) **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). تحقيق مجموعة من المحققين. طبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة (١٤٢٦هـ).

٦٧) **بيان تلبيس الجهمية** لابن تيمية ت (٧٢٨هـ). بتصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة مكة المكرمة، الطبعة الأولى (١٣٩١هـ).

٦٨) **تاج التراجم** لأبي الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني ت (٨٧٩هـ)حققه وقدم له محمد خير رمضان يوسف. دار العلم. دمشق. الطبعة الأولى (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

٦٩) **تاج العروس من جواهر القاموس** للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. ت( ). تحقيق عبد العليم الطحاوي. مطبعة حكومة الكويت. الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٧٠) **تاريخ بغداد** للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ت(٤٦٣هـ). تحقيق بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٧١) **تأويل مختلف الحديث** للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت (٢٧٦هـ). تحقيق محمد محي الدين الأصفر. المكتب الإسلامي بيروت، ودار الإشراق. الدوحة. الطبعة الثانية (١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

٧٢) **تأويل مشكل القرآن** للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت (٢٧٦هـ). تحقيق السيد أحمد صقر. مكتبة دار التراث. القاهرة. (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٧٣) **تأويلات أهل السنة** لمحمد بن محمد أبو منصور الماتريدي ت(٣٣٣هـ). تحقيق. د/ مجدي باسلوم. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٧٤) **تجريد التوحيد المفيد.** للإمام العلامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي ت(٨٤٥هـ). اعتنى به علي بن محمد عمران. دار عالم الفوائد. مكة المكرمة. الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ).

٧٥) **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه** لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي ت(٨٨٥ هـ). تحقيق د/ عبد الرحمن الجبرين، د/ عوض القرني، د. أحمد السراح. مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٧٦) **تحفة الأحوذي** للإمام الحافظ أبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ت(١٣٥٣هـ)، ضبط وتوثيق صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٧٧) **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين** للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت (١٢٥٠هـ)، دار القلم. بيروت الطبعة الأولى (١٩٨٤م).

٧٨) **التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثا النووية**. تأليف الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري. دار الأرقم. الرياض. الطبعة الثانية. (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٧٩) **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد** للشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي البيجوري ت (١٢٧٧هـ٩ ضبطه وحققه عبد الله محمد خليلي. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).

٨٠) **تحقيق الفوائد الغياثية** تأليف شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني ت(٧٨٦هـ). تحقيق ودراسة د/ علي بن دخيل الله العوفي. مكتبة العلوم والحكم بالمدبنة المنورة. الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

٨١) **التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات و حقيقة الجمع بين القدر و الشرع)** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). تحقيق: د/ محمد بن عودة السعوي. مكتبة العبيكان بالرياض. الطبعة الثامنة (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٨٢) **تذكرة الحفاظ** للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ت(٧٤٨هـ). دار الكتب العلمية. بيروت.

٨٣) **التسهيل لعلوم التنزيل** للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ت(٧٤١هـ)ضبطه وصححه محمد سالم هاشم. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٨٤) **تعظيم قدر الصلاة** للإمام محمد بن نصر المروزي ت (٣٩٤هـ). ضبط نصوصه وخرج أحاديثه الأستاذ أحمد أبو المجد. دار العقيدة. مصر. الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

٨٥) **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان** وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه. للإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ت (٣٥٤هـ). ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي ت (٧٣٩هـ). مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني ت(١٤٢٠هـ). دار با وزير للنشر والتوزيع، السعودية. الطبعة الأولى (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).

٨٦) **تغليق التعليق على صحيح البخاري**. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ت (٨٥٢هـ). دراسة وتحقيق. سعيد عبد الرحمن موسى القزقي. المكتب الإسلامي بيروت. ودار عمار. الأردن. الطبعة الأولى. (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٨٧) **تفسير ابن عرفة المالكي**. لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي ت(٨٠٣هـ). تحقيق: د/ حسن المناعي. مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس الطبعة الأولى (١٩٨٦م).

٨٨) **تفسير أبي السعود**. (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم). لمحمد بن محمد العمادي أبي السعود ت(٩٨٢هـ). دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٩) **تفسير السراج المنير**. للمفسر محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين (٩٧٧هـ). طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٠) **تفسير العز بن عبد السلام**. للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي ت(٦٦٠ هـ). تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي. دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م).

٩١) **تفسير القرآن العزيز** للإمام أبي عبد لله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ت (٣٩٩هـ) تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز. دار الفاروق الحديثية. القاهرة. الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

٩٢) **تفسير القرآن العظيم** للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت(٧٧٤هـ) تحقيق سامي محمد سلامة. دار طيبة. السعودية. الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٩٣) **تفسير القرآن العظيم** مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم. ت (٣٢٧هـ). تحقيق أسعد محمد الطيب. مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٩٤) **التفسير القرآني للقرآن**. للدكتور عبد الكريم الخطيب. دار الفكر العربي، القاهرة.

٩٥) **التفسير الكبير أو (المحيط)** للقاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي ت (٤١٥هـ)، دراسة وتحقيق د/ خضر محمد نبها، وتقديم د/ رضوان السيد. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى (٢٠٠٩م).

٩٦) **تفسير النسفي** لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت(٧١٠هـ). تحقيق مروان محمد الشعار. دار النفائس. بيروت. (٢٠٠٥م).

٩٧) **تفسير روح البيان**. لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي ت(١١٢٧هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٩٨) **تفسير مقاتل بن سليمان** للإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ت(سنة نيف وخمسين ومئة). تحقيق: أحمد فريد. دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).

٩٩) **تقريب التهذيب** للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت(٨٥٢هـ) بعناية عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)

١٠٠) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النميري القرطبي. ت(٤٦٣هـ). تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري. الخزانة الملكية بالمغرب.

١٠١) **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**. للإمام أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الحمن الملطي الشافعي ت(٣٧٧هـ). قدم له وعلق عليه محمد زاهد الكوثري. مكتبة المتنبي ببغداد. ومكتبة المعارف ببيروت. طبعة (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

١٠٢) **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك** لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي ت (٩١١هـ). نشر المكتبة التجارية الكبرى. مصر(١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).

١٠٣) **تهذيب الآثار (الجزء المفقود)**. للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠ هـ). تحقيق علي رضا بن عبد الله بن علي رضا. دار المأمون للتراث، دمشق (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م).

١٠٤) **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار**. تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري. ت(٣١٠هـ). صنعة. أبو فهر محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. مصر.

١٠٥) **تهذيب التهذيب** للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفي سنة (٨٥٢ هـ). دار الفكر، بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م).

١٠٦) **تهذيب السنن** للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ت (٧٥١هـ). تحقيق د/ إسماعيل بن غازي مرحبا. مكتبة المعارف بالرياض. الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

١٠٧) **تهذيب اللغة** لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ت(٣٧٠هـ). تحقيق محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي. بيروت، الطبعة الأولى(٢٠٠١م).

١٠٨) **تهذيب اللغة** لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي. ت(٣٧٠هـ). تحقيق الدكتور عبد السلام سرحان. الدرا المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة. (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).

١٠٩) **توضيح الكافية الشافية** تأليف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت (١٣٧٦هـ). طبع مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة. الطبعة الثانية (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

١١٠) **التوضيح لشرح الجامع الصحيح** تصنيف سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن ت (٨٠٤هـ)، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، وجمعة فتحي، تقديم أحمد معبد عبد الكريم، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية. قطر. الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

١١١) **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد** تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله حفيد إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب. ت(١٢٣٣هـ). تحقيق زهير الشاويش. المكتب الإسلامي. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

١١٢) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** تأليف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت (١٣٧٦هـ). طبع مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة. الطبعة الثانية (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

١١٣) **جامع الأصول في أحاديث الرسول**. للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير ت (٦٠٦هـ). تحقيق عبد القادر الأوناؤوط. مكتبة الحلواني. (١٣٨٩هـ-١٩٦٩).

١١٤) **جامع البيان في تأويل القرآن**. للمفسر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت (٣١٠هـ). تحقيق أحمد شاكر. مؤسسة الرسالة. بيروت لبنان. الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م).

١١٥) **جامع البيان في تفسير القرآن** لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعي ت (٩٠٥هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).

١١٦) **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**. للإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبليت(٧٩٥هـ). تحقيق وتخريج وتعليق د/ ماهر ياسين الفحل. طبع مؤسسة الأميرة العنود الخيرية.

١١٧) **جامع المسائل** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت(٧٢٨هـ)، المجموعة الأولى. تحقيق محمد عزير شمس، إشراف بكر أبو زيد. دار علم الفوائد. مكة المكرمة. الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).

١١٨) **جامع المسائل** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت(٧٢٨هـ)، المجموعة السابعة. تحقيق علي بن محمد العمران، وفق المنهج المعتمد من الشيخ بكر أبو زيد. دار علم الفوائد. مكة المكرمة. الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).

١١٩) **جامع المسائل** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت(٧٢٨هـ)، المجموعة السادسة تحقيق محمد عزير شمس، إشراف بكر أبو زيد. دار علم الفوائد. مكة المكرمة. الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ).

١٢٠) **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت(٦٧١)هـ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

١٢١) **الجامع لشعب الإيمان** للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. ت (٤٥٨هـ). تحقيق د/ عبد العلي عبد الحميد حامد. مكتبة الرشد الرياض. الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

١٢٢) **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ﷺ**، للعلامة أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ)، تحقيق مشهور حسن آل سلمان. دار ابن الجوزي بالسعودية. الطبعة الأولى. (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

١٢٣) **جمع الوسائل في شرح الشمائل**. لعلي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ت(١٠١٤هـ)، دراسة وتحقيق وتخريج ياسر عبد ربه محمد قوطه. إشراف سعدي مهدي الهاشمي. رسالة ماجستير في أم القرى بمكة المكرمة (١٤٢٨هـ).

١٢٤) **جمهرة اللغة** لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ت(٣٢١هـ) حققه وقدم له د/ رمزي منير بعلبكي. دار عالم الملايين. بيروت. الطبعة الأولى (١٩٨٧م).

١٢٥) **جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية**. تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). تحقيق عزير شمس. إشراف بكر أبو زيد. دار عالم الفوائد. مكة المكرمة. الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ).

١٢٦) **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية. ت (٧٥١هـ). تحقيق فوَّاز مدينة. طبع مؤسسة الأميرة العنود الخيرية.

١٢٧) **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي ت (٨٧٠هـ(تحقيق على محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود. دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

١٢٨) **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** لمحي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن أبي الوفاء الحنفي ت (٧٧٥هـ) تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو. دار هجر الجيزة. مصر. الطبعة الثانية (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

١٢٩) **حاشية الدسوقي على مختصر السعد** لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ت (١٢٣٠هـ٩ تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

١٣٠) **حاشية السندي على ابن ماجه** للعلامة أبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي ت(١١٣٨هـ). تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا. دار المعرفة. بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

١٣١) **حاشية السندي على صحيح البخاري** تأليف لعلامة أبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي ت(١١٣٨هـ). طبع في المطبعة الميمنية (١٣٠٦هـ-١٨٨٨م).

١٣٢) **حاشية مسند الإمام أحمد** للعلامة أبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي ت(١١٣٨هـ). تحقيق نور الدين طالب. إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بقطر. الطبعة الأولى. (١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م).

١٣٣) **الحاوي للفتاوى** للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١هـ). مكتبة الرياض الحديثة.

١٣٤) **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة** لقوام السنة أبي القاسم التيمي الأصبهاني ت(٥٣٥هـ)، تحقيق ودراسة محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيم، دار الراية الرياض، الطبعة الثانية(١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

١٣٥) **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية**. تأليف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت(١٣٧٦هـ). طبع مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة. الطبعة الثانية (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

١٣٦) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ت(٤٣٠هـ). دار السعادة، مصر (١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).

١٣٧) **خزانة الأدب وغاية الأرب** لتقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة ت (٨٣٧هـ). تحقيق عصام شعيتو. دار ومكتبة الهلال. بيروت. الطبعة الأولى (١٩٨٧م).

١٣٨) **خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام**. لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت(٦٧٦هـ). حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

١٣٩) **خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل** للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت(٢٥٦هـ)، مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثالثة (١٤١١هـ-١٩٩٠م).

١٤٠) **الدر المصون في علم الكتاب المكنون**. لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت(٧٥٦هـ). تحقيق د/ أحمد محمد الخراط. دار القلم، دمشق.

١٤١) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** لجلال الدين السيوطي ت(٩١١)هـ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م).

١٤٢) **درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم. طبع مؤسسة الريان. ونشر دار الفضيلة. (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

١٤٣) **دراسة عقدية لبعض الصفات التي يدعى أنها من باب المشاكلة** تأليف د/ يوسف بن محمد السعيد. بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني والثلاثون (١٤٢١هـ).

١٤٤) **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه** لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت (٥٩٧هـ)، حققه وقدم له السيد حسن بن علي السقاف. دار الإمام الرواس بيرزت. الطبعة الرابعة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

١٤٥) **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**. للعلامة المفسر محمد بن علان الصديق الشافعي. ت (١٠٥٦هـ). اعتنى بها الشيخ خليل مأمون شيحا. دار المعرفة. بيروت. الطبعة الرابعة (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

١٤٦) **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**. تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت (٩١١هـ). تحقيق أبي إسحاق الحويني. دار ابن عفان. السعودية. الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

١٤٧) **ذخيرة العقبى في شرح المجتبى** للشيخ محمد بن علي بن آدم بن موسى الأثيوبي. دار بروم. مكة المكرمة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

١٤٨) **ذم الملاهي** لأبي بكر بن عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا ت(٢٨١هـ). دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الاعتصام. مصر. (١٩٨٧م).

١٤٩) **رد الإمام** الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد. ت (٢٨٢هـ)تحقيق محمد حامد الفقي. مكتبة ابن تيمية.

١٥٠) الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ت(٢٨٠هـ)، تحقيق بدر البدر، طبعة الدار السلفية. الكويت،. الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

١٥١) **الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). علي بن محمد العمران، إشراف بكر أبو زيد. دار علم الفوائد. مكة المكرمة. الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ).

١٥٢) **رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت** للإمام الحافظ أبي نصر عبد الله بن سعيد ابن حاتم الوائلي السجزي ت (٤٤٤هـ). تحقيق ودراسة د/ محمد باكريم باعبد الله. عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة الثانية (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

١٥٣) **الرسالة الصفدية** لشيخ الإسلام ابن تيمية تقديم عبد الله بن عبد الرحمن السعد، قدم لها وحققها وعلق عليها أبو عبد الله سيد بن عباس الجليمي، وأبو معاذ الدمشقي، أضواء السلف الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

١٥٤) **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب له**، تحقيق ودراسة د/ عبد الله الجنيدي، طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية (١٤٢٧هـ).

١٥٥) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. للشيخ أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ت(١٢٧٠هـ). دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥٦) **الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني** تحقيق محمد شكور محمود أمرير. المكتب الإسلامي. بيروت. ودار عمار عمان. الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

١٥٧) **رياض الصالحين.** للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ت (٦٧٦هـ). تحقيق عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق. وراجعه شعيب الأرنؤوط. دار السلام، بالرياض (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

١٥٨) **زاد المسير في علم التفسير** للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت (٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي. بيروت. الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

١٥٩) **زاد المعاد في هدي خير العباد** للمحدث الفقيه شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ت (٧٥١هـ)، حققه شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت الطبعة (٢٩) (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

١٦٠) **الزهد** للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل ت(٢٤١هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

١٦١) **الزهد** للإمام هناد بن السري الكوفي ت(٢٤٣هـ). تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى(١٤٠٦هـ-١٩٨٥م).

١٦٢) **سبل السلام شرح بلوغ المرام.** تأليف الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني. ت (١١٨٢هـ). تعليق العلامة محمد ناصر الدين الالباني. ت (١٤٢٠هـ). دار المعارف. الرياض. الطبعة الأولى. (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

١٦٣) **سلسلة الأحاديث الصحيحة** للعلامة محمد ناصر الدين الألباني. ت(١٤٢٠هـ). مكتبة المعارف الرياض. (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)

١٦٤) **سنن ابن ماجه** ت(٢٧٣هـ) حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

١٦٥) **سنن أبي داود** السجستاني ت(٢٧٥هـ)، تحقيق وتخريج خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٦٦) **سنن الترمذي**: ت(٢٧٩هـ) حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

١٦٧) **سنن الدارقطني** للحافظ الكبير علي بن عمر الدارقطني ت (٣٨٥هـ)، وبذيله التعليق المغني على الدارقطني للمحدث أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي. تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).

١٦٨) **سنن الدارمي** للإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبدالرحمن الدارمي ت(١٨١-٢٥٥هـ). حقق أصوله وخرج أحاديثه د/ محمود أحمد عبد المحسن، دار المعرفة. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

١٦٩) **السنن الكبرى** للإمام الحافظ أبي بكر بن أحمد بن حسين بن علي البيهقي. ت (٤٥٨هـ). مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد الهند. الطبعة الأولى (١٣٥٦هـ).

١٧٠) **سنن النسائي** وعليه حاشية السيوطي ت (٩١١هـ) وحاشية السندي ت (١١٣٨هـ٩ تحقيق مكتب التراث الإسلامي. دار المعرفة. بيروت.

١٧١) **سنن النسائي**: ت(٣٠٣هـ) حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

١٧٢) **سير أعلام النبلاء** للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨هـ). تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون. طبع مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م).

١٧٣) **الشامل في أصول الدين** لإمام الحرمين الجويني ت(٤٧٨هـ) قدم له وحقق علي سامي النشار، وفيصل بدير عون، وشهير محمد مختار. منشأة المعارفة. الإسكندرية (١٩٦٩م).

١٧٤) **شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم**. تأليف الأمامالحافظ أبي القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ت (٤١٨هـ). تحقيق د/ أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. دار طيبة. الرياض. الطبعة التاسعة (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

١٧٥) **شرح الأربعين النووية** للإمام ابن دقيق العيد. ت(٧٠٢هـ). دار ابن حزم. بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

١٧٦) **شرح الأربعين النووية** للشيخ محمد بن صالح العثيمين. ت (١٤٢١هـ). دار الثريا للنشر. الرياض. الطبعة الأولى. (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

١٧٧) **شرح الأصبهانية** لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: د/ محمد بن عودة السعوي. مكتبة دار المنهاج. الرياض. الطبعة الأولى. (١٤٣٠هـ).

١٧٨) **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك** لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ت(١١٢٢هـ). طبع بالمطبعة الخيرية.

١٧٩) **شرح السنة** للإمام المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي ت (٥١٦ هـ). حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش. المكتب الإسلامي. بيروت. الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م).

١٨٠) **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية** تأليف صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ت (٧٩٢هـ). تحقيق أحمد محمد شاكر. طبع وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. السعودية. (١٤١٨هـ).

١٨١) **شرح العقيدة السفارينية**. لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، طبع مدار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

١٨٢) **شرح العقيدة الواسطية** لشيخ الإسلام ابن تيمية. للشيخ محمد خليل هراس. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الطبعة الأولى(١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

١٨٣) **شرح العقيدة الواسطية.** للشيخ محمد بن صالح العثيمين ت (١٤٢٠هـ). خرج أحاديثه واعتنى به سعد بن فواز الصميل. دار ابن الجوزي. السعودية. الطبعة الرابعة (١٤٢٤هـ).

١٨٤) **شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان** تأليف الملا علي بن سلطان محمد القاري ت(١٠١٤هـ). تحقيق مروان محمد الشعار. دار النفائس دمشق. الطبعة الثانية (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

١٨٥) **شرح القصيدة النونية،** للإمام لابن القيم، شرح فضيلة الشيخ العلامة محمد خليل هراس ت(١٣٩٥هـ)، دار الإمام أحمد القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)

١٨٦) **شرح النووي على مسلم** للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ت (٦٧٦هـ). المطبعة المصرية بالأزهر. الطبعة الأولى (١٣٤٧هـ-١٩٢٩م).

١٨٧) **شرح حديث النزول** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). تحقيق وتعليق محمد بن عبد الرحمن الخميس. دار العاصمة السعودية. الطبعة الثاني (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

١٨٨) **شرح ديوان الحماسة.** لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ت(٤٢١هـ). نشره أحمد أمين، وعبد السلام هارون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة. الطبعة الثانية. (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م).

١٨٩) **شرح رياض الصالحين** للشيخ محمد بن صالح العثيمين. بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثمين الخيرية. طبع مدار الوطن. الرياض. طبعة ١٤٢٦هـ.

١٩٠) **شرح سنن ابن ماجه** للإمام علاء الدين مغلطاي بن فليح بن عبدالله الحنفي ت (٧٦٢هـ)، تحقيق كامل عويضة. مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة المكرمة. الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

١٩١) **شرح سنن أبي داود** لأبي محمد بدر الدين العيني ت(٨٥٥هـ). تحقيق أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري. مكتبة الرشد. الرياض. الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

١٩٢) **شرح شافية ابن الحاجب**. للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ت(٦٨٦ هـ). مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب ت(١٠٩٣هـ)، حققهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما: الأساتذة: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد يحيى عبد الحميد. دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٣) **شرح صحيح البخاري لابن بطال** لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ت (٤٤٩هـ). ضبط وتعليق أبو تميم ياسر بن إبراهيم. مكتبة الرشد. الرياض. الطبعة الثانية (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

١٩٤) **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري** للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان. دار العاصمة. السعودية، الطبعة الثالثة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

١٩٥) **شرح مشكل الآثار** للإمام المحدث أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي. ت(٣٢١هـ). تحقيق شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى. (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

١٩٦) **شرح مواهب الفتاح على تلخيص المفتاح** لأبي يعقوب المغربي ت (١١٢٨هـ). تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م).

١٩٧) **الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين وهو المعروف بـ« الإبانة الصغرى»**. لأبي عبد الله عبد الله بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري ت (٣٨٧هـ). حققه أبو عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان. دار الأمر الأول. الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).

١٩٨) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**. للعلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ت (٥٤٤هـ). مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء. للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (٨٧٣هـ). دار الفكر بيروت، (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م).

١٩٩) **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**. للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ). تحقيق ودراسة د/ أحمد بن صالح بن علي الصمعاني، ود/ علي بن محمد بن عبد الله العجلان. تقديم الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ. دار الصميعي السعودية، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٢٠٠) **الشكر لله** ﻷ للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن أبي الدنيا ت (٢٨١هـ) دراسة وتحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٢٠١) **الصارم المسلول على شاتم الرسول**. لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس ت(٧٢٨هـ). تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودري. دار رمادي للنشر، الدمام، الطبعة الأولى(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

٢٠٢) **الصحاح. تاج اللغة وصِحاح العربية**. لأبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري. ت (٣٩٣هـ). تحقيق د/ إميل بديع يعقوب ود/ محمد نبيل الطريفي. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٢٠٣) **صحيح ابن حبان** بترتيب ابن بلبان. تأليف الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ت (٧٣٩هـ). حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٢٠٤) **صحيح ابن خزيمة** للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري ت(٣١١هـ) حققه وعلق عليه د/ محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي. بيروت. (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

٢٠٥) **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت(٢٥٦هـ)، تقديم أحمد شاكر، دار ابن حزم القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٠٦) **صحيح الترغيب والترهيب** تأليف محمد ناصر الدين الألباني ت(١٤٢٠هـ). مكتبة المعارف بالرياض. الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٢٠٧) **صحيح الجامع الصغير وزياداته**. للمحدث محمد ناصر الدين الألباني ت(١٤٢٠هـ). المكتب الإسلامي. دمشق. الطبعة الثالثة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

٢٠٨) **صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت(٢٦١هـ)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٠٩) **الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه**. تأليف د/ محمد أمان بن علي الجامي. عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة الثانية (١٤٢٧هـ).

٢١٠) **الصناعتين الكتابة والشعر**. تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. ت (٣٩٥هـ). حققه وضبط نصه د/ مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الثانية. (١٤٠٩هـ -١٩٨٩م).

٢١١) **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ). تحقيق د/ علي بن محمد الدخيل الله. دار العاصمة بالرياض. الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ-١٩٩٨).

٢١٢) **طبقات الحنابلة** للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي ت (٥٢٦هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. جامعة أم القرى بمكة المكرمة. الطبعة الثالثة (١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

٢١٣) **طريق الهجرتين وباب السعادتين** لابن القيم، حققه محمد أجمل الإصلاحي، وخرج أحاديثه زائد بن أحمد النشيري، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد مكة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

٢١٤) **طيب المذاق من ثمرات الأوراق** لتقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة ت (٨٣٧هـ). تحقيق أبو عمار السخاوي. دار الفتح الشارقة (١٩٩٧م).

٢١٥) **عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي** للإمام ابن العربي المالكي ت (٥٤٣هـ). دار الكتب العلمية بيروت.

٢١٦) **العبودية** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). تحقيق علي حسن عبد الحميد. دار المغني، الطبعة الرابعة (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٢١٧) **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح** لبهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي ت (٧٧٣هـ). تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٢١٨) **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**. تأليف الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني. ت(٤٤٩هـ). دراسة وتحقيق. د/ ناصر بن عبد الرحمن البن محمد الجديع. دار العاصمة. الرياض. الطبعة الثانية (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

٢١٩) **العقيدة الواسطية** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). عليها شرح من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ت (١٣٨٩هـ). كتبها ورتبها محمد بن

عبد الرحمن بن قاسم ت (١٤٢١هـ). أخرجها وأخدها للطبع د/ عبد المحسن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).

٢٢٠) **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية** للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي التيمي القرشي ت (٥٩٧هـ) قدم له وضبطه الشيخ خليل الميس. دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٢٢١) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري.** للإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني. ت (٨٥٥هـ). ضبطه وصححه عبد الله محمود محمد عمر. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. (١٤٢١هـ -٢٠٠١م).

٢٢٢) **عون المعبود شرح سنن أبي داود.** لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ت (١٣٢٩هـ). ضبط عبد الرحمن محمد عثمان. الناشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة. الطبعة الثانية (١٣٨٨هـ-١٩٦٩م).

٢٢٣) **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام.** تأليف المحدث محمد ناصر الدين الألباني ت(١٤٢٠هـ). المكتب الإسلامي. دمشق. الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

٢٢٤) **غريب الحديث** لإبراهيم بن إسحاق الحربي ت (٢٨٥هـ)تحقيق ودراسة د/ سليمان بن إبراهيم بن محمد العابد. طبع مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي جامعة أم القرى، مكة المكرمة. الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٢٢٥) **غريب الحديث،** لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ت(٢٢٤هـ). تحقيق د/ حسين محمد محمد شرف، مراجعة عبد السلام هارون. المطابع الأميرية بالقاهرة، (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

٢٢٦) **غريب الحديث.** للإمام حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان ت(٣٨٨هـ). تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي. جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الثانية (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٢٢٧) **الغيبة والنميمة** لأبي بكر بن عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا ت(٢٨١هـ). دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٢٢٨) **الفائق في غريب الحديث.** لمحمود بن عمر الزمخشري ت(٥٣٨هـ). تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر، بيروت (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

٢٢٩) **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.** جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش. دار العاصمة الرياض. الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

٢٣٠) **فتاوى نور على الدرب.** لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ت(١٤٢٠هـ). ترتيب وإشراف د/ محمد بن سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧).

٢٣١) **فتح الباري شرح صحيح البخاري** للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ت (٨٥٢هـ). تحقيق محب الدين الخطيب وفؤاد عبد الباقي. دار المعرفة بيروت.

٢٣٢) **فتح الباري شرح صحيح البخاري** للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي ت(٧٩٥هـ). تحقيق أبي معاد طارق بن عوض الله بن محمد. دار ابن الجوزي بالسعودية، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ).

٢٣٣) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت(١٢٥٠)هـ، حققه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء بمصر، ودار الندوة العالمية بالرياض، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ.

٢٣٤) **الفردوس بمأثور الخطاب** لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني ت (٥٠٩هـ) دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٢٣٥) **الفِصل في الملل والأهواء والنحل**. للإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ت (٤٥٦هـ). تحقيق: د/ محمد إبراهيم نصر، ود/ عبد الرحمن عميرة. دار الجيل بيروت. الطبعة الثانية (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

٢٣٦) **الفصول في الأصول** للإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص ت (٣٧٠هـ) دراسة وتحقيق د/عجيل جاسم الشتمي. وزارة الأوقاف الكويتية. الطبعة الثانية (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

٢٣٧) **فضائل المدينة** لأبي سعيد المفضل بن إبراهيم الجَنَدِي اليمني المكي ت(٣٠٨هـ). تحقيق محمد مطيع الحافظ، وعزون بدير. دار الفكر. دمشق. الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٢٣٨) **الفوائد** للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ)، تحقيق الشحات أحمد الطحان، مؤسسة أم القرى، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٣٩) **فيض القدير شرح الجامع الصغير** تأليف محمد المدعو عبد الرؤوف المناوي ت (١٠٣١هـ). دار المعرفة. بيروت الطبعة الثانية (١٣٩١هـ-١٩٧٢م).

٢٤٠) **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية**، حققه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الثالثة(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٢٤١) **القاموس المحيط**. للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي ت(٧١٨هـ). تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة. بيروت لبنان. الطبعة الثامنة (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٢٤٢) **القصيدة النونية لابن القيم**، عني بها عبد الله بن محمد العمير دار ابن خزيمة، الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

٢٤٣) **القضاء والقدر**. للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ت(٤٥٨هـ). تحقق: محمد بن عبد الله آل عامر. مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

٢٤٤) **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى** للشيخ ابن عثيمين، دار الهداية للنشر بمصر. الطبعة الأولى (١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م).

٢٤٥) **القول المفيد على كتاب التوحيد** للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ت(١٤٢٠هـ) اعتنى به د/ سليمان أبا الخيل، ود/ خالد بن علي بن محمد المشيقح. دار العاصمة. السعودية.

٢٤٦) **الكامل في ضعفاء الرجال**، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، ت(٣٦٥هـ). تحقيق. د/ سهيل زكار. درا الفكر. بيروت. الطبعة الثالثة. (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م).

٢٤٧) **كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد.** لإمام الحرمين الجويني ت(٤٧٨هـ). تحقيق محمد يوسف موسى، وعبد المنعم عبد الحميد. مكتبة الغانجى، مصر، (١٣٦٩هـ-١٩٥٠م).

٢٤٨) **كتاب الإيمان** للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ت (٢٣٥هـ). حققه وقدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه الإمام محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف. الرياض. الطبعة الاولى (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٢٤٩) **كتاب التاريخ الكبير.** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت(٢٥٦هـ). طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان. دار الكتب العلمية. بيروت.

٢٥٠) **كتاب التوحيد** لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي ت (٣٣٣هـ) ضبطها وصححها وعلق عليها د/ عاصم إبراهيم الكيالي الحسني الشاذلي الدرقاوي. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٢٥١) **كتاب التوحيد** للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده ت(٣٩٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه د. محمد بن عبد الله الوهيبي و د. موسى بن عبد العزيز الغصن، دار الهدي النبوي بمصر، ودار الفضيلة الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

٢٥٢) **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب** ﷻ للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ت(٣١١هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة السابعة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٥٣) **كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ** للإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ت(٣٨٦هـ).تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ. طبع مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٢٥٤) **كتاب الدعاء** للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت(٣٦٠هـ). دراسة وتحقيق وتخريج د/ محمد سعيد بن محمد حسن البخاري. دار البشائر الإسلامية. الطبعة الأولى. (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

٢٥٥) **كتاب الزهد** للإمام وكيع بن الجراح ت (١٩٧هـ). تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي. دار العصيمي. الرياض. الطبعة الثانية (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

٢٥٦) **كتاب الزهد**. للإمام عبد الله بن المبارك المروزي. ت(١٨١هـ). حققه وعلق عليه الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي. دار الكتب العلمية. بيروت.

٢٥٧) **كتاب السنة** لأبي بكر ابن أبي عاصم ت(٢٨٧هـ)، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للمحدث محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٥٨) **كتاب السنة** من مسائل الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني ت (٢٨٠هـ). حققه أبو عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان. الطبعة الأولى (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

٢٥٩) **كتاب السنن الكبرى** للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت (٣٠٣هـ). حققه حسن عبد المنعم شلبي. أشرف عليه شعيب الأونؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٢٦٠) **كتاب الشريعة** للإمام المحدث أبي القاسم محمد بن الحسين الآجري ت (٣٨٧هـ). حققه وعلق عليه. د/ عبد الله بن عمر الدميجي. دار الفضيلة السعودية. الطبعة الثالثة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٢٦١) **كتاب الصفات**. للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني ت(٣٨٥هـ). دراسة وتحقيق د/ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

٢٦٢) **كتاب الصلاة على النبي ﷺ** للإمام أبي بكر بن أبي عاصم. أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني ت(٢٨٧هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. دار المأمون للتراث. دمشق. الطبعة الأولى (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٢٦٣) **كتاب الصلاة** للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ). تحقيق عدنان بن صفاخان البخاري. وفق المنهج المعتمد من الشيخ بكر أبو زيد. دار عالم الفوائد. مكة المكرمة. الطبعة الأولى (١٤٣١هـ).

٢٦٤) **كتاب الصمت وآداب اللسان** للحافظ لأبي بكر بن عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا ت(٢٨١هـ). حققه أبوإسحاق الحويني. دار الكتاب العربي. بيروت. (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٢٦٥) **كتاب الضعفاء الصغير**. للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت(٢٥٦هـ). تحقيق محمود إبراهيم زايد. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٢٦٦) **كتاب الضعفاء والمتروكين**. للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي. ت(٣٠٣ه). تحقيق بوارن الضناوي، وكمال يوسف الحوت. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٢٦٧) **كتاب العلل** للحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي ت(٣٢٧هـ) تحقيق فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد، ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٢٦٨) **كتاب المتفق والمفترق**. للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت للخطيب البغدادي ت(٤٦٣هـ). دراسة وتحقيق: د/ محمد صادق الحامدي. دار القادري، دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

٢٦٩) **كتاب النبوات** لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). تحقيق د/ عبد العزيز بن صالح الطويان. طبع أضواء السلف. الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

٢٧٠) **كتاب عمل اليوم والليلة** للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد الدينورس المعروف بابن السني ت(٣٦٤هـ) حققه بشير محمد عيون. مكتبة دار البيان. دمشق.

٢٧١) **كتاب مصباح الأرواح في أصول الدين.** لعبد الله بن عمر البيضاوي ت(٧٨٥هـ). تحقيق سعيد فودة، دار الرازي، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٢٧٢) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** للمفسر جار الله أبي لقاسم محمود بن عمر الزمخشري ت (٥٣٨هـ) تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. مكتبة العبيكان. الرياض. الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

٢٧٣) **كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس.** تأليف المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ت (١١٦٢هـ) حققه الشيخ يوسف بن محمود الحاج أحمد. مكتبة العلم الحديث.

٢٧٤) **كشف المشكل من حديث الصحيحين.** للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت (٥٩٧هـ). ت د/ علي حسين البواب. دار الوطن. الرياض. (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٢٧٥) **الكشف والبيان.** لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ت(٤٢٧هـ). تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ومراجعة وتدقيق الأستاذ نظير

الساعدي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م).

٢٧٦) **الكليات** أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. ت (١٠٩٤هـ). أعده للطبع د/ عدنان درويش و محمد المصري. مؤسسة الرسالة ناشرون. الطبعة الثانية (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

٢٧٧) **الكوكب الدراري شرح صحيح البخاري** لمحمد بن يوسف بن على بن سعيد، شمس الدين الكرماني ت (٧٨٦هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت (١٤٠١هـ-١٩٨١م).

٢٧٨) **لباب التأويل في معاني التنزيل**. لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن ت(٧٤١هـ). تصحيح محمد علي شاهين. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ).

٢٧٩) **اللباب في علوم الكتاب**. لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ت(٨٨٠هـ). تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى(١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م).

٢٨٠) **لسان العرب** للعلامة ابن منظور. ت (٧١١هـ). اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة الثانية. (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٢٨١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدر المضية في عقد الفرقة المرضية. تأليف الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي ت (١١٨٩هـ) طبع

المكتب الإسلامي بيروت، ودار الخاني الرياض. الطبعة الثالثة. (١٤١١هـ-١٩٩١م).

٢٨٢) **متشابه القرآن** للقاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي ت (٤١٥هـ). تحقيق د/ عدنان محمد زرزور. دار التراث. القاهرة.

٢٨٣) **مجاز القرآن**. لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ت(٢١٠هـ). تحقيق: محمد فواد سزگين. طبع مكتبة الخانجى، القاهرة.

٢٨٤) **مجالس شهر رمضان**. للشيخ محمد بن صالح العثيمين ت (١٤٢٠هـ). تحقيق وتعليق أبو محمد أشرف عبد المقصود. مكتبة أضواء السلف بالرياض. الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

٢٨٥) **المجالسة وجواهر العلم**. تصنيف أبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي. ت (٣٣٣هـ). خرج أحاديثه وآثاره ووثَّق نصوصه وعلق عليه أبو عبيدة مشهور حسن آل سلمان. دار ابن حزم. الطبعة الأولى (١٤١٩÷ـ-١٩٩٨م).

٢٨٦) **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**. للإمام الحافظ محمد بن حبان بن احمد أبى حاتم التيميمى البستى ت(٣٥٤ هـ). تحقيق محمود إبراهيم زايد. دار المعرفة، بيروت (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٢٨٧) **مجمع زوائد ومنبع الفوائد** للإمام أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت(٨٠٧هـ) تحقيق حسام الدين القدسي. مكتبة القدسي. القاهرة. (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

٢٨٨) **مجموع الفتاوى** لابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٢٨٩) **مجموع فتاوى ورسائل** الشيخ محمد بن صالح العثيمين ت(١٤٢٠هـ). جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. دار الثريا بالسعودية الطبعة الثانية (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

٢٩٠) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي. ت (٥٤٦هـ). تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. الطبعة الأولى. (١٤٢٢هـ -٢٠٠١م).

٢٩١) **المحصول في علم أصول الفقه** لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ت (٦٠٦هـ). دراسة وتحقيق د/ طه جابر فياض العلواني. مؤسسة الرسالة.

٢٩٢) **المحكم والمحيط الأعظم** لأبي الحسن علي بن سيده المرسي. ت (٤٥٨هـ). تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٢٩٣) **المحلى** لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ت (٤٥٦هـ). تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر. مطبعة النهضة بمصر، الطبعة الأولى (١٣٤٧هـ).

٢٩٤) **مختار الصحاح** للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي. ت(٦٦٠هـ). إعداد وتقديم محمد حلاق. واعتنت بتصحيحه نجوى أنيس ضو. دار إحياء التراث. الطبعة الأولى. (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

٢٩٥) **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** لابن القيم اختصار محمد بن الموصلي ت(٧٧٤هـ)، قرأه وخرج نصوصه وعلق عليه وقدم له الدكتور حسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٩٦) **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**. للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور. ت (٧١١هـ). تحقيق روحية. مراجعة محمد مطيع الحافظ. دار الفكر. دمشق. الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م).

٢٩٧) **مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر** لشيخ الإسلام محمد بن نصر المروزي ت (٢٩٤هـ) اختصره محمد بن علي المقريزي ت(٨٤٥هـ) دار الطحاوي. الرياض. الطبعة الأةلى. _١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٢٩٨) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** لإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ).

٢٩٩) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** للعلامة علي بن سلطان محمد القاري. ت (١٠١٤هـ). تحقيق الشيخ جمال عيتاني. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٣٠٠) **مساوئ الأخلاق ومذمومها** لأبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الشامري (الخرائطي). ت (٣٢٧هـ). مصطفى بن أبو النصر الشلبي. مكتبة السوادي. جده. الطبعة الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٣٠١) **المستدرك على الصحيحين** للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ت (٤٠٥هـ). وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي. بإشراف د/ يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي. دار المعرفة. بيروت.

٣٠٢) **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد**. للحافظ أبي الحسين أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامي المعروف بابن الدمياطي ت(٧٤٩ هـ). دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠٣) **مسند ابن أبي شيبة** تأليف الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ت(٢٣٥هـ). تحقيق عادل بن يوسف الغزاوي، وأحمد فريد المزيدي. دار الوطن بالرياض. الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٣٠٤) **مسند ابن راهويه** للإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي ت (٢٣٨هـ) تحقيق وتخريج د/ عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي. مكتبة الإيمان. المدينة المنورة. الطبعة الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩١م).

٣٠٥) **مسند أبي داود الطيالسي** سليمان بن داود بن الجارود ت (٢٠٤هـ). تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي مركز البحوث بدار هجر. مصر. الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٣٠٦) **مسند أبي يعلى الموصلي**. للإمام الحافظ أحمد بن علي بن مثنى التميمي ت(٣٠٧هـ). حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث. دمشق. الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م). والطبعة الثانية (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٣٠٧) **مسند الإمام أحمد: ت**(٢٤١هـ). المشرف العام على إصدارها د/ عبد الله التركي، المشرف على تحقيقها وتخريج نصوصها والتعليق عليها الشيخ المحدث شعيب الأرناؤوط، والمشاركون في التحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، عادل مرشد، إبراهيم الزيبق، محمد رضوان العرقسوسي، وكامل الخراط، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٣٠٨) **مسند الحميدي** للإمام أبي بكر عبدالله بن الزبير القرشي الحميدي ت (٢١٩هـ). تحقيق حسين سليم أسد. دار السقا. دمشق. الطبعة الأولى (١٩٩٦م).

٣٠٩) **مسند الدارمي** (المعروف بسنن الدارمي) للإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبدالرحمن الدارمي ت(١٨١-٢٥٥هـ). تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٣١٠) **مسند الشاشي** لأبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ت (٣٣٥هـ) تحقيق وتخريج د/ محفوظ الرحمن زين الله. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. الطبعة الأولى (١٤١٤هـ-١٩٩٣).

٣١١) **مسند الشهاب** تأليف القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي. ت(٤٥٤هـ). حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى. (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م). .

٣١٢) **مسند عبد الله بن المبارك** ت(١٨١هـ) حققه وعلق عليه صبحي البدري السامرائي. مكتبة المعارف. الرياض. الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

٣١٣) **مشارق الأنوار على صحيح الآثار** للإمام القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي المالكي ت(٥٤٤هـ). طبع المكتبة العتيقة بتونس، ودار التراث بالقاهرة.

٣١٤) **مشكاة المصابيح** تأليف أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي. توفي بعد سنة (٧٣٧هـ). تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي بيروت. الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٣١٥) **مشكل الحديث وبيانه** لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر ت(٤٠٦هـ). تحقيق موسى محمد علي. عالم الكتب. بيروت. الطبعة الثانية (١٩٨٥م).

٣١٦) **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة** لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز البوصيري ت(٨٤٠هـ). تحقيق محمد المنتقى الكشناوي. الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).

٣١٧) **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه.** لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز البوصيري ت(٨٤٠هـ). تحقيق ودراسة. د/ عوض بن أحمد الشهري. عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٣١٨) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**. للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي. ت (٧٧٠هـ). المطبعة الأميرية بالقاهرة. الطبعة الخامسة. (١٩٢٢م).

٣١٩) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**. للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي. ت (٧٧٠هـ). تحقيق يوسف الشيخ محمد. المكتبة العصرية.

٣٢٠) **المصباح في المعاني والبيان والبديع** لأبي عبد الله بدر الدين بن مالك الدمشقي الشهير بابن الناظم ت (٦٨٦هـ). تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٣٢١) **مصنف ابن أبي شيبة** لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي ت(٢٣٥هـ). حققه محمد عوامة. طبع شركة دار القبلة. الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٣٢٢) **المصنف** للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني. ت(٢١١هـ). عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي بيروت. الطبعة الأولى. (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٣٢٣) **المطالب العالية من العلم الإلهي** لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ت (٦٠٦هـ). تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا. دار الكتاب العربي. بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

٣٢٤) **المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم** تأليف سعد الدين سعود بن عمر التفتازاني ت (٧٩٢هـ) تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٣٢٥) **معالم التنزيل** للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت(٥١٦)هـ، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

٣٢٦) **معالم السنن شرح سنن أبي داوود.** للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ت (٣٨٨هـ). تحقيق أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق. مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى (١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

٣٢٧) **معاني القرآن** للإمام أبي جعفر النحاس ت (٣٣٨هـ)تحقيق محمد علي الصابوني. طبعة جامعة أم القرى الطبعة الأولى مكة المكرمة (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٣٢٨) **معاني القرآن وإعرابه** للإمام إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ت (٣١١هـ) تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٣٢٩) **معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى.** تأليف د/ محمد بن خليفة التميمي. دار أضواء السلف. الرياض. الطبعة الأولى (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م).

٣٣٠) **معجم ابن الأعرابي** تأليف أبي سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري ت(٣٤٠هـ) تحقيق وتخريج عبد المحسن بن إبراهيمبن أحمد الحسيني. دار ابن الجوزي. السعودية الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٣٣١) **المعجم الأوسط** للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت(٣٦٠هـ). تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله، وأبو الفضل عبد المحسن الحسيني. دار الحرمين. القاهرة (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٣٣٢) **المعجم الكبير** للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت (٣٦٠هـ) حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. (١٤٠٤هـ).

٣٣٣) **معرفة الصحابة** لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران الأصبهاني ت (٤٣٠هـ) تحقيق عادل بن يوسف الغزاوي. دار الوطن بالرياض. الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

٣٣٤) **المعلم بفوائد مسلم** للإمام أبي عبد الله محمد بمن علي المازري ت (٥٣٦هـ). تحقيق محمد الشاذلي النيفر. الدار التونسية تونس. الطبعة الثانية (١٩٨٧م).

٣٣٥) **المغرب في ترتيب المعرب** لأبي الفتح ناصر الدين المطرَّزي. ت (٦١٠هـ). تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار. مكتبة أسامة بن زيد. حلب. سوريا. الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٣٣٦) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. للعلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ت(٧٦١هـ). تحقيق وشرح د/ عبد اللطيف محمد الخطيب. دار التراث العربي. الكويت. الطبعة الأولى (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٣٣٧) **المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما جاء في الإحياء من الأخبار** للحافظ أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت(٨٠٦هـ). اعتنى به أبو محمد أشرف عبد المقصود. مكتبة دار طبرية. الرياض. الطبعة الأولى (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٣٣٨) **المغني في أبواب التوحيد والعدل** إملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار الأسد أبادي ت (٤١٥هـ)جزء (الإرادة) تحقيق د/ محمود محمد قاسم، ومراجعة د/ إبراهيم مدكور و إشراف د/ طه حسين.

٣٣٩) **مفاتيح الغيب**. لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ت(٦٠٦هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى(١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٣٤٠) **مفتاح العلوم. للإمام**. أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ت(٦٢٦هـ). ضبط وتعليق نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

٣٤١) **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة** للإمام الشريف ابي عبد الله محمد بن أحمد الحسني التلمساني ت (٧٧١هـ) دراسة وتحقيق د/ محمد علي فركوس. دار تحصيل العلوم. الجزائر (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٣٤٢) **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة.** لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ت (٧٥١هـ). تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد. راجعه الشيخ بكر أبو زيد. دار ابن عفان. السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

٣٤٣) **المفردات في غريب القرآن** لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني ت(٥٠٢هـ)تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني. دار المعرفة. لبنان.

٣٤٤) **المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للإمام** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت(٦٧١)هـ. تحقيق محي الدين مستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزَّال. دار ابن كثير ودار الكلم الطيب. دمشق وبيروت. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٦هـ).

٣٤٥) **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.** للإمام شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ت (٩٠٢هـ). تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م).

٣٤٦) **مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين.** للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ت (٣٢٤هـ). عني بتصحيحه هلموت ريتر. طبع مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

٣٤٧) **مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري** تأليف محمد بن الحسن بن فورك ت(٤٠٦هـ)تحقيق وضبط أ. د/ أحمد عبد الرحيم السايح. نشر مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).

٣٤٨) **مقاييس اللغة** لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٤٩) **المقتنى في سرد الكنى**. للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. ت(٧٤٨هـ). تحقيق. محمد صالح بن عبد العزيز المراد. مطبوعات الجامعة الإسلامية. (١٤٠٨هـ).

٣٥٠) **المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**. لأبي حامد الغزالي ت(٥٠٥هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت. مكتبة القرآن بالقاهرة،

٣٥١) **مكارم الأخلاق للطبراني**. ت(٣٦٠هـ) تحقيق د/ فاروق حمادة. طبع على نفقة الرئاسة العامة للإفتاء والبحوث العلمية والدعوة والنشر بالمملكة العربية السعودية. الطبعة الاولى. (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

٣٥٢) **المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى** للحافظ البيهقي تأليف الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي. مكتبة الرشد. الرياض. الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٣٥٣) **المنتخب من مسند عبد بن حميد** للإمام الحافظ أبي محمد عبد بن حميد. ت(٢٤٩ه). حققه ضبط نصه وخرج أحاديثه السيد صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي. عالم الكتب. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٣٥٤) **المنتقى شرح موطأ مالك.** للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي ت (٤٩٤هـ). تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا. دار الطتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٣٥٥) **المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال** للحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. ت(٧٤٨هـ). حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب. طبع وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. السعودية. (١٤١٨هـ).

٣٥٦) **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**. لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ). تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم. طبع مؤسسة الريان. ونشر دار الفضيلة. (١٤٢٤هـ).

٣٥٧) **منهج ودراسات في الأسماء والصفات**. للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي. ت (١٣٩٣هـ). مطبوعات الجامعة الإسلامية. طبعة (١٤٠١هـ.

٣٥٨) **الموافقات**. لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ت(٧٩٠هـ). تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان، بالسعودية، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٣٥٩) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**. إشراف وتخطيط ومراجعة. د/ مانع بن حماد الجهني. الناشر الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. بالرياض. الطبعة الخامسة (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٣٦٠) **الموطأ** لإمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي ت (١٧٩هـ) برواية يحيى الليثي ت(٢٤٤هـ). تحقيق د/ بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

٣٦١) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت (٨٨٥هـ). تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي. دار الكتب العلمية. بيروت. (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٣٦٢) **النكت والعيون** لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ت (٤٥٠هـ) تحقيق السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم. دار الكتب العلمية.

٣٦٣) **نهاية الأرب في فنون الأدب**. لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري. ت( ). تحقيق. مفيد قمحية وجماعة. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤).

٣٦٤) **نهاية الوصول إلى علم الأصول** لمضفر الدين أحمد بن علي بن الساعاتي ت (٦٩٤هـ). دراسة وتحقيق سعد بن غرير بن مهدي السلمي. رسالة علمية في جامعة أم القرى.

٣٦٥) **النهاية في غريب الحديث والأثر** للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري –ابن الأثير – ت(٦٠٦هـ)، تحقيق خليل مأمون شيحا. دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٦٦) **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**. لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم

الأندلسي القرطبي المالكي ت(٤٣٧هـ). تحقيق مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي. جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).

٣٦٧) **الهوامل والشوامل سؤالات أبي حيان التوحيدي لأبي علي مسكويه.** تأليف أبي علي مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي الأصبهاني ت (٤٢١هـ). دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٣٦٨) **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ). تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قايد. إشراف بكر أبوزيد. دار علم الفوائد. مكة المكرمة.

فهرس الموضوعات

والحمد لله رب العالمين